

الدكتور كمال مظهر احمد

دراسات

في تاريخ الإسكندرية

الحديث والمعاصرة

ساعدت الأمانة العامة للثقافة والشباب
لمنطقة الحكم الذاتي على طبع الكتاب

١٩٨٥

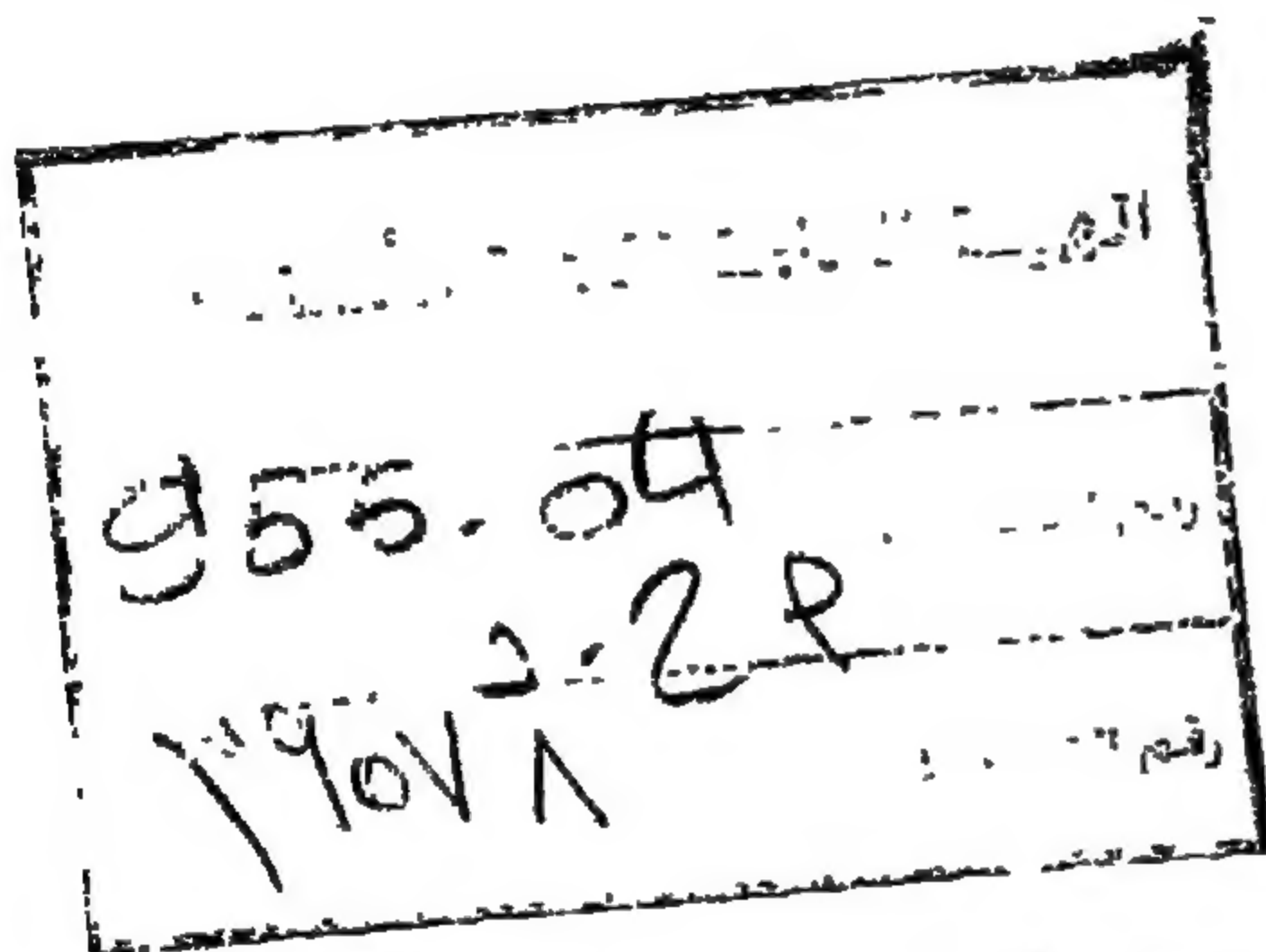
0106767



Bibliotheca Alexandrina

الدكتور كمال مظهر احمد

دراسات



في تاريخ ايران

الحديث والمعاصر

ساعدت الأمانة العامة للثقافة والشباب
لمنطقة الحكم الذاتي على طبع الكتاب

١٩٨٥

بغداد

المقدمة

يحظى تاريخ ايران باهتمام كبير من لدن المؤرخين في جميع الاقطار المتقدمة في العالم . وربما يكفي ان نشير بهذا الصدد الى ان مالا يقل عن عشرة مراكز علمية في الاتحاد السوفيتي وحده تولي هذا الموضوع اهتماما خاصا، وان الاوساط الاكاديمية في الولايات المتحدة الامريكية باشرت منذ سنوات باعداد دائرة معارف خاصة بتاريخ ايران من المقرر ان تقع في عدد من المجلدات الضخمة^(١) . وبالمقابل لم يول هذا الموضوع ما يستحق من اهتمام من لدن مؤرخينا، لذا تعاني مكتبتنا من نقص كبير فيما يخص تاريخ ايران في جميع مراحله . فان المكتبة العربية، والعراقية منها بالتحديد، لاتعاني من فقر مدقع فيما يخص تاريخ ايران حسب، بل فيها، ايضا، مالا يشرف العلم على اي حال . فمثلا، وهذا غيض من فيض، ان فتح علي شاه، ثاني ملوك آل قاجار الذي، كما نلاحظ، ابتلى هو وجيشه وبلاده باطماع القياصرة الروس، ونجاحاتهم المتلاحقة التي أدت الى ان تفقد ايران كل ما كان لديها من سيطرة ونفوذ على جورجيا (كرجستان) وارمينيا واذربيجان الشمالية، انه، لاغيره، قد «استولى على كرجستان وضمها الى روسيا، وضم روسيا الى بلاده، كما انه ارسل ابنه عباس للحرب مع الروسيين (!) والذي (!) دام (!) حوالي عشرة (!) سنوات» (نقل النص حرفيا) . ان هذا «الكلام» ورد بعد ٧١ صفحة من اللغو المشابه في كتاب يحمل مثل هذا العنوان الضخم والفخم:

(١) تسمى «Iranica»

«موجز ترجمة التاريخ الفارسي مع مقدمة في الاحوال الاجتماعية»^(٢). وحكم الافشاريون ايران من عام ١٧٣٦ حتى عام ١٧٩٦ ، ومن ثم بدأ حكم الزنديين في العام ١٧٩٦ وانتهى عام ١٩٢٦^(٣) في كتاب سليم واكيم الذي سماه «ايران في الحضارة . دراسة علمية»^(٤).

وتحول الثوري الايراني المعزوف مرزا كوجك خان^(٥) الى «قائد للحملة الروسية» على ايران لدى محمد الهاشمي^(٦) ، الذي يؤكد ايضا على ان رضا شاه تمكن من «القضاء على الامية والجهالة»^(٧) ، مع العلم ان نسبة الامية بين الايرانيين بلغت ٨٥٪ حسب المعلومات الواردة في وثائق الاحصاء الرسمي للعام ١٩٥٦ ، اي بعد مرور عقد ونصف عقد على انتهاء حكم مؤسس العهد البهلوي في ايران .

كما ان المراجع العربية المتوفرة عن تاريخ ايران مشحونة باغرب الاخطاء فيما يخص اسماء الاعلام والمواقع . وقد امتدت آثار هذا النقص الى الكتب المعربة ايضا . ففي كتاب «نقط ودماء» الذي ترجمه عبدالغني الخطيب^(٨) تحول اسم بشت كوه الى «يوشدي كوه» ، والبارون رويتر الى «دي ريدر» ، وروسيا القيصرية الى «روسيا السارية» ، وتحولت لاحقة الدين في اسم الشاه القاجاري مظفر الدين الى «الدين والتيني» ، فتحول اسم الملك القاجاري الخامس الى «مظفر التيني» بكل بساطة . وتحول نهر كارون الى

(٢) «موجز ترجمة التاريخ الفارسي مع مقدمة في الاحوال الاجتماعية» ، ترجمة وتلخيص سعيد علي ، النجف ، ١٩٦٠ . لم يكلف المترجم نفسه بذكر اسم المؤلف واللغة التي ترجم منها الكتاب .

(٣) ينقسم تاريخ ايران الحديث ، والمعاصر على العهود التالية : الصفوي من عام ١٥٠٢ حتى عام ١٧٣٦ ، مع العلم ان الملوك الصفويين فقدوا السلطة فعليا منذ عام ١٧٢٢ عندما انتقل حكم ايران الى محمود شاه الافغاني (١٧٢٢ - ١٧٢٥) ، ثم الى اشرف شاه الافغاني (١٧٢٥ - ١٧٣٠) ، ثم الى نادر شاه الافشاري (١٧٣٠ - ١٧٤٧) ، ثم الى علي قلي مرزا افشار المعروف بعادل شاه (١٧٤٧ - ١٧٤٨) . ومنذ العام ١٧٤٨ لم تبقى بيد الافشاريين سوى خراسان التي كان يحكمها شاهرخ ، حفيد نادر شاه ، فقد انتقل حكم ايران الى الزنديين في الفترة الواقعة بين عامي ١٧٦٠ و ١٧٩٤ ، وبدأ العهد القاجاري عام ١٧٩٦ لينتهي في العام ١٩٢٥ الذي يعتبر بداية للعهد البهلوي .

(٤) سليم واكيم ، ايران في الحضارة . لمناسبة مرور ٢٥٠٠ عام على تأسيس الامبراطورية . دراسة علمية ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٨ .

(٥) عنه راجع موضوع «حقائق عن النضال التحرري الكردي في ايران» .

(٦) محمد الهاشمي ، الابطال الثلاثة . الملك فيصل - الغازي مصطفى كمال - البهلوي رضا شاه ، بغداد ، بلا ، ص ٧٦ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٨٦ .

(٨) هاكوب ق . تورياتنز ، نقط ودماء ، تعريب عبدالغني الخطيب ، بيروت ، ١٩٦٢ .

«نهر قروت»، وحقل نفط مسجد سليمان الى «مجيد سليمان». والانكى من كل ذلك ان يحول الخطيب الشيخ خزعل الى «الشيخ غزال»^(٨). مع العلم ان المعرب يقول ان بين دفقي الكتاب «مالم يتضمنه اي كتاب اخر نشر عن سياسة البترول وصناعة البترول، فكانت هذه الكتب ملهاة للشعوب عن المأساة الحقيقية، خلافا لسفر صديقي الاستاذ هاكوب ق. توريانتز الذي سهر غور الرأسمالية بحثا عن الحقيقة، تماما كما سهرت الرأسمالية غور الارض بحثا عن الذهب الاسود»^(٩). ولئن كان في هذا القول الكثير من المبالغة، لان في المكتبة العربية دراسات مخلصه ومجدية عن النفط، اولها كتاب يوسف ابراهيم يزبك الرائع اسما ومحتوى^(١٠)، الا ان الكتاب الذي عربه عبدالغني الخطيب بهذ الاسلوب المشوه كتاب جيد على ما يبدو.

ولم تسلم دراسات بعض الاساتذة والكتاب، وكذلك بعض الرسائل الجامعية من اخطاء علمية كان من المفروض ان لاتقع فيها. واذا استثنينا عددا قليلا من الدراسات الجادة، فان مايتوفر في المكتبة العربية من مراجع لايمكن لها ان تقدم للمتبعين صورة واضحة عن تاريخ ايران الحديث والمعاصر، الامر الذي يجعل من دراسة ذلك التاريخ مهمة علمية ضرورية وملحة.

المواضيع التي اقدمها بين دفقي هذا الكتاب حصيلة جهد علمي تعود بداياته الى اواخر العام ١٩٦٠ عندما بدأت اهتم بجوانب من تاريخ ايران الحديث والمعاصر بحكم اختصاصي. وبعد مخاض عسير وجد قسم قليل منها الطريق الى النشر في السنوات الاخيرة في مجلتي «آفاق عربية» و«دراسات للاجيال»^(١١)، كما القي البحثان «صفحات من تاريخ العلاقات الايرانية - السوفيتية» و«حقائق عن المؤسسة الدينية في ايران» في ندوة «ايران الحاضر والمستقبل» التي نظمها المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية التابع لجامعة المستنصرية في نيسان عام ١٩٨١.

(٩) المصدر نفسه، ص ٩٦.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٣ - مقدمة المعرب.

(١١) يوسف ابراهيم يزبك، النفط مستعبد الشعوب، بيروت، ١٩٣٤. وردت في الكتاب معلومات مهمة عن نفط ايران، وعن اطماع الدول الكبرى الاستعمارية فيه.

(١٢) نشر موضوع «العراق وايران بين سازانوف وغراي. وثائق جديدة» في العدد الثاني، تشرين الاول ١٩٨٢ من «آفاق عربية» (ص ٢ - ١٠)، وموضوع «رضا المازندراني والعرش الايراني» في العدد الثالث، تشرين الثاني ١٩٨٢ من المجلة نفسها (ص ٣٥ - ٦٤)، وموضوع «تاريخ ايران الحديث في الوثائق الروسية» في مجلة «دراسات للاجيال» (العددان الرابع والخامس، تشرين اول ١٩٨٣، ص ٦٧ - ٨٤).

من تاريخ الحروب الإيرانية - الروسية
(صفة من العلاقات الدولية في شرق الأوسط قبل ظهور الامبريالية)

المدخل :

تعتبر الحروب الايرانية - الروسية من أهم مواضيع التاريخ الحديث لايران وروسيا ومناطق القفقاس وما وراء القفقاس ، وحتى اواسط اسيا . كما مست آثارها رقعة حساسة من الشرق الاوسط بصورة مباشرة . ولكن رغم ذلك لم تجد تلك الحروب ماتستحق من اهتمام من لدن اوساطنا الاكاديمية ، بل وردت اخطاء كبيرة بصدددها في بعض دراساتنا ومؤلفاتنا بلغت حد التجاوز على اطارها التاريخي ، واسماء اهم وقائعها^(١) . ولاشك ان هذا الاهمال وجد له قدرا واضحا من الانعكاس بين اوساط الرأي العام الذي نسج شيئا كثيرا من الخيال حول وقائع الحروب الايرانية - الروسية .

ان السبب الاول والاساس الذي مهد الطريق الى الصدام المباشر بين روسيا وايران يكمن في الاختلاف الكبير الذي طرأ على سرعة مدى التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في البلدين المتجاورين منذ بدايات العصر الحديث . ففي النصف الثاني من القرن السابع عشر دخلت ايران مرحلة جديدة من تأريخها تميزت بالانحلال الاقتصادي والسياسي . ومما زاد من تفاقم هذا الانحلال ان ايران التي ظلت تؤلف على مدى مئات السنين حلقة وصل رئيسة بين الشرق الاقصى الاسيوي والغرب الاوربي ، فقدت اهميتها تلك بصورة مفاجئة اثر الاستكشافات الجغرافية الكبرى في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، والتي تمخضت عن ايجاد طرق مائية مباشرة تربط اوربا ببلاد البهارات والعطور . ولقد حاول الحكام ، وكبار الاقطاعيين التعويض عما لحق بهم من خسائر مادية بسبب ذلك بممارسة ضغط متزايد على الفلاحين وحرفيي المدن ، الامر الذي ادى الى ان تتعمق عوامل الخراب الاقتصادي للبلاد اكثر فاكثر . وللاستدلال على ذلك يكفي ان نشير الى انه في عهد السلطان حسين (١٦٩٤ - ١٧٢٢) ، آخر شاه صفوي ، ارتفعت نسبة الضرائب المفروضة على الايرانيين بمقدار يتراوح ما بين مرتين الى ثلاث مرات ، ولم تنج من الضرائب الجديدة حتى العشائر المتنقلة التي ماكانت تخضع للضرائب الحكومية من قبل^(٢) .

(١) راجع على سبيل المثال مقالة الدكتور محمود علي الداود في مجلة «الفظ والعالم» ، بغداد ، العدد ٨٩ ، تموز ١٩٨١ ، ص ١٤ وكتاب حربي محمد «تطور الحركة الوطنية في ايران من ١٨٩٠ - ١٩٥٣» ، بغداد ، ١٩٧٢

(2) M S Ivanov, Ochirk istorii Irana, Moscow, 1952, P 79

(م. س. . ايفانوف ، موجز تاريخ ايران ، باللغة الروسية ، موسكو ، ١٩٥٢ ، ص ٧٩) :

D Wilber, Iran. Past and present, sixth edition, Princeton - New Jersey, 1967, PP 1 - 2.

جعل تفاقم الاستغلال الاقطاعي بالتزاماته المرهقة، وضرائب الجديدة، القرية الايرانية في ازمة اقتصادية حقيقية أدت الى تقلص التبادل التجاري الداخلي بصورة ملموسة، والى تدهور الانتاج البضاعي الى حد كبير، فتعمقت التناقضات الاجتماعية بصورة لم يسبق لها مثيل. ولم يكن مجرد صدفة ان شهدت مناطق مختلفة من ايران، في اواخر القرن السابع عشر وطيلة القرن الثامن عشر، عددا كبيرا جدا من الانتفاضات والحركات الثورية، خصوصا بين شعوبها غير الفارسية من افغانية وتركمانية وكردية وارمنية واذرية وجورجية. ولا يخلو من مغزى ان انفجرت سلسلة من الانتفاضات المسلحة القوية في كل من القفقاس وفارس واستراباد وسيستان وكرمان في غضون السنوات الاربع الاخيرة فقط من عهد اقوى ملك ايراني ظهر في تلك الفترة، وهونادر شاه الافشاري (١٧٣٦ - ١٧٤٧) الذي غدا بنفسه ضحية واحدة من مؤامرات البلاط التي تحولت الى ظاهرة ثابتة من ظواهر تاريخ ايران يومذاك. وبعد مقتل نادر شاه بدأت فترة فوضى سياسية في البلاد استمرت لغاية اواخر القرن الثامن عشر^(٣) عندما حسم صراع دموي مستفحل بين الاسرتين الزندية والقاجارية لصالح الاخيرة منهما، ليبدأ منذ سنة ١٧٩٦ عهد جديد في تاريخ ايران الحديث يعرف بالعهد القاجاري الذي تعمقت ازمة البلاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية في ظل ملوكه السبعة دون استثناء^(٤). ولا بأس من ان نشير ايضا الى ان ايران لم تشهد طيلة القرن الثامن عشر شاعرا كبيرا، او فيلسوفا معروفا، او فنانا بارزا من النوع الرفيع الذي اشتهرت به في العصر الوسيط.

كان الوضع في الجانب الاخر على اختلاف بين من ذلك. فمذ القرن السابع عشر بدأت روسيا تعيش تغييرات اجتماعية واقتصادية وسياسية مهمة، فقد شهدت في ذلك القرن ميلاد اولى العلاقات الرأسمالية في الانتاج ادى الى نمو التبادل البضاعي على الصعيد الاقتصادي، والى امتزاج اجزاء مختلفة من البلاد في وحدة متماسكة على الصعيد السياسي. وفي مطلع ذلك القرن بالذات جاءت اسرة رومانوف الى الحكم^(٥) والتي انتقلت روسيا في عهد ملوكها الى مصاف الدول الكبرى، لاسيما في عهد بطرس الكبير (١٦٨٢ - ١٧٢٥) ابرز قيادى روسيا قاطبة. فقد ادرك بطرس ان تحقيق طموحات بلاده، والوصول الى بحار الاسود وقزوين في

(٣) يستثنى من ذلك عهد كريم خان الزند الذي شمل الفترة الواقعة بين عامي ١٧٦٠ و ١٧٧٩.

(٤) وهم على التوالي اغا محمد حان وفتح علي شاه ومحمد شاه وباصر الدين شاه ومظفر الدين شاه ومحمد علي شاه واحمد شاه.

(٥) ظلت في الحكم لغاية ثورة شباط ١٩١٧.

الجنوب، والبلطيق في الغرب، يتطلب بناء اقتصاد رصين وجيش قوي واسطول متطور ونظام اداري مركزي حديث. واكتملت «سميراميس الشمال»، الألمانية الاصل كاترين الثانية (١٧٦٢ - ١٧٩٦)، ما بدأه سلفها بطرس الكبير. فيعتبر عهدها الذي يوافق النصف الثاني من القرن الثامن عشر تقريبا زمن تطور الرأسمالية في اقتصاد روسيا. ففي منتصف ذلك القرن شغلت روسيا المكان الاول في مجال صهر الحديد الصب، ومكانا متقدما في مجال التعدين عموما على صعيد العالم (في العام ١٧٥٠ بلغ عدد مؤسسات التعدين في روسيا حوالي ١٠٠ مؤسسة)^(٦) وفي اواخر القرن نفسه تجاوز عدد المؤسسات الصناعية الروسية الالفين، كان نصفها يدخل في عداد المؤسسات الصناعية الكبيرة حسب مقاييس ذلك الزمن، اذ بلغ مجموع العاملين في هذه، وتلك حوالي ٢٠٠ الف شخص. وعند حلول القرن التاسع عشر تضاعف الرقم الاخير، فقد بلغ عدد العمال الاجيرين في روسيا انذاك اكثر من ٤٠٠ الف^(٧).

ولئن اصبحت روسيا متقدمة بذلك قياسا مع الشرق المجاور لها، الا انها بقيت متخلفة قياسا مع الغرب المنافس لها. من هنا فان مصالح روسيا النامية تطلبت الاستمرار في البحث عن الاسواق، وعن مصادر للخامات، وعن طرق مائية صالحة لتجارتها، وعن اراض خصبة جديدة ان امكن ذلك. وبعد ان بلغ التوسع الروسي غربا مداه الاقصى بسبب الاقتراب من قوى اوربية متمكنة، جاء دور الجنوب باتجاه القفقاس وبحري الاسود وقزوين حيث مناطق حساسة وغنية كانت تعاني الامرين من ظواهر الانحلال والتفكك والاضطهاد لتؤلف بذلك نوعا من الفراغ السياسي امام دولة اوربية كبرى على تخومها. ويعتبر ردع تتر القرم، الذين كانوا يشنون غزوات منهكة على حدود روسيا الجنوبية، عاملا اضافيا حفز بطرسورغ اكثرا للتوجه نحو الجنوب.

تمكنت روسيا القيصرية من تحقيق هذه الاهداف بفضل سلسلة من الحروب خاضتها ضد تركيا وايران. ففي الفترة الممتدة بين عامي ١٦٧٦ و ١٨٧٨ خاضت

(6) «Istoria SSSR», Vol I, Moscov, 1970, P 82

«تاريخ الاتحاد السوفيتي»، باشراف البروفيسور د. داتسيوك، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٧٠، ص ٨٢.

(7) Ibid, PP 82, 97 - 98;

«تاريخ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية. موجز»، موسكو، بلا، ص ١٠٦، ١٠٩.

روسيا عشر حروب ضد تركيا^(٨) تحول ما حققتها من مكاسب بفضلها، خصوصا في حربي ١٧٦٨ - ١٧٧٤ و ١٧٨٧ - ١٧٩١، الى عامل محرك اخر لتوجهات حكامها نحو ايران.

بدايات التوجه الروسي نحو ايران :

منذ أواخر العصر الوسيط توجهت انظار الروس نحو ايران ضمن اهتمامهم المبكر بمناطق الشرقيين الاوسط والاقصى في اطار تجاري وديني . فقد ورد اسم مدينة تبريز مرارا في كتابات الرحالة الروس الاوائل الذين زاروا مناطق شرقية مختلفة^(٩). فقبل ان ينتهي القرن الخامس عشر مر افناسي نيكييتين بالمدينة المذكورة في طريق عودته من الهند^(١٠)، فوصفها كمركز مهم للقوافل التجارية^(١١).

(٨) هي على التوالي :

- | | |
|--------------------------|---------------------------|
| ١- حرب عام ١٦٧٦ - ١٦٨١ . | ٨- حرب عام ١٨٢٨ - ١٨٢٩ . |
| ٢- حرب عام ١٦٨٦ - ١٦٩٩ . | ٩- حرب عام ١٨٥٣ - ١٨٥٦ . |
| ٣- حرب عام ١٧١٠ - ١٧١٣ . | ١٠- حرب عام ١٨٧٧ - ١٨٧٨ . |
| ٤- حرب عام ١٧٣٥ - ١٧٣٩ . | |
| ٥- حرب عام ١٧٦٨ - ١٧٧٤ . | |
| ٦- حرب عام ١٧٨٧ - ١٧٩١ . | |
| ٧- حرب عام ١٨٠٦ - ١٨١٢ . | |

(٩) للتفصيل حول الموضوع راجع :

B.M. Dantsig, Russki putishestviniki na Blizhnim Vostoke, Moscow, 1965, PP 23 - 24.

ب. م. دانتسيك، الرحالة الروس في الشرق الادنى، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٦٥، ص ٢٣ - ٢٤.

(١٠) قام نيكييتين بسفرته الى الهند عبر ايران ذهابا وايابا في الفترة الممتدة بين عامي ١٤٦٦ و ١٤٧٢. للتفصيل راجع :

L. Lockhart, The Fall of the Safavi Dynasty and the Afghan occupation of Persia, Cambridge, 1958, PP. 55 - 58

(١١) B.M. Dantsig, Blizni Vostok v russkoy nauke i literature, Moscow, 1973, PP. 20 - 21.

ب. م. دانتسيك، الشرق الادنى في العلم والادب الروسيين، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٧٣، ص ٢٠ - ٢١

وبعد مرور نصف قرن دخلت اعتبارات جديدة ومهمة لدفع الروس باتجاه الجنوب. ففي سنة ١٥٥٦ تمكن القيصر الروسي ايفان الرابع الملقب بالرهيب، من الاستيلاء على خانية استراخان، فانتقلت بذلك كل الفولغا، اطول انهار اوروبا^(١٢)، من منابعها حتى مصبها في بحر قزوين الى أيدي الروس، مما ادى الى ازدياد اهميتها التجارية، اذ بدأت مئات السفن المحملة بالبضائع تقطعها شمالا وجنوبا. وتبعاً لذلك ازدادت اهمية المناطق المجاورة لوادي الفولغا واستراخان، وفي مقدمتها السواحل الشمالية لبحر قزوين. ويمكن تأشير ذلك بمثابة بداية طريق روسيا الى ايران والمناطق الغنية التي كانت بحوزتها. فلم ينقض عهد ايفان الرهيب (مات في موسكو سنة ١٥٨٤) حتى وصل التجار الروس الى شماخي في منطقة شيروان التي كانت تخضع لايران يومذاك^(١٣). وفي سنة ١٦٦٤ وصلت اصفهان بعثة روسية تتألف من سفيرين وما لا يقل عن ٨٠٠ تابع، حملت رسالة خاصة وجهها القيصر الكسي ميخائيلوفيتش الى الشاه عباس الثاني. وبعد ثلاثة عقود من ذلك التاريخ وصل تاجران روسيان مدينة اصفهان، ذهبا منها الى ميناء بندر عباس على الخليج العربي ليسافرا من هناك الى الهند بحرا^(١٤).

لم تتخذ بدايات التوجه الروسي نحو ايران طابعا سلميا صرفا. ففي العام ١٦٦٨، مثلاً، قامت قوة روسية من القوزاق بالهجوم على المدينة الشمالية الايرانية مازندران^(١٥).

ان هذه الامور، مع امور غيرها مشابهة لها، هيأت في مجملها خلفية، او اساسا لتوجه روسي لاحق نحو ايران، سرعان ما اتخذ طابعا جديدا في عهد بطرس الكبير.

(١٢) يبلغ طول نهر الفولغا حاليا ٣٥٣٠ كيلومترا، اما في ذلك العهد فقد كان يبلغ من الطول ٣٦٩٠ كيلومترا.

(١٣) تدخل حاليا ضمن اذربيجان السوفيتية.

(١٤) للتفصيل راجع.

L. Lockhart, Op. Cit., PP. 55 - 58.

(15) G N Curzon, Persia and the Persian Question, Vol. I, second impression, London, 1966, P. 374

الحملة او المسيرة الفارسية

الاولى ونتائجها:

يعتبر عهد بطرس الكبير (١٦٨٢ - ١٧٢٥) نقطة تحول مهمة على صعيدي السياستين الداخلية والخارجية في تأريخ روسيا الحديث. فقد أجرى بطرس اصلاحات كبيرة في حفول الاقتصاد والثقافة، والشؤون العسكرية والادارية. وكان بطرس يدرك حاجة البلاد الملحة الى منافذ بحرية كان يعتمد على ايجادها تطور روسيا اللاحق، واصبح قوله المعروف «ان روسيا بحاجة الى البحر» دليل عمل جاد للموسط الحاكم في بطرسبورغ، خصوصا وان «البحر كان قريبا، ولكن الوصول اليه كان متعذرا» حسب التعبير الموفق للبروفيسور بيوترييفانوف^(١٦).

ولم تحقق روسيا في عهد بطرس القليل في هذا الميدان الحيوي، والمتشعب. ففي عامي ١٦٩٥ و ١٦٩٦ شنت القوات الروسية ماعرف بحملات آزوف^(١٧) التي انتهت بالاستيلاء على حصن آزوف المهم الذي كان يقع عند مصب نهر الدون في البحر الاسود^(١٨). وبعد اربع سنوات، وعلى مدى حوالي ربع قرن (من عام ١٧٠٠ حتى عام ١٧٢١) خاضت روسيا ماعرف بالحرب الشمالية ضد السويد، والتي انتهت باستيلائها على جزء حساس من سواحل بحر البلطيق^(١٩).

وفي اطار السياسة نفسها ازداد اهتمام روسيا بايران في عهد بطرس الكبير بصورة ملموسة، خصوصا وان بطرس كان يفكر في اقامة تجارة مباشرة بين روسيا والهند اما عن طريق بحر قزوين مرورا بايران، او عن طريق خيوه وبخارى. وفي كل الاحوال كان القيصر الروسي يخطط من أجل السيطرة على تجارة الحرير الايراني الشهير،

(١٦) بيوترييفانوف وايفان فيدوسوف، تأريخ الاتحاد السوفيتي، ترجمة خيرى الضامن ونقولا طويل، موسكو، بلا، ص ١٩٩.

(١٧) نسبة الى بحر آزوف الذي يؤلف امتدادا للبحر الاسود، وتبلغ مساحته ٣٨ ألف كم^٢، ومعدل عمق مياهه ٨ أمتار، وعمقه الاقصى ١٤ مترا.

(١٨) يقع ميناء آزوف على نهر الدون قبل مصبه في بحر آزوف بمسافة سبعة كيلومترات. احتل الاتراك موقعه عام ١٤٧١ وحولوه الى قلعة عسكرية بعد احتلال القلعة من قبل قوات بطرس الكبير اعيدت ثانية الى تركيا سنة ١٧١١، تم ضمت الى روسيا نهائيا بموجب بنود معاهدة «كوجك - كينارجي» في العام ١٧٧٤.

(١٩) للتفصيل راجع:

وعلى قزوين الذي كان يرغب في ربطه بأواسط روسيا بواسطة عدد من الأنهر والقنوات. ولئن كان اهتمام بطرس بقزوين نابعا في البداية من رغبته في تحويل تجارة الترانسيت المهمة للحرير والبضائع الأخرى بين إيران وأوروبا إلى بلاده بدلا عن حلب وسميرنا، فإن اهتمامه به قد ازداد أكثر فأكثر باعتباره ممرا إلى مناطق معينة في ما وراء القفقاس وأواسط آسيا، فضلا عن كونه بداية الطريق إلى الهند عبر إيران^(٢٠).

انصب اهتمام بطرس الكبير بإيران في ظواهر وأحداث متباينة، قسم منها كان سلميا، والآخر كان عسكريا. ففي العام ١٦٩٧ بعث ممثلا عنه إلى أصفهان بهدف تحريض حكام إيران على إعلان الحرب ضد الدولة العثمانية. وبعد أحد عشر عاما بعث بطرس إسرائيل أوري (Israel Ori) سفيراً عنه إلى إيران، وقد أثار وصوله المخاوف لدى ممثلي الدول الأوروبية الأخرى في البلاط الصفوي. وفي العام ١٧١٥ أرسل بطرس، الدبلوماسي الشاب أرتم بيتروفيتش فولينسكي (Artemil Petrovich Volynsky) إلى إيران ليمثل بلاده هناك حسب الأصول الرسمية المتبعة يومذاك. وقد زود القيصر سفيره الثاني بتعليمات تقضي بالعمل من أجل:

- ١- عقد معاهدة تجارية مع إيران.
 - ٢- اقناع الشاه ووزرائه بتحويل طريق نقل الحرير الإيراني إلى أوروبا من قبل التجار الأرمن عبر الأراضي السورية والتركية إلى الأراضي الروسية.
 - ٣- إذا فشل في تحقيق مهمته المذكورة في البند السابق، حينذاك عليه أن يبذل كل ما في وسعه لوضع العراقيل والصعوبات في طريق التبادل التجاري بين إيران والاقطار الأوروبية.
 - ٤- جمع معلومات تفصيلية عن ظروف إيران، وعن طرق مواصلاتها، وانهارها التي تصب في بحر قزوين، ومعرفة ما إذا كان بينها نهر تقع منابعه داخل الهند.
 - ٥- جمع أكبر ما يمكن من المعلومات عن قوة إيران العسكرية^(٢١).
- استقبلت بعثة فولينسكي في العاصمة الإيرانية أصفهان بحفاوة، واسكن أفرادها في أحد قصور الشاه هناك. وعلى ما يبدو أن فولينسكي أنجز مهمته بنجاح، فوضع

(٢٠) للتفصيل راجع.

١ Lockhart Op Cit P 59

٢ Ibid PP 61, 103 - 104

تقارير مسهبة عن أهمية ايران ، وعن واقع انحلال الحكم الصفوي الذي كان بطرس يرغب في معرفة كل ما يتعلق به^(٢٢).

أثرت تقارير فولينسكي عن ايران على شخص بطرس الكبير الذي اصدر تعليمات جديدة تقضي بالتوسع في جمع المعلومات عن سواحل قزوين ، وعن الطرق العسكرية في المناطق الشمالية من ايران . فانهمك المختصون بوضع خرائط عن قزوين تعتبر الاولى من نوعها ، وبوضع تقارير مفصلة عن الطرق الصالحة للعمليات العسكرية داخل الاراضي الايرانية ، خصوصا في منطقة كيلان^(٢٣).

اعطت توجهات بطرس الكبير الايرانية ثمارها بسرعة . فلم ينته القرن السابع عشر الا واصبح لدى روسيا عدد من السفن في مياه قزوين . وفي العام ١٧١١ توصل الروس الى اتفاق مع تجار الحرير في ايران ، الذين كانوا من الارمن اساسا ، بصدد تصدير الحرير الايراني الى اوربا عن طريق روسيا بدل الاراضي العثمانية ، الامر الذي عززه الروس فيما بعد بعقد اتفاق مشابه مع التجار البريطانيين حول نقل البضائع الاوروبية المصدرة الى ايران ، وكذلك كل الحرير المصدر من قبل الاخيرة الى اوربا عبر الاراضي الروسية^(٢٤). وفي العام ١٧١٧ تم ابرام معاهدة تجارية بين روسيا وايران نصت بنودها على منح التجار الروس حق شراء الحرير الايراني ، وممارسة اعمالهم بحرية في البلاد كلها . وبموجب احد بنود المعاهدة تعهدت الحكومة الايرانية بأن تضمن الحماية للرعايا الروس . كما تم في أواخر سنة ١٧١٩ تعيين اول قنصل روسي في رشت هو سيميون افراموف (S. Avramov)^(٢٥).

ولكن روسيا كانت تطمح في اكثر مما حققت ، الامر الذي ادى الى وقوع اول صدام عسكري مباشر لها مع ايران . وعلى ما يبدو ان بطرس الكبير قد خطط لهذا

(٢٢) تعتبر المراكز المختصة بالدراسات الايرانية في الاتحاد السوفيتي تقارير فولينسكي مصدرا اصيلا ومهما للدراسة المراحل الاخيرة من العهد الصفوي . راجع :

M S Ivanov, Ochirk istorii Irana, P. 86

(23) L. Lockhart, Op Cit , PP 176 - 177

(24) S.G W. Benjamin, Persia and the Persians, London, 1887, PP. 416 - 417

(25) L.Lockart, Op. Cit., PP. 103 - 104, 177; N.G. Kukanova, Ochirki po istorii russko - iranskikh trgovikh otnoshenii : xvii - pervoi polovine xix veka, Saransk, 1977, P. 263.

ن . ك . كوكالوفا ، موجز تاريخ العلاقات التجارية الروسية الايرانية في القرن السابع عشر حتى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، باللغة الروسية ، سارانسك ، ١٩٧٧ ، ص ٢٦٣ .

الامر قبل وقوعه بسنوات^(٢٦)، الا ان انشغاله باحداث الحرب الشمالية مع السويد أخرج تنفيذه. وعلى اي حال بدأت بوادر الخلاف بين الدولتين بسبب باكو-الميناء القزويني المهم المعروف بنقطه منذ القديم^(٢٧)، والذي جلب انظار بطرس الكبير بصورة خاصة، فطلب ان يبعث له بنموذج منه^(٢٨).

في سنة ١٧٠٠ طالب الروس من الايرانيين بأن يمنحهم حق الدخول في ميناء باكو بحرية، الا ان الشاه رفض الطلب، وأمر باقامة التحصينات الضرورية في الميناء.

ولئن لم يؤد الموقف الى تردي العلاقات بين الدولتين بصورة مباشرة، الا انه كان يدل على اطماع روسيا، وتوجهاتها نحو السواحل الجنوبية لبحر قزوين، والتي تجسدت مباشرة مع انتهاء الحرب مع السويد سنة ١٧٢١. فلم يمض سوى عام واحد على انتهاء الحرب المذكورة حتى بعثت بطرسبورغ بمندوب الى البلاط الايراني في اصفهان طالبة تعويضا ماليا عما لحق من اضرار بعدد من التجار الروس في مدينة شماخي الاذرية الشمالية على أيدي اللزكين^(٢٩) الذين كانوا في ثورة ضد الفرس. وعندما وصل السفير الى اصفهان وجد الشاه السلطان حسين الصفوي قد تركها^(٣٠)، وان الغازي الافعاني محمود يحتل عرش طاوس^(٣١). وقد رفض الاخير الاستجابة للطلب الروسي، وكان رده:

(٢٦) في رأي لوكهارت ان فكرة غزو ايران اختمرت في رأس بطرس الكبير في حدود العام ١٧١٥
(L. Lockhart, Op. Cit., P. 176)

(٢٧) ظلت نيران منابع النفط تشتعل في حقول سوره خاني المجاورة لمدينة ماكولغاية العقد الاخير من القرن الماضي.

(28) L. Lockhart, Op. Cit , P 244

(٢٩) مجموعة اتوغرافية صغيرة جورجية الاصل، تعيش في منطقة القفقاس، وفي تركيا.
(٣٠) ثار الافغانيون ضد الحكم الصفوي، وغزوا اراضي ايران سنة ١٧٢٢، وتمكنوا من وضع نهاية للعهد الصفوي بعد حصار العاصمة اصفهان، الامر الذي حاول بطرس الكبير استغلاله لتنفيذ خطته فيما يخص ماوراء القفقاس وبحر قزوين

(٣١) «تخت طاوس» (عرش طاوس) مصطلح يطلق عادة على العرش الايراني، وهو عبارة عن كرسي مزخرف، ومطعم بالاحجار الكريمة، كلف في حينه ما بين ١٠٠ الى ٢٠٠ ألف باون، قدمه الزعيم الروحي لاصفهان محمد حسين حان «هدية متواضعة» الى فتح علي شاه بمناسبة احدى زيجاته الألف.

«ان على القيصر حماية تجارته بنفسه»^(٣٢)

تحول هذا الموضوع الى السبب المباشر لتنظيم الحملة التي دخلت التاريخ باسم «الحملة الفارسية الاولى» أو «حملة بطرس على ايران»، والتي عجل في أمرها ايضا تدخل الاتراك النشط في شؤون منطقة شيروان يومذاك. وقد حاول بطرس تبرير حملته في بيان له بالتأكيد على ضرورة معاقبة اللزكين، و«حماية مسيحيي ماوراء القفقاس من جورجيين وأرمن»^(٣٣). ومما له مغزاه الكبير ان القيصر الروسي قاد بنفسه حملة قواته على ايران. ثم انه حاول بذكاء استغلال السياسة القومية والدينية القيصيرية. النظر لحكام ايران تجاه شعوب ماوراء القفقاس التي غدت ترنو الى روسيا لانقاذها من وضع مأساوي دفع حتى أهل باكو ودر بند ورشت، وهم شيعة مسلمون، للاستغاثة بحكام روسيا^(٣٤). وأثناء حملته الاولى على ايران تعاون مع بطرس باخلاص كل من القيصر الجورجي كارتلي فاختانغ السادس^(٣٥) وعيسى الزعيم الروحي للارمن.

في أوائل صيف عام ١٧٢٢ بدأت حملة بطرس على ايران، وكان قوامها حوالي ٤٤ ألف رجل^(٣٦)، نصفهم من المشاة اقلتهم ٢٧٤ سفينة عبر نهر الفولغا الى استراخان في ١٨ تموز، والنصف الاخر منهم كان يتألف من الخيالة. وبعد ان اجتمعت القوتان في استراخان توجهت الحملة صوب داغستان، ومن ثم دخلت اراضي اذربيجان الشمالية. واثر هزيمة السلطان اوطميش امام الجيش الزاحف في أواخر آب، دخل الروس دون قتال الى مدينة دربند.

وبحكم مجموعة من العوامل توقف الزحف الروسي في اولى مراحل عند دربند. فقبل كل شيء جابهت القوات الروسية صعوبات جمة في تجهيز رجالها بالمؤن، وخبولها بالعلف جراء الظروف المناخية التي عرقلت تحرك الاسطول في قزوين والفولغا. كما ان بلوغ الروس دربند، وعزمهم على احتلال باكو اثارا حفيظة الباب العالي الذي كان يدعي السيادة على مناطق القفقاس. فحضر مقر بطرس في دربند

(32) G.N. Curzon, Op. Cit., Vol. I, P. 374

(33) M.S. Ivanov, Ohirk..., P. 86.

(34) L. Lockhart, Op. Cit., PP. 186, 245

(٣٥) فاختانغ السادس (١٦٧٥ - ١٧٣٧) قيصر جورجيا الشرقية منذ عام ١٧٠٣. مثقف وسياسي بارز، اسس اول مطبعة في تبليس سنة ١٧٠٩.

(٣٦) تشير بعض المصادر خطأ الى ان الحملة كانت تتألف من ٣٠ ألف رجل

(G.N. Curzon, Op. Cit., P. 374

(راجع :

مبعوث عثماني حاملا معه انذار السلطان الذي هدد بالتعاون مع الايرانيين لوقف التقدم الروسي^(٣٧).

ومهما يكن من امر فان القيصر الروسي قرر الانسحاب من دريند الى استراخان قبل حلول فصل الشتاء، ومن هناك عاد الى بطرسبورغ بعد ان عهد بقيادة الحملة الى الجنرال م. أ. ماتيشوكين. كما ترك حاميتين، الاولى في دريند، والثانية في حصن ستراتيبي قريب بناه حديثا واطلق عليه اسم «الصليب المقدس».

وقبل ان يغادر بطرس مدينة استراخان جاءه مندوب يحمل رسالة من زعيم كيلاان يقترح عليه تسليمه مدينة رشت مقابل تعاون الطرفين لردع الغزو الافغاني الذي بدأ يهدد المناطق الشمالية الايرانية. وقد رحب القيصر بالاقترح، فتوجهت السفن الروسية الى رشت التي دخلتها في كانون الاول عام ١٧٢٢، لتغدو منطقة واسعة من كيلاان تحت سيطرة روسيا اثر ذلك^(٣٨).

بعد احتلال رشت جاء دور باكو التي دخلت سفن الاسطول الروسي مياهاها في تموز من السنة التالية. وبعد قصف مدفعي دام اربعة ايام دخلت القوات الروسية المدينة نفسها يوم ٢٦ تموز، الامر الذي ادخل بهجة غامرة في نفس بطرس الكبير لانه كان يعتبر باكو «مفتاحا لكل اهدافه» حسب تعبيره^(٣٩).

ان تقدم القوات الروسية، وواقع الانحلال الداخلي في ايران بسبب الغزو الافغاني دفعا بتركيا الى ارسال قواتها بدورها الى عمق مناطق ماوراء القفقاس واحتلال جورجيا مع عاصمتها تبليس، مما ادى الى تراجع الشاه طهماسب امام الروس، فوقع سفيره اسماعيل بيك «معاهدة تحالف» مع بطرس الكبير يوم ٢٣ أيلول ١٧٢٣ في بطرسبورغ، نصت على اربع نقاط رئيسية هي:

١- ان يقدم القيصر الروسي مساعدات عسكرية للشاه الصفوي ضد الغزو الافغاني والتهديد التركي، ومن أجل تثبيت عرش طهماسب.

٢- يعترف الشاه مقابل ذلك بعائدية مدينتي دريند وباكو، وما يتبعهما من مناطق لروسيا «الى الابد»، كما يتنازل لها ايضا عن مدن كيلاان ومازندران واستراباد.

٣- يتعهد الشاه بتزويد القوات الروسية التي تدخل الاراضي الايرانية بالمؤن والجمال.

٤- اقامة «علاقات ود ثابتة» بين البلدين، وضمان حرية التجارة والتنقل لاتباع كل واحد منهما لدى الطرف الاخر.

(37) G.N. Curzon, Op. Cit., P. 374

(38) Ibid; M.S. Ivanov, Ochirk..., P. 86

(39) L. Lockhart, Op. Cit., P. 246

ان معاهدة بطرسبورغ وان كانت «مجرد اقرار لواقع راهن» حسب تعبير كيرزن^(٤٠)، الا انها كانت مؤشرا مهما لما حققته توجهات روسيا الايرانية في مراحلها المبكرة، اتبعتها مكاسب آنية جديدة في اطار آخر لموازن القوى في المنطقة نفسها. ففي البداية توترت العلاقات بين بطرسبورغ واستانبول اكثر من السابق جراء التوقيع على المعاهدة المذكورة، مما حدا بالأتراك للتوغل في المناطق الشمالية الغربية الايرانية، واحتلال مدينة كرمانشاه الكردية. وكاد ان يؤدي ذلك الى اندلاع نيران حرب جديدة بين روسيا والدولة العثمانية لولا تدخل الفرنسيين لاصلاح ذات البين، فبدأت مفاوضات مباشرة بين الدولتين اللتين كانت كل واحدة منهما تخشى تزايد نفوذ الطرف الاخر في ايران، فاتفقتا على امور كان من شأنها ايجاد نوع من التوازن بينهما في اطار معاهدة وقعتا عليها في ٢٤ حزيران ١٧٢٤، نصت بنودها على تقسيم المناطق الشمالية، مع جزء من المناطق الغربية الايرانية بينهما. فقد وافقت تركيا على ان تضم روسيا اليها جميع المناطق الايرانية التي تنازل عنها الشاه طهماسب بموجب معاهدة بطرسبورغ دون الاشارة اليها بالاسم. وبالمقابل وافقت روسيا على ان تضم تركيا اليها كل اذربيجان وكردستان الايرانيتين الى حد مدينة همدان. ووافق الطرفان على ابداء العون للشاه طهماسب في حالة موافقته على مضمون المعاهدة الجديدة، والا فانهما هدا بالعمل من أجل تنصيب شخص آخر مكانه^(٤١).

لم يستمر اتفاق بطرسبورغ واستانبول بصدد ايران طويلا، خاصة لان تركيا سرعان ما بدأت بالتجاوز على ما حددته لها معاهدة حزيران ١٧٢٤. فلم تمر سوى اشهر قليلة على ابرام المعاهدة عندما استولت تركيا على قزوین واستراباد، ومدن ايرانية اخرى ابقتها بنود المعاهدة في حوزة الشاه طهماسب. ولم ينته العام ١٧٢٥ حتى توجهت القوات التركية صوب العاصمة الايرانية اصفهان. وفي غضون فترة وجيزة استولى الاتراك على جورجيا وارمينيا واذربيجان وكردستان، وعلى جزء من داغستان وشيروان، مع قسم كبير من اواسط ايران. ولم يبق في حوزة الروس سوى جزء من داغستان وشيروان.

ولكن سرعان ما طرأ تغيير مهم آخر على الساحة الايرانية رافق ظهور نادر شاه الافشاري فوق المسرح في اواخر العقد الثالث من القرن الثامن عشر^(٤٢). فبعد ان

(40) G N Curzon, Op. Cit., P. 735

(41) M.S Ivanov, Ochirk , PP. 87 - 90; L Lockhart, Op. Cit., PP 233 - 235

(٤٢) برز نادر شاه الافشاري (١٦٨٨ - ١٧٤٧) في حياة ايران السياسية منذ عام ١٧٢٦. تسنم العرش سنة ١٧٣٦ ليبدأ بذلك ما يعرف في تاريخ ايران بالعهد الافشاري، نسبة الى اسم عشيرة الافشار القزلباش الذي تحول الى لقب لنادر شاه

نجح الزعيم الافشاري في طرد الافغان من ايران توجه نحو تركيا التي دخل في حرب ضدها استمرت من عام ١٧٣٠ حتى عام ١٧٣٦ ، تمكن بفضلها من استعادة ارمينيا وجورجيا وداغستان واذربيجان وكردستان وغيرها من المناطق التي استولت عليها القوات التركية . وقد ابدى الروس المساعدة العسكرية للقوات الايرانية العاملة ضد القوات التركية في اطراف ماوراء القفقاس^(٤٣) .

اتخذ التقارب الروسي - الايراني في عهد نادرشاه مدى ابعد من ذلك ، الامر الذي نجم عن جملة عوامل تأتي في مقدمتها تردي العلاقات بين بطرسبورغ واستانبول^(٤٤) ، وموت القيصر الطموح بطرس الكبير في كانون الثاني ١٧٢٥ ، وتثبيت نادرشاه^(٤٥) لاركان حكمه ، ونمو قوته . وبما ان روسيا كانت على وشك الدخول في حرب جديدة ضد تركيا ، فانها حاولت في العقد الرابع من القرن الثامن عشر خطب ود ايران ، ف وقعت معها في ١ شباط ١٧٣٢ معاهدة في مدينة رشت نصت على ان تعيد روسيا لايران مدن كيلان ومازندران واستراباد التي منحتها اياها «معاهدة بطرسبورغ ١٧٢٣» . والتزمت روسيا بسحب قواتها الموجودة في المدن المذكورة الى ماوراء نهر كورا الذي اعتبر حدا فاصلا بين ممتلكات الدولتين في ماوراء القفقاس . وبموجب «معاهدة رشت» حصلت روسيا على امتيازات اقتصادية ، بما في ذلك اعفاء صادراتها الى ايران ، و وارداتها منها من كل انواع الضرائب الكمركية .

وبعد عامين ونيف وقعت الدولتان معاهدة جديدة قرب مدينة كنج^(٤٦) الازرية الشمالية (٢١ آذار ١٧٣٥) اعادت روسيا الى ايران بموجب بنودها مدينتي دربند وباكو وما والاها من مناطق ، والتزمت ايران بأن لا تسمح لطرف دولي ثالث بفرض سيطرتها عليها . وبموجب البند الثاني من «معاهدة كنج» تعهدت ايران بأن تستمر في حربها الجارية مع تركيا لغاية ان تستعيد منها كل المناطق التي كانت تخضع سابقا للنفوذ الايراني ، وان تعيد من بينها الجزء الشرقي من جورجيا الى مملكة كارتيل فاختانغ السادس . كما التزم الطرفان المتعاقدان بعدم الدخول مع تركيا في مفاوضات من شأنها ان يضر بمصالح احدهما ، وان لا يعقد اي منهما صلحا منفردا

(43) M S. Ivanov, Ochirk.. , PP. 94 - 95

(٤٤) دخلت روسيا في حربها الرابعة ضد تركيا سنة ١٧٣٥ والتي استمرت لغاية سنة ١٧٣٩ .
(٤٥) تلقب بالشاه في العام ١٧٣٦ ، الا انه تحول الى الحاكم الفعلي لكل ايران قل ذلك التاريخ بسنوات .

(٤٦) كان كنج مركزا اسلاميا مهما في القفقاس ، تعرف حاليا بكيروفاباد (مدينة كيروف) ، وتعتبر ثاني مدينة بعد العاصمة باكو في اذربيجان السوفيتية .

مع تركيا^(٤٧). ومن جديد اكدت بنود المعاهدة مصالح روسيا التجارية في ايران. وهكذا لم تبق لدى روسيا في ايران في اواسط القرن الثامن عشر سوى مقيمة في ميناء انزلي على قزوين، ووكيل تجاري في دربند اقتصرت مهمتهما اساسا على الاشراف على تجارة الحرير هناك^(٤٨). وبالطبع لم يعن ذلك وضع حد لتوجهات روسيا الايرانية التي دخلت مرحلة جديدة قبل نهاية القرن الثامن عشر.

مرحلة جديدة في العلاقات الايرانية - الروسية:

مع تطور العلاقات الرأسمالية في روسيا، وتشعب سياستها ومصالحها الدولية، ازدادت اهمية ايران في نظر حكامها اكثر فاكثرت، خصوصا بعد ان بدأوا بدورهم يرنون الى الهند الاسطورية كورقة مؤثرة في العلاقات الدولية. ففي العام ١٨٨٥ وضع الجنرال كرابوتكين (Krapotkin) خطة سرية لغزو الهند أخذت بنظر الاعتبار ضم كيلان ومازندران واذربيجان وخراسان في اطار ماوصف «بالمرحلة الايرانية للعمليات»^(٤٩).

وفي الوقت نفسه استمر الروس في محاولاتهم لاستغلال استياء شعوب ماوراء القفقاس من سياسة حكام ايران، محققين الكثير في مجاله، فقد تحولت بلادهم الى ملجأ لكبار ساسة جورجيا المضطهدين. ففي العقد الرابع من القرن الثامن عشر بلغ عدد اللاجئين الجورجيين الى مدينة موسكو وحدها حوالي ثلاثة الاف شخص، من بينهم فاختانغ السادس، وعدة مئات من رجاله ظلوا على اتصال مباشر ببني جلدتهم، واسهموا كثيرا في توطيد علاقاتهم بالروس. وازداد التقارب بين الطرفين اكثر في عهد القيصر الجورجي هيراكلي الثاني (Heraclius II) (١٧٤٤ - ١٧٩٨)^(٥٠) الذي وقع في كانون الثاني عام ١٧٨٣ «معاهدة صداقة» مع الروس وضع بلاده

(٤٧) لم يلتزم نادرشاه بهذا البند من «معاهدة كنجه»، ففي اواخر عام ١٧٣٥ دخل بصورة منفردة في مفاوضات الصلح مع تركيا، والتي اسفرت عن توقيع معاهدة استانبول يوم ٢٨ ايلول ١٧٣٦، فيما استمرت روسيا في حربها الرابعة مع تركيا مدة ثلاث سنوات اخرى.

(48) G.N. Curzon, Op. Cit., PP. 734 - 735

(49) Ibid, P. 386

(٥٠) هيراكلي الثاني (١٧٢٠ - ١٧٩٨) سياسي جورجي متشور، اصبح قيصرا على جورجيا الشرقية سنة ١٧٤٤. بدل جهودا كبيرة من أجل توحيد بلاده وتطويرها.

بموجب بنودها تحت حمايتهم^(٥١). وفي السنة نفسها وصلت العاصمة تبليس حامية روسية.

ولكن رافق الانعطاف الجديد، والخطير في علاقات ايران وروسيا ظهور القاجاريين فوق المسرح السياسي في اواخر القرن الثامن عشر. استغل اغا محمد خان القاجاري (١٧٤٢ - ١٧٩٧) انحلال حكم الزنديين^(٥٢) في ايران، فدخل منذ اواسط العقد التاسع من القرن الثامن عشر في صراع مستميت معهم استمر لمدة حوالي عقد من الزمن، لينتهي في اواخر سنة ١٧٩٤ بانتصار ساحق له دشن بداية عهد جديد في تاريخ ايران الحديث يعرف بالعهد القاجاري^(٥٣) الذي استمر لغاية اواسط العقد الثالث من القرن العشرين.

كان اغا محمد خان يحلم ببعث سطوة الصفويين، واهياء امبراطورية نادرشاه الافشاري الواسعة. فقد كان يخطط من أجل اقامة دولة شاسعة تضم كل خراسان، وسهوب تركمانيا، وكل مناطق القفقاس، وهرات في افغانستان، وكل كردستان^(٥٤)، دون ان يأخذ واقع تناسب القوى على الصعيد الدولي بنظر الاعتبار. فما ان استتب

(٥١) دكتور علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول (از كلناباد تا تركمانجاى ١١٣٤ - ١٢٤٣ هـ)، جاب سوم، تهران، ١٣٤٢، ص ٣٨؛

P. Avery, Modern Iran, London, Second Impression, 1965, P. 25.

(٥٢) الزند عشيرة كردية معروفة تسكن غرب ايران وجنوبها. تمكن زعيم الزنديين المعروف محمد كريم خان (١٧٠٤ أو ١٧٠٥ - ١٧٧٩) من استغلال ظروف التسبب التي سادت البلاد، ففرض حكمه على كل ارجائها. استمر العهد الزندي من عام ١٧٦٠ حتى عام ١٧٩٤، وقد حكم خلاله كريم خان الزند (١٧٦٠ - ١٧٧٩) الذي يطلق عليه المؤرخون الغربيون لقب «الملك الصالح»، وابو الفتح خان (١٧٧٩ - ١٧٨٢)، وعلي مراد خان (١٧٨٢ - ١٧٨٥)، وجعفر خان (١٧٨٥ - ١٧٨٩)، ولطف علي خان (١٧٨٩ - ١٧٩٤).

(٥٣) القاجاريون - نسبة الى القاجارية وهي عشيرة تركية الاصل، شيعية المذهب، تقطن شمال اذربيجان ومازندران، أبدت مساعدات قيمة للصفويين، مكنتهم من فرض سيطرتهم على اذربيجان اولاً، ثم على كل ايران في القرنين الخامس عشر والسادس عشر (للتفصيل عن اصل القاجاريين راجع الدراسة العلمية التي اجراها المؤرخ الايراني سعيد نفيسي في كتابه: «تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر»، مجلد اول (از اغاز سلطنت قاجارها تا بايان جنك نخستين با روسيه)، تهران، ١٣٣٥، ص ٥ - ١٩.

(54) N. A. Kuznitsova, Politicheskoye i ekonomicheskoe polozhenie Irana v kontse XV i pervoy polovine XIX v., «Ochirk novoy istorii Irana», Moscow, 1978, P. g.

أ. ن. كوزنيتسوف، الوضع السياسي والاجتماعي - الاقتصادي لايران في اواخر القرن الثامن عشر - النصف الاول من القرن التاسع عشر، في كتاب «موجز تاريخ ايران الحديث»، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٧٨، ص ٩.

له الامور في الداخل^(٥٥) حتى بدأ يخطط لاعادة سيطرة بلاده على مناطق ماوراء القفقاس ، وخصوصا على وادي نهر كورا الاوسط وكل جورجيا . ولتحقيق احلامه اولى مؤسس الدولة القاجارية الجيش جانبا كبيرا من اهتمامه^(٥٦) . كما مارس ضغطا مباشرا على القيصر الجورجي ، هيراكلي الثاني . ففي نيسان ١٧٩٥ بعث اليه رسالة تهديد يطالبه فيها بالاعتراف بسيادة ايران على بلاده ، ودفع ماترتب عليه من اموال . وعبر الزعيم القاجاري في رسالته عن استغرابه لتوجه هيراكلي الى الروس ، مع ان جورجيا « كانت خاضعة لايران على مدى مئات السنين » . وكتب له ايضا « صحيح اننا لسنا على دين واحد ، الا ان علاقاتكم كانت دائما مع ايران » . وفي الختام بدأ سيل التهديد ، فقد ذكر مانصه :

« انني اليوم في منتهى قدرتي اخطركم بقطع كل علاقاتكم مع روسيا ، والا فاني سأزحف بجيشي على جورجيا قريبا ، واريق نهرا من دماء الروس والجورجيين »^(٥٧) .

جاء جواب هيراكلي الثاني مخيبا لآمال اغا محمد خان ، فقد اكد له انه « لا يعترف الا بسيادة روسيا »^(٥٨) .

وكان من الطبيعي ان تسوء العلاقات بين روسيا وايران في العهد القاجاري بسرعة . ففي بداية حكمه سمح اغا محمد خان للروس باقامة وكالة تجارية لهم قرب استراباد عرفت بدار المعاملة او « تجار تخانه » ، الا انه سرعان ما طرد العاملين فيها

(٥٥) لغاية اواخر عام ١٧٩٤ تمكن اغا محمد خان من فرض سيطرته على جميع ارجاء ايران فيما عدا خوراسان وجزء من كردستان .

(٥٦) كان الجيش الايراني في العهد القاجاري يتألف من قوات ثابتة قوامها حرس الشاه الخاص ، والقوات التي تقدمها الولايات . للتفصيل راجع :

K.S. Lambton, Landlord and Peasant in Persia A study of land tenure and land revenue administration, London, 1953, P. 137.

(٥٧) نشرت مجلة « Revue du Monde Musulman » الفرنسية نص رسالة اغا محمد خان بعددها الصادر في كانون الثاني ١٩١٠ .

(٥٨) للتفصيل حول الموضوع راجع :

دكتور علي بينا ، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران ، جلد اول ، ص ٣٩ - ٤٠ ؛

«History of Persia under Qajar rule», translated from the persian of Hasan-e Fasa'i's «Farsnama-ye Naseri», by H. Busse, New York and London, 1972, PP. 65-66.

بحجة انهم اقاموا هناك مايشبه قلعة عسكرية^(٥٩). وسرعان ماتوا لت الأحداث التي انتهت بوقوع صدام واسع بين ايران وروسيا، تحول غزواغا محمد خان لجورجيا الى سببه المباشر والاساس.

ان اغا محمد خان الذي تصفه المصادر الفارسية كشخص قاسي القلب، لثيم الطبع، ماكر السريرة^(٦٠)، قد هيا لحملته على جورجيا بكتمان كبير، فجمع في ضواحي طهران، التي اتخذها عاصمة لملكه، جيشا جرارا قوامه ٦٠ ألف مسلح، دون ان يعلم أحد بوجهته على وجه التحديد^(٦١). وفي ربيع عام ١٧٩٥ تحرك على رأس قواته صوب القفقاس، فاحتل قره باغ واذربيجان الشمالية، ثم دخل اراضي جورجيا متوجها نحو عاصمتها تبليس التي اضطر هيراكلي الثاني الى تركها، والتوجه الى الجبال المجاورة بعد ان ابدى مقاومة يائسة للقوات الغازية، اذ لم يكن بوسعه ان يجمع اكثر من خمسة الاف مسلح لردع المعتدين^(٦٢).

دخل اغا محمد خان مدينة تبليس يوم ١٢ ايلول ١٧٩٥ دون قتال، وعلى مدى ثمانية أيام اطلق العنان لرجاله ليفعلوا ما يشاءوا باهلها، فارتكبوا جرائم فظيعة اسهبت في وصفها المصادر الفارسية والغربية على حد سواء^(٦٣)، والتي ذهبت ضحيتها الاف مؤلفة من الابرياء، مع قدر غير قليل من الاثار الحضارية الجورجية. ولم تكن ضحايا الجورجيين في المناطق الاخرى اقل من ذلك، بحيث ان بعض الوثائق التي تعود الى تلك الفترة تؤكد على ان عدد سكان جورجيا قد تقلص الى النصف تقريبا

(٥٩) ابراهيم تيموري، عصر بي خبري يا تاريخ امتيازات در ايران، تهران، ١٣٣٢، ص ٢٥٠.
(٦٠) راجع:

سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، جلد اول، ص ٤٦ - ٤٩، ٥٢ - ٥٤.

(٦١) عبدالله رازي، تاريخ مفصل ايران از تاسيس سلسلهء ماد تا عصر حاضر، جاب دوم، تهران، ١٣٣٥، ص ٤٥٦ - ٤٥٧؛ سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، جلد اول، ص ٥٠.

(٦٢) «وزارة الخارجية. السياسة الخارجية لروسيا في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وثائق وزارة الخارجية الروسية. التسلسل الاول (١٨٠١ - ١٨١٥)، المجلد الاول (آذار ١٨٠١ - نيسان ١٨٠٤)، ص ٧٣، الوثيقة رقم ١٧.

(٦٣) دكتور علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ٤٤؛ سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ٥٠، ٦٤.

قياسا مع ماكان عليه عام ١٧٨٣ (من ٦١ ألف اسيرة الى ٣٥ ألف)^(٦٤). وحسبما يؤكد المستشرق السوفيتي المعروف البروفيسور م. س. ايفانوف فان اغا محمد خان نظم حملة دعاية لتغطية اعماله في جورجيا التي اعتبرها «نضالا من أجل الدين، من أجل الاسلام»^(٦٥)، الا انه لم يتردد أثناء الحملة نفسها في استخدام قدر كبير من القسوة ايضا مع المسلمين من سكان طالش الجبليين^(٦٦)، وسكان بعض المناطق في قره باغ لمجرد انهم لم يعلنوا الولاء له مباشرة^(٦٧).

بعد ان أمضى اغا محمد خان تسعة ايام في العاصمة الجورجية قفل راجعا الى بلاده مستصحبا معه ١٦ ألف شاب وشابة حول معظمهم الى خدم في بيوت الامراء والاثرياء^(٦٨). ولقد بلغ اعتزازه بما حققه في القفقاس حد انه بعد عودته فقط وافق ان يتبوا العرش، ويلقب باول شاه قاجاري، ويتقلد السيف الذي كان فوق قبر الشاه اسماعيل الصفوي في أردبيل^(٦٩). ومنذ ذلك الوقت اصبح يعرف بلقبه الجديد اغا محمد شاه.

كان رد فعل روسيا على حملة اغا محمد خان قويا، فاصدرت بطرسبورغ الاوامر الى «حامية قزوین» المؤلفة من ١٣ ألف رجل، يقودهم الجنرال فاليري زوبوف (V. Zubov)، ويساندتهم اسطول قزوین، بالتوجه الى اذربيجان عبر داغستان، لبدأ بذلك مايعرف بالحملة الفارسية عام ١٧٩٦.

بعد تعزيزها تقدمت القوات الروسية من قزلبوم ١٨ نيسان ١٧٩٦، وفي ٢ أيار حاصرت دربند التي احتلتها بعد ثمانية ايام. وفي ١٥ حزيران دخل الروس كوبا وباكو في وقت واحد دون قتال، واصلوا بعده التقدم واحتلوا شيروان ونوخا وقره باغ

(٦٤) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، التسلسل الاول، المجلد الاول، ص ٧٣، الوثيقة رقم ١٧.

(65) M.S. Ivanov, Ochirk ., P. 113.

(٦٦) طالش شعب مسلم صغير، شيعي المذهب، يقطن في جنوب اذربيجان السوفيتية، وفي شمال ايران. بموجب تقديرات سنة ١٩٧٢ بلغ تعداد الطالش في ايران ٧٢ ألف شخص.

(67) N.A. Kuznitsova, Op. Cit., P 10

(٦٨) تشير بعض المصادر الى ١٥ ألف شخص نقلهم اغا محمد خان معه الى داخل ايران (راجع المثال: سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ٦٤).
١. نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ٥٠ - ٥١.

التي تشرف على هضبة أرمينيا^(٧٠). ولغاية ٢١ تشرين الثاني من العام نفسه وصلت القوات الروسية الى النقطة التي يلتقي فيها نهر اراس وكورا استعدادا للتقدم في عمق الاراضي الايرانية بعد ان أصبح الطريق الى تبريز مفتوحا امامها، الامر الذي حال دون تحقيقه موت الامبراطورة كاترين الثانية، وانتقال العرش الى ابنها بول (بافل) الاول في سنة ١٧٩٦، فقد اتبع القيصر الجديد سياسة جديدة على الصعيد الخارجي امتدت آثارها الى ايران، ومناطق القفقاس ايضا. ففي كانون الاول من العام نفسه اصدر الاوامر الى قواته العاملة في الجبهة الايرانية بالانسحاب من منطقة قفقاس، الامر الذي وضع القيصر الجورجي هيراكلي الثاني في موقف حرج للغاية، خصوصا بعد ان تجاهل جميع رسائل الشاه الايراني بصدد الخضوع له^(٧١).

ولكن لم يحل قرار القيصر الروسي دون اقدام اغا محمد شاه على تنظيم حملة ثانية ضد جورجيا التي كان متعطشا للانتقام من قيصرها هيراكلي لكونه قد طلب مساعدة روسيا لردع الخطر الايراني. ومن الجدير بالذكر ان الفرنسيين كانوا يحاولون من جانبهم تشجيع اغا محمد شاه، ودفعه للاستمرار في موقفه المعادي للروس، وكانوا يميلون الى ايجاد تحالف وثيق بينه وبين السلطان العثماني في ذلك الاتجاه. ولتحقيق هذا الهدف بعثت باريس بمندوبين الى الشاه هما برونيه (Brugniere) واوليفيه (Olivier)، كانا يحملان معها صورة معاهدة عقدها البلدان في العهد الصفوي^(٧٢).

باشر اغا محمد شاه حملته الثانية على جورجيا من طهران في آذار عام ١٧٩٧. وفي غضون فترة وجيزة وصل رجال الحملة نهر اراس، وبعد ان عبروه احتلوا قلعة شوش. ومع تقدم الحملة وزعت اوامر الشاه على الحكام والمتنفذين تطلب منهم الخضوع المطلق للحكم القاجاري، ولقد اضطر العديد من المعارضين الى اللجوء للمناطق الحصينة هربا من بطش الغزاة.

توقف اغا محمد خان في شوش انتظارا لانسحاب القوات الروسية من جورجيا،

(٧٠) دكتور علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ٤٩؛

W.D Allen and P. Muratoff, Caucasian battlefields. A history of the wars on the Turco - Caucasian border 1828 - 1921, Cambridge, 1953, P. 19

(71) N A. Kuznitsova, Op. Cit., P. 14.

(٧٢) دكتور علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ٤٦ - ٤٨،

M.S Ivanov, Ochirk. , P. 129.

فقد بلغه قرار بطرسبورغ بخصوص ذلك قبل ان يغادر طهران^(٧٣).
ولكن حدث في شوش مالم يكن في الحسبان، فقد دبّر اثنان من حرس
الشاه^(٧٤)، كانا على اتصال بزعماء مستائين، امر اغتياله في خيمته يوم ١٨ أيار
١٧٩٧^(٧٥).

ساء وضع الجيش الايراني بعد مقتل اغا محمد شاه، فقد انهك قادته في
تقسيم الغنائم، وبالنزاعات الشخصية، حتى ان مراسيم دفن الشاه قد تأخرت لمدة
عدة ايام بسبب ذلك^(٧٦). كما رجع العديد من اعوانه المقربين مع رجالهم الى
مناطقهم، منهم رئيس عشيرة شكاك الكردية صادق خان الذي حامت حوله الشبهات
في تدبير امر اغتيال الشاه، خصوصاً وانه استولى على مجوهراته، ومنح حمايته
للمنفذ مؤامرة اغتياله، بل انه طالب ان يخلفه في العرش^(٧٧). اما ما تبقى من
الجيش النظامي فقد قفل راجعاً الى طهران بعد ان تعرضت معسكراته للسلب
والنهب من قبل السكان المحليين^(٧٨).

أعقبت مقتل اغا محمد شاه فترة هدوء نسبي في العلاقات بين ايران وروسيا لم
تستمر طويلاً، ولا سيما ان احداثاً جديدة عجلت في وقوع صدام آخر أوسع بينهما.

(73) N A. Kuznitsova, Op. Cit., P. 14

(٧٤) تشير بعض المصادر الى ان ثلاثة من حراس الشاه اشتركوا في تنفيذ مؤامرة اغتياله. راجع
مثلاً:

«Farsnama-ye Naseri», PP. 73 - 75

(٧٥) دكتور علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ٥٠ - ٥٢. تشير بعض
المصادر الى يوم ١٧ حزيران ١٧٩٧ تاريخاً لاغتيال اغا محمد شاه.

(٧٦) دفن اغا محمد شاه في شوش، ونقلت رفاته فيما بعد الى مسجد عبدالعظيم قرب طهران ومن
ثم نقلت من هناك الى النجف.

(٧٧) توجد آراء متباينة حول اسباب مقتل اغا محمد شاه، ففضلاً عن الرواية المتعلقة بصديق خان
الشكاكي الذي يقال انه كان على اتصال مباشر بالاذريجانين والجورجيين، يوجد رأي آخر يؤكد
ان احد حراس الشاه كان جورجياً في الاصل، فا قدم على فعلته بتحريض من ابناء جلدته. وحسب
بعض المصادر كان ينوي تنفيذ حكم الموت بثلاثة من حراسه، فا قدم هؤلاء على اغتياله طلباً
لحياة، لكن الرأي الأرجح هو ان الامر كان من تدبير صادق خان (للتفصيل حول الموضوع راجع:
محمد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ٧٥؛ دكتور علي بينا، تاريخ
ديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ٥٢؛

«Farsnama-ye Naseri», PP 73 - 75; N.A. Kuznitsova, Op. Cit , P. 14).

(78) «Farsnama-ye Naseri», P. 75.

فبعد فترة استتبت الامور داخل ايران لصاحب اطول لحية في العالم^(٧٩)، زوج الف اجمل امرأة فارسية وتركمانية واذرية وجورجية وكردية، ووالد ٢٦٢ ولدا وبتنا دفن منهم في الحياة ١٥٩^(٨٠)، المؤمن بالسحر والطلسم والتنجيم، الضعيف امام الشدائد، الغارق حتى اذنيه في البخل والجشع، ثاني ملوك ال قاجار، ابن شقيق اغا محمد شاه^(٨١) بابا خان الذي اصبح يعرف بفتح علي شاه منذ يوم احتفاله لمناسبة تسنمه للعرش في عيد نوروز، ٢١ آذار ١٧٩٨، والذي دام حكمه حوالي ٤٠ عاما، ولكن دون ان «يخلف شيئا يخلده في التاريخ» حسب تعبير البارون كورف^(٨٢).

ومع ان فتح علي شاه، على العكس من عمه المتوفي تماما، لم يكن جريئا، ولم يكن عسكريا مرموقا^(٨٣)، الا انه كان متعطشا للتوسع، فوقع فريسة سهلة للاحداث، والعلاقات الدولية المتشابكة التي حملته على دفع بلاده الى اتون عدد من الحروب. وقد توجهت انظار الدول الكبرى فعلا نحو ايران اكثر من السابق، خصوصا بعد بروز نابليون بونابارت فوق المسرح. فبعد ان فشلت حملته على مصر بدأ نابليون يفكر في حملة جديدة تكون وجهتها الهند عن طريق ايران. ولتحقيق ذلك عقد نابليون في اواخر عام ١٨٠٠ معاهدة مع القيصر الروسي بول الاول^(٨٤) نصت بنودها على اشتراك قوات بلديهما في الحملة المقررة، التي كان يجب حسب الخطة المرسومة لها ان يقوم الجيش الروسي بغزو شمال الهند عن طريق اسيا الوسطى، فيما تقرر ان يتقدم الفرنسيون من البحر الاسود الى نهر الدون، ثم نهر الفولغا،

(٧٩) حسبما يذكر شاهد عيان اوروبي كانت لحية فتح علي شاه تصل القسم الاسفل من بطنه. وارضاء له كان الفنانون يرسمون لحيته بطول اكبر من واقعها. راجع:

Baron E. Korf, Vospominania o Persia 1834 - 1835, St. Pet., 1838, P. 138

البارون ي. كورف. ذكريات عن بلاد فارس في ١٨٣٤ - ١٨٣٥، باللغة الروسية، بطرسبورغ، ١٨٣٨، ص ١٣٨.

(٨٠) في العام ١٨٨٢ بلغ عدد نسله حوالي عشرة الاف شخص كان جميعهم يحملون لقب الامير او الاميرة، حتى غدا قولاً مألوفاً بين الناس انه «حيثما تذهب فهناك القمل والجمال والامراء».

(٨١) كان اغا محمد شاه خصيا، فلم يخلف أحدا من بعده.

(82) E. Korf, Op. Cit., P. 138

(٨٣) لم يشترك فتح علي شاه في اي من حملات بلاده العسكرية الكثيرة سوى مرة واحدة اثناء الحرب مع روسيا، ولكن ما ان علم في الطريق باندحار جيشه حتى قفل راجعا الى عاصمة ملكه (٨٤) كانت روسيا قبل ذلك في تحالف مع اعداء فرنسا، لاسيما مع النمسا وانكلترا، الا ان استيلاء الاخيرة على جزيرة مالطا اثار انتباه القيصر الروسي بول الاول الذي انتقل اثر ذلك الى الخندق المقابل.

فيكون عن طريقها الى بحر قزوين ، فاسترأباد في طريقهم الى هرات داخل
الهندستان والالتقاء بالقوات الروسية على الحدود الشمالية - الغربية للهند . وقد باشر
القيصر الروسي فعلا بتنفيذ المرحلة الاولى من خطة الغزو حينما اصدر في مطلع سنة
١٨٠١ اوامره الى قوة من القوزاق قوامها ٢٢٥ الف رجل ، بالتحرك صوب
الهند^(٨٥) . ومن جانبهم اجري الفرنسيون اتصالا مباشرا بفتح علي شاه بخصوص
الهند عبر الاراضي الايرانية^(٨٦) . وكان من الطبيعي ان يتحرك البريطانيون باتجاه
باكستان .

ولكن سرعان ما وثدت الخطة الفرنسية - الروسية المشتركة لغزو الهند اثر اغتيال
القيصر الروسي بول الاول الذي تصفه المصادر الروسية كحاكم «ضيق الافق»
شريب الطبع ، قاس^(٨٧) . ففي ليلة ١١ على ١٢ آذار سنة ١٨٠١ قتل بول في
البيدي غرف قصره اثر تنفيذ مؤامرة كان الانكليز احد اطرافها . فلم يكن من السهل
على لندن ان ترى فوق عرش دولة كبرى ملكا يمد يد التعاون الى الاعداء
بذلك . وفي الوقت نفسه نشطت محاولات الانكليز للتغلغل في ايران بهدف
الحيولة دون وقوعها فريسة سهلة بايدي الاعداء انفسهم الذين كانوا يحاولون بشتى
الوسائل النيل من درة تاجهم الاثمن . ولتحقيق هذا الهدف الاستراتيجي المهم بعث
السؤولون البريطانيون في الهند الكابتن النشط جون مالكولم الى ايران في اواخر
سنة ١٨٠٠ .

حقق المبعوث البريطاني نجاحا ملموسا في مهمته ، خصوصا بفضل ما كان
يسلم من هدايا ثمينة تقدر المصادر الفارسية قيمتها بمليون روية^(٨٨) ، بينها ماسة
كبيرة^(٨٩) اضافت الى «وهج فتح علي شاه»^(٩٠) نورا جديدا . فقد وقع جون مالكولم
بأهدة مع الشاه نصت بنودها على :

١ . ان تقوم القوات الايرانية بغزو اراضي افغانستان في حالة قيامها بالهجوم على
الهند ، على ان تحتفظ ايران بقواتها هناك لحين تخلي افغانستان عن اطماعها في
الهند .

(85) M.S Ivanov, Ochirk..., P. 129

(٨٦) عبدالله رازي ، تاريخ مفصل ايران از تاسيس سلسلهء ماد تا عصر حاضر ، ص ٤٦٠ - ٤٦٢ .
(٨٧) بييفانوف وفيدوسوف ، المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .

(٨٨) سعيد نفيسي ، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر ، ص ٩٣ .

(89) J.M. Upton, The history of Modern Iran. An interpretation, 4th edition, Harvard, 1968, P. ١

(٩٠) رصنه الرحالة بانه كان مثل «قطعة وهج» لكثرة المعجورات التي كانت تزين ملابسه ، وغطاء

٢- ان يتعاون الطرفان لوضع حد لمحاولات فرنسا للتغلغل في المنطقة .

٣- ان تقدم انكلترا المساعدات العسكرية الضرورية لايران في حالة تعرضها لهجوم فرنسي ، أو أفغاني .

٤- ان تفتح ايران موانئها امام التجار الانكليز والهنود، وتعفي البضائع الانكليزية (الاقمشة، والمعدات الحديدية، وغيرها) من دفع الرسوم^(٩١) .

وكما نلاحظ فيما بعد ان عقد هذه المعاهدة دشن بداية عهد جديد لتغلغل الدول الكبرى في ايران، وانعكس من نواحي عديدة على علاقات الدولتين المتعاقبتين بروسيا، وعلى حروب الاخيرة مع ايران، والتي اندلعت نيرانها من جديد بعد انتقال العرش الروسي الى الكسندر (اسكندر) الاول بسنوات قليلة .

بعد مجيء اسكندر الاول (١٨٠١ - ١٨٢٥) للحكم طرأ تحول جديد في سياسة روسيا الخارجية، وقد امتدت اثار هذا الواقع الى مناطق ماوراء القفقاس مباشرة. فقد عاد حكام روسيا الى نهج السياسة نفسها التي اتبعتها كاترين الثانية تجاهها. فأصدر القيصر الجديد اسكندر الاول في ١٢ أيلول ١٨٠١ بيانا يقضي بضم جورجيا الى روسيا التي بدأت منذ ذلك التاريخ تولي تحصينها اهتماما خاصا^(٩٢) .

وعلى الغرار نفسه دب نشاط كبير في الاتصالات المتبادلة بين المسؤولين الروس وزعماء ارمينيا وقره باغ واذربيجان الذين تفاقم نفورهم من سياسة حكام ايران القصيرة النظر. ففي مذكرة بعثها زعماء الارمن اواخر سنة ١٨٠٢ الى بطرسبورغ بواسطة القائد العام للقوات الروسية في جورجيا يطلبون صراحة «حماية القيصر الروسي» وارسال القوات «لانقاذ الارمن الذين بقوا تحت سيطرة ايران، والذين يهددهم خطر التهجير الى المناطق الداخلية من البلاد»^(٩٣) . ثم ان العديد من كبار المسؤولين في مناطق ماوراء القفقاس التي كانت ايران تدعي السيادة عليها، قد تحولوا الى اشبه مايكونوا بحكام مستقلين عن طهران. ففي مطلع القرن التاسع عشر كان خان، اوسردار (حاكم) يريفان، عاصمة ارمينيا، لا يدفع الموارد للشاه. ومع انه، حسب اقوال شاهد عيان، كان يحكم منطقة شاسعة «تبلغ من الطول ٢٠٠ ميل، ومن العرض ١٠٠ ميل»، وكان بوسعه جمع ١٨ ألف مسلح متى ما أراد، الا انه

(91) R.K. Ramazani, The Foreign Policy of Iran. A developing Nation in World Affairs, Virginia, 1966, PP. 38 - 39; M.S. Ivanov, Ochirk..., PP. 129 - 130.

(٩٢) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، التسلسل الاول، المجلد الاول، ص ٢٤ - ٢٦، الوثيقة رقم ٧، ص ٧٢ - ٧٧، الوثيقة رقم ١٧.

(٩٣) نفس المصدر، المجلد الاول، ص ٣٦٧.

ماكان يقدم للشاه في حالة ،، حرب سوى بعض القوات الرمزية^(٩٤) . ولقد فاوض هو، ونظيره في قره باغ، الروس بصدد الانضمام الى بلادهم^(٩٥) .

أثارت هذه الامور حكام ايران اكثر، فبدأوا يعدون العدة لحملة جديدة على ارمينيا وجورجيا . ففي آذار عام ١٨٠٢ أخبر القائد العام للقوات الروسية في جورجيا اسكندر الاول نفسه عن استعدادات فتح علي شاه للهجوم على يريفان ضمن خطة شاملة استهدفت جورجيا . وفي رسالة لاحقة أكد القائد نفسه قرار الشاه بخصوص الهجوم على يريفان، وانه هياً لهذا الغرض جيشاً قوامه ٤٠ ألف رجل، واتصل بعدد من المتنقذين الجورجيين يطلب منهم التعاون معه^(٩٦) . وردا على ذلك بعث اسكندر الاول توجيهات سرية الى القائد العام لقوات بلاده في جورجيا تقضي باتخاذ الاجراءات الضرورية للحيلولة دون احتلال يريفان من قبل الايرانيين، وردعهم من الدخول في اراضي جورجيا^(٩٧) . وهكذا اصبحت الحرب وشيكة الوقوع بين الدولتين في كل لحظة .

حرب ١٨٠٤ - ١٨١٣ :

هياً هذا التوتر السمتمر الطريق لاندلاع حرب الاعوام ١٨٠٤ - ١٨١٣ بين ايران وروسيا، خاصة بعد ان اقدمت القوات الروسية في كانون الثاني ١٨٠٤ على احتلال كنجه في اذربيجان الشمالية .

لم تكن ايران مهياً عسكرياً لخوض غمار حرب مع دولة اوروبية كبرى مثل روسيا . فرغم الجهود الكبيرة التي بذلها ولي العهد، والقائد العام عباس مرزا^(٩٨) ،

(94) Sir Robert Ker Porter, Travels in Georgia, Persia, Armenia, Ancient Babylonia during the years 1817, 1818, 1819 and 1820, Vol I, London, 1821, P. 202.

(95) M.S. Ivanov, Ochirk..., P. 131

(٩٦) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، المجلد الاول، ص ١٨٤، ١٩١ - ١٩٢، الوثيقة رقم ٦٨ .
(٩٧) المصدر نفسه، المجلد الاول، ص ١٩٦ .

(٩٨) عباس مرزا (١٧٨٨ - ١٨٣٣) هو الابن الثالث لفتح علي شاه الذي اختاره ولياً للعهد بين العشرات من ابنائه بسبب مقدرته، فلم توجد في العهد القاجاري قوانين محددة حول انتقال العرش الذي كان يعتمد على رغبة الشاه . ترك انطباعاً جيداً لدى الرحالة الاجانب، ويعتبره المؤرخون «اعظم أمير قاجاري» (راجع : عبدالله رازي . تأريخ مفصل ايران از تاسيس سلسله ماد تا عصر حاصر، ص ٤٧٣) .

واتصاله بمتريخ رئيس وزراء النمسا املا في نيل مساعدته، الا ان الجيش الايراني كان يعاني من نقص خطير في التدريب والتجهيز، وكان جانب منه يتألف من «الخبازين والخياطين والسراجين وباعة الفواكه» حسب تعبير المؤرخ الايراني سعيد نفيسي، ولم يكن لديه سوى عدد قليل من المدافع، والمدفعيين الذين كانوا «غير مطلعين كليا على الامور الفنية»^(٩٩)، لذا كان من الطبيعي ان يكون الاندحار منذ البداية من نصيب القوات الايرانية. ففي المعركة التي وقعت بين قوات الطرفين قرب المركز الديني الارمني المعروف اجمادزين، اندحر الجيش الايراني بقيادة عباس مرزا رغم تفوقه عددا على الجيش الروسي الذي كان يقوده الجنرال تسيتسيانوف^(١٠٠). وفي الواقع لولا الظروف الدولية لحسنت القوات الروسية الموقف بسرعة، فقد بدأت مناورات واسعة للدول الكبرى، وفي اطار العلاقات الدولية على صعيد المنطقة، وعلى صعيد القارة الاوروبية في ظروف الحروب النابليونية المعروفة. ولقد حققت تلك الدول جانبا كبيرا مما ارادت، كل واحدة في اطار امكاناتها، وفي ضراء تناسب القوى على الصعيد الدولي. ولم يلعب قصر نظر فتح علي شاه، وضحاياه دورا قليلا فيما آلت اليه الامور. فانه ماكان يستشير احدا في اعماله وادارته لشؤون الدولة، ومع انه لم يكن مطلعا على امور الدنيا، وعلى سياسة الدول، الا انه ماكان يعتبر نفسه أقل شأنا من معاصره نابليون بونابارت في شيء، وكان يتعامل في علاقاته الخارجية على هذا الاساس. يقول المؤرخ سعيد نفيسي بهذا الخصوص مانصه:

«كان فتح علي شاه يتعامل دائما مع الدول الكبرى، مع انكلترا وروسيا وفرنسا والدولة العثمانية، في سياسته الخارجية بنفس الغرور، اذ لم يكن يتصور ابدا ان بوسع اي من هذه الدول ان تتحداه، او ان يكون هو نفسه قد ارتكب خطأ، او عملا غير مناسب»^(١٠١).
كان الفرنسيون هم السباقين في محاولة جادة لاستغلال الحرب الجديدة بين طهران وبترسبورغ من أجل تثبيت مواقع اقدامهم في ايران، خصوصا انهم وجدوا لدى الشاه ميلا نحوهم بعد ان فشل في نيل مساعدة البريطانيين اثر اتصاله بهم مرتين، الاولى عن طريق ممثلهم في بغداد السرهاق فرد جونس، والثانية عن طريق

(٩٩) سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ٢١١، ٢٦١ - ٢٦٤.
(100) M.S. Ivanov, Ochirk..., P. 131.

(١٠١) سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ٨٠.

مسؤوليهم في الهند^(١٠٢)، فقد اراد الشاه الحصول على مساعدة لندن لتنفيذ لمعاهدة عام ١٨٠١.

عاود الفرنسيون محاولاتهم للتقرب من الايرانيين عشية الحرب. ففي العام ١٨٠١ جاء تاجر ارمني برسالة من جان فرانسوا روسو، القنصل الفرنسي ببغداد، الى طهران، ولكن بما ان احدا لم يستطع قراءة الرسالة فان محاولة روسولم تسفر عن نتيجة. وفي الثاني من تشرين الاول ١٨٠٣ اخبر شارل موريس تاليران، وزير خارجية فرنسا المعروف، روسو في بغداد برغبة نابليون الاكيدة في توطيد العلاقات مع ايران^(١٠٣).

ومع اندلاع نيران الحرب بين ايران وروسيا تبادل فتح علي شاه ونابليون بونابارت عددا من الرسائل، أبدى الاخير فيها عن استعداداته للتعاون مع ايران «لتنظيم هجوم مشترك ضد روسيا»^(١٠٤). وفي اذار ١٨٠٥ ارسل نابليون جوير (Amedee Jaubert) ممثلا عنه الى طهران، والذي يدل اختياره بحد ذاته على اهمية المهمة التي اوكلها الامبراطور اليه. فلقد كان جوير مستشقا معروفا، يجيد التركية والعربية، ورأفق نابليون في حملته على مصر، وقضى بعد ذلك فترة في استانبول، كما كان مطلعا على الاوضاع في روسيا^(١٠٥).

كان جوير يحمل رسالة شخصية من نابليون بونابارت الى الشاه مؤرخة في ١٨ شباط ١٨٠٥. وفي الطريق اعتقله والي ارضروم التركي وادعاه السجن بتهمة التجسس، وبتدخل من الايرانيين افرج عنه بعد أن امضى اربعة اشهر في السجن، فوصل طهران يوم ٥ حزيران حيث قدم رسالة نابليون الى الشاه والتي يطلب منه فيها ان يستمر في حربه ضد روسيا، وغدا اياه بتقديم المساعدات اللازمة لقواته^(١٠٦)، الامر الذي اقلق حكام روسيا بصورة جدية، اذ اعتبر: اهتمام نابليون «بمثل تلك المنطقة النائية» دليلا قاطعا على «نواياه السيئة جدا» تجاه روسيا^(١٠٧). ومع ذلك تردد

(١٠٢) دكتور علي بينا، تاريخ سياسي وديپلوماسي ايران، جلد اول، ص ١٠٤ - ١٠٥.

(١٠٣) المصدر نفسه، ص ١٠٦ - ١٠٧.

(١٠٤) المصدر نفسه، ص ١٠٧.

(١٠٥) سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ٩٣ - ٩٤.

(١٠٦) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، التسلسل الاول، المجلد الثاني (نيسان ١٨٠٤ - كانون الاول ١٨٠٥)، موسكو، ١٩٦١، ص ٥٣٤، ٦٨٩، الملاحظة رقم ٢٤٦؛ دكتور علي بينا، تاريخ سياسي وديپلوماسي ايران، جلد اول، ص ١١٢.

(١٠٧) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، التسلسل الاول، المجلد الثاني، ص ٥٢٢، ٥٢٨.

الوثيقة رقم ١٦٣

فتح علي شاه في عقد معاهدة مع فرنسا، خشية ان يؤدي ذلك الى اثاره البريطانيين ضده.

ولكن لم تمر سوى فترة وجيزة حتى بعث نابليون مندوبا آخر عنه الى فتح علي شاه هوروميو الذي وصل استانبول في اواسط ايار ١٨٠٥، وانتقل عن طريق حلب وبغداد الى طهران التي وصلها يوم ٢٤ ايلول من العام نفسه، وكان يحمل بدوره رسالة ودية موجهة من نابليون الى الشاه، لم تختلف في مضمونها عن الرسالة التي بعثها مع جوبير^(١٠٨).

وفي الوقت نفسه حاول الفرنسيون دفع تركيا الى مساندة ايران في حربها ضد روسيا. ففي طريقه الى طهران سلم جوبير في استانبول السلطان العثماني رسالة خاصة من نابليون مؤرخة في ٣٠ كانون الثاني ١٨٠٥، ومتضمنة اقتراحا بذلك. وللغاية نفسها اتصل روميو، المندوب الثاني لنابليون، بالصدر الاعظم في استانبول بصورة سرية. وفي محاولة منه لتوريط تركيا بالاحداث الجارية على الساحة الايرانية حاول روميو في لقائه المذكور جلب انظار الصدر الاعظم الى اهمية جورجيا بالنسبة لتركيا^(١٠٩). وبالمقابل حاول الروس من جانبهم تحريك الاتراك ضد الايرانيين. ففي ٤ تموز ١٨٠٦ بعث قائد القوات الروسية رسالة الى والي قارص يقترح فيها ان تتعاون روسيا وتركيا ضد ايران^(١١٠).

راقب البريطانيون نشاط الفرنسيين عن كثب. وحسب ما يؤكد المؤرخ الايراني الدكتور علي بينا فان الممثل البريطاني في بغداد السرهافرد جونز «اصبح على علم باقل تحرك فرنسي» في ايران، حتى انه حاول في حينه ان يحول دون وصول جوبير وروميو الى طهران^(١١١). ومع تفاقم الحروب النابليونية، وتقدم الروس في ميادين القتال، ازداد اهتمام البريطانيون والفرنسيين بالاحداث الايرانية اكثر فاكثرا.

ففي ساحات الحرب حققت القوات الروسية سلسلة جديدة من الانتصارات على القوات الايرانية في بداية صيف سنة ١٨٠٦، مما دفع بالقيادة الروسية للتخطيط من أجل الاستيلاء على السواحل الجنوبية الغربية لبحر قزوين، الامر الذي حققته خلال

(١٠٨) المصدر نفسه، المجلد الثاني، ص ٦٨٩ - ٦٩٠، الملاحظة رقم ٢٤٧؛ دكتور علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١١٠ - ١١٢.

(١٠٩) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، التسلسل الاول، المجلد الثاني، ص ٦٨٢، الملاحظة رقم ١٩٨، ص ٦٨٩ - ٦٩٠، الملاحظة رقم ٢٤٧.

(١١٠) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، التسلسل الاول، المجلد الثالث (كانون الثاني ١٨٠٦ - تموز ١٨٠٧)، ص ٢١٠.

(١١١) دكتور علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١١٠.

اشهر قليلة . ففي ٣ تموز ١٨٠٦ احتل الروس مدينة دربند ، وقد انفجرت فيها عشية ذلك انتفاضة ضد حاكمها الشيخ علي خان الذي اضطر الى ترك المدينة . وفي الوقت نفسه تعاون مهدي خان شمخال مع الروس ، مما سهل امر دخولهم الى دربند ، فعينه حاكما عليها^(١١٢) .

استمرت تقدم القوات الروسية بعد احتلالها دربند ، فتوجهت من داغستان نحو اراضي اذربيجان التي توالى سقوط مدنها الواحدة تلو الاخرى . ففي ١٠ تشرين الاول ١٨٠٦ احتل الروس مدينة كوبا ، وبعد خمسة ايام فقط دخلوا ميناء باكو المهم الذي هرب منه حاكمه الايراني حسين قلي خان ، كما احتلوا تساليان ، وموغان ، وغيرها من المدن القفقاسية . ولقد حقق الروس بذلك نصرا استراتيجيا مهما ، ذلك لانهم تمكنوا من ضمان حماية جورجيا بابعاد الخطر الايراني من تخومها ، الامر الذي استحق عنه الجنرال كودوفيتش تهنئة حارة من شخص القيصر اسكندر الاول^(١١٣) .

دفعت انتصارات القوات الروسية الايرانيين الى بعض التراجع ، خصوصا بعد ان غدت قواتهم عاجزة عن القيام بعمليات عسكرية واسعة اثر سقوط باكو^(١١٤) ، فقرر فتح علي شاه الاتصال بالقيادة الروسية من اجل عقد صلح بين الطرفين . وقد وصل استراخان بالفعل مندوب ايراني في اواخر اب ١٨٠٦ كان يحمل رسالة من حاكم كيلاان يقترح فيها وضع نهاية للحرب الدائرة بين ايران وروسيا . وردا على ذلك بعث الجنرال كودوفيتش مع المندوب الايراني رسالة مؤرخة في ٢٧ ايلول ضمنها شروط بطرسبورغ لعقد الصلح ، والتي كانت تنص على اعتراف طهران بنهري اراس وكورا حدودا فاصلة بين الدولتين ، ومنح روسيا ، فضلا عن ذلك ، مقاطعتي يريفان ونخجوان^(١١٥) . وبتوجيهات من شخص القيصر اسكندر الاول وضعت شروط جديدة لعقد الصلح مع ايران خلاصتها :

١- وقف اطلاق النار من قبل الطرفين دون تأخير

٢- بقاء قوات الدولتين في مواقعها

(١١٢) «وثائق وزارة الخارجية الروسية» ، التسلسل الاول ، المجلد الثالث ، ص ٧١٧ ، الملاحظة رقم ٢٦٦ .

(١١٣) المصدر نفسه ، المجلد الثالث ، ص ٤٧٠ - ٤٧١ ، الوتيفه رقم ١٨٦ ، ٧١٧ - ٧١٨ . الملاحظة رقم ٢٦٦ .

(١١٤) المصدر نفسه ، المجلد الثالث ، ص ٣٦٦

(١١٥) المصدر نفسه ، المجلد الثالث ، ص ٣٣٠ ، ٧٢٦ ، الملاحظة رقم ٣٠٥ .

٣- حل المشاكل المتعلقة حول الحدود عن طريق التفاوض
٤- يبعث الجانب الايراني ، عند الموافقة على هذه الشروط ، ممثلاً عنه الى
بترسبورغ من أجل عقد معاهدة الصلح^(١١٦).

ولكن حالت الظروف الدولية مرة اخرى دون استسلام ايران ، بل على العكس
من ذلك بدأت روسيا المنتصرة تحاول من جانبها اقناع ايران من اجل عقد صلح
بينهما . فقد حقق نابليون انتصارات ساحقة على صعيد القارة الاوروبية ، مما جعل
من انضمام تركيا الى جانب فرنسا ضد روسيا امراً محتملاً ، وكان من شأن ذلك ان
يؤدي حتماً الى تعقيد وضع الروس في ماوراء القفقاس . وقد وردت اشارات صريحة
الى هذه الحقيقة في العديد من الوثائق الروسية السرية التي تعود الى تلك الفترة .
فان انتصار نابليون على النمساويين في مطلع عام ١٨٠٦ بعث وزير الخارجية
الروسي مذكرة الى الجنرال كودوفيتش يشير فيها الى احتمال انضمام تركيا الى جانب
فرنسا ، مما يستوجب انتهاء الحرب مع ايران والعمل من اجل كسب ودها ، وتحريكها
ضد تركيا حتى «لا يكون لروسيا عدوان في الشرق»^(١١٧).

وعندما عززت الاحداث اللاحقة احتمال تحرك تركيا ضد روسيا ، بدأت الاخيرة
بتقديم الاغراءات لايران من اجل كسبها الى جانبها . ففي مذكرة سرية جديدة تحمل
تاريخ ٧ تشرين الاول ١٨٠٦ اكد وزير الخارجية للجنرال كودوفيتش ضرورة انتهاء
الحرب مع ايران ، وكسب ودها . ولتحقيق ذلك اقترح عليه ان يعطي الايرانيين وعدا
يقضي بمنحهم المساعدة اللازمة «لاستعادة» مناطق قارص وبايزيد وارضروم التي
كانت تخضع لهم يوماً ما ، على ان تحل مشاكلهم مع الروس بصدد الحدود عن
طريق التفاوض^(١١٨) . وبعد عشرة ايام فقط اكد وزير الخارجية الرأي نفسه في مذكرة
سرية رفعها الى شخص اسكندر الاول ، اعقبتها مذكرات اخرى مشابهة^(١١٩) . ومن
اجل تعزيز الاتجاه الجديد في سياسة بترسبورغ الخارجية تقرر تأجيل هجوم الجيش
الروسي على يريفان^(١٢٠).

(١١٦) المصدر نفسه ، المجلد الثالث ، ص ٣٤٥ .

(١١٧) المصدر نفسه ، المجلد الثالث ، ص ٦٤ .

(١١٨) المصدر نفسه ، المجلد الثالث ص ٣٣٦ ، ٣٨٠ .

(١١٩) المصدر نفسه ، المجلد الثالث ، ص ٣٧٣ ، ٤٦٩ ، الوثيقة رقم ١٥٤ .

(١٢٠) المصدر نفسه ، المجلد الثالث ، ص ٤١٦ .

استمرت روسيا في بذل جهودها لانتهاء الحرب مع ايران . فحسب توجيهات وزارة الخارجية بعث الجنرال كودوفيتش مرافقه الخاص الميجر ستيبانوف الى طهران في كانون الاول ١٨٠٦ ، وحمله رسالة شخصية الى رئيس الوزراء مرزا شفيع ، ذلك ان بطرسبورغ لم تعترف بفتح علي شاه ملكا على ايران بعد مقتل اغا محمد خان ، كوسيلة للضغط عليها ، لذا كانت اوساطها المسؤولة تتجنب الاتصال به بصورة مباشرة ، وتطلق عليه في مراسلاتها اسم بابا خان الذي كان معروفا به قبل ان يتسنى العرش .

أخرولي العهد عباس مرزا سفر المندوب الروسي الى العاصمة طهران ، وقد فسر كودوفيتش ذلك برغبة حكام ايران في الحصول على الهدايا . ومهما يكن من امر فقد سمح لستيبانوف بالتوجه الى طهران يوم ١ شباط ١٨٠٧ ، وذلك بطلب من الشاه الذي امر ان يرافقه الى هناك حرس كبير من فرسان عباس مرزا . وفي طهران استقبل ستيبانوف بحفاوة . وفي مفاوضاته مع الايرانيين أكد المبعوث الروسي على ضرورة انتهاء الحرب بين الدولتين ، وتدشين بداية للتعاون يكون من شأنه مساعدة ايران للاستيلاء على بايزيد وارضروم الواقعتين داخل الاراضي العثمانية . وكان ستيبانوف يشير في كل مناسبة الى عدم جدوى التعاون مع الفرنسيين . ولكن ظل الايرانيون يماطلون في مفاوضاتهم . فقد بعث مرزا شفيع ، باقريبك بصحبة ستيبانوف للتفاوض باسمه مع الجنرال كودوفيتش ، وحمله رسالة لم تتضمن سوى «التمنيات الطيبة» للقائد الروسي . وفي مفاوضاتهما عبر باقريبك شفها عن استعداد بلاده للتفاوض حول سلم «يكون لصالح الطرفين» . وعندما رجع المبعوث الايراني الى تبريز ارسل كودوفيتش معه دوبليانسكي الذي حمله رسالة الى مرزا بزرگ ، وزير عباس مرزا ، دون ان يسفر ذلك ايضا عن نتيجة^(١٢١) .

حال تعنت فتح علي شاه ، وتوقعاته الخاطئة ، دون انتهاء الحرب بين ايران وروسيا في ظروف اصبحت مواتية بالنسبة لطهران . فقد قضت انتصارات نابليون الاخيرة على ترده في التعاون المباشر مع الفرنسيين ، كما توقع ان يتمكن من استغلال الظروف التي استجذت اثر اعلان تركيا الحرب ضد روسيا يوم ٥ كانون الثاني عام ١٨٠٧ . وعلى هذا الاساس بعث الشاه مرزا محمد رضا خان ممثلا عنه الى نابليون

(١٢١) المصدر نفسه ، المجلد الثالث ، ص ٤٨٥ - ٤٩٠ ، الوثيقة رقم ١٩٦ ، ٥٩١ - ٥٩٣ ، الوثيقة رقم ٢٤٥ ، ٦٢٩ - ٦٣٠ ، الوثيقة رقم ٢٥٦ ، ٧٢٩ - ٧٣٠ ، الملاحظة رقم ٣١٣ ، ٦٧٢ ، الملاحظة رقم ٤٢٠ .

بونابارت، حملته افخر الهدايا، واثمنها بلغت قيمتها حوالي ٣٣٣ ألف فرنك^(١٢٢)، وكلفه ان يعمل باسرع مايمكن من اجل عقد معاهدة مع فرنسا، وان يؤكد للامبراطور الفرنسي ان «بوسع الايرانيين ضرب الروس، والانتصار عليهم»، وان يلعبوا دورا فعالا بالنسبة للحملة على مصر^(١٢٣).

التقى ممثل فتح علي شاه بنابليون في معسكره بفنكنشتاين (Finkenstein) داخل بروسيا الشرقية. وبعد مفاوضات سريعة تم عقد معاهدة بين ايران وفرنسا بتاريخ ٤ أيار ١٨٠٧ دخلت التاريخ باسم «معاهدة فنكنشتاين»^(١٢٤)، وقد نصت على:

١- «الصداقة والاتحاد» بين العاهلين

٢- حماية استقلال ايران

٣- ان تبذل فرنسا كل مافي وسعها لدفع روسيا الى عقد معاهدة مع ايران تتخلي بموجب بنودها عن المناطق التي كانت تتبع ايران في السابق، بضمنها اراضي جورجيا

٤- تزويد الجيش الايراني بالاسلحة، بما فيها المدافع، وكذلك بالضباط من اجل تدريب افراد

٥- ان يكون لفرنسا لدى ايران سفير فوق العادة، مع عدد من الممثلين الدبلوماسيين

٦- ان تقطع ايران علاقاتها السياسية والتجارية مع انكلترا، وتعلن الحرب ضدها، وتبذل كل مافي وسعها لدفع «الافغان وسائر طوائف قندهار» الى الجبهة المعادية لها، وان تفتح موانئها امام سفن فرنسا الحربية، وارضيتها امام قواتها البرية في حالة اقدامها على تنظيم حملة ضد البريطانيين في الهند.

٧- ان تتحالف الدولتان لمجابهة اي تحالف تعقده انكلترا وروسيا ضدهما.

وبعد مرور اقل من اسبوع على توقيع «معاهدة فنكنشتاين» تقرر ارسال بعثة فرنسية الى ايران برئاسة الجنرال الخيال كلود ماثيو غاردان (Claude - Mathieu Gardane) الذي يسميه نابليون في رسالته للشاه «وزير المختار»، ولقد زود

(١٢٢) دكتور علي بينا، تاريخ سياسي ودبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١١٨.

(١٢٣) سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ١١٠.

(١٢٤) راجع نصها في:

دكتور علي بينا، تاريخ سياسي ودبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١١٦-١٢٣؛ سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ٩٥-٩٨.

بتعليمات خاصة تحمل توقيع «الامبراطور نابليون بونابارت»^(١٢٥).
ضمت بعثة غاردان ١٥ عضوا سياسيا، و ١٤ عضوا عسكريا^(١٢٦)، منهم
المستشرق اسكالن (Escalon)، ومارشال الجيش الفرنسي فيما بعد تريزن (Trezel).
كما سبق لبعضهم ان عمل في بغداد^(١٢٧).
كان على غاردان ان يبذل كل مافي وسعه من اجل توسيع شقة الخلاف بين
بطرسبورغ وطهران، والضرب باستمرار على وتر جورجيا الحساس، وبذل الجهود
لعقد معاهدة تحالف ثلاثية تضم فرنسا وايران والدولة العثمانية، وتطوير مصالح فرنسا
التجارية في المنطقة.

استقبلت البعثة الفرنسية في طهران بحفاوة، حتى ان رئيسها الجنرال غاردان قد
خصص له جناح خاص في قصر الصدر الاعظم مرزا شفيع، وخصصت اجنحة لبقية
اعضاء الوفد في دور الاعيان، وذلك بامر من شخص الشاه الذي تعاون بحرارة مع
البعثة. فقد تم مباشرة التصديق على «معاهدة فنكنشتاين»، كما وقع الطرفان اتفاقية
عسكرية من ست مواد نصت على تزويد ايران بعشرين الف بندقية، اتباعها التوقيع
على معاهدة تجارية تتألف من ٢٣ مادة عالجت المسائل الكمركية، ووضع السفن
التجارية الفرنسية، وحقوق المواطنين الفرنسيين في ايران، وغيرها من الامور التي
كانت تهم البلدين. وبموجب المادة السابعة عشرة من هذه المعاهدة تنازلت ايران
لفرنسا عن جزيرة خرج ذات الموقع الاستراتيجي المهم في الخليج العربي^(١٢٨)،
فتحولت فنكنشتاين بذلك الى اول معاهدة غير متكافئة عقدتها ايران مع دولة اوربية
في القرن التاسع عشر، تبعثها سلسلة من المعاهدات المشابهة التي حولت البلاد
في نهاية المطاف الى شبه مستعمرة تابعة للدول الكبرى قبل ان ينتهي ذلك القرن.
وفي الجانب العسكري بذل اعضاء البعثة ايضا نشاطا ملموسا لقي تعظيما كبيرا

(١٢٥) راجع نص التعليمات في:

سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ١٠٢ - ١٠٦.

(١٢٦) تشير بعض المصادر الى ان عدد الضباط الذين رافقوا الجنرال غاردان في بعثته كان يبلغ

٧٠ ضابطا (راجع مثلا:

J M Upton, OP. Cit., P 5)

(١٢٧) دكتور علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١٢٠؛ سعيد نفيسي،

تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ١٠٧ - ١٠٨.

(١٢٨) للتفصيل راجع:

سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ٢١٦ - ٢١٧؛ دكتور علي بينا،

تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١٢٣.

من لدن المسؤولين - إيرانيين، في مقدمتهم ولي العهد وقائد الجيش عباس مرزا الذي اقنعه هزائم قواته المتكررة امام الروس بعدم جدوى الاسلوب الاقطاعي البالي لادارة الجيش والحرب. فتم تدريب اربعة الاف من جنود عباس مرزا في غضون فترة وجيزة، كما اسست ورشتان لصنع المدافع، الاولى في طهران انجزت ٢٠ مدفعا صحراويا، والثانية في اصفهان جربت اول مدفع لها في يوم الاحتفال بعيد ميلاد نابليون الذي ولد في ١٥ آب ١٧٦٩.

ادى التقارب بين نابليون وفتح علي شاه الى تمادي ايران في موقفها المتعنت تجاه مقترحات روسيا بخصوص عقد الصلح لانهاء الحرب بين الدولتين، الامر الذي كان يهم بطرسبورغ الى درجة كبيرة بسبب انشغالها الكبير على صعيد القارة الاوروبية، وفي ميادين القتال مع تركيا. لذا فان الروس لم يكفوا عن بذل المساعي السلمية حتى بعد عقد «معاهدة فنكنشتاين»، ووصول بعثة الجنرال غاردان الى طهران، الا ان المسؤولين الايرانيين، وعلى رأسهم عباس مرزا، بدأوا يتشددون اكثر من السابق، مما دفع الروس الى اتخاذ احتياطات عسكرية جديدة في جبهات القتال مع ايران^(١٢٩).

ولكن سرعان ما طرأ تغيير جديد على الموقف الفرنسي اثر توقيع باريس وبطرسبورغ على معاهدة صلح تلت بينهما في تموز عام ١٨٠٧. واثار ذلك فتر اهتمام نابليون بايران نسبيا، الامر الذي انعكس مباشرة على نشاط البعثة الفرنسية هناك. فقد امتنعت فرنسا عن تزويد ايران بالاسلحة والذخيرة، واستدعى الجنرال غاردان اعضاء بعثته العسكريين الى طهران، كما مارس بعض الضغط على الشاه والصدر الاعظم، على الاقل في البداية، من اجل التوقيع على معاهدة للصلح مع روسيا^(١٣٠). وكان من الطبيعي ان يهز هذا التغيير المفاجيء البلاط الايراني، حتى ان فتح علي شاه اعتبر «معاهدة تلت» خيانة من نابليون تجاه بلاده^(١٣١). الا ان الشاه لم يغير، مع ذلك، من موقفه، مع العلم ان «معاهدة تلت» نصت في احدى موادها على ان تقوم فرنسا بالتوسط بين تركيا وروسيا لانهاء الحرب بينهما^(١٣٢)، تلك

(١٢٩) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، التسلسل الاول، المجلد الاول (تموز ١٨٠٧ - آذار ١٨٠٩)، موسكو، ١٩٦٥، ص ٣١-٣٢.

(130) M. S. Ivanov, Ochirk..., P. 132.

(١٣١) دكتور علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١٢٥.

(١٣٢) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، التسلسل الاول، المجلد الرابع، ص ٧٧-٧٨، الوثيقة رقم ٢٧، ٥٧٥، الملاحظة رقم ٤٨.

الحرب التي كانت طهران تراهن عليها كثيرا . ولكن الالم من ذلك ان الشاه رغم رد فعله الكبير في البداية ، الا انه لم يفقد الامل كليا لنيل المساعدة الفرنسية حتى بعد عقد معاهدة تلمست ، الموضوع الذي أكدت عليه الوثائق الروسية السرية مرارا^(١٣٣) . ولم تلعب مناورات الفرنسيين انفسهم الدور الاخير في خلق مثل ذلك التصور لدى الشاه وولي عهده عباس مرزا . فقبل كل شيء لم يلغ الفرنسيون رسميا «معاهدة فنكنشتاين» التي كانت تتناقض في روحها مع مضمون «معاهدة تلمست» . بل ان وزير خارجية فرنسا اصدر بعد عقد معاهدة تلمست تعليمات جديدة الى الجنرال غاردان تؤكد عليه ضرورة ان يبذل كل ما في وسعه لعقد صلح بين روسيا وايران «على اسس مشرفة لايران» . ولقد فسرت طهران وتبريز توجهات وزير الخارجية الفرنسي على انها تعني اعادة جميع مناطق ماوراء القفقاس ، بما فيها جورجيا وداغستان ، الى ايران . ولم يكن مجرد صدفة ان اعلن فتح علي شاه يوم تصديقه لمعاهدة فنكنشتاين ان السماح لمرور القوات الفرنسية عبر الاراضي الايرانية الى الهند امر مرهون باستعادة بلاده لاراضي ماوراء القفقاس . وعلى هذا الاساس تؤكد الوثائق والمصادر الروسية على ان فرنسا لم تتخل عمليا عن سياستها المعادية لروسيا في ايران حتى بعد التوقيع على «معاهدة تلمست» ، وتدخل ذلك ضمن العوامل التي اضعفت فيما بعد التحالف بين باريس وبطرسبورغ^(١٣٤) . وفي رسالة سرية بعثها غودوفيتش الى وزير الخارجية روميانتسيف أكد ان الجنرال غاردان يتعامل مع حكام ايران «بنفس روحية ما قبل تلمست» . بل بلغ الامر بالقائد الروسي ان يؤكد في رسالة لاحقة بعثها الى وزير الخارجية على ان النشاط الفرنسي المعادي في ايران اصبح «يلحق بروسيا ضررا اكبر» من السابق عندما كانت الحرب مشتعلة بينها وبين فرنسا^(١٣٥) . والاغرب ان نشاط «الحليفة فرنسا» بدأ في هذه المرحلة يتعدى ايران ليمتد الى مناطق ماوراء القفقاس ، بما فيها جورجيا ، حيث شجع الفرنسيون افراد الجيش الروسي على الانضمام الى الجيش الايراني الذي كان يضم كتيبة مؤلفة من العسكرين الروس الهاريين . ولم يكتف الجنرال غاردان واعوانه بذلك ، بل انهم اسهموا ايضا في تحصين قلعتي يريفان واجمادزين الارمنيتين حال سماعهم ان في نية الروس مهاجمتهما . واولى الفرنسيون اهتماما خاصا لقلعة يريفان ، فقد قاموا بتحصينها

(١٣٣) المصدر نفسه ، المجلد الرابع ، ص ٣٢ ، ١١٧ .

(١٣٤) المصدر نفسه ، المجلد الرابع ، ص ٤١٣ - ٤١٥ ، الوثيقة رقم ١٨٧ ، ٦٦٠ - ٦٦٣ ، الملاحظات ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٦٨ و ٢٦٩ .

(١٣٥) المصدر نفسه ، المجلد الرابع ، ص ٣٠٢ ، ٣١١ ، ٣٩٧ ، الوثيقة رقم ١٣٨ .

حسب أحدث الطرق الأوروبية عندما أقاموا لها جدارين مزودين بالمدافع ، تمتد في مقدمتها حواجز مختلفة^(١٣٦).

استمر الفرنسيون على نهج السياسة نفسها عندما فرضت الانتصارات العسكرية الجديدة التي حققتها القوات الروسية في ميادين القتال تراجعاً مافي الموقف الإيراني . فعندما وصل اغا جبار مقر قيادة غودوفيتش في نيسان ١٨٠٨ بهدف التفاوض في موضوع عقد صلح بين الدولتين ، حاول الفرنسيون دفع الإيرانيين الى عقد هدنة لمدة عام واحد بدل صلح نهائي . كما كانوا يؤكّدون للإيرانيين ضرورة نقل مفاوضات الدولتين الى باريس ، وأشار شخص نابليون فيها على أساس ان من شأن ذلك «ضمان تأييد فرنسا للمطالب الإقليمية الإيرانية» ، الأمور التي رفضها الجانب الروسي جملة وتفصيلاً^(١٣٧).

وعندما بلغت مناورات فرنسا هذا الحد اتصلت بطرسبورغ بباريس مباشرة وطلبت منها رسمياً عدم اتباع سياسة في إيران من شأنها الاضرار بمصالح روسيا . وأشارت المذكرة الروسية بهذا الصدد الى ان الإيرانيين قبلت كانت كانوا هم يلحون على عقد الصلح ، فيما بدأوا بعد ذلك يتشدّدون في مواقفهم ومطالبهم . وذكرت المذكرة أيضاً انه في حالة اصرار إيران على موقفها فان روسيا «لا مانع لديها ان تعاود العمليات العسكرية ضدها» . وفي ١٢ آب ١٨٠٨ نقل السفير الفرنسي في بطرسبورغ الى نابليون نص كلام اسكندر الأول الذي قال «ان إيران تثير شروطاً مجنونة» ، معتمدة في ذلك على ما أعطيت من وعود فرنسية . وفي مقابلته مع السفير الفرنسي رفض القيصر بصورة قاطعة فكرة توسط نابليون على أساس ان علاقات إيران وروسيا لا يمكن ان تهتم فرنسا ، مثلما لاتهم روسيا العلاقات بين فرنسا وإسبانيا (كانت فرنسا يومذاك في حرب ضد إسبانيا المجاورة لها) . وبهذه المناسبة ذكر الروس الفرنسيين بما قاله نابليون شخصياً للقيصر الروسي في تلست من ان التحالف مع روسيا «غير جميع الأمور السابقة بالنسبة لإيران» ، وانه ، اي نابليون ، «لا يعير بعثة غاردان اي اهتمام»^(١٣٨).

ولئن غير نابليون قليلاً من موقفه تجاه إيران فان مرد ذلك كان فشل قواته في

(١٣٦) المصدر نفسه ، المجلد الرابع ، ص ٤١٣ - ٤١٥ ، الوثيقة رقم ١٨٧ ، ٦٦٠ - ٦٦١ ، الملاحظة رقم ٢٦٧ .

(١٣٧) المصدر نفسه ، المجلد الرابع ، ص ٢٢٩ - ٢٣١ ، ٢٩٨ ، ٣٠٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣١١ وغيرها .

(١٣٨) المصدر نفسه ، المجلد الرابع ، ص ٦٢٤ - ٦٢٥ ، الملاحظة رقم ١٨٩ .

اسبانيا، وظهور يواذر جديدة في الافق تشير الى احتمال وقوع حرب جديدة لبلاده مع النمسا، الامر الذي جعله بحاجة الى تأييد روسيا.

وفي خضم هذه الاحداث لم تغب انكلترا عن الساحة الايرانية لحظة واحدة. بل ان دبلوماسيتها نشطت، وحاولت استغلال كل ثغرة قد تنجم عن عقد «معاهدة تلس» بين غريمتهما التقليدية يومذاك فرنسا، وغريمتهما الجديدة روسيا. وبهذا الخصوص يقول الدكتور علي بينا ان الممثل البريطاني في بغداد «كان على علم باقل تحرك فرنسي في ايران»^(١٣٩). واعتقاداً منهم بان الظروف اصبحت مواتية، بعث البريطانيون جون مالكولم مرة ثانية الى ايران، الا ان الشاه لم يسمح له بالحضور الى طهران لانه لم يفقد الامل بعد في الدعم الفرنسي له. حينذاك لجأ البريطانيون الى ممارسة ضغوط مختلفة على ايران، فقد حركوا الوهابيين ضدها، وفكروا في محاصرة موانئها الخليجية، والاستيلاء على جزيرة خرج، كما هددوا عرش فتح علي شاه بالتلميح الى استعدادهم مساندة محمد علي خان بن علي مراد خان الزند الذي كان يقيم في الهند ويطالب بالعرش الايراني، وصرفوا الاموال بسخاء لكسب كبار المسؤولين الايرانيين، حتى ان الجنرال غاردان قد اشار الى ان البريطانيين تمكنوا من «شراء ذمم اغلب الوزراء» في طهران بواسطة ما قدموه لهم من اموال وهدايا^(١٤٠). وقد منح التغيير الجزئي الذي طرأ على موقف نابليون تجاه ايران بسبب ما استجد من اوضاع على صعيد القارة الاوروبية، منح لندن فرصة افضل لاستغلال الموقف والتقرب من طهران، فقررت ارسال مندوب اخر الى العاصمة الايرانية. وقد وقع اختيار اروقة الخارجية البريطانية على السير هارفرد جونز كأجدر شخص للاضطلاع بهذه المهمة، فانه فضلاً عن عمله لفترة طويلة في بغداد والبصرة، كان قد زار ايران في عهد الزندين، وكان مطلعاً على الشرق والشرقيين. ونظراً لأهمية المهمة التي كانت تنتظره وجه اليه وزير الخارجية جورج كاننغ شخصياً رسالة خاصة.

وصل هارفرد جونز ميناء بوشهر مع رجاله على متن سفيتين يوم ١٤ تشرين الاول عام ١٨٠٨. ورغم ضغوط غاردان، ومناوراته تمكن المبعوث البريطاني من ان يوصل مقترحات حكومته الى شخص فتح علي شاه، والتي كانت تدور حول عقد معاهدة تحالف بين لندن وطهران، ودفع مساعدات مالية سنوية لايران مقدارها ١٦٠ ألف تومان (ما يعادل ١٢٠ ألف باون استرليني)، مع التعهد بارسال صباط لتدريب الجيش الايراني.

(١٣٩) دكتور علي بينا، تاريخ سياسي ودبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١١٠.

(١٤٠) المصدر نفسه، ص ١٤١.

وافق الشاه على مقترحات هارفرد جونس ، وطلب من الجنرال غاردان ان يغادر البلاد مع اعضاء بعثته ، ثم وجه الدعوة الى البعثة البريطانية يطلب منها التوجه الى العاصمة طهران التي وصلتها يوم ١٤ شباط ١٨٠٩ ، اي بعد يومين فقط من مغادرة البعثة الفرنسية لها .

قدم هارفرد جونس اوراق اعتماده الى فتح علي شاه يوم ١٧ شباط ١٨٠٩ ، وكان يحمل معه مجموعة كبيرة من الهدايا الثمينة ، من بينها ماسة قدمها اليه باسم جورج الثالث ملك بريطانيا ، مما كان له وقع كبير جدا في نفسه ، كما اشار الى ذلك المبعوث البريطاني في رسالته التي بعثها في اليوم نفسه الى وزير خارجية بلاده . ولم ينس جونس الوزراء الذين قدم اليهم ما «يستحقون» كل حسب مقامه ، ودوره^(١٤١) .

وبعد مرور اقل من شهر تم التوقيع في ١٢ أيار على معاهدة ثنائية بين انكلترا وايران ، التزمت طهران بموجب بنودها بان تقطع جميع علاقاتها بفرنسا ، وكل دولة اخرى معادية لانكلترا التي تعهدت بتقديم مساعدة سنوية لايران مقدارها ١٦٠ ألف تومان لحين انتهاء حربها مع روسيا ، والتزمت ايضا بتقديم الاسلحة والذخيرة للجيش الايراني ، وارسال الضباط لتدريب افراده . واعتبرت المعاهدة اتفاقا تمهيدا بين الدولتين «لغاية ابرام معاهدة صداقة وتحالف نهائية» بينهما ، كما ورد نصا في مدخلها (في تشرين الثاني ١٨١١ اعلنت لندن عن ابرامها للمعاهدة باعتبارها اتفاقا نهائيا بين الطرفين)^(١٤٢) . وعلى اساس ماسبق فان المعاهدة ، كما يؤكد البروفيسور م . س . ايفانوف ، كانت «موجهة ضد روسيا بصورة مباشرة ، واستهدفت تحريض ايران للاستمرار في حربها معها»^(١٤٣) .

ومع ان انكلترا اوفت بتعهداتها ، بل رفعت مقدار مساعدتها الى ٢٠٠ الف تومان في السنة ، وبعثت ثلاثة الاف بندقية وعشرين مدفعا ، وعددا من الخبراء العسكريين الى ايران^(١٤٤) ، الا ان ذلك ، شأنه شأن المساعدات الفرنسية السابقة ، لم يؤثر على سير العمليات العسكرية في ميادين القتال ، فقد استمر اندحار القوات الايرانية في معظم المعارك الجديدة التي خاضتها . فلغاية خريف عام ١٨٠٨ تمكنت القوات الروسية من الاستيلاء على مناطق واسعة جديدة ، بضمنها نخجوان ، وان تبلغ

(١٤١) انمصدر نفسه ، ص ١٤٤ .

(١٤٢) «وثائق وزارة الخارجية الروسية» ، التسلسل الاول ، المجلد السادس (١٨١١-١٨١٢) ، موسكو ، ١٩٦٢ ، ص ٧٤٠ .

^١ M.S. Ivanov, Ochirk..., P. 133. (143)

(١٤٤) عبدالله رازي ، تاريخ مفصل ايران از قاسم سلسلهء ماد تا عصر حاضر ، ص ٤٦٢ - ٤٦٣ .

مشارف يريفان في قلب اراضي ارمينيا، وتفرض الحصار عليها من كل جانب. ولكن لم تستسلم يريفان للقوات الروسية، وذلك لوجود الفتي جندي ايراني داخلها، كانوا مدربين على ايدي الفرنسيين الذين حصنوا ايضا قلعة يريفان كما اسلفنا. وفي الوقت نفسه استمر قصف السفن الحربية الروسية لسواحل قزوین^(١٤٥)

أجبر الواقع العسكري في ميادين القتال الايرانيين على بعض التراجع من جديد. ففي اوائل نيسان عام ١٨٠٩ اقترح عباس مرزا عقد صلح بين الدولتين، على ان يتوجه مدوب ايراني الى العاصمة بطرسبورغ، الامر الذي وافق عليه القيصر اسكندر الاول. وفي ٣٠ أيار من العام نفسه قدمت روسيا رسما شروطها لاييقاف الحرب مع ايران، والتي نصت على:

١- اعتراف الجانب الايراني بانهار اراس وكورا واربتشاي حدودا فاصلة بين الدولتين.

٢- الاعتراف بسيادة العلم الروسي وحده في بحر قزوین.

٣- اقرار كل تغيير يجريه الجانب الروسي على الاتفاقات السابقة المبرمة بين الدولتين^(١٤٦).

وفي ٩ تموز من العام نفسه وجه وزير الخارجية الروسي رسالة خاصة الى القائد العام الجديد في جبهة القفقاس وجورجيا أ.ب. تورماسوف تحتوي على التعليمات التالية للعمل بموجبها في اطار اتصاله بالاييرانيين:

«نخبركم بهذا بموافقة الامبراطور اسكندر الاول على تخويلكم للتفاوض حول السلم مع ايران. يجب الاشارة الى الفوائد التي يمكن لايران ان تجنيها من وراء ذلك، وهي: انتعاش تجارتها، وضمان استقرارها الداخلي، ومساعدتها من اجل استعادة مناطقها المحتلة من قبل تركيا... كما يجب جلب انظار الايرانيين الى الفوائد التي يمكن لايران ان تجنيها من خلال تحالفها مع روسيا، والتأكيد على النتائج المهمة التي جنتها كل من السويد، واسبانيا والنمسا من خلال تحالفها مع انكلترا»^(١٤٧)

(١٤٥) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، المجلد الرابع، ص ٦٦٠ - ٦٦١، ٦٦٣، الملاحظتان

رقم ٢٦٧ و ٢٦٩؛ دكتور علي بينا، تاريخ سياسي ودبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١٤٧.

(١٤٦) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، التسلسل الاول، المجلد الخامس (نيسان ١٨٠٩ -

كانون الثاني ١٨١١)، موسكو، ١٩٦٧، ص ٢٠، الوثيقة رقم ٣٢.

(١٤٧) المصدر نفسه، المجلد الخامس، ص ٩٤.

هنا جاء دور الانكليز ليحولوا دون انتهاء الحرب بين ايران وروسيا . ففي أيلول ١٨٠٩ كتب رئيس البعثة البريطانية هارفرد جونس الى نظيره في استانبول ادر، الذي زاول بدوره نشاطا واسعا للحيلولة دون حدوث اي تقارب بين روسيا وايران^(١٤٨)، يقول له مانصبه :

«اذا تمكنت روسيا من ان تعقد الصلح مع ايران ، فان ذلك سيتحول الى ضربة توجه لسياسة بريطانيا في كل من طهران واستانبول»^(١٤٩)

وبهذا الاتجاه بدأ هارفرد جونس نشاطا متشعبا، وعلى اصعدة مختلفة . فانه، واعوانه، كانوا يؤكدون في كل مكان على ان الصلح مع روسيا ينتقص من سيادة ايران . وبتحريض منه عاودت القوات الايرانية عملياتها العسكرية في الجبهة دون ان تتمكن من تحقيق اي من اهدافها، كما ان بعض المسؤولين الايرانيين حجزوا لمدة شهرين المندوبين الروس الذين ارسلهم الجنرال ترماسوف مع رسائل خاصة الى تبريز في تموز ١٨٠٩ بناء على طلب القيادة الايرانية نفسها . وفي وقت بلغ الاستياء من السياسة القومية القصيرة النظر لحكام ايران بين شعوب المنطقة مداه، وعبر عن نفسه في سلسلة من الانتفاضات، بعث فتح علي شاه رسائل الى عدد من زعماء تلك الشعوب يطلب منهم حمل السلاح ضد روسيا، وخصوصا من اصبح متهم في تبعية الاخيرة منذ سنوات مضت^(١٥٠).

وعندما ياست طهران من تحقيق شيء بهذه الاساليب تراجعت مرة اخرى، واتصلت بالقيادة الروسية من اجل الدخول في مفاوضات لعقد هدنة بين الدولتين . فوافقت الحكومة الروسية على جميع مقترحات ايران بهذا الصدد، وابدت استعدادها لعقد هدنة امدها عامان، او خمسة اعوام . وعلى هذا الاساس تم اللقاء بين عباس مرزا والجنرال ترماسوف في نيسان ١٨١٠ داخل قلعة عسكران، الامر الذي اثار حنق البريطانيين، فقدم هارفرد جونس في الحال انذارا الى الحكومة الايرانية يؤكد فيه انه «لايسعه البقاء في ايران في حالة عقد صلح مع روسيا» وابدى استعداد بلاده لتقديم مساعدات اضافية لايران في حالة استمرارها في الحرب . ومن

(١٤٨) للتفصيل عن ذلك راجع :

A.R. Ionisian, Prisoedinenia Zakavkazia k Russii, Erevan, 1958, PP. 240 - 245, 373, 476.

أ.ر. يونانسيان، انضمام ماوراء القفقاس الى روسيا، باللغة الروسية، يريفان، ١٩٥٨، ص ٢٤٠ - ٢٤٥، ٣٧٣، ٤٧٦ .

(١٤٩) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، التسلسل الاول، المجلد الخامس، ص ٦٧٦ .

(١٥٠) المصدر نفسه، المجلد الخامس، ص ١٠٩، ٢٢٧، ٦٧٦ .

اجل ارضاء البريطانيين طرح الجانب الايراني في عسكريا مشروعاً للصالح يتألف من ست مواد صاغها هارفرد جونس بصورة كان الجميع لايشكون في رفضه من قبل الروس.

واثر ذلك انقطعت المفاوضات بين روسيا وايران ، واخبر هارفرد جونس لندن واستانبول بذلك على جناح السرعة^(١٥١). وسرعان ماوصل طهران الخبير بشؤون ايران جون مالكولم ، الذي جلب معه عددا من المدافع والخبراء . وبعد فترة اخرى وصل العاصمة الايرانية ممثل بريطاني جديد هو غوروزلي الذي رافقه ايضا عدد من الخبراء ، وجلب معه كمية كبيرة من الاموال ، و١٢ مدفعا و١٢ ألف قذيفة و١٢ ألف بندقية ، مع ١٢ ألف قطعة من الملابس العسكرية . وفي آب سنة ١٨١٠ عقدت ايران معاهدة مع تركيا التي كانت مستمرة في حربها ضد روسيا^(١٥٢) . وعندما علم الروس بالاتصالات بين الايرانيين والأتراك للتخطيط من اجل عمل عسكري مشترك ، استولوا في الحال على قلعة ميغري (Migri) في قره باغ التي اضطرت القوات الايرانية الى تركها . كما اصدر القيصر اوامر تقضي باستخدام القوات البرية والبحرية لحماية طالش من أي هجوم متوقع^(١٥٣).

لم تجد المناورات الجديدة ايران في شيء ، خصوصا وان التغييرات التي طرأت على الساحة الدولية في تلك الفترة لم تكن في صالحها . ففي تشرين الاول عام ١٨١١ تمكن الروس من محاصرة الجيش التركي الذي كان بقيادة الصدر الاعظم احمد باشا على ضفاف نهر الدون ، ووجهوا له ضربة مميتة اسفرت عن مقتل حوالي ١٥ ألف ، وأسر ما لا يقل عن ١٢ ألف جندي تركي ، مما اجبر الباب العالي على الدخول في مفاوضات سلمية مع بطرسبورغ^(١٥٤) . ورغم محاولاتهم ، والحاحهم الكبير ، لم يفلح الاترك في فرض موضوع الحرب بين روسيا وايران على مائدة مفاوضات مع الروس^(١٥٥) ، تلك المفاوضات التي ولدت خيبة امل كبيرة في صفوف

(١٥١) المصدر نفسه ، المجلد الخامس ، ص ٢٤٢ - ٢٤٤ ، ٦٧٦ ؛ دكتور علي بينا ، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران ، جلد اول ، ص ١٥٢ - ١٥٥ .

(١٥٢) M.S. Ivanov ، «وثائق وزارة الخارجية الروسية» ، التسلسل الاول ، المجلد السادس ، ص ٣٣٠ ؛ دكتور علي بينا ، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران ، جلد اول ، ص ١٥٧ .

(١٥٣) «وثائق وزارة الخارجية الروسية» ، التسلسل الاول ، المجلد الخامس ، ص ٤٧٦ - ٤٧٧ ، ٤٩٩ ، المجلد السادس ، ص ١١٦ .

(١٥٤) المصدر نفسه ، المجلد السادس ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ ، ٧١٨ .

(١٥٥) المصدر نفسه ، المجلد السادس ، ص ٦٠ ، ٣١٧ - ٣١٨ ، ٣٥٩ ، ٣٨٥ ، ٧٣٨ .

حكام ايران الذين عبروا للبريطانيين عن استيائهم الكبير منها لانها «تجري بدونهم»^(١٥٦). ومهما يكن من امر فان انتهاء الحرب بين روسيا وتركيا بموجب «معاهدة صلح بخارست»، التي زود البريطانيون عباس مرزا بنسخة من نصها^(١٥٧)، ترك اثرا سلبيا كبيرا على وضع ايران وموقفها. ولم يكن مجرد صدفة ان بعث وزير الخارجية الروسي روميانتسيف رسالة عاجلة بتاريخ ٢٣ تموز ١٨١٢، وهو نفس اليوم الذي تسلم فيه وثائق تصديق الباب العالي لمعاهدة صلح بخارست، الى القائد العام لقوات بلاده في جبهة الحرب مع ايران ينبؤه بالخبر، ويطلب منه ايصاله بدوره الى طهران «لاقناعها بمدى فائدة التعجيل في عقد الصلح مع روسيا»^(١٥٨).

وعلى صعيد ادارة الاوروية فشل «الحصار القاري» الذي فرضه نابليون على انكلترا فشلا ذريعا، بل ان روسيا كانت اول دولة خرجت على ضوابطه، وفي عز أيامه ظهر جسر سري للاتصال بين لندن وبطرسبورغ للتداول في أهم القضايا الدولية المثارة يومذاك، كانت الحرب الايرانية الروسية واحدة منها. وسرعان ما تبددت غيوم الخلاف بين الدولتين، فعادت المياه الى مجاريها السابقة بينهما اثر توقيعهما على معاهدة للتحالف في تموز عام ١٨١٢، الامر الذي مهد الطريق لحملة نابليون على روسيا، واندحاره الكبير امام قواتها، كما نبين جانبا من تفاصيله، وتأثيره الحاسم على العرب الايرانية - الروسية فيما بعد.

وتفاقم الوضع الاقتصادي والسياسي الداخلي لايران اكثر فاكثر بسبب حربها الطويلة مع روسيا. ففي حينه وصف فابوييه، احد اعضاء بعثة الجنرال غاردان الذي ذهب الى اصفهان في مطلع العام ١٨٠٨، وضع المدينة المأساوي، وما كان يسودها من فقر مدقع، وخواء اسواقها من البضائع^(١٥٩). كما اشتدت المعارضة الداخلية، خصوصا بين الشعوب غير الفارسية التي ظلت تعاني الامرين من السياسة القومية الشوفينية للقاجاريين. فان هؤلاء كانوا يرون في تهجير الارمن الى جنوب نهر اراس

(١٥٦) ان مصدر نفسه، المجلد السادس، ص ٣٣٠.

(١٥٧) دكتور علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١٦٦.

(١٥٨) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، المجلد السادس، ص ٥٠٦.

(١٥٩) سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ٢١٨ - ٢١٢. لا يعني ذلك، بالطبع، ان اقتصاد روسيا لم يعان من حربها مع ايران، فقد اشارت الوثائق الرسمية الخاصة، الروسية والبريطانية، الى هذه الحقيقة مرارا (راجع على سبيل المثال: «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، المجلد الخامس، ص ٥١٦، ٥٥٨ - ٥٥٩؛ دكتور علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١٥٥ - ١٥٦).

وسيلة ناجحة لضمان جبهتهم ، فيما اثبت الواقع عكس ذلك تماما . ففي سنوات الحرب انتفض الارمن اكثر من مرة ضد حكم الشاه . وحدثت انتفاضات مشابهة في طالش وقره باغ وخراسان^(١٦٠) . وعشية انتهاء الحرب انفجرت انتفاضة كبرى بين التركمان بقيادة الحاج سيد احمد الذي حقق اعوانه الثوار انتصارين كبيرين على القوات الايرانية التي كان يقودها احد ابناء فتح علي شاه . وقد اتصل زعيم الانتفاضة بقيصر روسيا ، وقيادة جيشه طالبا العون «من اجل الانتقام من العدو المشترك» كما ورد نصا في رسائله . ومن المهم ان نشير الى ان الوثائق السرية الروسية التي تعود الى تلك الفترة ، تضع انتفاضة التركمان على قدم المساواة مع العوامل الاساسية الأخرى التي ادت الى استسلام ايران في نهاية الامر^(١٦١) .

وفي الواقع ان مناورات الانكليز في الفترة التي اعقبت سنة ١٨١٠ اطالت من عمر الحرب الايرانية الروسية لفترة اخرى من الزمن ، في وقت تضافرت جميع العوامل لانهاؤها لصالح روسيا . فلم تكف لندن عن مناوراتها حتى بعد تحالفها الجديد مع بطرسبورغ ، ذلك لانها كانت ترغب في ان تحقق روسيا اقل ما يمكن من المكاسب من وراء انتصارها على ايران .

ففي ربيع سنة ١٨١٢ اضطرت ايران لاتخاذ اجراءات جدية لانتهاء الحرب في اطار مساومة جزئية ، وبعض التنازلات الشكلية من جانب روسيا التي صاغت في ١٩ نيسان ١٨١٢ شروطها الجديدة للصلح ، اثر الاتصالات التي جرت بين الطرفين ، في النقاط الاساسية التالية :

١- ان يرسم خط الحدود بين الدولتين بصورة تظم المناطق التي اصبحت فعلا في حوزة القوات الروسية ، بدلا عن مرورها بانهار كورا واراس واربتشاي ، كما كان الروس يصرون في السابق .

٢- ذكر جميع الشعوب القاطنة في تلك المناطق بالاسم ، واعتراف ايران الكامل بسيادة روسيا عليها .

٣- الاعتراف المتبادل باستقلال خانية طالش .

٤- الاعتراف بسيادة العلم الروسي وحده في بحر قزوين .

٥- اعتراف روسيا بفتح علي شاه ملكا على ايران ، وبالقاجاريين اسرة حاكمة فيها ، ويعباس مرزا وليا للعهد على عرشها ، وان تقف ضد كل من يحاول مس ذلك .

(160) M.S. Ivanov, Ochirk..., P. 134.

(١٦١) للتفصيل راجع : «وثائق وزارة الخارجية الروسية» ، المجلد السابع ، ص ٤٤٦ ، ٧٦٢ .

٦- الاعتراف بالاتفاقات السابقة في ضوء مضمون المعاهدة الجديدة التي تعقد بين الطرفين .

٧- العمل من اجل اقامة علاقات تجارية متبادلة لصالح الطرفين^(١٦٢) .

استمرت الاتصالات بين الجانبين على هذا الاساس ، وتفاءلت القيادة الروسية من موقف عباس مرزا ، وغيره من كبار المسؤولين ، الا ان الانكليز اسرعوا في تخريب الجسور التي اقامها الطرفان ، الامر الذي وردت تفاصيل معبرة عنه في وثيقة سرية روسية عبارة عن رسالة مسهبة وجهها القائد العام الجديد للقوات الروسية في جبهة القفقاس الجنرال ن . ف . رتيشيف (N.F. Rtischeff) الى وزير خارجية بلاده روميانتسيف بتاريخ ٨ آب ١٨١٢ نقتطف منها مايلي توضيحا للموضوع :

« انني لاشك في اخلاص عباس مرزا في عقد الصلح ، ولكنني اشك كثيرا في اخلاص الانكليز ، واخشى الاعيبيهم وتأثيراتهم على الوزارة في طهران . ففي البداية استقبل عباس مرزا بابوف وفريغانغ^(١٦٣) بود كبير ، وردا على اقتراحي بصدد ارسال ممثل من بين كبار مساعديه للاجتماع به ، ابدى استعدادا لان يحضر بنفسه الى هنا ، كما انه اصدر اوامر تقضي بتفريق القوات التي بوشر بجمعها في تبريز لمعاودة الهجوم على قواتنا في الحدود . وامعانا في اظهار حسن نيته اخبر المندوبين (بابوف وفريغانغ) عن قراره بالافراج عن ٦ ضباط و ١٠٠ جندي ممن اسروا مطلع هذا العام في قره باغ . ولكن ما ان وصل السفير البريطاني تبريز^(١٦٤) حتى تغيرت هذه الامور اساسا على عقب ، فبدأ فتور واضح يطغى على معاملة المندوبين ، والغي قرار تفريق القوات ، وكذلك قرار الافراج عن الضباط والجنود^(١٦٥) .

وسرعان ما برزت الاحداث شكوك الجنرال الروسي . ففي اواخر الشهر نفسه شن جيش ايراني قوامه عشرة الاف رجل هجوما مباغتاً على نخانية طالش التي كانت تحت

(١٦٢) المصدر نفسه ، المجلد السادس ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ ، الوثيقة رقم ١٤٣ .

(١٦٣) مندوبان بعثهما الجنرال رتيشيف الى تبريز للتداول في وضع شروط انتهاء الحرب بين البلدين .

(١٦٤) ما ان علم وزلي نبأ المفاوضات الجديدة حتى حضر بنفسه الى تبريز (حزيران ١٨١٢) بعد ان حصل على كتاب من شخص الشاه يخوله حق الاشتراك في اي مفاوضات تجري بين الايرانيين والروس لانتهاء الحرب .

(١٦٥) «وثائق وزارة الخارجية الروسية» ، المجلد السادس ، ص ٥٢٩ - ٥٣٧ ، الوثيقة رقم ٢٢٣ .

حماية روسيا منذ اواخر القرن الثامن عشر، فلجأ حاكمها مير مصطفى خان مع افراد أسرته الى القوات الروسية. وقد اشترك عدد من الضباط البريطانيين في الهجوم الايراني، الامر الذي حاول السفير البريطاني وزلي تبريره اثر استفسار تقدمت به القيادة الروسية حول الموضوع. وبعد ان دمر الايرانيون لنكران، عاصمة الخانية، شيدوا مكانها، بمساعدة الخبراء البريطانيين، قلعة حصينة مزودة بجميع وسائل الدفاع، مما كان من شأنه ان يعزز موقع الايرانيين في قره باغ، ومناطق اخرى من القفقاس. لذا تقدمت القوات الروسية نحو المنطقة، وحاصرت القلعة من السابع حتى الثاني عشر من كانون الثاني ١٨١٣. وعندما فشلت جميع محاولات قائد القوة الروسية لاقتناع صادق خان، قائد القوات الايرانية المحاصرة، بان يكف عن المقاومة، واثروصول معلومات تفيد عزم قوات عباس مرزا في تبريز على نجدة المحاصرين، قامت القوات الروسية ليلة ١٣ كانون الثاني بهجوم كاسح على القلعة التي سقطت بعد مقتل صادق خان اثناء المعركة، وانتقل بذلك كل ساحل طالش على بحر قزوين الى ايدي الروس^(١٦٦). وهذه المناسبة وجه وزير الخارجية روميانتسيف مذكرة الى شخص اسكندر الاول بين له فيها مدى اهمية الانتصار الاخير الذي حققته القوات الروسية، ورد فيها مايلي:

«ان عباس مرزا الذي يفهم جيدا مصالح دولة والده، يعتبر لنكران مفتاحا لايران، وهذا هو عين الحقيقة. لذا من الضروري، ايها العاهل، ان يصبح هذا المفتاح في جيب روسيا، وذلك لا من اجل استخدامه لدخول ايران واحتلالها، بل لاجبارها على احترامنا الثابت في المستقبل ايضا، ومن اجل لحم نواياها غير الودية تجاه امبراطوريتكم، والتي تحاول انكلترا وفرنسا استغلالها باستمرار. . . من المتوقع، ايها العاهل، ان تتوجه انظار اعداء امبراطوريتكم في المستقبل الى ايران وحدودكم الاسيوية بالصورة التي كانت موجهة الى السويد وبروسيا من قبل. وبالتحديد ان مثل هذه الاخطار، التي ليس بوسع حكومة الامبراطورية تجنبها، تدفعني، ايها العاهل، لكي احاول الان تصحيح هذا الوضع، او تغييره، فلتبق لاحفادكم، ووطنكم هذه الضمانة لامنهم كانجاز جليل اخر للامبراطور اسكندر. اتوسل اليكم، ايها العاهل، ان لاتستهينوا

(١٦٦) المصدر نفسه، المجلد السادس، ص ٥٥٠، ٥٥٥، ٧٧٢؛ المجلد السابع، ص ٧٠٩؛
دكتور علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١٧٢.

بهذه الاعتبارات»^(١٦٧).

وفي وقت سابق (تشرين الاول ١٨١٢) ألحقت القوات الروسية في اسلاندوز هزيمة أخرى بالقوات الإيرانية التي كان يقودها عباس مرزا بنفسه، والذي تخلص من الأسر بشق الأنفس. وفي موقعة اسلاندوز وحدها بلغ عدد من وقعوا في أسر القوات الروسية حوالي ٥٠٠ من جنود عباس مرزا، فضلا عن عدد من الضباط، و ١١ مدفعا. وكان يوجد بين قتلى هذه المعركة أحد الضباط البريطانيين^(١٦٨). مع ذلك أعلنت إيران في التصريح الرسمي الذي نشر يوم ١٠ تشرين الاول من العام نفسه ضرورة «إعادة جميع المناطق المحتلة من قبل روسيا، مع تلك التي انضمت إليها اختيارا»^(١٦٩).

^(١٦٩) مما سبق يبدو واضحا انه حتى أثناء حملة نابليون الكبرى على روسيا لم يتغير واقع الموقف على جبهة الحرب الإيرانية - الروسية، مع العلم ان الحملة المذكورة أدت إلى ازدياد الطابع الدولي لتلك الحرب. فقد وصل طهران مبعوث من نابليون ليؤكد للإيرانيين «ان الامبراطور يبر بوعده الذي قطعه للشاه بصدد غزور روسيا»^(١٧٠)، وبانه «سيعيد لإيران قريبا جميع ممتلكاتها في جورجيا»، ويطلب، مقابل ذلك، ان يقوم الشاه بطرد البريطانيين من ممتلكاتهم، ويقبل سفيرا فرنسيا جديدا في بلاطه^(١٧١).

ولكن الشاه، على غير عادته، تأنى هذه المرة في اتخاذ الموقف، واصغى إلى نصائح السفير البريطاني، فسلمه مندوب نابليون الذي بعث به بدوره إلى المقيم البريطاني في بغداد كلوديوس جيمس ريج^(١٧٢).

كان من الطبيعي ان يترك الانتصار الساحق الذي حققته روسيا على نابليون تأثيرا مباشرا على سير الاحداث في الجبهة الإيرانية. فقبل كل شيء حاول الروس انفسهم

(١٦٧) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، المجلد السابع، ص ٩٧ - ٩٨، الوثيقة رقم ٣٩.

(١٦٨) دكتور علي بينا، تاريخ سياسي ودبلوماسي إيران، جلد اول، ص ١٧٢، P. Sykes, Op. Cit.,

PP. 313 - 314; M.S. Ivanov, Ochiirk..., P. 135.

(١٦٩) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، المجلد السادس، ص ٥٨١، الوثيقة رقم ٢٤٦.

(١٧٠) في إحدى رسائله السابقة أكد نابليون لفتح علي شاه انه مستعد لإرسال قواته من أجل غزو روسيا.

(١٧١) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، المجلد السادس، الوثيقة ٢٩٨، المجلد السابع، ص

٢٠٠ - ٢٠١.

(١٧٢) المصدر نفسه، المجلد السابع، ص ٢٠٠ - ٢٠١.

استغلال نصرهم في حملة دعائية واسعة للتأثير على حكام طهران . ففي ٢٩ كانون الثاني ١٨١٣ بعث القائد العام للقوات الروسية في جبهة القفقاس وجورجيا رسالة الى السفير البريطاني لدى بلاط الشاه وزلي ضمنها تفاصيل انتصار قوات بلاده على جيش نابليون « المؤلف من ٤٠٠ ألف رجل » قتل منهم « لغاية ١٦ تشرين الثاني ١٨١٢ فقط ١٥٠٧٨٣ شخصا من المراتب الدنيا ، مع ٤٠ جنرالا و ١٨٠٠ ضابطا ، كما اسر منهم ٢١ جنرالا و ١٣٨٥ ضابطا و ١٠٤٢٠٠ شخصا من المراتب الدنيا » . ويطلب القائد من السفير « باسم الصداقة التي تربط بينهما ، وبين دولتيهما » ، ومن اجل « خير ايران وروسيا » بذل الجهد في ضوء الحقائق السالفة لعقد صلح بين الدولتين ، خصوصا وان « تخطيط الحدود بالصورة المقترحة من جانب روسيا . . . هو الاكثر عدالة ، اذ لا يلزم ذلك ايران بالتنازل عن جديد سوى مالميس بحوزتها ، ولا تحت سيطرتها الان » (١٧٣) .

وفي الوقت نفسه وجه وزير الخارجية روميانتسيف مذكرة الى الجنرال رتشييف يطلب منه ان « يوحى للحكومة الايرانية مدى فوائد النجاح الحالي للسلام الروسي ، الذي قهر الجبروت الفرنسي ، بالنسبة لايران نفسها ، فمن المعلوم ان نابليون كان يحلم دائما بغزو الهند ، واحتلال ايران اولا من اجل تحقيق ذلك الهدف . . . ولتحكم الحكومة الايرانية بنفسها على مدى خطل حسابات سياستها التي تجعل من وزارة طهران ان ترفض السلم معنا بموجب اكثر الشروط اعتدالا » ، فعبثا تظن « انها تستطيع بعنادها ، وقوتها تحقيق النصر على دولة . . . اندحرت امامها جميع القوى المتضافرة للشعوب الخاضعة لبونا بارت » (١٧٤) .

ومع شن نابليون لحملة على روسيا طرأ تغيير ملموس على موقف البريطانيين من الحرب الدائرة بين ايران وروسيا ، فقد بدأوا يشجعون الطرفين على عقد الصلح حتى تتمكن بطرسبورغ من تكريس كامل طاقتها ضد العدو المشترك الاكبر ، وكذلك لاستغلال الظروف الصعبة الجديدة لروسيا ، وحاجتها الملحة للجيش لردع الهجوم الفرنسي ، حتى تضمن اقل مايمكن من التنازلات لها من جانب طهران . وقد تفاعلت مع هذه الحقيقة الانتصارات الكبيرة التي حققتها القوات الروسية على القوات الايرانية ايام غزونا بليون لاراضي روسيا لتجبر طهران على التراجع بصورة جدية . ففيها يخص الموضوع الاخير ورد مايلي نصا في مذكرة سرية رفعها روميانتسيف الى شخص اسكندر الاول بتاريخ ٩ تموز ١٨١٣ :

(١٧٣) المصدر نفسه ، المجلد السابع ، ص ٣٠ - ٣٢ ، الوثيقة رقم ١١ .

(١٧٤) المصدر نفسه ، المجلد السادس ، ص ٦١٢ - ٦١٣ ، الوثيقة رقم ٢٦٢ .

«تشير كل الدلائل الى ان نجاحات الجنرال كتليارسكي (١٧٥) ارجعت ايران، واجبرتها على تغيير مواقفها، فانها، على ما يبدو، تبحث الان عن الصلح باخلاص. فقد بدأ الوزير الاول لباب خان (١٧٦) الاتصالات لهذا الغرض، وهو يريد ابعاد عباس مرزا، ووزرائه عن المفاوضات، ذلك لانهم يرغبون في قرارة انفسهم في الاستمرار في الحرب» (١٧٧).

وبما ان فتح علي شاه خول السفير البريطاني وزلي حق التفاوض مع روسيا باسمه، لذا فان الاتصالات الاخيرة حول اهم مواضيع الصلح جرت اساسا بينه وبين الجنرال رتيشيف. ومن خلال هذه الاتصالات عرض وزلي باسم الجانب الايراني مقترحات مختلفة ماكانت تتفق مع التعليقات التي تسلمها الجنرال رتيشيف بصدد شروط بلاده لعقد معاهدة الصلح (١٧٨). فقد اقترح السفير البريطاني اجراء المفاوضات في بطرسبورغ، وعدم الاصرار على موضوع الوضع الراهن بصدد الحدود (١٧٩)، وعقد هدنة امدها سنة واحدة، والتوقيع فقط على معاهدة صلح تمهيدية، الامور التي رفضها الجنرال رتيشيف لانها كانت تستهدف الحيلولة دون التحرك اللاحق للقوات الروسية، وتأخير عقد صلح نهائي بين الدولتين، وبالمقابل اصرر القائد الروسي على ضرورة عقد الهدنة، ومعاهدة الصلح دون تأخير اما في طهران، او على الحدود.

ولكن مع ذلك تراجع الروس جزئيا، وبأسلوب لم يخل من غرور المتصصر، عن موقفهم. ففي رسالته التي وجهها الجنرال رتيشيف الى السفير البريطاني بتاريخ ٢٦ تموز ١٨١٣ لمح الى امكانية النظر في «التماس» يتقدم به الايرانيون لاستعادة بعض

(١٧٥) قاد الجنرال كتليارسكي (Kotlarefsky) (١٧٨٢ - ١٨٥٢) العمليات العسكرية للقوات الروسية في خانية طالش.

(١٧٦) كان الروس في مراسلاتهم الرسمية يطلقون على فتح علي شاه اسم بابا خان الذي كان معروفا به قبل تسميته للعرش، وذلك احياءا منهم بانهم لا يعترفون به ملكا على ايران.

(١٧٧) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، المجلد السابع، ص ٢٩٣ - ٢٩٤، الوثيقة رقم ١٢٠.

(١٧٨) المصدر نفسه، المجلد السادس، الوثيقة رقم ١٤٣.

(١٧٩) كان الروس يلحون في البداية، كما لاحظنا، على جعل انهراراس وكورا واريجاي حدا فاصلا بين روسيا وايران، الا انهم اقتنعوا فيما بعد بالوضع الراهن (Status quo ad praesentum).

اي بضم الاراضي التي احتلت فعلا من قبل القوات الروسية.

المناطق، على ان يكون ذلك بعد عقد الصلح النهائي فقط. وفي رسالة جوابية لاحقة بتاريخ ٥ ايلول ١٨١٣ اكد القائد الروسي ثانية، وبصورة قاطعة عدم موافقة بلاده على غير ابرام معاهدة صلح نهائية في ضوء الوضع الراهن، الا انه وافق على ان يوقع مع المعاهدة على محضر منفصل ينص على مايلي:

«يمنح الحق للممثلين الايرانيين الذين يستطيعون السفر، بعد التوقيع على المعاهدة، الى البلاط الروسي السامي لتهنئة حكومة جلالته، ان يلتبسوا، بغض النظر عن التوقيع على المعاهدة النهائية وابرامها من قبل الطرفين، من العاهل الروسي الامبراطور الحاجات والرغبات التي لدى الحكومة الايرانية، وتركها لعطف جلالته لا كمطالب يجب تليتها، بل كمجرد التماس»^(١٨٠).

وعندما اقتنع السفير البريطاني انه لاجدوى في تأخير عقد معاهدة الصلح، وان بوسع القوات الروسية تحقيق انتصارات حاسمة جديدة في حالة العودة الى القتال، اقنع فتح علي شاه وكبار المسؤولين في طهران بان يباشروا بالمفاوضات مع الروس، مع ان البلاط الايراني كان يميل، على العموم، في استمرار الحرب. افتتحت مفاوضات السلام في المعسكر الروسي بقرية كلستان التابعة لقره باغ، وقد مثل الجانب الايراني فيها السياسي المعروف بموالاته للبريطانيين مرزا ابو الحسن خان، فيما مثل الجانب الروسي الجنرال رتشييف. وفي ١٣ تشرين الاول ١٨١٣ وقع الطرفان اتفاقية الهدنة بينهما، والتي صيغت بهذا الاسلوب:

«من اجل اجراء مفاوضات الصلح تعقد هدنة امدها ٥٠ يوما. واذا لم يتوصل الطرفان الى عقد معاهدة الصلح بينهما، فانهما لا يعاودان العمليات الحربية الا بعد مرور ٢٠ يوما على اعلانهما عن عدم اتفاقهما».

وفي اليوم نفسه باشر الوفدان المتفاوضان بوضع بنود معاهدة الصلح التي تم التوقيع على نصيها الفارسي والروسي يوم ٢٤ تشرين الاول ١٨١٣ لتدخل التاريخ باسم «معاهدة كلستان». وفي ٢٧ ايلول ١٨١٤ تبودلت نصوص المعاهدة بعد تصديقها، دون ان يلحق بها اي محضر منفصل^(١٨١).

نصت «معاهدة كلستان»، التي سميت في نصها الرسمي^(١٨٢) «معاهدة الصلح

(١٨٠) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، المجلد السادس، الوثيقة رقم ١٤٣، المجلد السابع، ص ٣٢٤، ٣٧٩، ٣٩٧، ٧٥٦-٧٥٧.

(١٨١) المصدر نفسه، المجلد السابع، ص ٣٩٧، ٤٤٦-٤٤٧، ٧٥٧، الوثيقة رقم ١٧٩.

(١٨٢) راجع نص المعاهدة باللغتين الفارسية والروسية في «وثائق وزارة الخارجية الروسية»،

والصداقة بين روسيا وايران»، والتي كانت تتألف من ١١ مادة. و مقدمة مفصلة، على تنازل ايران لروسيا عن ولايات وخانيات قره باغ وكنجة وشيروان وشكي ودر بندو وباكو وكوبا، وعن الجزء الشمالي لخانية طائش. كما تخلت ايران ايضا عن ادعاءاتها بكل من جورجيا وداغستان. ونصت المادة الخامسة من المعاهدة على «حق روسيا المطلق» في امتلاك أسلحة حربي داخل بحر قزوين، فيما حرمت المادة نفسها ايران، او اي دولة اخرى، من حق مشابه. واعادت المواد ٨-١٠ من كلستان العلاقات التجارية بين روسيا وايران الى سابق عهدها، فقد حصل المواطنون الروس على حرية التجارة والتجوال داخل الاراضي الايرانية، حصل المواطنون الايرانيون على حق مشابه داخل الاراضي الروسية، على ان لا تتجاوز الرسوم الكمركية التي تفرض على بضائع البلدين نسبة ٥٪.

حاول فتح علي شاه تبرير هزيمة بلاده العسكرية والسياسية بأسلوب هزيل، غير منطقي. فقد تفتقت عبقريته لتعبر عن مقولة لانظير لها في اغلب الظن في مجلدات السياسة قديمها وحديثها. فبعد خراب كل مألديه نطق قائلا: «او هل نحن بطط حتى نكون بحاجة الى مياه قزوين المالحة!»^(١٨٣) والاغرب من ذلك ان فتح علي شاه لم يتورع عن تحويل هزائمه، وانتكاساته، وفشله المتواصل في كل الميادين، الى انتصارات ساحقة، ونجاحات مشهودة تستحق ان تدبج في قصيدة شعرية في غاية الروعة، نظمها بناء على طلبه الشاعر صاحب، ومن ثم استنسخها الخطاطون باحرف مذهب وعرضت في الاسواق للبيع. وبعد موته حفر نص القصيدة على حجر المرمر، وزين به الجدران المحيطة بلحمه في قم^(١٨٤).

بعد التوقيع على «معاهدة كلستان» جرت محاولات متفرقة لاعادة النظر بموادها التي فرضت على ايران تنازلات اقليمية كبيرة. فعندما ذهب مرزا ابو الحسن خان^(١٨٥) سفيراً فوق العادة الى بطرسبورغ لتبادل اوراق تصديق المعاهدة، تقدم الى

المجلد السابع، ص ٤٠٣ - ٤٢٥. عن المعاهدة راجع ايضا:
سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ٢٥٦ - ٢٦١؛ دكتور علي بينا،
تاريخ سياسي ودبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١٧٤ - ١٧٥؛

R.K. Ramazani, Op. Cit., PP. 44 - 45

(١٨٣) مقتبس من:

Bahman Nirumand, Iran. The New Imperialism in action, New York and London, 1969, P. 20.

(١٨٤) سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران. در دوره معاصر، ص ٧٦، ٨٠.
(١٨٥) دبلوماسي ايراني معروف بميوله نحو البريطانيين، وكان على علاقة ودية مع شخص وزلي.
-٥٧-

كبار المسؤولين الروس باكثر من طلب حول هذا الموضوع . ففي مذكرته التي قدمها الى وزير خارجية روسيا نسلرود بتاريخ ١ شباط ١٨١٦ عبر السفير الايراني عن «ثقتة الاكيدة» بان «امبراطور روسيا» يعيد الى ايران «برحابة الصدر» جميع المناطق التي استولت بلاده عليها^(١٨٦) . ولقد اثار الايرانيون فيما بعد الموضوع نفسه مرارا ، فانهم كانوا يستغلون كل فرصة لقاء لهم بالمسؤولين الروس ، وفي مناسبات مختلفة ، لعرضه على بساط البحث من جديد^(١٨٧) .

ولكن لم يسفر اي من هذه المحاولات عن نتيجة ، مع ان «معاهدة كلستان» اثارت رد فعل قويا بين اطراف دولية مختلفة ، من بينها تركيا التي استمرت في محاولاتها الرامية لتحريض الايرانيين ضد الروس^(١٨٨) . فقد اعلن القيصر اسكندر الاول في بيان له اصدره يوم ١٦ كانون الثاني عام ١٨١٨ ان مضمون «معاهدة كلستان» غير قابل للتغيير ، او التعديل^(١٨٩) .

لم تقتصر خسائر ايران الجسيمة على ما تضمنته «معاهدة كلستان» فقط . فان عشر سنوات من الحرب ابتلعت اموال خزينة فتح علي شاه رغما عنه ، واثت على ذخائر عباس مرزا ، خصوصا وان خزينة اذربيجان هي التي تحملت اعباء الحرب ، دون ان تشترك خزائن الولايات الاخرى بشيء يذكر .

وهكذا فان حرب ١٨٠٤-١٨١٣ سببت مشاكل مالية عويصة لايران ، ومما زاد من اثارها على كاهل الناس ان الدولة لم تتبن خطة سليمة لمعالجة ظواهرها المختلفة ، بل ان بعض المسؤولين ، وعلى رأسهم الله يارخان اصف الدولة ، حاكم تبريز عاصمة اذربيجان ، تحولوا الى عبء اضافي ثقل اثار حق الجميع . فلم يكن مجرد صدفة ان انفجرت سلسلة من الانتفاضات بين عشائر شرقي بحر قزوين ، وفي

عين سفيرا فوق العادة لدى البلاط الروسي في العام ١٨١٤ ، وبقي في منصبه لغاية سنة ١٨١٨ ، انتقل بعدها الى لندن .

(١٨٦) «وثائق وزارة الخارجية الروسية» ، المجلد السابع ، الوثيقة رقم ١٦٨ ، المجلد الثامن ، موسكو ، ١٩٧٢ ، ص ٣٧٠ ، المجلد التاسع (تشرين الثاني ١٨١٥ - ايلول ١٨١٧) ، موسكو ، ١٩٧٤ ، ص ١٤٧ - ١٤٩ ، الوثيقة رقم ٤٨ ، ص ٦٩٣ - ٦٩٤ ، الملاحظة رقم ٥٨ ؛ دكتور علي بينا ، تاريخ سياسي - دبلوماسي ايران ، جلد اول ، ص ١٨١ - ١٨٢ .

(١٨٧) «وثائق وزارة الخارجية الروسية» ، المجلد العاشر ، ص ١٨٨ ، الوثيقة رقم ٥٦ .

(١٨٨) المصدر نفسه ، المجلد الثامن ، ص ٥٤١ - ٥٤٧ ، الوثيقة رقم ٢٤٨ .

(١٨٩) دكتور علي بينا ، تاريخ سياسي ودبلوماسي ايران ، جلد اول ، ص ١٩٢ - ١٩٣ .

الشمال الشرقي من خراسان ايام اندحار القوات الايرانية في اسلاندوز، والتي اشتدت اكثر بعد التوقيع على «معاهدة كلستان»، حتى ان انتفاضة عشائر خراسان استمرت لمدة تجاوزت عقدا واحدة من الزمن (من العام ١٨١٣ حتى العام ١٨٢٤). وامتدت اثار هذه الانتفاضات الى العلاقات التجارية القائمة بين الصين وايران التي اصيبت بنكسة خطيرة^(١٩٠).

حاول البريطانيون استغلال الاثار السلبية التي تركتها بنود «معاهدة كلستان» في نفوس الايرانيين من اجل تثبيت مواقع اقدامهم. فلم تمر سوى سنة وشهر واحد على عقد كلستان حتى جرى التوقيع على معاهدة جديدة بين لندن وطهران (في ٢٥ تشرين الاول ١٨٢٤)، الزمت موادها الاحدى عشرة ايران بان تلغي جميع علاقاتها مع اي دولة اوروبية معادية لانكلترا، وحرمتها من حق السماح لجيش دولة ما باستخدام اراضيها ضد الهند. وبموجب احد بنود المعاهدة الجديدة تعهدت ايران بان تسدي المساعدة للبريطانيين في حالة هجوم الافغان على الهند. وبالمقابل تعهدت انكلترا بأن تقدم المساعدة العسكرية لايران في حالة تعرضها لاعتداء دولة اوروبية ما، واذا تعذر ذلك فانها التزمت بأن تقدم لها عونا ماليا سنويا مقداره ٢٠٠ ألف تومان تصرف على حاجات البلاد العسكرية «تحت اشراف السفير البريطاني». وتقرر ايضا ان يقوم العسكريون البريطانيون بتدريب افراد الجيش الايراني. وبموجب البند الثالث من المعاهدة تعهدت لندن بأن تبذل كل مافي وسعها لاقناع بطرسبورغ بأن تعيد النظر في مواد «معاهدة كلستان»، وتعيد لايران المناطق التي استحوذت عليها نتيجة حرب ١٨٠٤ - ١٨١٣^(١٩١).

وقد بذل البريطانيون بالفعل جهودا كبيرة بالنسبة للموضوع الاخير الذي كان يتوافق كليا مع مصالحهم الخاصة في المنطقة، حتى ان الحكومة البريطانية حاولت مرارا فرض وساصها بضدد المناطق التي كانت ايران تطالب باستعادتها، مما اثار قلقا واضحا بين الاوساط الحاكمة الروسية التي وقفت بالمرصاد لمناورات لندن، ومتابعتها الدقيقة لكل مايتعلق بالعلاقات بين طهران وبترسبورغ^(١٩٢). وعندما تمادت لندن في ضغطها على بطرسبورغ بضدد «التوسط» بين ايران وروسيا، جاء رد

(١٩٠) للتفصيل راجع نفس المصدر، ص ١٨٣ - ١٨٥.

(191) P. Sykes, A history of Persia, Vol. II, 3d ed., London, 1930, PP. 309 - 310; M.S. Ivanov, Ochirk..., P. 136.

(١٩٢) للتفصيل راجع:

«وثائق وزارة الخارجية الروسية»، المجلد التاسع، ص ١٤٦ - ١٤٧، ١٤٩، ٢٥١ - ٢٥٤، ٦٩٤، الوثيقتان ٤٨ و ٨٣ والملاحظة رقم ٥٨.

الحكومة الروسية قاطعا على لسان وزير الخارجية نسلرود عندما أخبر نظيره كاسلريه في ٧ آب ١٨١٩ «ان القيصر يفضل المفاوضات المباشرة بين ايران وروسيا على توسط الغير في مثل هذه الامور»^(١٩٣).
في كل الاحوال لم يلعب الموقف البريطاني الدور الاخير لمهيد الطريق لوفوع حرب جديدة بين ايران وروسيا.

الطريق الى حرب جديدة:

كان حكام ايران لايميلون، رغم هزائمهم المستمرة في حرب ١٨٠٤ - ١٨١٣، الى انتهاء حربهم مع روسيا، الا ان ظروف دولية خاصة هي التي اجبرتهم اخيرا على الرضوخ للامر الواقع، فوقعوا «معاهدة كلستان» على مضض منهم. لذا كان متوقعا ان تتحول فترة مابعد كلستان الى مرحلة الاعداد لحرب جديدة ضد روسيا. فقد ازداد اهتمام عباس مرزا بتطوير الجيش اكثر من السابق، فاقام في تبريز ورشة خاصة لانتاج المدافع اولاهما جانبا كبيرا من اهتمامه ورعايته^(١٩٤). واستمرت الاستعدادات العسكرية الايرانية بصورة جلبت انظار المراقبين الروس بعد فترة وجيزة من عقد «معاهدة كلستان». ففي غضون شهر ونيف فقط من بداية عام ١٨١٦، بعث القائد العام للبيد القوات الروسية في جورجيا أ. ب. يرهالوف^(١٩٥) مذكرتين سريتين الى اسكندر الاول شخصيا، يخبره فيهما عن الاستعدادات المتزايدة للايرانيين «من اجل الاعداد لحرب جديدة ضد روسيا»، وفي الحالتين اشار الجنرال الى تشجيع البريطانيين لهم في ذلك^(١٩٦).

وفي الوقت نفسه كان الايرانيون يحاولون التملص الى اقصى حد ممكن عن تنفيذ التزاماتهم بموجب بنود «معاهدة كلستان»، خصوصا فيما يخص اعادة الاسرى الروس، والسماح للاسر الحدودية الراغبة في الانتقال الى داخل الحدود الجديدة لروسيا، ووضع القوائم الخاصة بالحدود بين الدولتين حسب منطوق المادة الثانية من

(١٩٣) المصدر نفسه، المجلد الحادي عشر (ايار ١٨١٩ - شباط ١٨٢١)، موسكو، ١٩٧٩، ص ٨ - ١٠، الوثيقة رقم ١.

(١٩٤) بروفيسور. مينورسكي، تاريخ تبريز، ترجمة وتحشية عبدالعلي كارنك، تهران، ١٣٣٧ ص ٦٨.

(١٩٥) الكسي بيتر وفيتش يرمالوف (A.P. Yermalov)، جنرال مدفعي، أصبح قائدا عاما للجيش في جورجيا في الفترة من عام ١٨١٦ حتى عام ١٨٢٧.

(١٩٦) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، المجلد التاسع، ص ٣٩٨، ٥٠٢.

المعاهدة^(١٩٧). ومن المفيد ان نشير بالنسبة للنقطة الاخيرة الى ان عباس مرزا عين احد الضباط البريطانيين العاملين لدى «شركة الهند الشرقية» ليمثل ايران في اللجنة التي عهدت اليها مهمة وضع القوائم المذكورة، الامر الذي وافقت عليه بطرسبورغ شرط «ان يعامل كموظف لدى الشاه»^(١٩٨).

ولقد بلغ الخلاف بين الطرفين حول هذه الامور حد ان طلب وزير الخارجية نسلرود من الجنرال يرمالوف بتاريخ ٣٠ كانون الاول ١٨١٩ ان يخبر بلاط الشاه عن موقف عباس مرزا المعادي، وتهربه من تطبيق بنود معاهدة كلستان. قد يجبر الامبراطور اسكندر الاول على اعادة النظر في امر الاعتراف به وليا للعهد على العرش الايراني^(١٩٩).

وفي هذه الفترة جرى تبادل عدد من الوفود بين طهران وبيطرسبورغ لنتباحث من اجل حل المشاكل المتعلقة بين الطرفين. ففي اواسط عام ١٨١٧ اوفد الروس الجنرال يرمالوف سفيراً فوق العادة الى ايران (وصل طهران يوم ٢ حزيران) حيث قضى خمسة اشهر هناك يتفاوض مع كبار المسؤولين في العاصمة وتبريز دون ان يحقق ادنى نجاح دبلوماسي^(٢٠٠) حسب تأكيد المؤرخين الايرانيين^(٢٠١)، الامر الذي تربطه وثائق الخارجية الروسية بطلبات حكام ايران التعجيزية التي اثاروها منذ اول اجتماع عقده معهم الجنرال يرمالوف، وكذلك بمناورات البريطانيين الذين تابعوا بعثة يرمالوف خطوة فخطوة. وفي الواقع لم تكن طلبات المبعوث الروسي اقل تعقيداً من طلبات الطرف المقابل، فانه اراد تحريض ايران ضد الدولة العثمانية، واقناع الشاه لارسال قواته الى خوارزم^(٢٠٢). ولم يحقق الطبيب سميون مازاروفيتش (S.I. Mazarowich)، الذي عين عام ١٨١٨ اول سفير روسي ثابت لدى طهران، نجاحاً اذبر من سلفه الجنرال يرمالوف.

ولم يقف الروس من جانبهم مكتوفي الايدي، بل كانوا يتحينون الفرص من اجل

(١٩٧) المصدر نفسه، المجلد العاشر، ص ١٨٩، الوثيقة رقم ٥٦، المجلد الحادي عشر، ص ٢١١، ٢١٤، الوثيقة رقم ٧٤.

(١٩٨) المصدر نفسه، المجلد العاشر، ص ٣٦، ٢٤٢.

(١٩٩) المصدر نفسه، المجلد الحادي عشر، ص ٢٠٤.

(٢٠٠) دكتور علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١٩٢.

(٢٠١) للتفصيل عن بعثة الجنرال يرمالوف راجع:

«وثائق وزارة الخارجية الروسية»، المجلد التاسع، ص ٢٥١ - ٢٥٤، الوثيقة رقم ٨٣، المجلد العاشر، ص ٣٦، ١٩٠، ٢٥٢ - ٢٥٥، الوثيقة رقم ٧٦ وغيرها؛ دكتور علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١٩١ - ١٩٢.

بمد حدودهم مع ايران لتصل الى نهر اراس ، كما كانوا يبذلون الجهد من اجل تغلغل سياسي واقتصادي واسع في مختلف مرافقها . ولتحقيق ذلك لجأوا في فترة مابعد كلستان الى اساليب جديدة في العمل . فقد كسبوا عددا من العملاء بين الفرس انفسهم ، بدأوا يعملون لحسابهم ، يوصلون اليهم ادق التفاصيل عن اهم احداث ايران التي تابعوا دراسة اوضاعها من جميع الواجه بنشاط اكبر من السابق^(٢٠٢) . وبشتى الاساليب حاول الروس التغلغل في البلاط الايراني نفسه ، وكسب الامراء القاجاريين الى جانبهم ، وتغذية الخلافات بينهم . وقد تمكنوا في تلك الفترة بالفعل من ان يكسبوا محمد علي مرزا « الابن الاكبر للشاه الذي يقف على رأس حزب قوي للغاية يضم معظم الاسر الايرانية المعروفة والعريقة » حسب وصف وثيقة سرية رفعت عنه خصيصا الى شخص وزير الخارجية نسلرود بتاريخ ٦ كانون الاول ١٨١٧ . وكان محمد علي مرزا ، المعروف بنشاطه الجرمي ، يطمع في ان يخلف والده في العرش ، وقد بعث بمندوب خاص عنه الى بطرسبورغ بصورة سرية^(٢٠٣) . وحاول الروس ايضا التقرب من شخص فتح علي شاه ، وكسب عباس مرزا . فقد لبوا طلبات الاول منهما ، واوصوا عددا من معاملهم ان يصنعوا له خصيصا مرآة ، وكل ما طلب من الاواني الخزفية والكريستال التي قدمت له هدية من اسكندر الاول في تشرين الاول سنة ١٨٢٠^(٢٠٤) .

وفي الوقت نفسه عمل الروس بنشاط من اجل التغلغل في صفوف العشائر الايرانية المعارضة للقاجاريين . وفي هذا الميدان اولوا التركمان اهتماما خاصا ، فحاولوا استغلال استيائهم الكبير ، وثوراتهم المستمرة ، فاقاموا معهم اتصالات مباشرة ، وزودوهم بالاسلحة ، بما فيها المدافع التي ارسلا ضباطهم لتدريبهم على استخدامها . وكان الروس يبتغون من كل ذلك « الاستعداد لاي حرب قد تقع بين ايران وروسيا » ، كما ورد في احدى وثائقهم الخاصة بتعاونهم مع التركمان^(٢٠٥) . واستغلت روسيا الحرب الجديدة التي اندلعت نيرانها عام ١٨٢١ بين تركيا

(٢٠٢) « وثائق وزارة الخارجية الروسية » ، المجلد الثامن ، ص ٥٤١ - ٥٤٧ ، الوثيقة رقم ٢٤٨ ، المجلد العاشر ، ص ٢٧ ، ٦٩ ، ٢٢١ - ٢٢٩ وغيرها .

(٢٠٣) المصدر نفسه ، المجلد العاشر ، ص ٦٩ ، المجلد الثاني عشر ، ص ٦٨٤ ، الملاحظة رقم ١٨٩ .

(٢٠٤) المصدر نفسه ، المجلد العاشر ، ص ٢٢١ ، ٢٢٨ - ٢٢٩ ، الوثيقة رقم ٦٧ ، المجلد الحادي عشر ، ص ٦٠٣ ، ٦٠٦ ، ٧٩٨ ، الوثيقة رقم ١٩٠ والملاحظة رقم ٢٥٧ .

(٢٠٥) نفس المصدر ، المجلد التاسع ، ص ٣٩٣ ، المجلد الحادي عشر ، ص ٤١ .

وايران، فاحتلت قواتها جزءا من المنطقة الممتدة بين يريفان وبحيرة كوكجه التي كانت تعتبرها ضمن ما التزمت ايران بالتنازل عنها بموجب بنود «معاهدة كنستان»^(٢٠٦). ولقد نجمت عن ذلك ازمة استفحل امرها على مدى نصف عقد لاحق، رافقها تبادل العديد من الوفود، والاتصال المباشر دون نتيجة^(٢٠٦). ففي شباط ١٨٢٥ جرى لقاء بين عباس مرزا والجنرال يرمالوف، اتبعه اتفاق وقع عليه ممثلا الطرفين في تبليس في الشهر التالي. ولكن لم تمر سوى فترة وجيزة حتى انفجرت الازمة من جديد اثر قيام قوة روسية قوامها ١٨٠٠ رجل، واربعة مدافع، باحتلال كوكجه. وفي ١٩ تشرين الاول من العام نفسه احتلت قوة روسية اخرى بالغ لوالتي اضطرت الى تركها تحت ضغط رجال حاكم يريفان. وبعد شهر واحد وصل تبليس وفد ايراني جديد دون ان يحقق شيئا، مع انه امضى هناك مدة شهرين كاملين يجري خلالهما الاتصالات مع المسؤولين الروس.

وعندما توترت علاقات الدولتين الى هذا الحد تقرر مناقشة الموضوع على مستوى ارفع. فحضر كل من فتح علي شاه وعباس مرزا ووكيل السفير البريطاني هنري ويلولك (H. Willolk) عن الجانب الايراني، والامير مينتشيكوف (Menechikoff) عن الجانب الروسي في السلطانية، حيث اجري الاخير ان مفاوضات مباشرة دون ان يتوصلا الى نتيجة، ففي ٢١ تموز ١٨٢٦ ترك الشاه وولي العهد السلطانية التي غادرها كل من مينتشيكوف وويلولك بعد خمسة ايام فقط^(٢٠٧).

وهكذا اصبحت الحرب من جديد وشيكة الوقوع بين ايران وروسيا، وقد ساعدت في تعجيلها ثلاثة عناصر جديدة. فرغم محاولات بطرسبورغ لكسب ولي العهد الايراني عباس مرزا الى جانبه، الا انه تمادى في تصلبه تجاه روسيا التي كان متعطشا للخوض في حرب جديدة ضدها، ارادها وسيلة لغسل عار هزيمه حرب ١٨٠٤ - ١٨١٣ التي كان الجميع يعتبرونه المسؤول الاول عنها. ومما دفعه اكثر الى التشدد انه بعد وفاة شقيقه الاكبر، والمتنفذ محمد علي مرزا لم يعد احد منافسه في عرش والده، الامر الذي جعله في غنى عن مساندة روسيا له لتبوء العرش، كما حصل على ذلك أحد بنود «معاهدة كلستان».

(٢٠٦) للتفصيل عن ابعاد الازمة الجديدة ونتائجها راجع:

دكتور علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ٢٠٢ - ٢٠٥؛

P. Sykes, Op. Cit., P. 317.

(٢٠٧) للتفصيل راجع: دكتور علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ٢٠٢ -

اما العنصر الثاني فكان يتعلق بنجاح البريطانيين في نقل الخلاف الايراني الروسي الى المحفل الدولي بصورة لم يسبق لها مثيل . فقد تعرضت حكومة القيصر الى حملة انتقاد واسعة من جانب الصحافة الغربية بسبب سياستها تجاه ايران ، الموضوع الذي تناوله ايضا العديد من الشخصيات العالمية المعروفة ، كما عرض على بساط البحث في مؤتمر اخن الدولي . وبذلت استانبول بدورها جهودا واسعة لتأجيج نار الخلاف بين طهران وبطرسبورغ ، مما استدعى توجيه انذار من اسكندر الاول الى السلطان بتاريخ ١٧ آذار ١٨٢٦^(٢٠٨) . ومن المفيد ان نشير هنا الى ان لندن اقدمت في هذه اللحظة الحرجة بالذات على تقديم وجبة من المساعدات المالية والعسكرية لطهران ، التي كانت توحى لها ايضا بأن الباب العالي سيقف الى جانبها عسكريا اذا وقعت لها حرب مع الروس .

اما العنصر الثالث فكان يتعلق باضطراب الوضع السياسي الداخلي في روسيا اثر تنازل ولي العهد قسطنطين عن العرش عندما وافى الاجل شقيقه اسكندر الاول يوم ١٩ تشرين الثاني عام ١٨٢٥ ، فقد استغل الديكابريون (الديسمبريون) الوضع ، وفجروا انتفاضة مسلحة في العاصمة بطرسبورغ ، وفي اوكرانيا ، سرعان ما تمكنت قوات القيصر الجديد نيقولا الاول من اخمادها . الا ان عباس مرزا علق ، مع ذلك ، امالا كبيرة على تلك الاحداث التي صورها له البريطانيون على غير حقيقتها ، اذ اكدوا له ان الانتفاضة هزت امكانات روسيا ، وان ارسال الامير مينتشيكوف للتفاوض ليس الا دليلا على ضعف روسيا ، واضطرابها للتراجع امام الايرانيين بسبب اوضاعها الداخلية^(٢٠٩) .

وبحكم هذه العوامل مجتمعة وصلت الامور بين بطرسبورغ وطهران الى طريق مسدود من جميع جهاته ، مما ادى ، في نهاية المطاف ، الى اشتعال نيران حرب جديدة بين ايران وروسيا في اواسط عام ١٨٢٦ .

(٢٠٨) «وثائق وزارة الخارجية الروسية» ، المجلد العاشر ، ص ٢٤٧ - ٢٥٠ ، ٢٥٢ - ٢٥٥ ، ٢٦٥ - ٢٦٨ . الوثائق ٧٤ و ٧٦ و ٨٣ :

B.P. Balayan, Mejdunarodnaya otnoshenia Irana v 1813 - 1828, Erevan, 1967, P. 131 - 132.

ف. ب. بالايان ، العلاقات الدولية لايران في ١٨١٣ - ١٨٢٨ ، باللغة الروسية ، يريفان ، ١٩٦٧ ، ص ١٣١ - ١٣٢ .

(209) Ibid, P. 12; W. Allen and P. Muratoff, Op. Cit., P. 20

حرب ١٨٢٦ - ١٨٢٨ :

اراد عباس مرزا ان يتفادى اخطاء حربه الاولى مع الروس ، فبدأ يهيء الاذهان ، ويشير العواطف ، ويضع الخطط لحربه الجديدة . فقد امر الشاه بان تطبع رسالة خاصة بالفارسية عن الجهاد واحكامه ، وفوائده نشر باسم «رسالة جهادية» (رسالة الجهاد)^(٢١٠) . كما حاول الايزانيون الاستفادة الى اقصى مايمكن من زعماء القفقاس المستائين لاسباب مختلفة من الروس ، منهم اسكندر مرزا الذي كان ينتمي الى اسرة هيراكلي الجورجية ، ومصطفى خان الشيرواني ، ومحمد حسين خان الشكي ، ومير حسن خان الطالشي الذين حضر معظمهم الى تبريز ، وتحولوا الى اشبه مايكونون بمستشارين لعباس مرزا ، فلعبوا «دورا مفيدا ومؤثرا للغاية» حسب تأكيد التقارير البريطانية . ووعد الايرانيون كبار الاقطاعيين والتجار الارمن والجورجيين باحترام مصالحهم ، وعدم المساس بها^(٢١١) .

تؤكد المواد الارشيفية السرية ان الشاه وولي عهده خططوا للحرب الجديدة قبل وقوعها بفترة طويلة ، بل في وقت كانت تجري فيه المفاوضات بين الطرفين على اعلى المستويات . ففي اواخر اذار عام ١٨٢٥ ، عندما كان مبعوث عباس مرزا يجري مفاوضات مباشرة مع الجنرال إيرمالوف ، عقد هوفي تبريز اجتماعا سريا اصر فيه على ضرورة اعلان الحرب ضد روسيا . وانباء اجتماع السلطانية الانف الذكر عقد فتح علي شاه ليلة ٢٦ حزيران ١٨٢٦ اجتماعا سريا اتخذ فيه قراره النهائي بصدد الدخول في حرب جديدة مع روسيا ، الامر الذي ادى الى فشل محاولة السلطانية السلمية بالصورة التي ذكرناها .

استهدفت الخطة الاستراتيجية الايرانية ، التي اشترك الضباط البريطانيون في وضعها ، الهجوم المباغت على اراضي ارمينيا الشرقية ، واذريجان الشمالية ، وجورجيا ، على ان تبدأ مرحلتها الاولى بهجوم قوات عباس مرزا باتجاه قره باغ بهدف احتلال شوش وكنجة ، يرافقه هجومان موازيان ، الاول من جانب سردار يريفان حسين قلي خان الى قومي في ارمينيا^(٢١٢) ، والثاني على طالش من قبل القوات الخيالة التي ركزت في اردبيل واغار . بعد ذلك تبدأ المرحلة الثانية بهجوم مشترك لهذه القوات على تبليس^(٢١٣) .

وحسب الخطة نفسها كان على القيادة الايرانية تجنب الخوض في معارك حاسمة

(٢١٠) سعد ميسي . تاريخ اجتماعي وسياسي ايران ٦ در دوره معاصر ، ص ٨١ .

(٢١١) دكتور علي بنا ، تاريخ سياسي ودبلوماسي ايران ، جلد اول ، ص ٢١٦ - ٢١٧ ؛

B.P. Balayan, Op. Cit., P. 129.

(213) B.P. Balayan Op. Cit., P. 144.

(٢١٢) تسمى حاليا لينينكان .

قبل التأكد التام من النصر، واستغلال التفوق العددي للجيش الإيراني الى أقصى حد، فقد بلغ تعداد الجيش الذي حشده عباس مرزا ٦٠ ألف رجل، فيما لم يتجاوز عدد القوات التي حشدتها روسيا لمجابهة الهجوم خلال المرحلة الاولى من الحرب نصف هذا العدد. وفي حالة فشل الجيش الإيراني في تحقيق مهماته كان عليه، حسب الخطة، ان يقوم بتدمير مناطق القفقاس قبل الانسحاب منها^(٢١٤).

بدأت الحرب يوم ١٦ تموز ١٨٢٦ بهجوم مباغت لسردار يريفان على باش اباران واحتلالها. ثم باشر الجيش الرئيسي هجومه بالتوجه نحو نهر اراس، لتبدأ بذلك المرحلة الاولى من الحرب التي حققت فيها القوات الإيرانية سلسلة من الانتصارات المتوالية. فقد اضطر الروس الى الانسحاب من ميناء لنكران، تاركين وراءهم ستة مدافع، وكميات أخرى من الاسلحة والذخائر. وفي قره باغ فقد الروس ٢٥٠ قتيلًا، و ٧٥٠ أسيرًا. وفي ٢٧ تموز استسلمت قوة روسية في منطقة خنزيرك لقوة إيرانية يقودها ابن الشاه اسماعيل مرزا. كما اضطر الروس للانسحاب الى تبليس من كنجنه وشيرون، ومناطق قفقاسية أخرى^(٢١٥).

بعد هذه الانتصارات التي حققها الجيش الإيراني في غضون الاسابيع الثلاثة الاولى من الحرب، جاء دور قلعة شوش ذات الموقع الاستراتيجي المهم، فتوجه اليها عباس مرزا بنفسه على رأس قوات قوامها حوالي ٣٠ ألف رجل (٢٠ ألف مشاة و ١٠ آلاف خيال)، يساندتهم عشرون مدفعًا، وفرض عليها من يوم ٢٥ تموز حصارًا دام لمدة ٤٨ يومًا، ابدى الجنود الروس خلالها مقاومة ضارية للقوات الإيرانية حالت دون ان تستسلم لها، مع ان قائدها منحهم ستة ايام فقط لالقاء السلاح. ان فشل الإيرانيين في الاستيلاء على شوش منح قائد الجيش الروسي في القفقاس الجنرال باسكوفيتش (Paskovich) فرصة ممتازة لجمع شمل قواته المتفرقة التي بدأت بالهجوم المضاد اعتبارًا من ٣ أيلول، لتبدأ بذلك مرحلة جديدة في الحرب جلبت هزائم متلاحقة للقوات الإيرانية التي تلقت اول ضربة كبيرة على ايدي القوات الروسية في شمخور، قرب كنجة، يوم ١٧ ايلول عندما وقعت معركة كبيرة هناك انهزم على اثرها الإيرانيون رغم تفوقهم العددي الكبير، وقيادتهم من قبل محمد مرزا نجل ولي

* (214) Ibid, PP. 128 - 129

(٢١٥) عن العمليات العسكرية في حرب ١٨٢٦ - ١٨٢٨ راجع:
جهانكير مرزا، تاريخ نو (شامل حوادث دوره قاجاريه)، تهران، ١٣٢٧، ص ٢٥ - ١١٥؛ دكتور علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ٢١٦ - ٢٢٩؛

P Sykes, Op. Cit., PP. 317 - 320; W Allen and P. Muratoff, Op. Cit., PP. 20 - 21.

العهد^(٢١٦)، الذي وقع في الاسر، ونجا منه باعجوبة.

واتر هزيمة شمخوردب الذعر في صفوف القوات الايرانية في كنج، فانسحب منها قائدها علي خان مرند على جناح السرعة، وقبل ان يتخذ الاجراءات الضرورية للحيلولة دون استفادة المهاجمين من الذخائر المخزونة داخل المدينة، مما اثار غضب عباس مرزا، فامر بقتله رميا بالرصاص، مع العلم ان عباس مرزا نفسه لم يتخذ موقفا افضل من موقف علي خان عندما اضطر بدوره للانسحاب من منطقة شوش في اواخر الشهر نفسه اثر ما لحقت به من هزيمة نكراء على ايدي القوات الروسية، فاضطر رجاله الى ترك اسلحتهم، والانسحاب بصورة غير منظمة باتجاه نهر اراس، وبسرعة قياسية بلغت في بعض الحالات ١٥٠ ميلا في غضون ٢٤ ساعة فقط^(٢١٧)، ولم يتوقف هو الا في مدينة اسلاندوز. وبعد عشرة ايام عقد فتح علي شاه اجتماعا موسعا حضره عباس مرزا، وكبار القادة العسكريين الذين ارتأوا اقامة خط دفاعي جديد بموازية نهر اراس. وبعد ذلك عاد عباس مرزا الى مقر عمله في تبريز بعد ان فقدت قواته من جديد باكو وكوبا ولنكران وغيرها من المناطق التي احتلتها قبل الثالث من ايلول.

أجبرت ضربات الجيش الروسي عباس مرزا على التراجع، فبعث داود خان مندوبا عنه الى بطرسبورغ، الا ان الجنرال باسكوفيتش منعه من المرور بمناطق القفقاس، فتوسط عباس مرزا لدى النمساويين، وبعث رسالة خاصة الى مترنيخ يطلب منه العمل من اجل السماح لداود خان بالذهاب الى بطرسبورغ عن طريق استانبول. وعندما لم تسفر هذه المحاولة عن نتيجة ايضا، ذهب داود خان الى بولونيا، ومن هناك اتصل بوزير الخارجية الروسي نسلرود الذي جاء رده سريعا ومقتضبا، بان

«لاداعي لزيارة داود خان الى بطرسبورغ»^(٢١٨)

عاد داود خان ادراجه الى ايران في اواخر كانون الاول سنة ١٨٢٦. حينذاك وسط فتح علي شاه البريطانيين ليقنعوا الروس بان يسمحوا لمبعوث اخر، هو مرزا محمد علي، بالذهاب الى بطرسبورغ عن طريق القفقاس. ولاظهار حسن النية أمر الشاه باطلاق سراح ٣٠٠ من الاسرى الروس الذين ارسلوا برفقة مرزا محمد علي الى منطقة الحدود حيث جرى تسليمهم للقيادة الروسية التي سمحت للمبعوث الايراني

(٢١٦) خلف جده فتح علي شاه في العرش، ليصبح بذلك ثالث ملك قاجاري يحكم ايران.
(217) P. Sykes, Op. Cit., P. 318.

(٢١٨) دكتور علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ٢٢٦ - ٢٢٧.

ان يذهب الى تبليس للتفاوض معه . وبعد مداوولات جرت مع مرزا محمد علي وافقت القيادة الروسية في اذار ١٨٢٧ على عقد معاهدة للصالح حسب الشروط التالية :

- ١- ان توافق ايران على عقد هدنة امدها خمسة اسابيع .
 - ٢- ان تتنازل ايران لروسيا عن جميع المناطق التي تمتد الى الشمال من نهر اراس .
 - ٣- ان تدفع طهران لبطرسبورغ تعويضا حربيا مقداره ٧٠٠ ألف تومان^(٢١٩) .
- وبما ان مرزا محمد لم يكن مخولا للموافقة على مثل هذه الشروط ، فان مهمته قد انتهت بالفشل ، اذ بين له الروس انه لا يوجد لدى بطرسبورغ شيء آخر غير ما عرض عليه ، لذا لا يمكن السماح له ، اول غيره من الايرانيين ، بالسفر الى العاصمة . حسب تعليمات الخارجية . بل انهم رفضوا اقتراحا للمبعوث الايراني يقضي بالافراج عن ٣٠٠ من الاسرى الايرانيين كأجراء مقابل لما أقدمت عليه طهران^(٢٢٠) .
- وفي الوقت نفسه توالى انتصارات القوات الروسية على القوات الايرانية في ميادين القتال بعد ان دب فتور نسبي في العمليات العسكرية بسبب حلول فصل الشتاء . ففي بداية ربيع ١٨٢٧ تقدمت القوات الروسية داخل اراضي ارمينيا ، وحاصرت قلعة سردار آباد قرب يريفان . كما تقدمت قوة اخرى قوامها ٧ آلاف من المشاة ، و ٣ آلاف من الخيالة ، عبر وادي اراس باتجاه المقر الديني الارمني اجمادزين في ضواحي يريفان ، واحتلته . ثم جاء دور قلعة عباس آباد التي بذل الايرانيون جهودا كبيرة لوقف الزحف الروسي عندها ، فوجهوا امدادات جديدة اليها ، بحيث بلغ تعداد القوة المدافعة عنها حوالي ٢٥ ألف مسلح^(٢٢١) ، هزموا شر هزيمة ، ومرة اخرى كاد عباس مرزا ان يقع في اسر القوات المهاجمة التي دخلت عباس آباد يوم ٢٢ تموز عام ١٨٢٧ .

بعد الاندحار الفظيع الذي منيت به القوات الايرانية في معركة عباس آباد ، اقتنع ولي العهد من جديد بأن لا مفر من اللجوء الى المفاوضات بصورة جدية ، فبعث مرزا صالح ، احد الشبان الايرانيين الذين درسوا في لندن^(٢٢٢) ، الى مقر القيادة الروسية ،

(٢١٩) نفس المصدر، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٢٢٠) نفس المصدر، ص ٢٣٠ .

(٢٢١) تقدر بعض المصادر تعداد القوة المدافعة عن عباس آباد بأربعين ألف رجل (راجع : شاهين مكاربوس ، تاريخ ايران الحديث ، القاهرة ، ١٨٩٨ ، ص ٢٣٨) .

(٢٢٢) في العام ١٨١٥ بعث عباس مرزا خمسة من الشبان للدراسة في انكلترا ، امضوا فيها أربع سنوات

حاملا معه رسالة توصية من السفير البريطاني في ايران . ولكن لم تؤد مداولات الطرفين الى نتيجة ، فتقرر ان يذهب كريبايدوف (Gribayadoff) ممثلا عن الجنرال باسكوفيتش للتفاوض مع عباس مرزا حول الصلح . وقد اعاد كريبايدوف على اسماع ولي العهد ، الشروط السابقة نفسها التي عرضها الروس على الايرانيين في اذار ١٨٢٧ .

عاد المبعوث الروسي الى تبليس دون نتيجة ، لتستمر العمليات العسكرية بعد ذلك ، وليستمر معها الاندحار لتلو الاندحار للقوات الايرانية التي غدت في وضع مزر ، خصوصا وان فتح علي شاه كان يبخل عليها حتى بالنزر اليسير ، بل انه تركها وشأنها في أخرج ايام الحرب الحاسمة عندما ذهب ، في اواسط عام ١٨٢٧ ، الى السلطانية قرب الجبهة لرفع معنويات افرادها ، اذ ما أن أحس بحرجة موقفها حتى عاد ادراجه الى عاصمة ملكه يوم ١٣ تشرين الاول من العام نفسه ، هذه المواقف التي يصممها المؤرخون الايرانيون بالخيانة^(٢٢٣) . ولم يكن موقف اشقاء عباس مرزا افضل من موقف والدهم من الجيش والحرب . فانهم كانوا يتمنون في اعماقهم الهزيمة لشقيقهم المتميز عنهم ، فامتنع الولاة منهم عن تزويد قواته بالرجال والمؤن^(٢٢٤) ، مع انها كانت بامس الحاجة لكليهما اثر انقطاع موارد المناطق المحتلة من قبل الروس ، وبسبب الخراب الذي حل باذربيجان بسبب انفصال عدد كبير من خيرة قواها البشرية عن العمل والانتاج .

وبسبب السياسة التقليدية للقاجاريين اتخذ ابناء الشعوب غير الفارسية ، كالسابق ، موقفا سلبيا للغاية من أحداث الحرب الجارية . فان الارمن تعاونوا مع الروس باخلاص ، بل تطوع عدد غير قليل منهم ، وحملوا السلاح ، وحاربوا الايرانيين جنبا الى جنب مع الروس ، في وقت كان عباس مرزا يضع الخطط ، وبالتعاون مع البريطانيين ، لتهجيرهم من وطنهم الى ما وراء نهر اراس . ومما له مغزاه الكبير ان هذه الظاهرة لم تقتصر على شعوب القفقاس المسيحية ، بل انها انتقلت بالقوة نفسها الى صفوف المسلمين هناك ، ومنذ بداية الحرب . يقول الدكتور علي بينا بهذا الصدد مانصه :

«وعندما تقدمت القوات الايرانية في هذه الاصقاع ، فانها زاولت القتل والاعتداء والسلب والنهب بالنسبة للسكان ، مما اثار حفيظتهم الى درجة انهم في بعض المناطق تأسفوا لانسحاب

(٢٢٣) دكتور علي بينا ، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران ، جلد اول ، ص ٢٣٨ .

(224) P. Sykes, Op. Cit., PP 318 - 319.

القوات الروسية، الامر الذي اخرج موقف الجيش الايراني،
وتحول الى ضربة قوية وجهت الي عباس مرزا»^(٢٢٥).

وحسب مايؤكده المؤرخ نفسه تعاون معظم رؤساء العشائر الاذربيجانية مع
الروس، واقترح سكان مرند عليهم ان يقوموا معا باحتلال تبريز التي «لم يقل استياء
سكانها عن استياء المرنديين»^(٢٢٦). ووردت في مصادر ايرانية اخرى اسماء العديد
من الزعماء الذين انضموا الى جانب الروس، منهم، مثلاً، احسان خان الذي
استولى الروس بمساعدته على قلعة عباس آباد^(٢٢٧).

وبحكم هذه العوامل مجتمعة اصبحت اندحارات الجيش الايراني في المرحلة
الاخيرة من حرب ١٨٢٦ - ١٨٢٨ أكبر، وخسائره أفدح. ففي المعركة الدموية التي
وقعت يوم ٧ آب ١٨٢٧ قرب اوشاكان داخل اراضي ارمينيا، اندحرت القوات
الايرانية، واضطرت للانسحاب الى يريفان التي استسلمت بدورها في ١٥ تشرين
الاول، فاستحق الجنرال باسكوفيتش عن ذلك لقب «دوق يريفان»^(٢٢٨).

وباحتلال يريفان اصبح الطريق مفتوحا امام القوات الروسية الى تبريز، العاصمة
الثانية للقاجاريين، ومقر اقامة ولي العهد. فلقد وجه الروس قوة بقيادة الجنرال
اريسٽوف (Aristoff) لاحتلال المدينة التي تركها حاكمها الله يارخان اصف الدولة بعد
ان رفض سكانها التعاون معه للدفاع عن مدينتهم. وفي ٢٤ تشرين الاول ١٨٢٧
فتحت تبريز ابوابها امام القوات الروسية التي استقبلها، باسم سكان المدينة، وبرفقة
اشرافها المجتهد الشاب، وامام الجمعة مرزا فتاح علمي، ابن المجتهد المعروف
الحاج مرزا يوسف التبريزي^(٢٢٩). واثر سقوط تبريز، والجانب الاكبر من اذربيجان،
مع قسم من اراضي كردستان، بما فيها خوي ومرند ومشكين وميانسه وكرومرود،
والقسم الاعظم من مراغه وخلخال، نقل عباس مرزا مقر قيادته الى بلدة سلماس
الكردية.

بسقوط تبريز اصبح استقلال ايران معرضا لخطر محقق، الامر الذي اجبر عباس
مرزا اخيرا ان يعيد النظر في حساباته بصورة جذرية، فاقنع والده بأن يوافق على

(٢٢٥) دكتور علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ٢٢٢.

(٢٢٦) نفس المصدر، ص ٢٣٨، ٢٤٠.

(٢٢٧) سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران، در دوره معاصر، ص ١٤٦٧، جهانكير
مرزا، تاريخ نو، ص ٨١ - ٨٢.

(228) P. Sykes, Op. Cit., P. 319.

(٢٢٩) بروفيسور و. مينورسكي، تبريز، ترجمة وتحشيه عبدالعلي كارنك، ص ٦٨ - ٦٩.

«History of Persia under Qajar rule», PP. 181 - 182.

الدخول في مفاوضات مباشرة مع الجنرال باسكوفيتش ، وقد بدأت هذه المفاوضات في بلدة أذرشهر يوم ٩ تشرين الثاني . وكان العرض الروسي واضحا ، وسريعا ، ومركزا :

«ن بقي على يريفان ، ونخجوان واوردوباد ، وتتنازل ايران ايضا عن مغان وطالش ، وتوافق على دفع تعويض حربي يربو على خمسة ملايين وربع مليون باون استرليني» .

وعندما رفض فتح علي شاه هذه الشروط بتشجيع من العثمانيين ، لم تتوان القوات الروسية في التقدم من تبريز الى طهران باتجاهين ، الاول الى قافلان كو ، والثاني الى اردبيل حيث استولت على مكتبة صفي الدين الزاخرة باثمن المخطوطات . وعندما بلغ الموقف الروسي هذا الحد من الحزم والخطورة ، جاء دور البريطانيين ليلقوا بكامل ثقلهم في الساحة الايرانية بصورة لم تختلف أبعادها في شيء عن الموقف الذي اتخذوه ايام حرب ١٨٠٤ - ١٨١٣

كان البريطانيون يراقبون احداث حرب ١٨٢٦ - ١٨٢٨ عن كثب منذ لحظة اندلاع نيرانها . فانهم في مرحلتها الاولى لم يتحركوا من مكانهم لانهائها ، او لمجرد التعليق عليها ، مادامت القوات الايرانية تمكنت من دفع الروس بعيدا عن سواحل بحر قزوين ، ومناطق قفقاسية حساسة ، ومادامت الحرب اشغلت روسيا الى حد واضح عن منطقتي البلقان وآسيا الوسطى ، وأجبرتها على التخلي وقتيا عن الحرب مع الباب العالي ، الامور التي كانت تهم لندن يومذاك بصورة جدية . ولكن ما ان بدأ هجوم روسيا المضاد ، وتغير ميزان الحرب لصالحها حتى تتابعته مناورات الدبلوماسية البريطانية من أجل الحيلولة دون تغلغل القوات الروسية المتزايد داخل ايران ، فجرى تبادل عشرات المذكرات بين لندن وبطرسبورغ ، واجتمع شخص وزير الخارجية مرارا بالسفير الروسي في لندن حول الموضوع ، الا ان الموقف الحازم الذي اتخذته القيصر نيقولا الاول لم يفسح المجال للبريطانيين لكي يحققوا ما كانوا يبتغونه من سياستهم ازاء الحرب الايرانية الروسية^(٢٣٠) .

ولكن عندما أصبح استقلال ايران مهددا ، واقترب الخطر من حدود الهند ، تحركت لندن بالاتجاه الذي كان من شأنه اقناع الشاه بانهاء الحرب بالصورة التي ما كانت بطرسبورغ تعترض عليها . فاقترح السفير البريطاني في طهران السرجون

(٢٣٠) للتفصيل حول الموضوع راجع : B.P. Balayan, Op Cit.

مكدونالد التوسط بين الطرفين ، وتعهد بتقديم ٢٠٠ ألف تومان تعويضا لایران التي وافقت على العرض^(٢٣١).

بدأت مفاوضات الصلح في قرية تركمانجای قرب تبريز بين وفدي ایران وروسيا باشتراك البريطانيين ، والتي استغرقت مدة شهرين كاملين بسبب مناورات الشاه الذي كان يأمل في اشتعال نيران حرب جديدة بين بطرسبورغ واستانبول ، وكذلك لان البريطانيين كانوا يرغبون في ان تبقى القوات الروسية مشغولة داخل الاراضي الايرانية اطول فترة ممكنة حتى يتسنى للباب العالي اعداد قواته للحرب المتوقعة بصورة افضل .

اخيرا وقع عباس مرزا باسم ایران ، والجنرال باسكوفيتش باسم روسيا ، على معاهدة الصلح يوم ٢٢ شباط عام ١٨٢٨ ، والتي دخلت التاريخ باسم «معاهدة تركمانجای»^(٢٣٢)

تألف معاهدة الصلح الجديدة بين طهران وبترسبورغ من ست عشرة مادة ، نصت الاولى منها على انتهاء حرب ١٨٢٦ - ١٨٢٨ ، ونصت الثانية منها على ان تحل «معاهدة تركمانجای» محل «معاهدة كلستان» . اما بقية مواد المعاهدة فقد نصت على وضع حدود جديدة بين الدولتين تمر بالاساس عبر نهر اراس ، بمعنى ان ایران تخلت لروسيا عن كل مقاطعاتها غرب قزوین ، وشمال حدودها الحالية معها ، بضمنها خانيات يريفان ونخجوان واوردوباد . وبموجب مادة اخرى من المعاهدة التزمت ایران بدفع عرامة حربية لروسيا مقدارها ٢٠ مليون روبل ذهب . اي ما يعادل حوالي ثلاثة ملايين باون استرليني ، وهو مبلغ ضخم للغاية حسب القوة الشرائية السائدة يومذاك . وافرت المادة الثامنة من تركمانجای ماورد في «معاهدة كلستان» بصدد منح الروس وحدهم حق الاحتفاظ بسفنهم الحربية في مياه قزوین . وبموجب مادة اخرى تقرر اقامة العلاقات الدبلوماسية بين الدوليين على مستوى السفارة ، ومنح الايرانيون الروس حق تأسيس قنصليات لهم حيثما يشاءون ، على ان تتمتع بكامل حماية الحكومة الايرانية . ونصت المادة الثالثة عشرة على بادل الاسرى . والسماح لاي شخص يرغب بالعودة الى موطنه الاصلی .

وفي الوقت نفسه تم التوقيع على ملحق تجاري لمعاهدة تركمانجای ، اقرت بنوده

(٢٣١) دکتر علي بیبا ، تاریخ سیاسی و دیپلوماسی ایران ، جلد اول ، ص ٢٤١

(٢٣٢) عن «معاهدة تركمانجای» راجع :

نفس المصدر ، ص ٢٤٣ - ٢٤٨ ، ٢٥٩ - ٢٦٣ ؛

M S Ivanov, Ochik . , PP 140 - 141, R.K Ramazani, Op Cit., PP 46 - 47; J M upton, Op Cit., P 5

كل ما ورد في «معاهدة كلستان» من امتيازات اقتصادية لروسيا، ومنحتها أخرى جديدة، بضمنها حرية التبادل التجاري بين البلدين، وتحديد الرسوم الكمركية بخمسة بالمئة فقط، واعفاء البضاعة الروسية من الرسوم الداخلية في إيران. ومنح بنده الخامس الرعايا الروس داخل إيران حق شراء، أو استئجار البنايات الخاصة سواء لسكنائهم، أو لتحويلها إلى مخازن يديرونها، وذلك رغم أن القوانين والأعراف المتبعة في إيران كانت تحول دون تملك الأجنيبي للاموال غير المنقولة في كل البلاد. وجردت بنود الملحق الجهات الرسمية الإيرانية من حق النظر في الدعاوى التي تقام ضد المواطنين الروس داخل إيران دون حضور قنصل روسي. والآنكى ان المواطنين الإيرانيين العاملين لدى المؤسسات الروسية داخل إيران أصبحوا يتمتعون بالحق نفسه. وبقي حتى ما هو أسوأ من ذلك، فقد نص البند الثامن من الملحق على أن كل مسؤول إيراني في المقاطعات لا يلتزم بفحوى ما ورد في بنود الملحق يبعد عن وظيفته في الحال ليحل محله شخص آخر.

وهكذا فإن «معاهدة تركمانجاي» تحولت إلى «طوق ثقيل وضع لمدة حوالي قرن في عنق الشعب الإيراني» الذي أصبح استقلاله السياسي «اسما بدون مسمى لغاية انتصار ثورة أكتوبر العظمى عام ١٩١٧» حسب تعبير المؤرخ الإيراني إبراهيم تيموري^(٢٣٣). كما أن المعاهدة لم تضع نهاية رسمية للحروب العلنية بين روسيا وإيران حسب، بل إنها قضت أيضا، وبصورة نهائية، على كل دور للإيرانيين عاملا محركا للسياسة القفقاسية بعد أن ظلوا «يؤلفون، على مدى حوالي ألفي عام، العنصر الأكثر تأثيرا، سياسيا وثقافيا، في تلك المنطقة»^(٢٣٤).

أما الولايات والمآسي والمصاعب الاقتصادية، والاجتماعية، وحتى النفسية التي جلبتها لإيران حروبها مع روسيا فإنها كانت مهولة، خاصة بالنسبة لأذربيجان. وربما يكفي أن نشير بهذا الصدد إلى أن ولي العهد عباس مرزا اضطر للجوء إلى صهر نحفيات أسرته الذهبية التي كانت كلفة صياغتها، وقيمتها الحضارية والفنية، تفوق قيمة معدنها، حتى يستطيع دفع ما ترتب على بلاده من تعويض حربي^(٢٣٥).

لا شك في أن اطماع روسيا البصرية اللامحدودة كانت تؤلف عاملا أساسيا لما وقع من حروب، وسأس بين إيران وروسيا، ولكن لا شك أيضا في أن انتهاج سياسة حصيفة كان من شأنه تجيب إيران الكثير من الولايات، والخسائر حتى في الأرض، على ما نعتقد. وفي كل الأحوال لا يتعدى ذلك كونه حقيقة عامة، لا خاصة.

(٢٣٣) إبراهيم تيموري، عصرى خبرى یا تاریخ امتیازات در ایران، تهران، ١٣٣٢، ص ٢٣٩

(234) W. Allen and P. Muratoff, Op. Cit., P. 21

(235) M.S. Ivanov, Ochirk , P. 145.

الموضوع الثاني

مذبحاة السفارة الروسية
في طهران

أدت الحروب الايرانية الروسية^(١)، ولاسيما حربا ١٨٠٤ - ١٨١٣ و ١٨٢٦ - ١٨٢٨ ، الى نتائج اقتصادية واجتماعية وسياسية ونفسية وخيمة بالنسبة لايران ، لم تكن مهياة لتحمل اعبائها . وقد وقع الجانب الاكبر من ثقل هذه الحروب على كاهل الجماهير الايرانية المتممة الى الفئات الاجتماعية الوسطى والدنيا . ومما زاد من تأثير ذلك على الناس ان حكومة فتح علي شاه لجأت لى فرض ضرائب ، ورسوم جديدة حتى تتمكن من ان تدفع لروسيا التعويضات المالية الكبيرة التي فرضت عليها بموجب احد بنود «معاهدة تركمانجاي» للعام ١٨٢٨ ، الامر الذي ادى الى تفاقم استياء الاوساط الفقيرة الواسعة في البلاد كلها . فشهدت ايران على مدى عقود اتبعت آخر حرب لها مع روسيا ، احداثا وانتفاضات وتمردات كثيرة ، اتخذت طابعا خطيرا في كل من اذربيجان وكردستان وكرمان^(٢) .

وفي الوقت نفسه تراكم الحقد في نفوس الايرانيين ضد روسيا القيصرية ، خاصة وان الجهات الحاكمة ، وبعض الاوساط المتنفذة الايرانية كانت تحاول باساليب شتى ابعاد نقمة الجماهير عن نفسها ، وايجاد متنفس لتلك النقمة عن طريق اذكاء نار الحقد ضد روسيا ، والقاء تبعات مآسي ايران كلها على عاتقها . كما ان حكومة بطرسبورغ كانت بدورها متعنتة في موقفها تجاه ايران ، وتصرفت معها كأي دولة كولونيالية ، الامور التي أدت الى وقوع مذبحه لاعضاء السفارة الروسية بطهران في مطلع العام ١٨٢٩ ، كان من بين ضحاياها احد كبار الادباء الروس ، هو غريبيدوف الذي تسميه «دائرة المعارف السوفيتية الكبرى» «الكاتب الدرامي ، والشاعر الروسي العظيم ، والدبلوماسي البارز»^(٣) .

ولد الكسندر سيرغييفتش غريبيدوف (A. S. Griboedov) بموسكو يوم الخامس عشر من شباط سنة ١٧٧٥ في اسرة نبيلة وعريقة ، برز بين افرادها عدد كبير من العسكريين . كان مثقفا بارزا ، فقد دخل جامعة موسكو في العام ١٨٠٦ ، ودرس فيها الادب والحقوق والرياضيات والفيزياء ، وكان يجيد عددا من اللغات الاوربية :

(١) راجع الموضوع السابق .

(٢) للتفصيل راجع :

جهانكير ميرزا (بسر عباس ميرزا نايب السلطنة) ، تاريخ نو (شامل حوادث دوره قاجاريه از سال ١٢٤٠ تا ١٢٦٧ قمري) ، بسعي واهتمام عباس اقبال ، تهران ، ١٣٢٧ ، ص ١٤٤ - ١٤٥ ، ١٥٢ - ١٥٣ ، ١٧٠ وغيرها .

(3) «Bolshaya Sovetskaya Encyclopedia», T. XI, Moscow, 1952, P. 582.

«دائرة المعارف السوفيتية الكبرى» ، الطبعة الثانية ، المجلد الثاني عشر ، موسكو ، ١٩٥٢ ، ص ٥٨٢ .

والشرقية . عشق الموسيقى ، فدرسها ، ولحن فيها . اتصل منذ سني دراسته الجامعية بالثوريين الراديكاليين الذين اصبحوا يعرفون بالديسمبريين ، او الديكابريين^(٤) فيما بعد^(٥) .

عرف غريبيدوف بمواقفه الوطنية . ففي ايام حملة نابليون بونابارت على بلاده ترك مقعد الدراسة ، وتطوع للدفاع عن الوطن . وفي اواخر كانون الثاني ١٨٢٦ اعتقل بتهمة التعاون مع الديسمبريين الذين فجروا انتفاضة معادية للنظام القيصري في العاصمة بطرسبورغ قبل اعتقاله بشهر واحد . ومع انه افرج عنه بسبب فشل اللجنة التي كلفت بالتحقيق معه في اثبات تهمة انتمائه للديسمبريين ، الا انه وضع تحت رقابة البوليس السري بامر شخصي من القيصر نيقولا الاول .

طرق غريبيدوف ابواب الادب وهو طالب جامعي ، وسرعان مابرز في ميدانه ، واصبح على اتصال وثيق بابرز اعلامه في ذلك العصر ، منهم الشاعر الكبير بوشكين . وقد ارتبطت شهرته الادبية الواسعة بروايته الشعرية «تعاسة من العقل» ، التي بدأ بتأليفها سنة ١٨٢٢ ، وانتهى منها بعد سنتين ، والتي يعتبرها النقاد المعاصرون واحدة من اعظم روايات الدراما الروسية ، ونموذجا موفقا للربط بين الادب وحياة المجتمع ، فتكون بذلك قد اسهمت في تهيئة الدرب لانتصار الواقعية في الادب الروسي^(٦) . كانت روايات غريبيدوف «تعاسة من العقل» و«سفرة الى ضواحي المدينة» و«الزوجات الشابات» و«من الشقيق» من الشقيقة وغيرها ، تعكس افكار الفئة المثقفة الثورية المنتمية الى الارستقراطية الروسية ، وتدين العلاقات الاقطاعية ، ونظام القنانة من منطلق افكار الديسمبريين ، لذا فانها تعرضت لمحاربة رقابة المطبوعات ، فلم يسمح بنشر معظمها في حياته^(٧) . مع ذلك فان رجال القلم والفكر الروس قيموا غريبيدوف ، ومؤلفاته عاليا في وقت مبكر ، منهم بوشكين وبلينسكي . ومما قاله فيه بوشكين انه «أدى ماعليه ، اذ يكفي انه ترك لنا تعاسة من العقل»^(٨) . كما استفاد لينين كثيرا من الافكار التي وردت في روايته «تعاسة من العقل» التي اعيد

(٤) يعرفون بالديكابريين او الديسمبريين نسبة الى الانتفاضة التي فجروها في العاصمة بطرسبورغ يوم ٢٦ ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٨٢٥ .

(٥) «Vsemirnaya Istorla», Vol. VI, Moscow, 1959, PP. 165, 662.

«تاريخ العالم» (مجموعة مؤلفين)، المجلد السادس، موسكو، ١٩٥٩، ص ١٦٥، ٦٦٢ .

(٦) من المحتمل ان غريبيدوف قد تأثر في اختيار اسم روايته بارازمس ومؤلفه الشهير «في مديح الغباوة» .

(٧) طبع القسم الاكبر من مؤلفاته لأول مرة عام ١٨٥٩ المصادف للذكرى الثلاثين لاغتياله .

(٨) «Vsemirnaya Istorla», Vol. VI, P. 662.

طبعها عشرات المرات، وترجمت الى عدد من اللغات . وكان الكاتب المعروف غوغول من بين الذين تأثروا في نتاجاتهم بكتابات غريبويدوف^(٩).

أحب غريبويدوف الشرق والشرقيين . فقد تزوج من جورجية، وتعلم عددا من لغات شعوب القفقاس، وكرس بعض رواياته للبحث عن مآثر أبناء تلك الشعوب ومآسيهم، وعن جمال اوطانهم، منها «ليالي جورجيا» و«روداميس وزنوبيا» التي تتحدث عن الارمن، وقد طبعت كلتاهما سنة ١٨٥٩ . وعلى مايدوانه كان مطلعا على قصائد المتنبي^(١٠).

برر غريبويدوف في عمله في السلك الدبلوماسي . ففي سنة ١٨١٦ انتقل للعمل في وزارة الخارجية الروسية، التي اختارته بعد عامين فقط ليشغل منصب السكرتارية في السفارة الروسية بايران، واستقر في تبريز، مقر إقامة ولي العهد . وفي العام ١٨٢٢ عين سكرتيرا دبلوماسيا لقائد الجيش الروسي في القفقاس الجنرال يرمالوف . وفي فترة الحرب الايرانية الروسية ١٨٢٦ - ١٨٢٨ زاول غريبويدوف نشاطا دبلوماسيا واسعا، فقد ذهب موفدا الى قره ضياء الدين، حيث اجتمع بقائد الجيش الايراني، ولي العهد عباس مرزا، وتفاوض معه بصدد انتهاء الحرب بين الدولتين . كما انه لعب دورا كبيرا في صياغة مواد «معاهدة تركمانجاي» عام ١٨٢٨ التي وضعت نهاية لآخر حرب وقعت بين ايران وروسيا . واثناء مفاوضات عقد المعاهدة اعترض غريبويدوف بشدة على موقف رئيس الوفد الروسي الى تركمانجاي الجنرال باسكوفيتش لموافقته على اشتراك الانكليز في المفاوضات الجارية لانهاء الحرب^(١١).

بعد التوقيع على «معاهدة تركمانجاي» سمل غريبويدوف نصها معه الى بطرسبورغ في اذار ١٨٢٨، وذلك لعرضها على حكومته، وابعادها . وهناك تقرر تعيينه سفيرا فوق العادة لروسيا لدى ايران، الامر الذي اعتبره شخصا ابعادا سياسيا بالنسبة له، ولم يتوقع هذه المرة ان يعود ثانية الى وطنه . وكان ذلك قدره بالفعل . رغم احترام غريبويدوف لوظيفته، ورغم اعتقاده ان واجبه يقتضي منه العمل من

(9) Ibid, P. 665.

(١٠) «كيهان»، تهران، چهارشنبه، ١٦ خرداد ٢٥٣٥، ١٦ زوئن ١٩٧٦، شماره ٩٨٩٠ (ضميمه ويزه - مرك وزير مختار)، ص ٣٤.

(11) B.P. Balayan, Mejdunarodnaya Otnoshenia Irana V 1913 - 1828, Erevan, 1963, PP. 21, 23 - 24.

ب. ب. بالايان، العلاقات الدولية لايران في سنوات ١٨١٣ - ١٨٢٨، باللغة الروسية، ملخص رسالة دكتوراه، يريفان، ١٩٦٣، ص ٢١، ٢٣ - ٢٤.

أجل «فرض احترام روسيا ومطالبها» حسب تعبيره، إلا أنه كان يميل بشدة للتصرف مع الإيرانيين بأسلوب من شأنه أن يؤدي إلى تبديد شكوكهم، وحساسيتهم تجاه روسيا. ومن أجل ذلك فقد حاول تنظيم زيارة عباس مرزا إلى العاصمة الروسية بطرسبورغ، كما اقترح على نيقولا الأول أن يخفف من ضغط حكومته على إيران، ويوافق على قبول التعويض الحربي على شكل بضائع إيرانية من حبر وقطن وخيل واحجار كريمة بدل النقود، لاسيما وأنه كان على علم بأن عباس مرزا اضطر إلى صهر تحفيات أسرته حتى يتمكن من دفع ما ترتب على بلاده من تعويض مالي إلى روسيا، الأمر الذي بعث بصدده مذكرة سرية خاصة إلى وزير الخارجية نسلرود بتاريخ ٢٠ تشرين الأول ١٨٢٨. ولكن القيصر رفض الطلب، وأصر على ضرورة «نطبق مضمون معاهدة تركمانجاي نصا وروحا»^(١٢).

وكما تشير المصادر أن غريبويدوف بذل في تلك الفترة بعض الجهود من أجل تحسين العلاقات بين العراقيين والإيرانيين، باعتبار ذلك عاملاً مساعداً للتقريب بين طهران وبترسبورغ. يقول الدكتور ب. ب. بالايان بهذا الخصوص مانصه: «... أن غريبويدوف تمكن من أن يجعل من عباس مرزا يميل للتحالف مع روسيا، كما أنه تمكن أيضاً من التقريب بين إيران وبلاد ما بين النهرين التي كانت يومذاك ولاية تركية، فيما كان حكامها الاقطاعيون يخضعون اسمياً للسلطان، ويستعدون للقيام ضد الباب العالي»^(١٣).

لم تؤد جهود غريبويدوف المخلصة إلى نتيجة. ففي تشرين الأول عام ١٨٢٨ طلبت بطرسبورغ منه أن يقدم مذكرة إلى حكومة الشاه بخصوص دفع القسط السنوي من الغرامة الحربية المفروضة عليها نقداً. ومن أجل إيجاد مخرج للمشكلة قرر السفير أن يذهب بنفسه من تبريز، حيث مقر عمله، إلى العاصمة طهران للقاء فتح علي شاه شخصياً.

مع وصول غريبويدوف بدأت في طهران حملة واسعة معادية له، ولبلاده، لعب فيها بعض كبار المسؤولين دوراً مباشراً، منهم الوزير، وخال الشاه الله يارخان اصف الدولة، وغيره ممن كانوا يعتقدون أن الظروف أصبحت مواتية للخوض في حرب جديدة ضد روسيا طالما أنها كانت منهمكة يومها بحربها مع تركيا. ولم يكن دور

(12) Ibid, P. 25; «Vsemirnaya Istoria», Vol. VI, P. 279; M.S. Ivanov, Ochirk Istori Irana, P. 145.

(13) B.P. Balayan, Op. Cit., P. 25

الانكليز في تحريض الايرانيين قليلا، فانهم كان يهتمهم فتح جبهة جديدة ضد روسيا بهدف تخفيف ضغطها على تركيا التي اضطرت قواتها الى الانسحاب من مواقع مهمة بسبب اندفاع الجيش الروسي. كما لم تكن لندن مرتاحة، بالطبع، مما حققه الروس من تعزيز لمواقعهم في ايران بفضل بنود «معاهدة تركمانجاي» التي كانت تؤلف، في الوقت نفسه، ضربة لنفوذها في تلك البلاد.

رافقت الحملة المعادية لروسيا اجتماعات عقدت في «البازار»، والشوارع، وساحات المساجد التي القيت فيها خطب حماسية، صور اصحابها غريبيدوف مسؤولا مباشرا عن الضرر الجدي الذي فرضها الشاه على الايرانيين^(١٤). كما حاول المحرضون استغلال حادثة لجوء ارفيتين، كانتا جاريتين لدى الله يارخان اصف الدولة، وجمورجي واحد، الى دار السفارة الروسية بهدف ترحيلهم الى اوطانهم حسب منطوق المادة الثالثة عشرة من «معاهدة تركمانجاي» التي جعلت من ذلك حقا يتمتع به كل مواطن قفقاسي اصبح في الطرف الاخر من الحدود الجديدة الممتدة بين الدولتين^(١٥). ومما زاد في الطين بلة ان المجتهد الحاج مرزا مسيح اصدر فتوى اجاز فيه «انقاذ المسلمين»^(١٦) من أيدي المشركين^(١٧).

وهكذا هاج المجتمعون يوم ١١ شباط ١٨٢٩ في ساحة «جامع المسجد» بطهران، وتوجهوا نحو مقر السفارة الروسية، حيث كان غريبيدوف يهيء نفسه للعودة الى بريز بعد نجاح مهمته، وتوديع فتح علي شاه في آخر لقاء به صبيحة ذلك اليوم. فوق صدام دموي، دافع غريبيدوف فيه بجرأة حتى النفس الاخير، وقد قتل معه جميع اعضاء بعثته فيما عدا سكرتيردا ملتسوف الذي لم يكن موجودا في دار السفارة صدفه اثناء وقوع المذبحة. وحسب بعض المصادر الايرانية قتل من المهاجمين ما بين ٧٠ الى ٨٠ شخصا^(١٨).

مثل المتعصبون بجث القتلى، فقطعوا راس غريبيدوف، ثم سحلوا الجثث، مع كلاب وقطط ميتة، في شوارع طهران لمدة ثلاثة ايام، ليلقوا بها فيما بعد في حفرة

(١٤) جهانكير ميرزا، تاريخ نو...، ص ١٢٢؛

«Vsemirnaya Istorla», Vol. VI, P. 279.

(١٥) عبدالله رازي، تاريخ مفصل ايران از تأسيس سلسلهء ماد تا عصر حاضر، جاب دوم، تهران، ١٣٣٥، ص ٤٦٩؛ جهانكير ميرزا، تاريخ نو...، ص ١٢٠ - ١٢١.

(١٦) على اساس ان الفتاتين الارمنيتين، شأنهن شأن الجواري الاخريات، قد اعتنقن الاسلام.

(١٧) بروفييسور حامد الكار، دين ودولت در ايران. نقش علماء در دورهء قاجار، ترجمهء دكتور ابو القاسم سري، تهران، ص ١٤٠.

(١٨) المصدر نفسه، ص ١٤١؛ جهانكير ميرزا، تاريخ نو...، ص ١١٩ - ١٢٣؛

«Vsemirnaya Istorla», Vol. VI, P. 279.

خارج المدينة . اما رأس الكاتب الكبير فقد احتفظ به صانع كباب طهراني ، وبعد ان اضطر لان يهوى نفسه لاستقبال العيد رماه في أحد مجاري العاصمة . وقد ادخلت المذبحة الذعر في نفوس الارمن الموجودين في طهران ، فتركوها خلسة .

حاولت الاوساط المسؤولة الايرانية القاء تبعة مذبحة السفارة الروسية بطهران على عاتق غريبويدوف ، الذي تصفه بعض المصادر الفارسية ، تجنيا ، كأنسان «مغرور ومتكبر جدا» ، اساء التصرف في لقائه بفتح علي شاه^(١٩) . وبدوافع مختلفة اظهر القيصر الروسي نفسه مقتنعا بالادعاء الايراني القائل «ان ما حدث كان نتيجة انفعال طائش من قبل المرحوم غريبويدوف»^(٢٠) . فقبل كل شيء ان روسيا التي كانت تخوض غمار حرب حاسمة ضد تركيا ، لم تر من مصلحتها ان تفتح جبهة ثانية في الشرق . كما ان مقتل كاتب ثوري ديسمبري كان ، في كل الاحوال ، امرا مرغوبا فيه في اعماق نيقلولا الاول ، الذي كان الديسمبريون اول من هبوا بوجه نظامه حين انتقال العرش اليه . لذا نرى ان بطرسبورغ تكتفي بقرار الحكومة الايرانية ارسال وفد الى العاصمة الروسية لتقديم اعتذار رسمي الى القيصر ، وباجراءاتها الشكلية التي اقتضت على تنبيه احد القتلة من اتباع المجتهد الحاج مرزا مسيح ، وابعاد الاخير من العاصمة طهران^(٢١) .

ترأس الوفد الايراني حفيد الشاه خسرو مرزا بن عباس مرزا^(٢٢) ، الذي استقبل في تبليس بفتور واضح من قبل الجنرال باسكوفيتش . وقد تماهل الامير في الطريق بشتى الحجج ، بحيث انه لم يدخل العاصمة الروسية الا في ٤ آب ١٨٢٩ ، اي بعد مرور حوالي ستة أشهر على مقتل غريبويدوف ورفاقه . فان انتصارات جزئية للقوات التركية على القوات الروسية بعثت الامل في نفوس المسؤولين الايرانيين ، فغدوا يتوقعون من جديد اندحار الروس وانتصار الاتراك ، الامر الذي كانوا يعتبرونه فرصة مواتية ليخوضوا بدورهم غمار حرب جديدة ضد روسيا . الا ان امالهم تحطمت بعد ان تمكنت القوات الروسية من الحاق هزيمة نكراء بجيش تركي كبير يوم ١١ حزيران

(١٩) جهانكير ميرزا ، تاريخ نو . . . ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

(20) «Vsemirnaya Istoria», Vol. VI, P. 279.

(٢١) عبدالله رازي ، تاريخ مفصل ايران از تأسيس سلسلهء ماد تا عصر حاضر ، ص ٤٧٠ ، ٤٧٤ - ٤٧٥ .

(٢٢) بعد موت فتح علي شاه اصبح خسرو مرزا من بين ضحايا الصراع السياسي المستمر في ايران عهد القاجاريين ، فقد سملت عيناه ، وقضى بقية حياته مكفوبا .

عام ١٨٢٩ . حينذاك اسرع خسرو مرزا الخطي الى بطرسبورغ ، حيث القى كلمة بين يدي نيقولا الاول ، اعتذر فيها عما وقع «على أيدي الظالمين في طهران»^(٢٣) . وقد تلقى العاهل الروسي بارتياح كبير هدية فتح علي شاه الخاصة له ، والتي كانت عبارة عن ماسة ثمينة تعرف باسم «نادر شاه» ، قدمها له خسرو مرزا مع رسالة جده الذي عبر فيها « عن امله في توطيد العلاقات الودية بين الدولتين»^(٢٤) . وبالمقابل تنازل القيصر عن مليوني روبل (٣٠٠ الف باون) من مبلغ التعويض الحربي الذي فرضته «معاهدة تركمانجاي» على ايران ، كما وافق على تأجيل اقساطه لمدة خمس سنوات^(٢٥) .

بعد مذبحه السفارة الروسية بطهران بفترة نقل ماتبقى من جثمان الاديب والشاعر والدبلوماسي البارز ، عاشق الشرق والشرقيين ، اسكندر سيرغييفيتش غريبويدوف الى تبليس ، عاصمة جورجيا ، حيث دفن فوق جبل داود . وفي الذكرى ١٣٠ لاغتياله ازيح الستار عن تمثال شامخ له في احدى ساحات موسكو لتروي الى الابد قصة احدى ضحايا التخلف والعنف ، التي دبجها ببراعة ايضا يراع الكاتب الروسي يوري تينيانوف عام ١٩٢٧ - ١٩٢٨ في رواية كبيرة تحمل عنوان «مقتل الوزير المختار» التي اعيد طبعها حتى الان اكثر من مرة^(٢٦) .

(٢٣) دكتور فريدون آدميت ، امير كبير وايران ، جاب دوم با تجديد نظر و اضافات ، تهران ، ١٣٣٤ ، ص ٣١ - ٣٢ .

(٢٤) راجع نص رسالة فتح علي شاه في :

حسين مكي ، زندكاني ميرزا تقيخان - امير كبير . بمناسبة صدمين سال قتل امير كبير ، جاب دوم ، تهران ، ١٣٢٩ ، ص ٨ - ٩ .

(25) M.S. Ivanov, Ochirk ..., P. 14; «Vsemirnaya Istoria», Vol. VI, P. 279; P. Sykes, A History of Persia, Vol. II, London, 1963, P. 322.

(٢٦) تقع الطبعة الاخيرة من الرواية (عام ١٩٧١) في ٤٣٢ صفحة ، وقد افادتنا كثيرا لاعداد هذا البحث ، لاسيما ان صاحبها استند في كتابتها الى أدق الوثائق الاصلية الخاصة بتفاصيل موضوع مقتل غريبويدوف ورفاقه . . .

العراق وإيران
بين سازاتوف وغبرای
(وثائق جديدة)

الوثائق التي نحن بصددھا جزء من مراسلات وزير خارجية روسيا(*) سazanوف ووزير خارجية المملكة المتحدة غراي واجهتهما في سنوات الحرب العالمية الاولى. وللرجلين باع طويل في عالم السياسة، فقد لعبا، مثلا، دورا مباشرا في عقد معاهدة «سايكس - بيكو» المشؤومة التي رسمت مصير منطقة واسعة من الشرق الاوسط حسب مشيئة الاستعماريين.

ولد سيرغي ديميترييفتش سazanوف في ٢٩ تموز ١٨٦٠ من اسرة نبيلة كانت تقطن منطقة ريزان. دخل السلك الدبلوماسي الروسي منذ عام ١٨٨٣ وتدرج في وظائفه الى ان اصبح مساعدا لوزير الخارجية في ايار ١٩٠٩ ثم عين وزيرا للخارجية في ايلول من العام التالي. كان سazanوف من بين الساسة القلائل الذين تمتعوا بتأثير مباشر على شخص القيصر نيكولاي الثاني.

عمل سazanوف من اجل التقارب مع المملكة المتحدة واليابان، مع الحرص على الاحتفاظ بافضل ما يمكن من العلاقات مع المانيا والنمسا - المجر، - الا انه، مع ذلك، كان من انصار التقارب بين تركيا ودول البلقان تحت اشراف روسيا كوسيلة من وسائل التغلغل المتزايد في الشرقيين الآسيوي والاوربي.

ولكن مع اقتراب الحرب العالمية الاولى، ولا سيما بعد ان اندلعت نيران الحروب البلقانية في ١٩١٢ - ١٩١٣ كرس سazanوف جل جهده من اجل توثيق صلات بطرسبورغ بلندن وباريس. ومع انه حاول بعد مقتل ولي العهد النمساوي فرانس فرديناند في سراييفو يوم 28 حزيران 1914 ايجاد مخرج للالزمة السياسية الحادة التي نجمت عن الحادث، الا انه يدخل في عداد الذين يتحملون مسؤولية مباشرة عن وقوع الحرب الاولى، خاصة لان بلاده اعلنت التعبئة العامة بناء على اقتراح منه، الامر الذي زاد كثيرا من توتر الوضع الدولي على صعيد القارة الاوربية.

(*) اصل البحث نشر في مجلة «افاق عربية» (العدد الثاني، تشرين الاول ١٩٨٢، ص ٢ - ٩).

حاول سazanوف استغلال ظروف الحرب العالمية الاولى لضمان اكبر المكاسب لبلاده، فلعب دورا كبيرا في عقد سلسلة المعاهدات السرية الخطيرة التي ابرمت في تلك السنوات والتي مست منطقتنا بصورة مباشرة، وكان يرى مصلحة روسيا في ان تبقى ضمن جبهة الحلفاء حتى النهاية، لذا فانه استقال من منصبه في تموز 1916 بسبب المحاولات التي جرت لعقد صلح منفرد بين المانيا وروسيا.

ظهر سazanوف فوق المسرح السياسي من جديد بعد انتصار ثورة شباط 1917 التي اطاحت بالنظام القيصري في روسيا، فقد وقف بحماس الى جانب الحكومة المؤقتة التي تالفت على انقاض الحكومة السابقة. وبعد انتصار ثورة اكتوبر في العام نفسه انضم الى الحرس الابيض واصبح وزير خارجية الحكومة التي الفها اعداء الثورة ومثلها في مؤتمر الصلح بباريس عام 1919 حيث حاول دفع الحلفاء الى توسيع نطاق تدخلهم في روسيا السوفيتية، وبعد ان لم تسفر محاولاته عن نتيجة مجدية وانتهت الحرب الاهلية وحرب التدخل في روسيا بالفشل اعتزل سazanوف السياسة عمليا الى ان وافاه الاجل بمدينة نيس في المنفى يوم 25 كانون الاول سنة 1927 .

اما السير ادوارد غراي فهو «اشهر من نار على علم» في دوائرنا السياسية والعلمية. انه كراي اوف فالودون، ولد بلندن في 25 نيسان 1862 . اصبح له وزن سياسي منذ ان دخل البرلمان عام 1885 ممثلا عن حزب الاحرار احد اقصى حزبي المملكة المتحدة يومذاك. في العام 1892 اصبح نائبا لوزير الخارجية وظل يشغل هذا المنصب لمدة ثلاث سنوات. وفي العام 1905 اصبح وزيرا للخارجية في وزارة كامبل بانرمن ثم اعيد اختياره للحقيبة الوزارية ذاتها في وزارة اسكويث عشية الحرب العالمية الاولى.

كان غراي من اشد انصار التوسع الكولونيالي، حتى انه وقف بحماس منقطع النظير بجانب حكومة المحافظين ايام حرب البوير المعروفة (١٨٩٩ - ١٩٠٢). عرف بمناوراتيه السياسية، فقد كان يدخل دون تردد في عقد صفقات سياسية مع الجميع، سرا وعلنا. ومع ذلك دفعته ظروف ما قبل الحرب العالمية الاولى الى ان يلعب دورا ملموسا في التقارب بين المملكة المتحدة وفرنسا وروسيا اتخذ صورة تحالف عشية الحرب وفي سنواتها.

يتحمل غراي، بدوره، مسؤولية مباشرة في اندلاع نيران الحرب العالمية الاولى.

كان السير ادوارد غراي مؤمنا بالدبلوماسية السرية الى حد كبير لانه كان يرى فيها وسيلة ضرورية لاختفاء النوايا الحقيقية لسياسة بلاده، وقد لعب فعلا دورا كبيرا في عقد سلسلة المعاهدات السرية في سنوات الحرب العالمية الاولى من قبيل معاهدة لندن عام 1915 مع ايطاليا ومعاهدة سايكس - بيكو عام 1916 مع روسيا وفرنسا.

في كانون الاول 1916 انتهت مهمة غراي كوزير للخارجية مع ستورا. وزارة الاحرار وتاليف وزارة لويد جورج الائتلافية الا انه عين في العام نفسه عضوا في مجلس اللوردات وترأس البعثة الاستثنائية البريطانية الى الولايات المتحدة عام 1919، وبقي يحتفظ بمكانته القيادية في حزب الاحرار لغاية سنة 1927 حينما اعتزل السياسة واستقر في مسقط رأسه فالودون بدوقية نورثمبرلند الى ان وافاه الاجل يوم 7 ايلول سنة 1933.

قدر لهذين السياسيين المعروفين، سazanوف وغراي، ان يتركيا بصماتهما على مجرى الامور في العراق وايران خلال سنوات الحرب العالمية الاولى. كانت الحرب العالمية الاولى تمثل ذروة الصراع الدولي في اخرج صهورة عرفها التاريخ حتى ذلك اليوم. وبما ان مصير اهم مناطق العالم - سياسية قد تعلق بنتائج الحرب مباشرة، كان على كل طرف من طرفي الصراع ان يبذل جميع ما في وسعه لترجيح كفة الحرب الى جانبه. من هنا اصبح لكل من العراق وايران كمنطقتين حساستين من الشرق الاوسط وكجزئين من مساحة الحرب في ميدانها الآسيوي، حسابهما الخاص لدى الدوائر المنهجية بوضع ادق التفاصيل لسياسات الدول الكبرى في سنوات الحرب.

وبحكم عاملين اساسيين كان الوضع بالنسبة لايران اكثر تعقيدا. وفيما كان العراق جزءا من الدولة العثمانية - احد طرفي النزاع - كانت ايران دولة «مستقلة» لها حدود مشتركة بين دولتين تقعان في خندقين الحرب المتقابلين - روسيا وتركيا. وقد اعلنت الحكومة الايرانية «الحياد» رسميا يوم الثاني من تشرين الثاني عام 1914، اي بعد ان بدأت الحرب العالمية الاولى.

الاوربية بثلاثة اشهر وفي نفس اليوم الذي اعلن فيه الحلفاء الحرب على تركيا.

لم يحترم احد، لا الحلفاء (انكلترا وروسيا وفرنسا) ولا دول الوسط (المانيا والنمسا - المجر والدولة العثمانية) ولا حتى الايرانيون انفسهم (رسميون وغير رسميين)، هذا الحياد، ذلك لان البلاد بواقعها السياسي والعسكري والاقتصادي والاجتماعي لم تمتلك يومذاك الحد الأدنى المطلوب من المقومات الضرورية للتمسك بموقف حيادي حقيقي في حرب عالمية. فان القوات الروسية كانت تحتل جزءاً حساساً من الاراضي الايرانية، وكانت رؤوس خيوط حكومة طهران بأيدي القيمين على الامور في لندن وبطرسبورغ، بينما كان القوميون يميلون الى برلين والجماهير الواسعة تنزح الى استانبول «عاصمة الخلافة الاسلامية». وفيما يخص موقف الجماهير الايرانية من الحرب، وهو امر مهم لما نحن بصدد، ورد ما يلي نصاً في مذكرة سرية رفعها السفير الروسي في طهران الى وزير الخارجية سazanov في بداية الحرب :

«... يميل الرأي العام الايراني الى الاتراك، ان الحكومة (الايروانية - ك.م.) عاجزة عن التأثير في هذا الموقف حتى فيما لو افترضنا ان لديها رغبة للقيام بذلك»^(١). ومهما يكن من امر فان «الحياد» الايراني لم يعن، في افضل الاحوال، اكثر من «الوقوف خارج الحلقة انتظاراً لمعرفة المنتصر» حسب تعبير السر بيرسي سايكس الذي كان في مقدمة من كانوا يراقبون الاحداث على الساحة الايروانية عن كثب ويانتباه^(٢).

انعكس عدم اهتمام المعنيين بـ «الحياد» الايراني في مواقف ووثائق رسمية منذ بداية الحرب. فقبل ان تقدم الحكومة الايروانية على اعلان «حيادها» اتصلت بالحكومة العثمانية مستفسرة منها عن موقفها من «اعلان ايران الحياد» فجاء رد الباب العالي صريحاً: عدم الاعتراف به مادامت القوات

(١) مذكرة السفير الروسي في طهران الى وزير الخارجية سazanov بتاريخ ٤ شباط ١٩١٥ - «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية ووثائق ارشيفات الحكومة القيصرية والحكومة المؤقتة (١٨٧٨ - ١٩١٧)»، التسلسل الثالث (١٩١٤ - ١٩١٧)، المجلد السابع، الجزء الاول (١٤ كانون الثاني - ٢٣ آذار ١٩١٥). ص ١٧٧ - ١٨١، الوثيقة رقم ١٣٤.

(2) Percy Sykes, A History of Persia, Vol. 2, London, 1963, P. 435.

الروسية موجودة فوق اراضي اذربيجان الايرانية، مما يستوجب «اتخاذ اجراء ما» من قبل الجيش التركي كما ورد في الجواب الرسمي لاستانبول عن استفسار طهران⁽³⁾.

وعندما طلبت الاخيرة رسميا من بطرسبورغ اتخاذ مايلزم لسحب قواتها من اذربيجان الايرانية جاء الرد الروسي سريعا:

نرفض الطلب بصورة قاطعة لان القوات الروسية هناك تؤلف «الضمانة الوحيدة والاكيدة» لحماية الرعايا الاجانب في ايران. هذا ماورد في الرد الرسمي، الا ان السبب الحقيقي كان يكمن فيما جاء على لسان السفير الروسي في طهران قبل ايام من وصول جواب بطرسبورغ على طلب الحكومة الايرانية والذي قال صراحة لرئيس الوزراء الايراني في لقاء جرى بينهما ان بلاده تخشى «احتلال الجيش التركي لاذربيجان» حال قيامها بسحب قواتها منها⁽⁴⁾. وبصورة عامة لم يقبل الروس والبريطانيون بـ «الحياد» الذي اعلنته

وزارة مستوفي الممالك ذلك لانهم كانوا يريدون من ايران الوقوف الصريح الى جانب الحلفاء او، على الاقل، اتباع مااسموه بـ «سياسة حياد ودي» تجاههم. وهكذا شهدت الارض الايرانية منذ بداية الحرب العالمية الاولى والى حد نهايتها نشاطا محموما وغريبا لجميع الاطراف وبصورة قلما وجد لها مثل في مكان آخر من العالم. فقد نشط دبلوماسيو انكلترا وروسيا والمانيا والامم المتحدة والمجر وتركيا وعسكريوها واقتصاديوها وعملاؤها في آن واحد وفي شمال ايران «المحايدة» كما في جنوبها وشرقها ووسطها. وتبعاً لذلك انقسم الايرانيون من مسؤولين وساسة وزعماء عشائر اشياغا وجماعات حاول معظمها، ان لم يكن كل منها، الاثراء على حساب احد الطرفين المتحاربين او، ان امكن، على حساب كليهما. وقد بلغ الامر بين زعماء بعض العشائر ان وقف الاب الى

(3) M E Yapp, 1900 - 1921, The last years of Qajar Dynasty, - (Twentieth Century Iran), New York, 1977, P. 18; Rouhollah K. Ramazani, The Foreign Policy of Iran. A Developing Nation in World Affairs, Virginia, 1966, PP 115 - 116

(4) H K. Ramazani, Op. Cit., P. 116

جانب احد المعسكرين بينما وقف الابن الى جانب المعسكر الاخر، كما فعل البختاريون في الجنوب مثلاً⁽⁵⁾.

وفي الوقت نفسه شهدت الاراضي الايرانية عمليات حربية بين القوات العسكرية التابعة للجبهتين المتحاربتين. فان خطة وزير الحربية التركي انور باشا التي وضعها بالتعاون مع القادة الالمان كانت تستهدف، من بين ما تستهدف، الاستيلاء على المناطق الشمالية من ايران. وعلى هذا الاساس اخترقت القوات التركية الحدود الشمالية الغربية الايرانية في تشرين الثاني عام 1914، ودخلت مدن خوي واورميه اولاً، ثم احتلت تبريز، العاصمة الثانية للقاجاريين. وردا على ذلك بدأت القوات الروسية هجومها المضاد اعتباراً من اواخر كانون الثاني عام 1915 وتمكنت من استعادة تبريز في 31 كانون الثاني ثم تقدمت باتجاه همدان وكرمنشاه واقتربت من خانقين وبدأت تخطط من أجل الدخول في الاراضي العراقية بتنسيق مع القوات البريطانية خاصة بعد أن أصبحت الأخيرة في مأزق عسكري كبير اثر محاصرة الاتراك لقطعاتها في مدينة الكوت.

ومن جانب آخر ازداد النشاط العسكري البريطاني والالمانى ونشاط رجال العشائر وعملاء الطرفين في المناطق الجنوبية من ايران. وبالرغم من جميع الاحتياطات التي اتخذها البريطانيون حقق الالمان في المناطق الجنوبية نجاحات كبيرة في السنة الاولى من الحرب، بحيث انهم غدوا يسيطرون كلياً على الجنوب فيما عدا موآنه⁽⁶⁾، وكانت مدينة شيراز المهمة في ايديهم. ولم يحقق الالمان وانصارهم نجاحاً اقل في العاصمة، فقد اكتسبوا عدداً كبيراً من الساسة البارزين، ومنهم قسم اساسي من اعضاء مجلس النواب في دورته الثالثة. ولم يكن تأثير هؤلاء قليلاً على الشاه وعلى وزارة مستوفي الممالك التي تجاهلت كلياً الهجوم التركي على الاراضي الايرانية بحيث اعتبرت «العشائر الكردية في المنطقة» ذلك بمثابة «تشجيع من الحكومة لها للقيام

(5) Percy Sykes, Op. Cit., PP. 435, 440.

(6) Ibid, P. 450.

بمساندة الاتراك» كما ورد في وثيقة سرية^(٧). فلم يكن عبثاً، والحالة هذه، ان تصف وثائق الحلفاء الخاصة وزارة مستوفي الممالك بـ «الوزارة المعادية» لهم^(٨)، وقد بلغ التوتر بين الطرفين حد ان بطرسبورغ هددت اكثر من مرة بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع طهران^(٩)، بل ان روسيا سحبت فعلاً بعض دبلوماسييها من مدن ايرانية مختلفة. وقد هدد الروس والبريطانيو المسؤولين الايرانيين صراحة بأنه في حالة قطع العلاقات الدبلوماسية مع طهران فانه يكون من الصعب في المستقبل «اعادة مثل تلك العلاقات مع ايران مستقلة وغير مقسمة»^(١٠).

واخيراً اضطر مستوفي الممالك الى تقديم استقالته في آذار ١٩١٥ تحت ضغط الحلفاء وحل محله مشير الدولة. الا ان هذا الاجراء لم يكن بوسعه وضع نهاية لنشاط المعادين للحلفاء في ايران. فقد انتقل عدد كبير من اعضاء المجلس مع اعضاء وزارة مستوفي الممالك الى قم حيث الفوا ما سموه بـ «الحكومة الوطنية المؤقتة» التي اعترفت بها المانيا وحلفاؤها. كما الفوا قبل ذلك لجان «بعث الامة» و «الدفاع عن استقلال ايران» وكان من المقرر ان يلتحق بهم احمد شاه الذي اضطر الى التراجع في اللحظة الاخيرة تحت ضغط انذار بريطاني - روسي مشترك اكد له بأن «خروجه من موقفه المحايد»

(٧) برقية مستشار الشعبة السياسية الثالثة في وزارة الخارجية الروسية للسفير في طهران بتاريخ ٢١ كانون الثاني عام ١٩١٥ - ، «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية». وثائق ارشيفات الحكومة القيصرية والحكومة المؤقتة (١٨٧٨ - ١٩١٧)، التسلسل الثالث (١٩١٤ - ١٩١٧)، المجلد السابع، الجزء الاول (١٤ كانون الثاني - ٢٣ آذار ١٩١٥)، ص ٧٧، الوثيقة رقم ٥٥.

(٨) برقية وزير الخارجية الروسي سazanوف للسفير في طهران بتاريخ ١٤ آذار ١٩١٥، نفس المصدر، ص ١٧٨، الوثيقة رقم ٣٦٧.

(٩) نفس المصدر، المجلد الثامن، الجزء الثاني (٢٤ أيار - ١٦ تشرين الاول عام ١٩١٥)، الوثائق: ٦٣٧ (ص ٢١٠ - ٢١١)، ٦٧٩ (ص ٢٦٧ - ٢٦٨)، ٦٨٨ (ص ٢٧٦ - ٢٧٨)، ٧٣٩ (ص ٢٨٣) وغيرها.

(١٠) نفس المصدر، نفس المجلد، الوثيقة رقم ٦٣٧ (برقية السفير الروسي في طهران الى وزير الخارجية Sazanov بتاريخ ٤ أيلول ١٩١٥).

التي كانت في ذلك الوقت «سند العرش»^(١١).

وفقاً لذلك نشاطاً أكثر خلوقة، الذي كان في ذلك الوقت كل شيء جرت
مفاوضات سرية بين لندن وبترسبورغ حول مستقبل إيران بعد اندلاع نيران
الحرب العالمية الأولى بفترة وجيزة^(١٢). وبعد تبادل مذكرات مفصلة بين وزير
الخارجية الروسي، سazanov ووزير الخارجية البريطاني السير ادوارد غراي^(١٣) تم
توقيع اتفاقية سرية بينهما في آذار عام 1915 يمكن اعتبارها، كما نرى،
جزءاً من سلسلة من المعاهدات «سايكس - بيكو» وملحقاتها. وافقت روسيا بموجب
اللائحة الجديدة على ترك منطقة السيادة الإيرانية في أيدي إيطاليا فيما عدا مدينتي
اصفهان ويزد ومنطقة ضيقة عند التقاء الحدود الأفغانية - الإيرانية - الروسية.
ولكن الأهم بالنسبة لموضوعنا هو ما كان يجري خلف الكواليس وفي
الأروقة يومذاك على حساب العراق والعراقيين. فإن روسيا القيصرية أرادت
استغلال الظروف التي استجدت بسبب الحرب العالمية الأولى للاقترب أكثر
ما يمكن من العراق وتحويله إلى أداة جديدة في سياستها إزاء المنطقة.
وعلى غرار الانكليز، ولا سيما الألمان حاول الروس بدورهم تكريس العاطفة
الدينية للمسلمين لخدمة مخططاتهم بصورة أو بآخرى. فمنذ أن دخلت
الدولة العثمانية في الحرب إلى جانب ألمانيا وحلفائها بدأت الأوساط
الحاكمة الروسية تصر على ضرورة استغلال العتبات المقدسة العراقية في
الحملة الدعائية للحلفاء ضد ألمانيا والدولة العثمانية. ففي المذكرة التي
بعثها سazanov إلى سفيره أنكلترا وفرنسا في بترسبورغ بتاريخ 11 أيلول

(11) Percy Sykes, Op. Cit., PP. 447 - 448.

(12) بدأت المفاوضات بين الطرفين في أواخر عام ١٩١٤.

(13) للتفصيل عنها راجع: «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية». وثائق إرشيفات الحكومة
القيصرية والحكومة المؤقتة (١٨٧٨ - ١٩١٧)، المجلد السابع، الجزء الأول (١٤ كانون الثاني
- ٢٣ آذار ١٩١٥)، الوثيقة رقم ٦٣٩ (تقرير وزارة الخارجية الروسية بتاريخ ١٤ آذار ١٩١٥)، راجع
كذلك الوثائق ٨٦ (ص ١١٤ - ١١٧) و ٣٥٢ (ص ٤٥٢ - ٤٥٦) و ٤٠٠ (ص ٥٢٦ - ٥٢٨) وغيرها.

(14) بموجب اتفاقية خاصة بين روسيا وأنكلترا عام ١٩٠٧ جرى تقسيم إيران إلى منطقة نفوذ
بريطانية في الجنوب ومنطقة نفوذ روسية في الشمال مع منطقة محايدة بينهما.

1915 أكد الوزير على ضرورة الاهتمام بمدينتي النجف و كربلاء و «تحريرهما من ايدي الاتراك» على حد قوله. وقد اشارت المذكرة صراحة الى «ان حكومة قيصر تعير هذا الموضوع اهتماما كبيرا» وذلك «لما له من تأثير كبير على الراي العام» في بلاد ما بين النهرين وايران⁽¹⁵⁾

ومن جانبهم اتخذ الروس بعض الاجراءات التي تدل مرة اخرى على مدى ما اولوا هذا الموضوع من اهتمام. فان الدبلوماسيين والضباط الروس الموجودين في المدن الغربية الايرانية قاموا بحملة دعاية واسعة لتحريض العشائر الكردية ضد «الترك وحلفائهم». ولم تذهب هذه الحملة سدى، على ما يبدو. ففي المذكرة السرية التي قدمها قائد كتيبة القوزاق الايرانية في منطقة كرمنشاه الضابط الروسي اوشاكوف الى القنصلية الروسية بمدينة كرمنشاه في اواخر تشرين الاول 1914 ورد ما يلي نصا:

«لدي معلومات تؤكد امكانية اثارة العشائر الشيعية الكردية والدرية من اجل الاستيلاء على كربلاء واخذها من الاتراك. بامكاني تهيئة هذا الامر بحذر ويسدون ضجيج. استحصلوا موافقة السفير. من الضروري العمل مع الانكليز بصورة مشتركة. ان الامر مهم للغاية، وامل النجاح كبير بسبب قلة الجيش (التسركي - ك.م.) في ميسوبوتاميا. ان الاستيلاء على العتبات المقدسة سيترك اثرا كبيرا على الاتراك» كما «سنحصل نحن» بسببه على عطف المسلمين.

وفي ختام مذكرته يؤكد قائد كتيبة القوزاق اوشاكوف على ان من شان تنفيذ الخطة بسرعة ان يدفع القيادة التركية الى سحب احتياطياتها من الحدود

(15) «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية». وثائق ارشيفات الحكومة القيصريّة والحكومة المؤقتة (1878-1917)، التسلسل الثالث (1914-1917)، المجلد الثامن، الجزء الثاني (24 ايار- 16 تشرين الاول 1915)، ص 276-278 الوثيقة رقم 688.

الروسية. وقد قام القنصل في كرمشاه بارسال برقية تحمل مضمون الاقتراح⁽¹⁶⁾ الى السفير الروسي في طهران بتاريخ 31 تشرين الاول عام 1914. ازداد اهتمام الاوساط الحاكمة الروسية بموضوع العراق والعتبات المقدسة في عامي 1915 و 1916 وذلك في اطار الضغوط التي زاولها الحلفاء من اجل ابعاد ايران عن المانيا والدولة العثمانية، وكذلك بسبب مناورات الحكومة الايرانية لاستغلال ظروف الحرب للكسب على حساب الآخرين. ففي بداية الحرب ابدت وزارة مستوفي الممالك استعدادها للانضمام الى جانب الحلفاء حسب شروط لخصتها مذكرة السفير الروسي في طهران الى سazanوف بتاريخ 11 شباط 1915 في النقاط التالية:

- ١- انسحاب القطعات الروسية من اذربيجان⁽¹⁷⁾.
 - ٢- دفع مبلغ ضخيم للجانب الايراني على شكل قرض او سلفة.
 - ٣- تزويد ايران بالاسلحة والذخائر الكافية.
 - ٤- تخفيض سعر الفائدة على القروض البريطانية والروسية السابقة⁽¹⁸⁾.
 - ٥- ضم مدينتي كربلاء والنجف الى ايران⁽¹⁹⁾.
- ومع ازدياد نفوذ الالمان والاتراك في ايران اتخذ هذا الموضوع طابعا اكثر جدية في نظر المسؤولين الروس الذين بلغ الامر بهم حد ان يقترح بعضهم عقد ما اسموه بـ«اتفاقية شكلية» بين ايران وانكلترا «تتنازل» الاخيرة بموجب بنودها «عن منطقة بغداد والمدن المقدسة لايران وتقيم ادارة بريطانية فيها على غرار ما في مصر وما كان في البوسنة والهرسك قبل ضمهما الى النمسا» كما

(١٦) مقتبس من: م. س. لازاريف، كردستان والمشكلة الكردية (تسعينات القرن التاسع عشر - ١٩١٧). باللغة الروسية، موسكو ١٩٦٤ ص ٣٢٧: م. س. لازاريف، القضية الكردية (١٨٩١ - ١٩١٧)، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٧٢، ص ٣٢٢، ٤٤٤.

(١٧) احتلت القطعات الروسية مناطق حساسة من اذربيجان الايرانية قبل الحرب العالمية الاولى بعدة سنوات.

(١٨) بلغت الديون البريطانية والروسية على ايران في السنة التي اندلعت فيها نيران الحرب العالمية الاولى حوالي ٧ ملايين جنيه استرليني تجاوزت فائدتها السنوية نصف مليون جنيه، اي ما بين ربع وثلث ميزانية الدولة.

(١٩) «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية. وثائق ارشيفات الحكومة القيصيرية والحكومة المؤقتة (١٨٧٨ - ١٩١٧)». المجلد السابع، الجزء الاول، ص ٢٣٩ - ٢٤٢، الوثيقة رقم ١٨١.

ورد نصا في مقترح تقدم به السفير الروسي في طهران لسازانوف بتاريخ 4

تشرين الثاني عام ١٩١٥

وبعد ثلاثة اسابيع فقط عادت الحكومة الروسية الى الموضوع نفسه ولكن هذه المرة مع جليفتيها حكومتي انكلترا وفرنسا. ففي المذكرة السرية التي بعثها سازانوف يوم 25 تشرين الثاني الى سفييري الدولتين في بطرسبورغ اكد ثانياً على موضوع انضمام ايران الى الحلفاء وشروطها وسجل مانصه:

«تعتقد حكومة قيصر انه في حالة قبول الاقتراح الايراني يصبح من الضروري منح ايران امتيازات مهمة، لذا ترى حكومة القيصر ان من واجبها ان تعود الى الاقتراح الذي تقدمت به الى وزارة لندن بصدد منح ايران ميسوبوتاميا مع المدينتين المقدستين النجف وكربلاء... لان من شأن وعد كهذا ان يؤدي الى احداث انقلاب جذري في الرأي العام الايراني لصالح روسيا وانكلترا»⁽²¹⁾

كان موقف السر ادوارد غراي من مقترحات زميله الروسي بشأن العراق الرفض القاطع لانه كان يفهم جيداً ماكانت ترمي اليه تلك المقترحات من اهداف بعيدة المدى لم تكن تتعلق بما كان يجري فوق المسرح ايام الحرب بقدر ماكان يتعلق بمرحلة مابعد الحرب كما سنبين ذلك فيما بعد. ففي المذكرة التي بعثها السفير البريطاني لدى روسيا بأسم حكومته الى سازانوف بتاريخ 30 تشرين الثاني عام 1915 ذكر ان السر ادوارد غراي يتفق مع كل ما ورد من مقترحات في المذكرات الروسية بصدد العمل من اجل ابعاد ايران عن اعداء الحلفاء سوى ما يتعلق منها بالعراق «فلديه تحفظ في الوقت الراهن» بصددده لانه:

(٢٠) نفس المصدر، المجلد التاسع (١٧ تشرين الاول ١٩١٥ - ١٣ كانون الثاني ١٩١٦)، ص ١٦٤ - ١٦٦، الوثيقة رقم ١٦٥، مذكرة السفير في طهران الى وزير الخارجية سازانوف بتاريخ ٤ تشرين الثاني ١٩١٥.

(٢١) المصدر نفسه، المجلد نفسه، الوثيقة رقم ٣٨١ (مذكرة السفير البريطاني في بطرسبورغ الى وزير خارجية روسيا سازانوف بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٥).

«حسب رأي المطلعين على الموضوع ان من شأن الاقدام على عمل كهذا ان يؤدي الى انتشار دعايات مفادها اننا نتدخل في شؤون العتبات المقدسة، الامر الذي يترك اثرا سلبيا على العالم الاسلامي باسره، ويعتبر تدخلا منا في المسائل الدينية. واكثر من ذلك ان من المشكوك فيه جدا ان يرحب رجال الدين في النجف وكربلاء بسيطرة ايران او نفوذها. ان اثاره رجال الدين في هاتين المدينتين ضدنا ستترك اثارا سيئة في الظرف الحالي»⁽²²⁾.

ولكن لِمَ كان كل هذا الاصرار من جانب الحكومة الروسية، هل انه كان حقا فقط من اجل كسب ايران الى جانب الحلفاء كما يبدو في الظاهر من مضامين المذكرات الخاصة المتبادلة بين الاطراف المعنية. لا ينكر ان هذا الموضوع كان مهما بحد ذاته وخاصة بعد تمادي انصار المانيا وتركيا داخل ايران في اعمالهم، الا انه لم يكن، كما نرى، العامل الاهم المحرك للموقف الرسمي الروسي. فقبل كل شيء لم يكن بوسع الموقف الايراني ان يؤثر بصورة ملموسة على ميزان القوى في ميادين القتال على الساحة الشرقية، فان الجيش الايراني قبل الحرب كان «ادنى مستوى من ان يستخف به» حسب تعبير دونالد ستوارت⁽²³⁾. وعندما اندلعت نيران الحرب العالمية الاولى كان هذا الجيش يتألف من 8 الاف رجل من القوزاق كانوا بقيادة ضباط سويديين وقوة ايرانية صغيرة «لم يعرها اي من الجانبين المتحاربين اقل اهتمام» حسب تأكيد احد كبار الضباط البريطانيين ايام الحرب⁽²⁴⁾. وكان جميع هؤلاء مزودين بأسلحة قديمة ومن نوعيات مختلفة، فقد كانوا يحملون اثني عشر نوعا من البنادق على اقل تقدير، وكانوا يكلفون ميزانية الدولة اكثر من طاقتها، فتحولوا الى عبء على عاتق الحكومة والشعب⁽²⁵⁾. وفي وقت

(٢٢) المصدر نفسه.

(23) M. Zonis, The Political Life of Iran, Princeton, 1971 PP. 102 - 103.

(24) Percy Sykes, Op. Cit., P. 436.

(25) Ibid, PP. 436 - 437; M. Zonis, Op. Cit., PP. 102 - 103.

مبكر اشار سazanوف في برقية سرية له الى هذه الحقيقة عندما كتب الى سفير بلاده في طهران بتاريخ 11 شباط 1915 قائلا له ضمن تعليماته بهذا الصدد: « يبدو لنا ان انضمام ايران الصريح الينا بأعلانها الحرب ضد تركيا ليس من شأنه ان يجلب فوائد ملموسة بسبب ضعف حكومة الشاه. ومن جهة اخرى ان ذلك يلزمنا، نحن وانكلترا، لا بتزويد الايرانيين بالمال والسلاح حسب، بل وربما ايضا بتقديم مساعدات عسكرية في اماكن صعبة جدا بالنسبة لنا مثل منطقة كرمنشاه. ثم ان الاشتراك المباشر في الحرب يعطي الايرانيين الحق في طلب تعويضات معينة في المستقبل... وعلى هذا الاساس يبدو ان لاجابة لطلب اكثر من حياد ودي من ايران وذلك بان تقوم باتخاذ موقف حازم ازاء الاستفزازات الالمانية - التركية والعمل من اجل عرقلة تغلغل الاتراك في ايران قدر المستطاع دون الاكتفاء بتقديم الاحتجاجات وبالاكتفاء على الاكراه في ذلك، بل ربما عن طريق تنظيم حرب عصابات بين العشائر الايرانية الحدودية ضد العصابات التركية»⁽²⁶⁾.

اذن لم تنجم اهمية ايران في سنوات الحرب العالمية الاولى بالنسبة لطرفي النزاع عن وزنها العسكري بل نجمت عن موقعها الاستراتيجي وثروتها النفطية، خاصة بعد ان بدأ الاسطول البريطاني يعتمد على مشتقات النفط بدل الفحم فاصدت قطعاته في البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي تعتمد الى حد كبير على انتاج ايران من النفط الذي ارتفع خلال سنوات الحرب من 80 الف طن عام 1913 الى مليون ومئة الف طن عام 1919. ثم ان روسيا القيصرية كانت تعلم جيدا انها تستطيع الوصول بصوره افضل الى العراق والخليج عن طريق ايران التي تحولت قبل الحرب الى شبه مستعمرة

(٢٦) «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية. وثائق ارشيفات الحكومة القيصريّة والحكومة المؤقتة...»، المجلد السابع، الجزء الاول، ص ٢٣٠، الوثيقة رقم ١٧١ (برقية وزير الخارجية سazanوف الى السفير في طهران بتاريخ ١١ شباط ١٩١٥).

(٢٧) م. س. ايفانوف، موجز تاريخ ايران، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٥٢، ص ٢٥١.

تابعة لها ولانكلترا، بل ان نفوذها كان اكبر حتى من نفوذ حليفتها هناك، فانها كانت تستطيع اسقاط الوزارات، وابعاد الوزراء، وتعيين غيرهم، كما فعلت اكثر من مرة عشية الحرب العالمية الاولى وفي سنواتها.

رضا المازندراني والعرش الايراني

من تاريخ تأسيس الأسرة البهلوية والخيوط

الأولى لسياسة الاستعمار الجديد في الشرق الأوسط

يعتبر سقوط الاسرة القاجارية^(١) بعد ان حكمت ايران لمدة ١٣٤ سنة و ٤ اشهر و عدة ايام^(٢) وتأسيس الاسرة البهلوية في اواخر العام ١٩٢٥ من المواضيع المهمة في تاريخ ايران الحديث لا لانه حمل في طياته تغييرا نوعيا في شكل الحكم وترك تأثيرا ملموسا على داخل ايران وماحولها حسب، بل وكذلك لان مرافق التغيير وادى اليه يتضمن، كما نرى، الخيوط الاولى لسياسة الاستعمار الجديد في الشرق الاوسط. لم يكن سقوط الاسرة القاجارية وتأسيس الاسرة البهلوية مجرد عملية تغيير آني، ذلك لان مجموعة كبيرة من العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية تفاعلت فيما بينها وهيأت الظروف الموضوعية التي مكن رضا المازندراني من ان يتحول الى المسؤول الاول، إن لم يكن الوحيد، لمنطقة حساسة من عالم ملتهب ومتصارع لحوالي عقدين من الزمن وقبل الخوض في تفاصيل الحدث نفسه نستعرض اولا العوامل المذكورة مع شيء من التركيز.

اولا - التحولات الاجتماعية والاقتصادية :

شهدت ايران في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تحولات اجتماعية واقتصادية كبيرة بحكم اندماجها بالسوق الرأسمالية العالمية. فبعد ان وجدت منتوجاتها الزراعية طريقها الى الاسواق الخارجية انتقل انتاجها من الاطار الطبيعي الى الاطار البضاعي وتحول النقد الى عامل فاعل اكثر من السابق في تحديد العلاقات. فبدأت، جراء ذلك، عملية انهيار العلاقات الاقطاعية التقليدية لتحل محلها علاقات جديدة واساليب جديدة للاستغلال، اذ اخذت العلاقات الابوية والمظاهر المشاعية تختفي بسرعة حتى في اكثر مناطق البلاد إنزواء، وتحول رؤساء العشائر وغيرهم الى ملاكين يمتلكون اطيانا جد شائعة ويتفننون في استغلال اتباعهم. فقد قدرت ممتلكات الامير القاجاري ظل السلطان، مثلا، بحوالي الف قرية كان يقطنها ما يقرب من نصف مليون شخص. وكان لدى اتابك اعظم ١٥٠٠ قرية تدر عليه دخلا سنويا يقدر بمليونين تومان^(٣). وفي الوقت نفسه تحولت الارض الزراعية الى البضاعة المرغوبة والمضمونة التي تهافتت عليها عناصر جديدة من تجار

(١) نشر اصل البحث في «افاق عربية».

(٢) سعيد نفيسي، تاريخ سياسي واجتماعي ايران دوره معاصر. مجلد اول (از آغاز سلطنت قاجارها تا بايان جنگ نسختين باروسيا). تهران. ١٣٣٥. ص ٣٤.

(٣) اتريبيت. مهيد علي شاه. حركة شعبية في بلاد الاسد والشمس، باللغة الروسية. اليكسندر بول. ١٩٠٩. ص ٧٩ (في الهوامش القادمة Atrpet) م. س. إيفانوف، موجز تاريخ ايران، باللغة الروسية، موسكو ١٩٥٢، ص ١٩١-١٩٢ (في الهوامش القادمة (M S. Ivanov Ochirk)

وموظفين حكوميين وغيرهم حصلوا عليها شراء من الشاه ومن كبار الاقطاعيين التقليديين . فلغاية العقد الذي شهد سقوط الاسرة القاجارية تحولت ٩٠٪ من الاراضي الزراعية الى ملكية خاصة . وانذاك كان ٢٥٪ من كبار تجار تبريز و ٢٧٪ من كبار تجار رشت بمقاطعة كيلان الشمالية و ٤٤٪ من كبار تجار استراباد يمتلكون الارض الزراعية جنبا الى جنب مهنتهم الاساسية^(٤) .

وبحكم ازدياد الارتباط بالسوق الرأسمالية العالمية ونمو الانتاج البضاعي تطورت عملية تراكم رأس المال لدى كبار التجار الايرانيين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . فحسبما يشير اول سفير للولايات المتحدة الامريكية لدى ايران س . بينيامين في كتابه الذي نشره عام ١٨٧٨ ظهر في طهران يومذاك تجار كانت «ثرواتهم تقدر بالملايين»^(٥) . إلا ان هؤلاء وجدوا امامهم ظروف صعبة لاستثمار رساميلهم في المجال الصناعي نجمت عن سيطرة البضاعة الاجنبية على السوق المحلية . ومن ناحية اخرى ان تحول البلاد السريع الى شبه مستعمرة تابعة للدول الكبرى في العقود الاخيرة من القرن الماضي ادى الى ظهور عقبات امام تطوير مصالحهم التجارية الصرفة . فانهم حرموا ، مثلاً ، من الامتيازات الكبيرة التي كان يتمتع بها التجار الاجانب . وقد جاء وصف هذا الواقع معبراً على لسان احد الرحالة الاوربيين في القرن التاسع عشر الذي كتب يقول :

«اذا رغب التاجر الايراني في تصدير بضاعته الى الخارج عليه ان يدفع عند مدخل كل مدينة ضريبة محددة ، اما التاجر الاوربي فانه مستقل ويدفع مرة واحدة فقط لذا يكلفه تصدير بضاعته اقل بكثير مما يكلف التاجر الايراني»^(٦) . وجراء ذلك فان القافلة التجارية الاجنبية كانت تدفع الضريبة مرة واحدة عندما تقطع البلاد من شمالها الى جنوبها مقابل ١٤ مرة تدفعها قافلة التاجر الايراني . والانكى من ذلك ان قطاع الطرق قلما كانوا يتعرضون لقوافل التجار الاجانب على العكس تماماً من قوافل التجار الايرانيين التي قلما كانوا لا يتعرضون لها^(١١) .

(٤) «ايران ، موجز التاريخ المعاصر» ، باللغة الروسية ، موسكو ، ١٩٧٦ . ص ٢٢ - ٢٤ .

(5) S.G.W. Benjamin, Persia and the Persians, London, 1887, P. 472.

(٦) مقتبس من ش . م . بادى ، الفئات المتوسطة المدنية الايرانية ، باللغة الروسية ، موسكو . ١٩٧٧ . ص ٢٣ . (في الهوامش القادمة Sh. M. Badi) .

اذن كان من الطبيعي ان يميل هؤلاء الى تغيير النظام ، الا ان ميلهم كان يتحدد بعامل اخر. فكما ذكرنا انهم كانوا، بحكم واقع التطور الاقتصادي والاجتماعي لبلدهم في تلك المرحلة، على اتصال وثيق بالانتاج الزراعي الاقطاعي. كما ان العديد من الاقطاعيين اصبحوا، بحكم الواقع نفسه، على اتصال وثيق بالراسمال التجاري، بل وحتى ان البعض منهم حاول استغلال راسماله المتراكم في المشاريع الصناعية وغيرها. وقد فرض ذلك على هاتين الفئتين الاجتماعيتين المؤثرتين ان تكونا مهتمتين بالحفاظ على الاسلوب التقليدي لاستغلال الفلاحين مادام ذلك يضمن لهم دخلا عاليا نسبيا دون الحاجة الى صرف اموالهم او المغامرة بها في مجالات انتاجية اخرى. والترجمة السياسية لهذا الامر كانت تعني حصر الفئتين في اطار واحد يقضي التعاون بينهما من اجل تغيير سياسي محدود ومقاومة كل تيار يستهدف اكثر من ذلك.

وقد ظهرت فعلا في رحم المجتمع الايراني جماعات كانت تريد اكثر من ذلك. فان الفئة المثقفة الجديدة التي تحولت بحكم اطلاعها على الافكار الحديثة واحتكاكها بالمجتمعات الاوربية الى «الابن الضال» للاوساط الاجتماعية التي خرجت منها كانت تفكر وتعمل وتخطط من اجل احداث تغيير جذري في الكيان السياسي المتخلف الجاثم على صدر الشعب والوطن. وان هذا الامر من حيث دوافعه الداخلية كان اوضح لدى الحرفيين الذين كانوا يؤلفون احد العناصر الاساسية للبازار - لولب التحرك السياسي في الفترة التي نحن بصدددها. فقبل تأسيس الحكم القاجاري كان يوجد في تبريز، مثلا، ما لا يقل عن ٢٠ ألف حرفي مسجلين في الاصناف وموزعين على ٧٠ صنعة مختلفة^(٧). وفي عهد ما قبل القاجار قطع هؤلاء وزملاؤهم في المدن الكبرى الايرانية الاخرى شوطا بعيدا الى امام جعل البازار «معملا وسوقا في وقت واحد» ولغاية اوائل القرن التاسع عشر حسب تأكيد شاهد عيان^(٨). ومما له معزاه الحبير بهذا الصدد ان

(٧) م. خ. حيدروف، حول تنظيم المحلات الحرفية الكبيرة وتطورها في مدن ايران الصفوي خلال القرن السابع عشر، - «عن الرأسمالية في بلدان الشرق من القرن الخامس عشر حتى القرن التاسع عشر»، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٦٢. ص ٣٢٦.

(٨) ف. كورف. ذكريات عن ايران في ١٨٣٤ - ١٨٣٥. باللغة الروسية. بطرسبورغ، ١٨٣٨،

صناعي انكلترا اتخذوا في القرن السابع عشر وحتى في القرن الثامن عشر بغض
الاجراءات ضد استيراد شركة الهند الشرقية البريطانية لانواع من الاقمشة الايرانية
الى اسواق البلاد⁽⁹⁾.

ولاشك في انه كان بإمكان هذه النواة ان تتطور في مجرى طبيعي لو توفر
لها المناخ الملائم، الا ان ضعف السلطة المركزية والتسيب الاقطاعي
والحرمان المتكررة لايران وعوامل اخرى مشابهة رافقت الحكم القاجاري
حالت دون توفر الضمان على حياة الفرد وممتلكاته - الشرط الاول والاساس
لـ «رؤس المال»، وقد حال دونه ايضا نظام الامتيازات الذي بداه الروس
الانكليز وتمادوا فيه في العهد القاجاري. فبعد الاندحار الفظيع امام الجيش
رئيسي في عهد ثاني ملوك آل قاجار اضطرت الحكومة الايرانية الى التوقيع
عام ١٨٢٨ على «معاهدة تركمانجاي» التي حددت بنودها الرسوم الكمركية
على البضائع الروسية المستوردة بـ ٥٪ فقط، وسرعان ما امتد مفعول هذا
القرار ليشمل البضائع البريطانية ومن ثم غيرها ايضا، مما تحول الى المسمار
الاول في نعش الانتاج الحرفي الايراني، فنتيجة لموجة البضائع الاوربية
المستوردة بدأ اقدم حقول ذلك الانتاج يعاني من ازمة حقيقية ادت الى افلاس
الاف مؤلفة من الحرفيين في مدن ايران وقراها. فكان من الطبيعي ان يتحول هؤلاء
الى اكثر الجماعات تحمسا للتغيير، وقد لعبوا دورا بارزا جدا في تحركات البازار
السياسية، واصبح لهم صوتهم المسموع في كل حدث سياسي كبير شهدته الساحة
الايرانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. والشواهد
على هذه الحقيقة كثيرة جدا، منها، على سبيل المثال لا الحصر، اشتراكهم الفعال
في ما عرف بـ «قلاقل او عصيان التبغ» ضد امتياز شركة تالبوت البريطانية عام
١٨٩١، ودورهم البارز في الثورة الدستورية (١٩٠٥ - ١٩١١). ولم يكن مجرد
صدفة ان اول قانون انتخابي شرع في ايران يوم ١٤ اب ١٩٠٦ منح اعضاء
الاصناف حق الترشيح والتصويت. والابلغ حتى من ذلك هو طريقة توزيع

(9) Sh. M. Badi, Op. Cit., P. 21.

للعاصمة، وهي نصف مجموع مقاعد المجلس، فقد حدد للاصناف منها ٣٢ مقعدا وللتجار ١٠ مقاعد مع عدد مشابه للملاكين و٤ مقاعد لرجال الدين والاربعة الباقية لافراد الاسرة القاجارية^(١٠).

فكان الحرفيون الذين يؤلفون فئة اجتماعية متوسطة مدنية مؤثرة، متحمسين للتغيير، بل، وبدون مبالغة، لكل تغيير من شأنه هز اركان النظام القاجاري بصورة او باخرى. وربما يكفي القول ان العديد من حرفيي زنجان ورشت وغيرهما من المدن الايرانية ضحوا بحياتهم في سبيل حركة مشوهة لروح الاسلام كالحركة البابية.

وفي ظل الظروف نفسها لم يكن وضع الفئة المدنية الايرانية التي حاولت استثمار رساميلها في مجال الانتاج الصناعي افضل بكثير من وضع الحرفيين. فيفضل سياسة القاجاريين اشهرت في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين اكثر من خمسين معملا وورشة صناعية ايرانية الافلاس، وهي كانت تؤلف معظم المشاريع الصناعية الحديثة التي اسست بالراسمال الوطني الذي اصبح لاصحابه صوته المسموع في المجتمع الايراني خاصة عشية تأسيس الاسرة البهلوية.

ولم يكن بوسع رجال الدين الايرانيين ان يبقوا بمعزل عن التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها ايران منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فان الارض الزراعية اصبحت «مغرية» الى درجة انها جذبت بشدة انظار كبار رجال الدين الذين اصبحت بدورهم ملاكين بارزين. فقد حولوا جانبا من اراضي الوقف الى املاك خاصة بهم، اذ كانوا السباقين لشراء القطع التي كانت تعرض للبيع بسبب الحاجة الى بناء مسجد او ترميم اخر او للصرف على المدارس الدينية وماشابه. وكما يؤكد شاهد عيان في مطلع القرن العشرين ان كبار رجال الدين لم يقتصروا على شراء اراضي الوقف فقط، بل انهم اقبلوا على اقتناء الانواع الاخرى من الاراضي ايضا من «دون حرج من اسلوبه» وكانوا، كما يؤكد، مستعدين «للاقدام على كل اساليب التعسف الممكنة من

(10) D.N. Wilber, Riza Shah Pahlavi: The Resurrection and Reconstruction of Iran, New York, 1919 P. 28.

أجلها» ، فلم يكن اعتبارا ، والحالة هذه ، ان اطلق بسطاء الناس من فقراء الريف على امثالهم اسم «المجتهدين - الدعاة» حسبما يذكر المؤلف نفسه^(١١) . وهكذا غدت املاك كبار رجال الدين تؤلف جانبا كبيرا من التملك الخاص للارض الزراعية. فقد ظهر في طهران وقزوین واصفهان من المجتهدين من تراوح عدد قراه ما بين ٥٠ و ٢٠٠ قرية وعشية سقوط القاجاريين كان قد تحول الجانب الاكبر من اراضي الوقف في فارس الى املاك خاصة لرجال الدين الذين كان في حوزتهم ايضا حوالي ٤٠٪ من اراضي رشت الزراعية كملك خاص بهم. فضلا عن ذلك فانهم كانوا يستأجرون لانفسهم اراضي الوقف حسب شروط مجزية، وقد زاولوا تجارة الارض والحبوب وغيرها^(١٢) . وبسبب ذلك كله تحولوا بصورة لا ارادية الى انصار لادخال التبادل النقدي في الريف، الامر الذي كان يتناقض على طول الخط مع اسس النظام القديم.

وقد انعكست هذه الامور على مواقف كبار رجال الدين السياسية التي اتسمت بطابع خاص. ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر وفي بداية القرن العشرين وقف العديد منهم الى جانب الحركة الديمقراطية واحتلوا فيها مراكز قيادية مع انهم كانوا يميلون بقوة الى الحفاظ على القيم والتقاليد القديمة شرط ان ترجح في اطارها كفة الميزان في تسيير الامور الى جانبهم كما كان عليه الامر قبل عهد ناصر الدين شاه (١٨٣١ - ١٨٩٦). وفي ذلك انهم كانوا يختلفون في موقفهم السياسي عن الفئات الاخرى التي تطرقنا اليها. فانهم كانوا يريدون تراجع السلطات الدينيوية امامهم فوقفوا لذلك مع كل ما من شأنه تقليص نفوذ تلك السلطات مثل الدستور والبرلمان وغيرها. الا انهم، بالمقابل، بذلوا كل ما في وسعهم من اجل ان تكون لهم الكلمة العليا في المؤسسات المذكورة، وقد حققوا فعلا جانبا كبيرا مما ارادوا. فبموجب اول دستور وضع للبلاد اثر المشروطية اصبح لرجال الدين عدد من المقاعد في

(11) Atrpet, Op. Cit., PP. 34, 137.

(١٢) للتفصيل راجع: أ.ي. ديومين، القرية الايرانية المعاصرة، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٧٧، ص ٢٦، ٢٧، ٥٣.

مجلس النواب، كما نص احد بنود الدستور نفسه على تأليف لجنة خماسية عليا جميع اعضائها من كبار رجال الدين مهمتهم النظر في كل تشريع جديد يصدره المجلس قبل ان يتخذ صيغته القانونية النهائية، فهم الذين كانوا يقررون ما اذا كان مطابقا للشريعة الاسلامية ام لا.

وقد استمر كبار رجال الدين على موقفهم المتردد هذا في السنوات الاخيرة من العهد القاجاري بنفس الدوافع كما نلاحظ ذلك فيما بعد.

من كل ماسبق يبدو واضحا انه كانت توجد في ايران اواخر القرن التاسع عشر واولائل القرن العشرين قوى اجتماعية مؤثرة تريد التغيير بدرجات مختلفة متفاوت ما بين التغيير المحدود والتغيير الجذري، وهي كانت تصارع القديم وتتصارع فيما بينها في ان واحد وايضا بتفاوت ترك (التفاوت) بصماته على التغيير الذي وقع في نهاية المطاف وانتهى بسقوط الاسرة القاجارية وظهور الاسرة البهلوية. ولم تنقص هذه الفئات اداة التنفيذ، اذ لم يكن من الصعب عليها تحريك قطاع واسع من الجماهير الايرانية المستاءة من وضعها البائس.

ثانيا - نمو الحركة الوطنية:

وبحكم العوامل التي ذكرناها في الفقرة السابقة بدأت الحركة الوطنية الايرانية المعادية للحكم القاجاري وللوجود الاجنبي تنمو ويتصلب عودها طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، مما انعكس في سلسلة من الانتفاضات والاضرابات وانحركات الثورية تأتي في مقدمتها المشروطية (الثورة الدستورية). وبحكم عوامل محددة لا . جال لذكرها دخلت الحركة الوطنية هذه مرحلة جديدة حاسمة مع انتهاء الحرب العالمية الاولى. ففي كل يوم كانت تتفجر انتفاضة قوية جديدة في زاوية من زوايا ايران، منها، على سبيل المثال لا الحصر، انتفاضة كيلان بزعامة مرزا كوجك خان وانتفاضة اذربيجان بقيادة الشيخ محمد خياباني وانتفاضة خراسان بقيادة محمد تقي خان وانتفاضة كردستان بقيادة سمكو وغيرها. وكانت بعض هذه الانتفاضات تستهدف التحرر القومي. فان الجريدة التي اصدرها سمكو في أورميه، مثلا، كانت تحمل مثل هذا الاسم «روزي كورد - شه وي عه جه م» (نهار الكرد - ليل العجم). وكادت هذه الحركات ان تعصف بالنظام القاجاري، كما ان

بعضها (انتفاضتي كيلان واذرييجان) قطعت شوطا لا بأس به على درب تغيير النظام تغييرا جذريا لا يقضي على الاسرة القاجارية حسب بل يؤدي ايضا بكل بال وقديم وبكل وجود للاستعماريين في البلاد. ولتوضيح هذه النقطة المهمة نورد نموذجا معبرا واحدا فقط. فكما تعترف الوثائق السرية البريطانية ان جميع الاجانب وكل مسؤولي الحكومة المركزية استعدوا للانسحاب من العاصمة طهران ايام انتفاضة الجنكليين في كيلان بزعامة كوجك خان عام ١٩٢٠ - ١٩٢١، اما احمد شاه نفسه فقد استعد للهرب الى اوروبا بحجة المرض^(١٣).

وكما اثبتت الاحداث اللاحقة بات الحكم القاجاري اعجز من ان يقف امام التيار الجارف الجديد، الامر الذي جعل من قوى داخلية وخارجية معينة تميل الى تغيير من نوع خاص يحول دون وقوع التغيير الجذري الذي ظهرت بوادره واضحة في الافق. وهذه حقيقة موضوعية مهمة للغاية يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار عند تقييم التغيير الذي شهدته ايران في اواسط العقد الثالث من القرن العشرين.

ثالثا - انحلال النظام القاجاري:

لم يعجز النظام القاجاري عن الوقوف امام رياح التغيير العاصف حسب، بل انه، فضلا عن ذلك، قد انحل الى درجة بحيث تحول الى عبء ثقل على عاتق الجماهير الايرانية. فحسب وصف المؤرخ الايراني مختار السلطنة كانت الحكومة القاجارية «حكومة استبدادية غير منظمة، يسود البلاد (في ظلها - ك. م.) ظلم موظفي الدولة وعدوانهم، فاختفى كل اشكال الضمان القضائي والحقوقى، ولم يبق الناس في اطمئنان على حياتهم واموالهم»^(١٤).

(13) (Documents on British Foreign Policy, 1919 - 1939), First Series, Vol. XIII, London, 1963, PP.

564 (Memorandum on Persian situation by Mr. Churchill), 688, 691 - 692.

(١٤) حبيب الله مختاري (مختار السلطنة). تاريخ بيداري ايران، طهران، ١٣٢٦ - ١٩٤٧، ص ٣٥.

وقد تفتشت الرشوة في كل مرافق الدولة. فبعد انقلاب شباط ١٩٢١ طالبت الحكومة نفسها الامير فرمان فرما بمبلغ اربعة ملايين تومان تعويضا عن «جزء من سرقاته» ايام ولايته على مقاطعة فارس^(١٥). ومنذ العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر تحول جميع كبار المسؤولين الى عملاء مكشوفين للاجنبي، حتى ان جريدة «حبل المتين» المعارضة التي كانت تصدر في كلكتا غيرت جميع احكام ايران في عددها الواحد والعشرين الصادر عام ١٣١٤ للهجرة بانهم يفتخرون ويعتزون حينما يضمن لهم «الروس او الانكليز، الامريكان او الالمان» النعيم والرفاه في حياتهم الخاصة.

اما احمد شاه، آخر ملوك قاجار، الذي وصفته احدي الوثائق السرية البريطانية على لسان وزير الخارجية اللورد كرزون «كأجنبى رجل في ايران كلها»^(١٦)، فقد تحول في السنوات الاخيرة من حكمه الى بيدق بيد البريطانيين، فنادرا ما كان يقدم على تعيين رئيس وزراء جديد، او ابعاد آخر دون استشارة السفارة البريطانية في طهران، بل انه كان يستشير الانكليز حتى في تحركاته الشخصية داخل البلاد وخارجها، وفي بعض الاحيان كان يبعث بسكرتيه الخاص لاستشارة السفير مرتين في اليوم الواحد^(١٧). وكان «رأس الدولة» هذا يتلقى بكل بساطة الاموال من الحكومة البريطانية. . وقد ورد في وثيقة بريطانية سرية بهذا الصدد ما نصه:

«انه (أي احمد شاه - ك. م.) يميل الان الينا كليا وقد قرأنا يعمل معنا بأسلوبه الفردي نوعا ما. وان افضل طريقة للاحتفاظ به في هذا الاطار من التفكير هي منحه او الحصول له على اكبر قدر ممكن من الاموال التي يحبها اكثر من أي شيء آخر في الدنيا»^(١٨). وقد بلغ الامر بحكومة هذا الشاه انها نزلت الى ميدان السوق السوداء على الصعيد العالمي بتشجيعها زراعة افiony وتصديره للخارج كأحدى الوسائل الهزيلة لمعالجة العجز المستمر في ميزانيتها. وقد بلغ التسبب الاقطاعي والحزازات

(15) «Documents on British Foreign Policy, 1919 - 1939», First Series, Vol. XIII, PP. 730, 734;

س.م. اكاييف، ايران في فترة الازمة السياسية ١٩٢٠ - ١٩٢٥، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٧٠، ص ٥٨. (في الهوامش القادمة: S.L. Agaev).

(16) «Documents on BFP», First S, Vol. XIII, P. 703.

(17) Ibid, PP. 459, 463, 537, 686, 699 - 700, 738. First Series, Vol. XIII, PP. 730, 734;

(١٨) مقتبس من

M. Zonis, The Political life of Iran, Princeton 1971, P. 304.

العشائرية الذروة في ظل القاجاريين حتى غدا القول «انا وعشيرتي ضد الامة . انا وابناء عمومتي ضد العشيرة . انا واخوتي ضد ابناء عمومتي . انا ضد اخوتي» مثلاً جارياً على الألسن في كل البلاد^(١٩) .
وفي مثل هذه الاجواء كان من الطبيعي ان لا يبقى في طول البلاد وعرضها انسان مخلص لا يرغب في سقوط الحكم القاجاري .

رابعاً - تبدل تناسب القوى على الصعيد الدولي :

مع قلب النظام القيصري في روسيا وانتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية طرأ تغيير كبير في تناسب القوى على الصعيد الدولي كانت اثاره بالنسبة لايران اعمق منها في معظم اجزاء المنطقة الاخرى . ففي العهد القاجاري تحولت ايران عملياً الى شبه مستعمرة تابعة لروسيا القيصرية وبريطانيا العظمى ، حتى ان الدولتين قامتا بموجب اتفاقية عام ١٩٠٧ بتقسيم البلاد الى منطقتي نفوذ تابعتين لهما . وكان الدبلوماسيون والخبراء الروس يصلون ويجولون في ايران كما ان القوات الروسية كانت تحتل مناطق حساسة من البلاد وتهدد بالزحف على العاصمة طهران بين الحين والآخر . ولكن انتهت روسيا القيصرية واطماعها في العام ١٩١٧ فارادت انكلترا ان تحل محلها في شمال ايران اولا ومن ثم تحول تلك المنطقة الى نقطة انطلاق لها نحو مناطق القفقاس وما وراء القزوين وحتى نحو اسيا الوسطى ، وهي جميعها مناطق مغرية من وجهة نظر اقتصادية و استراتيجية . وعندما لم تتحقق احلام الاوساط الحاكمة في لندن ركزوا على تحويل ايران الى سد منيع امام «الخطر البلشفي» الجديد ، ولكن النظام القاجاري كان اعجز من ان يأخذ تلك المهمة على عاتقه كما يجب . اذن فقد ظهر في الميدان عنصر جديد دفع بالانكليز للتفكير في التغيير من منطلقهم الخاص .

(١٩) Barbara English, John Company's last War, London, 1971, p.303.

ولم يقتصر التبدل في تناسب القوى على ما اسلفناه. فمع انتهاء الحرب العالمية الاولى ظهرت الولايات المتحدة الامريكية كقوة اكثر فاعلية وتأثيرا على مجرى احداث الشرق الاوسط، وهذا كان يعني، في الوقت نفسه، ظهور قوى دولية جديدة يمكن لبعض اجنحة المعارضة الايرانية الركون اليها، خاصة قبل ان تتكشف النوايا الامريكية على حقيقتها. فبدأت تلك الاجنحة تعمل من اجل التغيير بجرأة اكبر من السابق لانها كانت تتوقع المساندة الامريكية الاقتصادية والسياسية لها. وعلى الغرار نفسه نشط اليسار الايراني بصورة لم يسبق لها مثيل بحكم ما علقها من آمال على التغيير الذي حدث في روسيا تجاوزت الواقع لتكسب طابعا طوباويا في بعض منطلقاتها.

وهكذا اشتدت «لعبة شد الحبل» من اجل السلطة في ايران، فكان لابد من شخص يقرر مصير اللعبة بقوته وحزمه وطموحه ومركزه وبالاتجاه الذي يرضي الجهات ذات الوزن «الاكبر» في كفة الميزان. ومن بين الجميع كان رضا خان هو الذي تتوفر فيه هذه «المواصفات» اكثر من غيره.

خامسا - شخصية رضا خان

ينتمي رضا خان^(٢٠) الى اسرة ملاكية متوسطة كانت تقطن سوادكوه في مازندران الواقعة شمال ايران. تختلف المصادر الفارسية في تحديد نسب اسرة رضا خان من طرف والده عباس قلي خان. فان المؤرخ المعروف ملك الشعراء بهار يؤكد انتماءها الى عشيرة بالاني^(٢١). بينما حاولت المصادر شبه الرسمية منذ العقد الخامس ارجاع اصل الاسرة الى مجموعة «باواني بهلوي» او «باوه ندي بهلواني» التي كانت، كما ادعت، واحدة من الاسر الساسانية

(٢٠) لتوضيح تاريخ حياة رضا خان استفدنا من عدد من المصادر الانسكلوبيدية فضلا عن مؤلفات س. ل. آكايف و م. س. إيفانوف وو. مليكوف ولا سيما د. ن. ولبر الذين وردت اسماء كتبهم في هوامش البحث وكذلك من: عبدالله رازي، تاريخ معصل ايران^١، تاسيس سلسله ماد تا عصر حاصر، جاب دوم، تهران، ١٣٣٥، ص ٥٦١.

W. Knapp, 1921 - 1941. The Period of Riza Shah, - «Twentieth Century Iran», Edited by H Amersadichi, New York, 1977.

(٢١) في كتابه: تاريخ مختصر احزاب سياسي، طهران، ١٣٢٣، ص ٩٦ ومن الجدير بالذكر توجد قبيلة كردية تسمى (بالاني). وقد ورد اسمها في قصائد الشاعر الكردي المعروف نالي الذي عاش في النصف الاول من القرن التاسع عشر. تقطن عشيرة (بالاني) الكردية منطقة خانقين وقصر شيرين وما والاها.

العريقة. اما والدته نوش آفرين فقد كانت قفقاسية الاصل تركت موطنها بعد انتقاله الى حوزة روسيا بموجب «معاهدة تركمانجاي» واستقرت في طهران الى ان تزوج منها عباس قلي خان في اوائل عام ١٨٧٧ فانتقلت معه الى بلدة الشت بـمازندران حيث رزقا في ١٦ اذار سنة ١٨٧٨ بولد اسمياه رضا. لم يكمل الوليد رضا السنة الاولى من عمره حينما وافى الاجل والده يوم ٢٦ تشرين الثاني عام ١٨٧٨. فانتقل بصحبة والدته الى طهران حيث تمتع برعاية خاله وحنانه خاصة بعد ان تزوجت امه ثانية. وفي صغره اودعه خاله لدى اسرة الجنرال اميرتومان كاظم خان الذي كان على معرفة بعائلته، فعاش رضا وتعلم مع اولاده. ومنذ ذلك الوقت بدت علائم الجد عليه، فكما يروى عنه انه نادرا ما كان يبتسم في طفولته، وكان دؤوبا، نشطا، حتى قيل عنه فيما بعد انه كان يعمل ما بين عشر واثنتي عشرة ساعة في اليوم^(٢٢).

وكتقليد عائلي ترعرع رضا في جو عسكري، فقد كان والده ضابطا بلغ مرتبة الكولونيل (العقيد) قبل مماته. وكان جده علي خان هو الآخر ضابطا لقي حتفه في ميدان القتال اثناء حملة بلاده على هرات داخل افغانستان في اواخر عهد فتح علي شاه ثاني ملوك القاجار. وعندما بلغ رضا الخامسة عشرة من عمره^(٢٣) في عام ١٨٩٣ ادخله خاله في احدى كتائب فرقة القوزاق الجديدة بطهران.

دخل رضا المازاندراني القوزاق جنديا بسيطا، لكنه تدرج في سلكه بسرعة خاصة بعد العام ١٩٠٣ وذلك لما اثبت من كفاءة وجراءة. ففي اول ترقية له أصبح اونهاشيا (قائد عشرة) ومن ثم أصبح «وكيل راست» اي عريفا، وبعد عشر سنوات من الخدمة أصبح رئيس عرفاء. وفي السنة نفسها تزوج للمرة الاولى الا ان زوجته تلك لم تأت له سوى بنت اختفتا عن الانظار منذ عام ١٩٢٤. لكنه تزوج قبل ذلك للمرة الثانية من ابنة القائد العسكري تيمور خان مير بنج الذي كان ينتمي الى اسرة قفقاسية الاصل وزوجته الثانية هذه هي التي أصبحت اول ملكة بهلوية باسم تاج ملك وانجبت له في تشرين الاول

(٢٢) D.N. Wilber, Riza Shah, P. 42.

(٢٣) تؤكد بعض المصادر ان اول دخول لرضا خان في القوزاق كان عام ١٨٩١، أي في الثالثة عشرة من عمره

(راجع: (M.S. Ivanov, Ochirk..., P. 287).

١٩١٩ ولي عهده محمد الذي أصبح الشاه الثاني والاخير في الاسرة البهلوية .
بعد العام ١٩٠٣ اشترك رئيس العرفاء رضا المازندراني في عدة حملات
عسكرية ضد حركات معادية للسلطة المركزية ابدى في جميعها صنوف
الشجاعة، فرقى اثر الحملة على شاهاباد الى رتبة ملازم. وفي العام ١٩١١
اشترك في الحملة ضد سالار الدولة شقيق محمد علي شاه المخلوع وعم
احمد شاه فرقي الى مرتبة ملازم ثان ورئيس وحدة. وبعد سنة واحدة فقط،
اي في الرابعة والثلاثين من عمره، رقي الى رتبة «نائب» اي ملازم اول وذلك
بعد اشتراكه في العمليات العسكرية للقوزاق في اقليم كردستان. اشترك بعد
ذلك في الحملات الموجهة ضد العشائر المعادية في لورستان وخراسان
فاصبح يعرف بين اقاربه برضا خان مكسيم نسبة الى مدفع المكسيم الذي اجاد
استخدامه.

وفي سنوات الحرب العالمية الاولى تدرج رضا خان في الرتب العسكرية،
فقد اصبح ياورا، اي مقدما، في العام ١٩١٥، ثم «سرهنك دو» اي عقيدا
في السنة التالية ونقل الى كرمشاه ثم الى همدان وبعدها الى العاصمة
طهران.

ومنذ ان رقي الى رتبته الاخيرة اصبح لرضا خان مركز في القوزاق يحسب
له حساب، ومنذ ذلك الوقت بدأ يحتك بالحياة السياسية اكثر وازدادت طموحاته
وتجسدت. فبمناورة منه وبالتعاون مع احد قادة القوزاق من الضباط الروس
البيض المعادين لثورة اكتوبر بدأ يحتل مواقع جديدة في قيادة القوزاق، فقد
رقي الى رتبة «سرتيب سوم» اي الزعيم او العميد وعهدت اليه قيادة اورطة
بتهران اجري فيها اصلاحات عديدة جلبت الانظار، ولاسيما انظار الضباط
الشباب من الايرانيين الذين بدأوا يرنون اليه ويتمنون ان يحل محل الضباط
الاجانب في قيادة القوزاق. ويومذاك بدأ رضا خان يهتم بالشؤون السياسية
للبلاد اكثر فأكثر، فأخذ يتابع الصحف الايرانية التي قطعت شوطا لا بأس به
منذ ايام الثورة الدستورية، وكانت الديمقراطية منها تشن حملة واسعة على
النفوذ الاجنبي في البلاد، ومنذ العام ١٩١٣ بدأ بمطالعة جريدة «رعد»
«الليبرالية» التي كان يصدرها الصحفي المعروف ضياء الدين طباطبائي.

ومنذ ان كان يخدم في القوزاق اطلع رضا خان على اوضاع البلاد عن كثب، فقلما وجدت منطقة مهمة في ايران لم يخدم فيها او لم يشترك في حملة موجهة ضد عشائرها. كما احتك ايضا بالاجانب بحكم مهنته. فقد كان الضباط الروس هم الذين يشرفون على القوزاق، كما عهدت اليه حراسة البعثة البريسبيتيرية الامريكية ثم السفارة الالمانية واخيرا المصرفين البريطاني والروسي، فاعجب بالالمان واصبح حساسا تجاه الانكليز، ولاسيما الروس. وبصورة عامة ما كان رضا خان يميل كثيرا للاجانب، ولكن، على مانعتقد، لم يبلغ به الامر حد ان يعلن اسام عدد من كبار الضباط البريطانيين عشية انقلاب شباط ١٩٢١ بان «من واجب كل ضباط القوزاق في قزوین وطهران ان يتحدوا لطرد الاجانب من ايران وابادة الموالين لهم» كما يدعي بعض المؤرخين الايرانيين^(٢٦). وينفي ذلك ايضا ماكان يتصف به من حذر وتأن في تصرفاته^(٢٧).

ومهما يكن من امر فان رضا خان جلب انظار البريطانيين بقوة شخصيته وطموحه واقدامه ومنطلقاته الفكرية المعادية للديمقراطية والمالية للدكتاتورية على طول الخط، فقد ابدى الجنرال ادموند آيرونسايد، وكان من كبار قادة الجيش البريطاني في ايران يومذاك، ومن العاملين في «الانتلجنس سرفيس»، اعجابه به وابدى له مساندته مرة على مسؤوليته الخاصة وقبل استشارة لندن^(٢٨). كما ان السربيري سي سايكس توقع في وقت مبكر بأن رضا خان هو الشخص المؤهل لاجراء التغيير المطلوب في ايران^(٢٩). وجاء وصفه على لسان السفير البريطاني في طهران هرمن نورمن في رسالة سرية بعثها الى وزير الخارجية اللورد كرزون بتاريخ ١٣ آذار ١٩٢١ كـ «ضابط شريف وقدير لا طموح سياسي له»^(٣٠)، ولكن سرعان ما استبد به الطموح السياسي الى درجة لم يستكن الا بعد ان اعتلى عرش طاووس.

(٢٦) حسين مكّي، تاريخ بيست ساله ايران، جلد اول، تهران، ١٣٢٣.

(27) G. Lenczowski, Russia and the West in Iran (1918 - 1948), New York, 1949, P. 72.

(28) W. Knapp, Op. Cit., P. 24.

(29) M. Zonis, Op. Cit., P. 301.

(30) (Documents on British Foreign Policy, 1919 - 1939), First Series, Vol. XIII, P. 729.

البداية:

دب الانحلال كليا في جسم الدولة الايرانية مع انتهاء الحرب العالمية الاولى، فقد غدت منهوكة القوى سياسيا واجتماعيا واقتصاديا. وفي نفس الوقت ازداد اهتمام البريطانيين بايران فحاولوا ربطها نهائيا بعجلة امبراطوريتهم بان فرضوا عليها في ٩ اب ١٩١٩ معاهدة جديدة اختاروا لها اسم «اتفاقية المساعدة البريطانية من اجل تقدم ايران ورفاهها» (!)، وقد وقعها عن الجانب الايراني رئيس الوزراء وثوق الدولة وعن الجانب البريطاني السفير بيرسي كوكس بعد مفاوضات دامت لمدة عام واحد تقريبا.

منحت بنود المعاهدة^(٣١) البريطانيين حق استخدام مستشاريهم في اهم المؤسسات الرسمية الايرانية، بما في ذلك الجيش الذي تقرر ان يزود ايضا بالاسلحة البريطانية. كما حصل البريطانيون على حق انشاء السكك والطرق داخل ايران. وبالمقابل تعهد الجانب البريطاني بمنح ايران قرضا بمبلغ مليوني جنيه استرليني وبفائدة سنوية مقدارها ٧٪ بضمان دخل الكمارك الايرانية. وفي مذكرة لاحقة وافقت الحكومة البريطانية بعد مفاوضات طويلة على «اعادة النظر» في المعاهدات المعقودة بين الطرفين من قبل والعمل على منح تعويضات عن الاضرار التي سببتها «الدول الاخرى» لايران في سنوات الحرب العالمية الاولى وبذل الجهود لـ «تصحيح حدود ايران» في النقاط التي يعتبرها لطرفان ضرورية وعادلة^(٣٢). ولكن سرعان ما تراجع الجانب البريطاني عن التزاماته بصدد التعويضات والغاء المعاهدات السابقة^(٣٣).

وهكذا ضمنت بريطانيا لنفسها بموجب مواد المعاهدة الاشراف على جهاز الحكم الايراني وعلى اقتصادها وجيشها «دون ان تأخذ على عاتقها مهمة السيطرة المباشرة على الادارة الايرانية» والانجرار جراء ذلك في الالتزامات المالية على نطاق واسع» كما ورد نصا في مذكرة وزير الخارجية اللورد كرزون الى اعضاء الوزارة البريطانية بمناسبة عقد المعاهدة^(٣٤).

(٣١) راجع نصها في:

N.S. Fatemi, Diplomatic history of Persia 1917 - 1923, New York, 1952, PP. 10 - 12.

(٣٢) احمد كسروي، تاريخ هجده ساله اخريجان، جاب سوم، تهران، ١٣٤٠، ص ٨٢٥.

(33) S.L. Agayev, Op. Cit., PP. 18 - 19.

(34) «Documents on British Foreign Policy», First Series, Vol. IV, London, 1952, PP. 1120 - 11221.

واعتقد اللورد كرزن جازما بانه استطاع بفضل هذه المعاهدة ان يحقق الهدف الاساس من السياسة التي رسمها لبلاده تجاه ايران بعد الحرب والتي كانت تتوخى ايرانا مستقرة موحدة خاضعة للنفوذ البريطاني وتلعب دور الدولة الحاجزة بين الهند وروسيا السوفيتية وتؤثر على مجرى الامور في الشرق الاوسط بما يتوافق كليا مع المخططات البريطانية. لذا فانه لم يرغب، على ما يبدو، في ان يشاركه احد فيما تحقق بفضل المعاهدة لبلاده، فقد علق بعد التوقيع عليها مباشرة قائلا:

«فوز كبير حققته بوحدي»^(٣٥).

اثار عقد المعاهدة موجة احتجاج واسعة في الداخل، كما في الخارج. فقد قيمها الايرانيون كنوع من الحماية المقنعة لبريطانيا على بلادهم، الامر الذي لم يتصل عنه البريطانيون بل حاولوا اصفاء طابع اتفاق دولي عليه. ففي عددها الصادر يوم ٢١ اب ١٩١٩، اي بعد نشر المعاهدة باقل من اسبوعين، كتبت الجريدة الايرانية شبه الرسمية «رعد» التي كان يصدرها الصحفي الموالي للبريطانيين سيد ضياء الدين طباطبائي مقالا في صدر صفحتها الاولى تقول فيه ان «الدول الكبرى الاربع في باريس»^(٣٦) قررت وضع ايران تحت الحماية وجعلتها جزءا من حصة بريطانيا العظمى.

عبر الايرانيون عن سخطهم على المعاهدة واحتجاجهم ضدها بشتى الصور، فقد انفجرت مظاهرات حاشدة معادية للبريطانيين وللسلطة الرجعية الحاكمة في كل مكان، ونشطت اقلام ابرز الشعراء في قدح المعاهدة وذمها، وانتحر عدد من الضباط احتجاجا على عقدها، ونشرت صحف المعارضة مقالات نارية ضدها وضد كل من كان يقف وراءها. فقد طالبت جريدة «ستاره» (النجمة) في عددها الصادر يوم ١٦ تشرين الاول ١٩١٩ المسؤولين بان يلغوا المعاهدة «لينقذوا بذلك شرف بلادهم». وبحثت جريدة «آفتاب» (النور) في عددها الصادر يوم ٦ تشرين الثاني ١٩١٩ عن «الرجال الذين بوسعهم ان ينتفضوا من اجل الحقيقة ومن اجل شرف ايران وعزها».

(35) M E. Yapp, Op. Cit , P 21.

(٣٦) تقصد مؤتمر الصلح في باريس الذي كان لا يزال مستمرا في اعماله.

وفي مثل هذه الاجواء لم يجزى حتى عملاء الانكليز على الدفاع عن المعاهدة ولم يبق من يطالب بابرامها سوى حكومة وثوق الدولة وقد ورد في احدى الوثائق السرية البريطانية بهذا الصدد مانصه:

«ان اعداءنا سواء داخل المجلس او خارجه يطالبون باعلى صوتهم بتأجيل الاتفاقية والغائها، اما اصدقائنا فانهم يطالبوننا بصوت واحد ان ننقذهم من وضعهم الحرج بالغائها».

وحسبما تعترف الوثيقة نفسها صراحة ان ٥٥ من اعضاء المجلس المواليين للانكليز اضطروا الى نشر بيان اعلنوا فيه «وقوفهم ضد المعاهدة» بعد ان بدأ الناس يتحدثون على نطاق واسع عن «تلقينهم الرشوة» من البريطانيين «من اجل تأييدها»^(٣٧). ومما له مغزاه العميق ان ٣٩ من هؤلاء نشروا مذكرة طالبوا فيها بالغاء المعاهدة بعد يوم واحد فقط من اجتماع سري عقده مع السفير البريطاني تعهدوا له اثناءه بـ «الدفاع عن مصالح انكلترا السياسية»^(٣٨).

وعلى الصعيد الخارجي شنت الصحافة الفرنسية، ولاسيما الامريكية حملة واسعة ضد المعاهدة الايرانية - البريطانية^(٣٩). فقد كتبت مجلة (The Century) الامريكية في عددها الصادر في كانون الثاني عام ١٩٢٠ عن المعاهدة تقول ان «ايران قد انتهت» وان «انكلترا هي التي جنت فوائده» خروج روسيا من اللعبة، اذ نجحت السياسة البريطانية في تصنيف ايران «الى جانب مصر وشبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين كمحمية تابعة للامبراطورية البريطانية»، الرأي الذي اكدته بنفس الحماس الدورية الامريكية «القضايا الاجنبية» (Foreign Affairs) في عددها الرابع من مجلدتها السادس.

وانتقد مجلس الشيوخ الامريكي المعاهدة باسلوب لاذع. وفي ٤ ايلول ١٩١٩ طلبت واشنطن من سفيرها لدى طهران ان يخبر الحكومة الايرانية عن قرار الولايات المتحدة الرسمي برفض ابداء اي مساعدة لها احتجاجا على عقد المعاهدة. وقد نشر السفير بيانا بهذا الصدد ورد فيه التأكيد على «ان

(37) Documents on British Foreign Policy, 1919 - 1939, First Series, Vol. XIII. PP. 720 - 721.

(38) S.L. Agaev, Op. Cit., P. 47.

(39) N.S. Fatemi, Diplomatic history of Persia. PP. 29 - 35. 54 - 64.

الولايات المتحدة الأمريكية تلقت باستغراب نبأ عقد المعاهدة الجديدة بين إيران وإنكلترا» وهي ترى أن الأوساط الحاكمة الإيرانية أصبحت في غنى عن «تأييد الولايات المتحدة ومساعدتها». وقد شجع بيان السفير الأمريكي بعض الفئات المعارضة الإيرانية للتشدد في موقفها تجاه حكومة وثوق الدولة.

ومن المهم أن نشير هنا إلى أن اللورد كرزن الذي أثاره موقف واشنطن من المعاهدة إلى أقصى حد صرح بأن الأمريكيين كانوا على علم بمفاوضات بلاده مع إيران وبأنه شخصياً أخبر الكولونيل هاوس، أحد أقرب مساعدي الرئيس ولسن، بذلك في باريس وطلب منه أن يخبر الرئيس بالموضوع لذا توقع، كما أكد في مذكرته التي قدمها إلى السفارة الأمريكية بلندن في ٢٢ أيلول ١٩١٩، أن يبارك الأمريكيين «الاتفاقية من الصميم»^(٤٠). وللسبب نفسه اعتبرت الصحافة البريطانية عقد المعاهدة «امراً طبيعياً» ولم تتوقع «أن تثير أي دولة أجنبية» كما كتبت «Morning Post» اللندنية في عددها الصادر يوم ١٩ آب ١٩١٩.

وكانت المعارضة الفرنسية للمعاهدة قوية بدورها. فقد تهمت صحافة باريس عليها بشدة، وانتقدتها الحكومة ووقفت ضدها إلى درجة جعلت الأوساط الدبلوماسية البريطانية تعتقد بأن السفارة الفرنسية في طهران تقف وراء بعض المظاهرات الطلابية التي جرت ضد المعاهدة في العاصمة الإيرانية^(٤١). وبالرغم من كل ذلك لم يكن من السهل على الحكومة البريطانية أن تراجع بسرعة عن موقفها تجاه المعاهدة. ففي المذكرة الخاصة التي أعدتها الخارجية البريطانية في ٢٥ حزيران ١٩٢٠ عما أسمته بـ «المسألة الإيرانية» ورد تأكيد خاص على أن «الاتفاقية الانكلو- إيرانية لا تزال تؤلف حجر الزاوية في سياسة حكومة صاحب الجلالة»^(٤٢). وقد عبر شاه إيران أثر عودته من أوروبا عن تأييده لها وعن وقوفه إلى جانب رئيس الوزراء وثوق الدولة على الرغم من قناعته بأن «له أعداء كثيرون وبأنه لا يتمتع بأي شعبية» كما أكد بصورة خاصة

(40) Ibid, PP. 35 - 36; Sh. M. Badi, Op. Cit., P. 130

(41) N.S. Fatemi. Op. Cit., P. 37.

(42) «Documents on British Foreign Policy, 1919 - 1939», First Series, Vol. XIII, PP. 492 - 493, 502.

(43) Ibid PP. 541 - 532 (Memorandum on the Persian Question by Mr Esmond Ovey, a member of the Northern Department).

للسفير البريطاني^(٤٤)

ولكن لم يكن بوسع مثل هذا الموقف سوى ان يذكي نارالمعارضة القوية التي تعدت مقاومة المعاهدة ووزارة وثوق الدولة بان اصبحت تستهدف وجود النظام برمته. ففي تبريز اسس خياباني «الحكومة الوطنية» في حزيران ١٩٢٠ واطلق على اذرييجان اسم «ازاديستان» اي بلاد الحرية واعلن عن قطع كل صلة له بالحكومة المركزية. وفي كيلان اتخذ كوجك خان نفس الموقف. ففي العاشر من حزيران عام ١٩٢٠ بعث من رشت بثلاث برقيات للحكومة المركزية وللسفارات الاجنبية في طهران تدين نصوصها بشدة سياسة انكلترا التي «جلبت الخراب للبلد والشعب» وتعلن عن قرار «اللجنة الثورية لايران» بالغاء الملكية وتأسيس نظام جمهوري جديد يعتبر «كل اتفاقيات الحكومة البريطانية» مع «الحكومة الايرانية غير مشروعة وملغية»^(٤٥).

وهكذا فان الوضع الداخلي في ايران قد توتر الى درجة بحيث غدا البريطانيون يخشون ان تعصف المعارضة برأس «صاحب الفخامة رئيس الوزراء» بل وحتى برأس «صاحب الجلالة الشاه نفسه» كما ورد نصا في «برقية جد مستعجلة» بعثها السفير نورمن الى كرزن بتاريخ ٢٣ حزيران ١٩٢٠^(٤٦). وبما ان ذلك كان يعني احداث ثغرة خطيرة للغاية فيما يتعلق بمخططات الانكليز بالنسبة لمنطقة حساسة وواسعة من العالم فان الحكومة البريطانية لجأت الى اجراءات عاجلة لمعالجة الموقف، بل كما يبدو واضحا من وثائقها الخاصة انها من اجل ذلك اصبحت على استعداد تام للخروج عن الاطار الذي رسمته لنفسها بحكم ظروف انكلترا الخاصة التي كانت تقتضي عدم تحميل خزينة الدولة اعباء اضافية بسبب التورط في مشاكل خارجية كان بالامكان «حلها» باساليب اخرى وبايدي الاخرين. ففي سلسلة من البرقيات «المستعجلة جدا» ابدى كرزن استعداد حكومته وتوجيهاتها «لتخصيص الاموال اللازمة» ولتحريك القوات البريطانية الموجودة في ايران للقضاء على المعارضة هناك^(٤٧)، في وقت كانت الحكومة نفسها تحسب الحساب لكل ملزم تصرفه في اي مجال

(44) Ibid. PP. 506 - 507.

Ibid, pp. 507 - 508 (٤٥)

Ibid, pp. 537 - 538 (٤٦)

Ibid, pp. 528, 534. (٤٧)

١- ، فـ حين كانت اجراءاتها الحثيثة مستمرة لسحب قواتها من المناطق الاخرى.

الا ان ذلك وحده ما كان يكفي لمعالجة الموقف بدون اجراء تغييرات معينة في مجمل السياسة البريطانية تجاه ايران، الامر الذي اقتنع به كرزن مرغما، ذلك لان «امكانات نجاح السياسة البريطانية في ايران غدت تسوء بالتدريج بعد ان كانت جيدة على مدى اشهر اعقبت التوقيع على الاتفاقية... وهي الان، في الواقع، في وضع سيء جدا» كما ورد نصا في تقرير مفصل، «مستعجل جدا» بعثه نورمن من طهران الى الخارجية البريطانية بتاريخ ١٨ حزيران ١٩٢٠^(٤٨) : وقد وضع نورمن الخيوط الاساسية للسياسة الجديدة الواجب اتباعها ضمن «برقية جد مستعجلة» هي الاخرى بعثها الى كرزن بعد خمسة ايام فقط، اي يوم ٢٣ حزيران. فبعد ان يتطرق نورمن في برقيته الى الوضع اليائس الذي وصل اليه رجلهم الاول في ايران وثوق الدولة والى «فشل سياسته الداخلية» التي «خلق استياء عاما» وادت الى انتفاض «ثلاث مقاطعات في الشمال» يقول:

«اعتقد ان خلفه (خلف وثوق الدولة ك. م.) يجب ان يكون شخصا يستمر على اتباع سياسته الخارجية فيما يتبنى سياسة اخرى داخل البلد ويجب ان يكون راغبا للعمل مع القوميين وفي نيل مساندة شعبية»^(٤٩).

وقد وقع اختيار نورمن على الشخصية «الليبرالية» مشير الدولة لتوفر الشروط المذكورة فيه حسب قناعته، وعندما عرض الامر على الشاه اكد الاخير انه «مقتنع كليا بكل كلمة» ذكرها له بهذا الخصوص.

وهذا ما حصل فعلا. فقد قدم وثوق الدولة في ٢٣ حزيران ١٩٢٠ استقالة وزارته الى احمد شاه الذي قبلها في اليوم التالي وكلف مشير الدولة بتأليف الوزارة الجديدة، فوافق الاخير بعد ان اجتمع «بأذن» من الشاه بالسفير البريطاني ليلة ٢٥ على ٢٦ حزيران ١٩٢٠. وفي هذا الاجتماع الثنائي الذي استغرق ساعتين ونصف الساعة استعرض الرجلان تفاصيل برنامج الوزارة المقبلة وقيما اعضاءها فردا فردا. وفي صبيحة اليوم التالي بعث نورمن «برقية

Ibid, pp. 522 - 524 (٤٨)

Ibid, pp. 537 - 538 (٤٩)

مستعجلة للغاية»^(٥٠) الى كرزن ضمنها خلاصة ما دار بينهما في اجتماع الليلة السابقة وردت فيها اسرار خطيرة بامكانها لقاء الضوء الكافي على جوانب مهمة لما نحن بصددده. فقد ذكر نورمن لكرزن ان من بين الذين اقترحهم مشير الدولة ليشاركوا في وزارته «اثنان من القوميين البارزين» هما «مستوفي الممالك على اساس تأثيره الكبير لثقة الشعب الواسعة به، ومخير السلطنة على اساس نفوذه في اذربيجان»، فوافق عليهما نورمن بالرغم «من سجلهما الاسود في سنوات الحرب»^(٥١) كما ذكر لمشير الدولة بخبث ليضيف الى ذلك قوله للورد كرزن:

«وفي الواقع انهما بالضبط ممن نريدهم لانهما يستطيعان ان يساعدوا اكثر من اي شخص اخر على ترويج سياستنا وانني على علم بانهما مهتمان بان يصبحا صديقين (لبريطانيا بالطبع - ك. م.). ثم يضع نورمن نقاطا اكثر على الاحرف حينما يضيف: «ان بالامكان تأليف حكومة رجعية من دونهما او من دون من هم على شاكلتهما، الا انها سوف تخرب قضيتنا»^(٥٢).

وقد استأنس مشير الدولة رأي السفير في الاجتماع نفسه بخصوص ارسال وفد الى موسكو لاقتناع الروس «بالانسحاب من ايران»^(٥٣) واييقاف دعاية البلاشفة في الداخل»، الامر الذي لم يعترض عليه نورمن. وفي اليوم التالي اجتمع مشير الدولة بالسفير ثانية واتفقا على صيغة البند الخاص بالمعاهدة البريطانية - الايرانية في البيان الوزاري المزمع نشره^(٥٤). فمن اجل امرار المعاهدة تقرر خلال الاجتماعين «اييقاف تنفيذ كل ما يتعلق بها وقتيا» واجراء انتخابات جديدة لاعضاء المجلس بسبب عدم قناعة الرأي العام بالانتخابات التي اجرتها

(٥٠) (most urgent)

(٥١) كانا من المؤيدين لالمانيا والدولة العثمانية في سنوات الحرب العالمية الاولى .

(٥٢) (Documents on British Foreign Policy, 1919 - 1939). First Series, Vol. XIII, pp. 546 - 549

(٥٣) دخلت قطع من الاسطول السوفيتي ميناء انزلي الايراني في تلك الفترة لاستعادة السفن الحربية الروسية التي كان يستخدمها اعداء الثورة من رجال الحرس الابيض .

(٥٤) (Documents on BFP, 1919 - 1939), First. S., Vol. XIII, pp. 549 - 550

السابقة، ومن ثم عرض المعاهدة على المجلس بعد ذلك لاقرارها طبقا للمادة الرابعة عشرة من دستور عام ١٩٠٦ الذي ترك له حق قبول أو رفض كل معاهدة او اتفاقية تعقدها الحكومة مع دولة اجنبية.

ومع ان هذه الحقائق جد خطيرة وجد مذهلة وجد واضحة الا انها ليست كل ما كان يجري خلف الكواليس على ما يبدو. فان السفير البريطاني هرمن نورمن قد تطرق الى اسمي مستوفي الممالك ومخبر السلطنة والى اسماء غيرهما في برقية سرية اخرى بعثها الى اللورد كرزن قبل برقيته الاخيرة بيومين فقط وردت الاشارة اليها مرتين في المجلد الثالث عشر من التسلسل الاول من وثائق السياسة الخارجية البريطانية^(٥٥) لكن دون ان ينشر نصها لانها، اغلب الظن، تحتوي على اسرار اخطر تخص الدوائر المعنية وربما شخصيات لها وزن. الخاص فلا يصح نشرها(!).

ضمت وزارة مشير الدولة في عضويتها فضلا عن مستوفي الممالك ومخبر السلطنة عنصريين آخرين عرفا ايضا بميولهما القومية هما مؤتمن الملك ومصدق السلطنة الذي اصبح يعرف فيما بعد باسم الدكتور مصدق.

باشرت وزارة مشير الدولة اعمالها حسب الخطة المرسومة. فانها اوقفت جميع الاعمال التي كانت تنفذ بموجب المعاهدة حتى ان اثنين من الخبراء العسكريين البريطانيين «اضطرا» الى ترك طهران والمجيء الى بغداد انتظارا «للعوده الى ايران بعد موافقة المجلس على الاتفاقية» كما اخبر نورمن اللورد كرزن بذلك في مذكرته المؤرخة ١٨ آب ١٩٢٠^(٥٦). وفي الوقت نفسه اتخذت الوزارة الجديدة بعض الخطوات على طريق تطبيع العلاقات مع روسيا السوفيتية كما انها لم تأل جهدا من أجل القضاء على الحركة الوطنية الايرانية. ولكن بالرغم من ذلك لم تستطع وزاره مشير ان تبقى فترة طويلة في دست الحكم بسبب مجموعة من العوامل. فقبل كل شيء لم يرض البريطانيون عنها لانها لم تتحول الى أداة طيعة بأيديهم مثل وزارة وثوق الدولة، فان الظروف

(٥٥) Ibid, pp. 539, 549, 548

(٥٦) Ibid, pp. 588 - 591

الداخلية والدولية منححتها امكانية تبني سياسة اكثر استقلالية انعكست، مثلاً، في محاولاتها للتقرب من الولايات المتحدة الامريكية رغم معارضة لندن. كما انها اجرت بعض التغييرات في قيادة الجيش الايراني بطريقة لم ترض هي الاخرى البريطانيين^(٥٧). وعجزت حكومة مشير الدولة، مثل سابقتها، في القضاء على الحركة الوطنية التي اشتد اوارها اكثر ايام الوزارة الجديدة بحيث انها فكرت حتى بنقل مقر الحكومة الى الجنوب تحت ضغطها واستعد الاجانب في طهران للجلاء عنها، بينما انسحب من كان منهم موجودا في تبريز، واضطر المصرف الشاهنشاهي البريطاني الى غلق فروعه في العديد من المدن الايرانية^(٥٨). وفي مثل تلك الظروف كان من الطبيعي جدا ان لا تتخذ حكومة مشير الدولة أي خطوة جديّة لتصديق المعاهدة، بينما اكد الانكليز على اهميتها القصوى بالنسبة لسياستهم تجاه ايران في تقرير اعدته وزارة الخارجية البريطانية في اليوم الذي قام مشير الدولة بتأليف وزارته^(٥٩). وأخيرا كان مشير الدولة «ذا طبع ضعيف ومتردد» كما وصفته الوثيقة نفسها، بينما كان البريطانيون يبحثون عن «رئيس وزراء قوي وصديق بوسعه مقاومة الدعاية البلشفية»^(٦٠).

وهكذا لم تكن قد مضت على وزارة مشير الدولة «الليبرالية» سوى ستة اشهر حينما تقدمت باستقالتها الى الشاه مرتين في ١٢ و ١٥ كانون الثاني عام ١٩٢١. وقد ظهر مرتحان جديدان ليؤلّفا الوزارة الجديدة هما سباهدار اعظم ومستوفي السمالك، الاول لكونه «رجلا حازما» والثاني بصفته قوميا ليبراليا. وعندما استفسر الشاه مرتين عن رأي السفير نورمن في المرشحين اجاب بانه «لن يتدخل في موضوع تعيين رئيس جديد»^(٦١) لانه «لا يفكر بمخرج اخر

S. L. Agayev. Op cit , pp 33 - 34

(٥٧)

(Documents on BFP, 1919 - 1939), First S., Vol XIII, pp 563.691 - 692. etc

(٥٨)

حسن اعظام قدسي (اعظام الوراثة) كتاب خاطرات من ياروش شدن تاريخ صد ساله، حلد دوم، تهران، ص ١٢ -

. ١٣

(Documents on BFP, 1919 - 1939). First S , Vol XIII, pp. 541 - 542

(٥٩)

Ibid, pp. 541 - 545

(٦٠)

Ibid, pp. 699 - 755

(٦١)

للأزمة كما تبين بعد شهر ونيف. وكان الشاه يميل الى ترشيح سباهدار اعظم لان المرشح الاخر مستوفي الممالك اخبر السفير البريطاني صراحة بانه في حالة تحمله اعباء المسؤولية يرفض عرض المعاهدة على المجلس^(٦٢). ظل الشاه يتردد في تكليف سباهدار اعظم بتأليف الوزارة الجديدة، وعندما كلفه بدا سباهدار يتردد في قبول العرض بسبب الموقف السلبي الذي اتخذه السفير البريطاني تجاه الموضوع، فظلت البلاد من دون وزارة مدة حوالي شهر واحد. واخيرا وافق سباهدار على تأليف الوزارة وفي ١٦ شباط قدم للشاه اسماء اعضائها الذين كانوا نفس اعضاء الوزارة السابقة فيما عدا اثنين منهم هما وحيد الملك ومحتشم السلطنة الذي عهدت اليه حقيبة وزارة الخارجية. ولقناعته بعدم امكانية امرار المعاهدة قدم الرئيس الجديد اقتراحين بصددهما للسفير البريطاني يقضي الاول منهما الاعلان عن عقد معاهدة بديلة «اكثر فائدة لايران»، ويقضي الثاني منهما تأليف لجنة باشتراك السفارة البريطانية لوضع تقرير حول الموضوع وعدم دعوة المجلس لغاية اعداد التقرير. وعندما استفسر سباهدار اعظم من السفير البريطاني عن رايه اجاب الاخير «ان الامر ليس في حدود صلاحياته» لذا عليه ان يستأنس برأي الخارجية في لندن بخصوصه^(٦٣)، في حين ان نورمن بت قبل ذلك في امور اخطر قبل ان يعود الى وزير الخارجية اللورد كرزن، مما يدل مرة اخرى على انه كان يعد العدة لامر ادهى تلخص منطلقاته في التركيز على الوجود البريطاني في وسط البلاد، ولا سيما جنوبها والتنازل عن التمسك بمعاهدة عام ١٩١٩ التي تحولت الى «ورقة ميتة» حسب وصف «تايمس» اللندنية لها في عددها الصادر يوم ١٩ كانون الثاني ١٩٢١، وتأليف حكومة جديدة قوية غير مكشوفة تستطيع ارجاع «الابن الضال الى رشده»، و«تنقذ» ايران الغنية بثرواتها والمهمة بموقعها من خطر «الضياع»، فظهرت في أروقة الخارجية البريطانية اسماء متباينة من الصديق الصدوق للانكليز الامير المتأورب فيروز نصرت الدولة الى السياسي المعروف باتجاهاته القومية مستوفي الممالك. ولكن جاء «الحل» اخيرا بطريقة اخرى - تدبير اول انقلاب عسكري في ايران والشرق الاوسط، خاصة وان السفير نورمن بدأ يخشى ان تفلت الامور من ايدي البريطانيين فتتألف في

(٦٢) Ibid

(٦٣) Ibid, pp. 727 - 728

مثل ذلك الظرف «وزارة ضعيفة» «ترفض الاتفاقية لتتال بذلك شعبية واسعة وسمعة كبيرة»^(٦٤).

إنقلاب حوت:

شهدت ايران يوم الثالث حوت عام ١٢٩٩^(٦٥) المصادف ليوم ٢١ شباط عام ١٩٢١ إنقلاباً قاده ضياء الدين طباطبائي سياسياً ورضاخان عسكرياً. ادى الانقلاب الى سقوط وزارة سباهدار أعظم التي لم تعش سوى ايام معدودات ودشن بداية تحول سياسي في تاريخ ايران اكتمل بسقوط الاسرة القاجارية وتأسيس الاسرة البهلوية الحاكمة.

تختفي وراء انقلاب حوت ايدي ودوافع وعوامل مختلفة تراوح ما بين الموضوعية والمصطنعة، واشتركت فيه شخصيات متباينة في مشاربها، متفقة في اهدافها الانية.

لعب سيد ضياء الدين طباطبائي^(٦٦) دورا كبيرا لاعداد الانقلاب، وفي تنفيذه. كان ضياء الدين ينتمي الى اسرة دينية معروفة من يزد، ولد عام ١٨٨٠ ودرس في باريس في الفترة ١٩١١ - ١٩١٢. كان مثقفا من الطراز الاول، مهتما بالادب والشعر، ومطلعا على التاريخ. زاول مهنة الصحافة بنجاح، فان جرد «رعد» التي بدأ باصدارها في اواخر الحرب العالمية الاولى جلبت انظار الممثلين الايرانيين والاجانب المهتمين بشؤون ايران. وحسبما يؤكد العديد من المؤرخين انه كان من افضل من يفهم القضايا الدولية بين ساسة ايران في عهده^(٦٧). وكان يصغر رضا خان بحوالي عشر سنوات، وقد اتصف بالجرأة والاقدام وحب المغامرة. وفي «وجد اكثر من خيط يجمع بين صفات ضياء الدين ونوري السعيد.

ترجع بدايات الاحتكاك المباشر لضياء الدين طباطبائي بالحياة السياسية الى سنوات الثورة الدستورية عندما اشترك بحماس في نضال جناحها الليبرالي. ابتعد بالتدريج عن قناعاته الفكرية الاولى وانتقل الى الخندق المقابل قبل

(٦٤) Ibid, pp. 727 - 728

(٦٥) نسبة الى التقويم الفارسي.

(٦٦) لتوضيح تاريخ حياة سيد ضياء الدين طباطبائي واتصالاته اعتمدنا على وثائق السياسة الخارجية البريطانية (التسلسل الاول. المجلد الثالث عشر) مع مؤلفات س. ل. اكاييف وم. س. ايفانوف و. ا. س. مليكوف ودونالد ولبر والكتب الواردة اسماءها ضمن هوامش البحث مع عدد من المصادر الانسكلوبيدية.

(٦٧) راجع مثلاً:

D.N. Wilber, Riza Shah, P. 11.

انتهاء الحرب العالمية الاولى ، فقد اصبح على اتصال وثيق بالبريطانيين والى درجة ان هناك من المؤلفين الايرانيين وغيرهم من يؤكد انه كان يتلقى مخصصات مقطوعة من السفارة البريطانية في طهران ، وقد وصفه السفير نورمن في رسالة سرية بعثها الى وزير الخارجية اللورد كرزن قبل انقلاب حوت بحوالي شهرين ونصف الشهر بانه «معروف جيدا لدى المستر تشرشل»^(٦٨). ومهما يكن من امر فان الرجل كان مؤمنا بان بلاده تستطيع الوقوف على قدميها من جديد بمساعدة البريطانيين.

في العام ١٩٢٠ دخل ضياء الدين طباطبائي السلك الدبلوماسي الايراني حينما عين سفيراً فوق العادة لدى حكومات ما وراء القفقاس - جورجيا المنشقية وارمينيا الداشناقية و «حكومة المساواة» الاذربيجانية. وقد ايد قبل ذلك تأسيس علاقات دبلوماسية طبيعية مع الحكومة المؤقتة التي تأسست في روسيا اثر انتصار ثورة شباط ١٩١٧ ، بينما شن حملة واسعة ضد ثورة اكتوبر والبلاشفة فيما بعد. أيد وزارة وثوق الدولة ووقف بحماس الى جانب المعاهدة البريطانية - الايرانية للعام ١٩١٩ ، فقد كتب عنها بالحرف الواحد يقول: «بدأ عصر جديد للنهضة الايرانية منذ لحظة التوقيع على المعاهدة الانكلو-ايرانية»^(٦٩).

اذن توفر جانب كبير من الشروط المطلوبة في ضياء الدين طباطبائي الذي بدأ يظهر في ثوب جديد عشية الانقلاب ، فقد وسع من اتصالاته بالاطراف القومية والديمقراطية من امثال الشعراء المعروفين عشقي ميرزاده وعارف قزويني ، كما كسب بعض العسكريين الى جانبه ، منهم العقيد محمد تقي خان^(٧٠).

مع ذلك ما كان بوسع سيد ضياء الدين طباطبائي تنفيذ انقلاب حكومي لوحده ، الامر الذي تحول الى اساس مهم لتقربه من رضا خان الذي كان مستاء من الوضع السياسي للبلاد وما كان يسودها من فوضى واضطراب. ففي

(68) Documents on British Foreign Policy, Vol. XIII, PP. 653 - 654.

(٦٩) سيد ضياء الدين طباطبائي ، عصر جديد في تاريخ ايران والمعاهدة الانكلو-ايرانية ، باللغة الروسية ، تالكو. ١٩٢٠ . ص ١ . الف الكتاب ، على ما يبدو ، اثناء سفارته لدى حكومات ما وراء القفقاس .

(70) S.L. Agayev, Op. Cit, P. 47.

تلك الفترة كان ضباط القوزاق الايرانيون متذمرين بصورة عامة، وقد دفعت عوامل متناقضة بهم الى الاقتناع بضرورة وجود حكومة مركزية قوية تستطيع القضاء على الحركة الثورية (التقدم) والتسيب العشيري (التخلف) في ان واحد، خاصة بعد ان عجزت الحكومات المتعاقبة من تنفيذ اولى المهمتين. ثم انهم كانوا مقتنعين بضرورة اجراء بعض الاصلاحات في اطار فهمهم للامور، كما كانوا متحمسين لحماية استقلال البلاد. وقد ولد كل ذلك الثقة التامة لدى قيادة القوزاق بانها تستطيع تحقيق اهدافها بالاعتماد على هؤلاء الضباط الذين كانوا اكثر وعيا نسبيا من زملائهم بحكم احتكاكهم المستمر بالمناطق الشمالية ذات التقليد الثوري المعروف.

فضلا عن عوامل اخرى جمعت الرغبة في وضع حد للحركة الثورية بين ضباط القوزاق ومجموعة سيد ضياء الدين على صعيد واحد، فجرى الاتصال بين الطرفين واتفقا على برنامج عمل مشترك بسرعة ذلك لان ضياء الدين كان بحاجة الى اداة لتنفيذ الانقلاب، وضباط القوزاق كانوا بحاجة الى سياسي من نوعه يستطيع بفضل اتصالاته بالانكليز ودرايته في امور الدولة ضمان النجاح لعمل العسكريين. وبعد تقييم اسماء عدد من المرشحين لقيادة الجانب العسكري من الانقلاب استقر الرأي على اختيار رضا خان لتنفيذ المهمة ذلك لانه كان «الشخص الوحيد الذي بوسعه وقف المد الجديد للحركة الديمقراطية المعادية للاستعمار» في البلاد حسب التحديد الدقيق للمتخصص الكبير في تاريخ ايران المعاصر الدكتور س. ل. آغايف^(٧١).

ومن اجل الحيلولة دون وقوع اي شكل من اشكال المقاومة من جانب الاطراف العسكرية الاخرى اخذ رضا خان على عاتقه امر الاتصال بقطعات القوزاق على ان يتصل سيد ضياء الدين من جانبه بقيادة الجندرية. وفي ١٣ شباط اجتمع قائدا الانقلاب في قزوین واتفقا على توزيع المناصب، فتقرر ان يصبح ضياء الدين طباطبائي رئيسا للوزراء ورضا خان قائدا عاما للقوزاق^(٧٢).

(٧١) Ibid, p. 123

(٧٢) حسين مكي . تاريخ بيست ساله ايران . مجلد اول . ص ١١٤ - ١١٥

وسرعان ما واثت الفرصة المناسبة للانقلابيين لتنفيذ خطتهم . ففي شباط ١٩٢١ قررت الحكومة تغيير قطعات القوزاق الموجودة في العاصمة باخرى افضل منها^(٧٣) تجلبها من قزوین - مقر قوات رضا خان الذي لم يدع الفرصة تفوته ، فتحرك بسرعة نحو طهران رغم ان الحكومة غيرت رأيها والغت قرارها السابق^(٧٤) ربما لانها احست بما كان يجري خلف الكواليس بصورة او باخرى .

في صبيحة ١٨ شباط بدأت قوة القوزاق المؤلفة من ٢٥٠٠ الى ٣٠٠٠ رجل و ٨ مدافع ميدان و ١٨ مدفعا آلياً^(٧٥) زحفها على طهران بقيادة رضا خان . وعلى بعد ٨ كيلومترات من العاصمة التقى سيد ضياء الدين برضا خان وعقدا اخر اجتماع لهما في مقهى شاهآبار بالقرب من مطار مهر آباد شاركهما فيه ثلاثة آخرون من قادة الانقلاب هم الكولونيل كاظم خان سياح والميجر مسعود خان كيهان وأمير احمدي . أقر المجتمعون خطة احتلال طهران ثم ادى سيد ضياء الدين اليمين على القرآن بان «يخدم البلاد وشعبها وأن يوقف تقدم البلاشفة ويخدم صاحب الجلالة احمد شاه» . ادى رضا خان وبقية الضباط بدورهم يمين الاخلاص للوطن والشاه^(٧٦) . بعد ذلك القى رضا خان كلمة حماسية في جنده مؤكدا لهم بان هدف حملتهم على طهران هو «انقاذ البلاد من الفوضى»^(٧٧) .

اثار نبأ تحرك القوزاق نحو العاصمة هلعا كبيرا بين الحكام وغيرهم ، وادخل الذعر في قلب احمد شاه الى درجة مذهلة ، بينما لم يثر اي رد فعل غير طبيعي بين الاجانب الموجودين في طهران وذلك على غير عاداتهم في مثل تلك الظروف ، مما يدل على انهم ربما تلقوا من السفارة البريطانية ماطمأن نفوسهم (١) . وراجت شائعات متباينة بين الناس حول سبب زحف القوزاق على العاصمة ، منها ان البلاشفة يخططون للاطاحة بالنظام ومنها ان الجند

(٧٣) حسبما يؤكد المؤرخ الايراني حسين مكي فان احمد شاه خدع بالايعاء له بان هناك محاولات تجري للاطاحة به مما يستوجب نقل قوات القوزاق من قزوین الى طهران لحماية عرشه (حسين مكي ، المصدر نفسه الجزء الاول ص ١٠٣ - ١٠٤) .

(٧٤) D. N. Wilber, Riza Shah, p. 43

(٧٥) حسب الوثائق البريطانية (DBFP, Vol. XIII, P. 729) حسب مصادر اخرى كانت القوة تتألف من الفي رجل التحق بها ١٠٠ من رجال الجندمة بعثهم سيد ضياء الدين (انظر مثلاً D.N. Wilber, Riza Shah, P. 43)

(٧٦) حسن اعظام قدسي ، كتاب خاطرات من ... ، ص ١٣ - ١٥ ، D.N. Wilber, Riza Shah, P. 43

(٧٧) حسن اعظام قدسي ، كتاب خاطرات من ... ص ١٥ .

هاجموا بسبب عدم صرف رواتبهم^(٧٨)، وحتما كان هناك من يقف وراء هذه الشائعات كجزء من مخطط الانقلاب نفسه.

ظل مجلس الوزراء في اجتماع متواصل طيلة يومي ١٩ و ٢٠ شباط وقد اتخذ قرارا بالاجماع يقضي بارسال وفد يضم ممثلين عن الشاه والوزراء والسفارة البريطانية^(٧٩) للالتقاء بقيادة الانقلاب بهدف اقناعهم بعدم دخول المدينة، الا ان رضا خان رفض الاستجابة للطلب واكد للوفد ان القوزاق عازمون على اقامة حكومة قوية قادرة على «وقف الزحف البلشفي المتوقع اثر انسحاب القوات البريطانية»^(٨٠).

التقى السفير البريطاني في ٢١ شباط بالشاه ونصحه بقبول شروط الانقلابيين بعد ان طمأنه على حياته (!). وبناء على اقتراح زعيم الانقلاب المدني ضياء الدين طباطبائي جعل الشاه الانقلاب من عمل يده وكأنه اراد منه، كما ادعى في بيان نشره بهذا الخصوص، وضع نهاية للالزمات الوزارية المستفحلة^(٨١).

وهكذا دخل الانقلابيون طهران وسيطروا على مداخلها ونقاطها الاستراتيجية ووضعوا الحراسة على كل المؤسسات الاجنبية بداخلها وأطلقوا سراح جميع المعتقلين، وقد اختفى الوزراء والتجأ رئيسهم سبهدار الى دار السفارة البريطانية التي سرعان ما تركها بعد ان طمأنه الانقلابيون على حياته بتوسط من السفير نورمن. وبما ان الخطة كانت محبوكة بصورة جيدة فانه لم يسجل ما يعكر صفو الامن سوى حالة واحدة عندما فتح مركز للجندرمة خطأ النار على الانقلابيين الذين عالجوا الموقف بسرعة، والا فان الحكومة لم تكن لديها امكانات المقاومة حتى فيما لورغبت في ذلك، وبلغت احتياطات الانقلابيين

(٧٨) S. L. Agayev, Op. cit., p. 57

(٧٩) ضم الوفد ممثلين عن السفارة البريطانية كان الملحق العسكري واحدا منهما.

(٨٠) (Documents on British Foreign Policy. 1919 - 1939), First Series, Vol. XIII, P. 729; (the Times).

London, February 25, 1921.

(٨١) (Documents on BFP), Vol. XIII, pp. 730 - 731

حد انهم ضمنوا عدم توزيع العتاد على جندرمة العاصمة عشية الانقلاب، كما ان رئيس الوزراء، تقديرا منه للموقف، اصدر اوامره بعدم ابداء اي مقاومة للقوات الزاحفة^(٨٢).

والان لنترك الحديث للسفير البريطاني هرمن نورمن الذي كان مقتنعا غاية الاقتناع بمثل ماوقع كاسلوب «لانتاذا» ايران من الحركة الثورية، وقد راقب الاحداث عن كثب وسجل وقائعها بدقة وزود اللورد كرزن بكامل تفاصيلها في سلسلة من المذكرات السرية التي لم يكشف النقاب عن جميعها حتى اليوم، ولكن، مع ذلك، بإمكان ما في متناول اليد منها ان يلقي الضوء الكافي على اسرار خطيرة وعلى اساليب جديدة للتعامل مع شعوب الشرق.

بعث نورمن يوم الانقلاب، ٢١ شباط ١٩٢١، بمذكرة مفصلة الى اللورد كرزن تضمنت معلومات وافية عن الاحداث التي رافقته^(٨٣). وبعد اربعة ايام بعث بـ «برقية مستعجلة» و «سرية للغاية» للوزير نفسه تعتبر، على مانتقد، اخطر وثيقة معروفة حتى الان عن انقلاب حوت. ففي ذلك اليوم، ٢٥ شباط، التقى نورمن لأول مرة بالسيد ضياء الدين طباطبائي بعد نجاح الانقلاب وارسل في اليوم نفسه بتفاصيل مآدار بينهما الى كرزن. يقول نورمن نصا:

«اخبرني سيد «ضياء الدين طباطبائي - ك. م.» سرا بما يلي عن سياسته: ... يجب الغاء الاتفاقية الانكلو - ايرانية، فمن دون ذلك لايمكن للحكومة الجديدة ان تبشر اعمالها... تتخذ الخطوات مباشرة لاستخدام عدد من الضباط والمستشارين البريطانيين في المؤسسات العسكرية والمالية بموجب عقود فردية وبدون اظهار اي نوع من الاتفاق بين الحكومتين، كما يجب عدم جلب الانظار الى نشاط هؤلاء قدر المستطاع، بينما يعلن للملا ان الحكومة الايرانية تنوي جلب المستشارين من مختلف الدول الاوربية، فيدعى الفرنسيون والامريكان وربما الروس ايضا فيما بعد لاشغال مراكز في وزارات اقل أهمية. وتهدف الفكرة الى ارضاء الدول الاجنبية الاخرى قدر الامكان والى ذر الرماد في عيون البلاشفة والمتدمرين المحليين في وقت تودع فيه

(٨٢) Ibid, p. 735 : او. س. مليكوف. اقامة دكتاتورية رضا شاه في ايران. باللغة الروسية، موسكو، ١٩٦١،

ص ٢٥. (في الهوامش القادمة O. S. Melikov)

(٨٣) (Documents on British Foreign policy, 1919 - 1939), First Series, Vol. XIII, pp. 729 - 730.

إدارتان أساسيتان بيد البريطانيين... يؤلف جيش ويحل محل قواتنا في الجبهة البلشفية^(٨٤)... أصدرت التعليمات لرئيس الشرطة السويدي لرفع كفاءة قواته وإضافة ٥٠٠ رجل إليها من أجل حماية السفارات شكليا ولكن في الواقع لمراقبة الممثل السوفيتي حال وصوله^(٨٥) ولمراقبة النشاط البلشفي عموما... انه اشار الى ان كل مستقبل ايران ومستقبل بريطانيا العظمى في ايران يعتمد على فرصة عدة أشهر تمنح للحكومة الجديدة لتتخذ الاجراءات الدفاعية الضرورية (لصد الحركات الوطنية - ك. م.) والتي كان اهمالها جرما ارتكبه من سبقوه... ومن أجل التخلص من معاداة حكومة روسيا السوفيتية من المهم جدا اخفاء ميل الادارة الحالية نحو بريطانيا الى اقصى حد ممكن في الوقت الحاضر. وفي الختام قال اذا كانت بريطانيا العظمى ترغب في انقاذ موقعها هنا فعليها ان تضحي بالظل من أجل الجوهر وتبقى في الخلف تساعد ايران بنشاط ولكن بعيدا عن الانظار. انه متأكد من ان سياسة كهذه ستحقق في النهاية لبريطانيا العظمى فوائد اكبر من تلك التي تتوقعها من اتفاقية يتعذر تطبيقها^(٨٦).

وقبل ان نتابع سير الاحداث التي شهدتها الساحة الايرانية بعد نجاح انقلاب حوت نورد ايضا بعضا من اقوال رضا خان وما قيل عنه ايام الانقلاب لانها تساعد بدورها على فهم افضل لمجرى الامور في فترة حرجية من تاريخ ايران المعاصر. فحسبما تؤكد «تايمس» في عددها الصادر يوم ٢٥ شباط ١٩٢١ ان رضا خان اعلن امام الوفد الذي زاره في مهر آباد يوم الانقلاب انه سوف يقوم «باحتلال العاصمة ويعمل من أجل اقامة حكومة عسكرية تكون قادرة على حماية المدينة بعد انسحاب القوات البريطانية» من ايران. وتضيف الجريدة قائلة: «انه اظهر نفسه عدوا للبلشفية ومؤيدا للانكليز». ويؤكد دونالد

(٨٤) يقصد الحدود الشمالية لايران المحاذية للحدود السوفيتية. وكان البريطانيون يرغبون في ذلك حتى يتسنى لهم سحب قواتهم للتخلص من اعبائها المالية طبقا لسياستهم المرسومة آنذاك.

(٨٥) كان من المقرر ان يصل ايران الممثل السوفيتي في تلك الايام

(٨٦) (Documents on British Foreign policy, 1919 - 1939), First Series, Vol. XIII, pp. 731 - 732.

من الجدير بالذكر ان السفير بعث بصورة من مذكرته هذه الى الادارة البريطانية في كل من الهند والعراق.

ولبر في كتابه «رضا شاه بهلوي» انه وضع خطة الانقلاب بعلم السفارة البريطانية التي صرفت، كما يؤكد هو، الاموال اللازمة لتمويل قوات القوزاق المتوجهة من قزوین الى طهران بما في ذلك ٤٠ الف تومان لشراء الملابس لافرادها و ٦٠ الف تومان للصرف عليها في الطريق^(٨٧). وقد ذكر شاهد عيان هو الضابط البريطاني سمث الذي كان يعمل في صفوف القوزاق ايام الانقلاب، ذكر امام الجمعية الاسيوية المركزية بلندن بمناسبة مرور خمسة اعوام على انقلاب حوت ان الانقلابيين «طلبوا مني الاستشارة العسكرية فابديتها لهم بصفتي خيرا»^(٨٨). ومما له مغزاه ايضا ما يذكره ولفرد كنان عن تعهد رضا خان للجنرال آيرونسايد، رجل المخابرات الذي كان على افضل علاقة به والذي اجتمع به قبل الانقلاب بتسعة ايام بان لا يعمل في سبيل ان يصبح شاهها^(٨٩).

ان كل ما جرى بعد الانقلاب كان ترجمة امينة لاقوال قائديه وعودهما. تألفت حكومة الانقلاب بالصورة التي اتفق عليها رضا خان وضياء الدين طباطبائي. فقد اصبح الاخير رئيسا للوزراء واشترك معه في الوزارة احد قادة الانقلاب وهو مسعود خان كيهان الذي اصبح وزيرا للحربية، كما عين كاظم خان سياح، هو الاخر من قادة الانقلاب، حاكما عسكريا على طهران. اما رضا خان فقد عين قائدا اعلى للقوازق ومنح لقب «سردار سباه» (قائد الجيش) وقلده الشاه بالمناسبة سيفاً ذهبياً مرصعاً بنفسه^(٩٠).

منذ الليلة التي دخل فيها القوزاق العاصمة باشر الانقلابيون بشن حملة اعتقالات يومية واسعة داخل العاصمة وخارجها. ففي طهران وحدها جرى اعتقال ما لا يقل عن ٢٠٠ شخص كانوا يمثلون فئتين متناقضتين - الاحرار وكبار المسؤولين السابقين، بل «ان معظمهم كانوا من المعادين لبريطانيا» كما اكد نورمن لكرزن يوم الانقلاب^(٩١). في اليوم الخامس بعد الانقلاب نشر رئيس الوزراء الجديد بيانا منفصلا

D. N. Wilber, Riza Shah, pp. 40, 42 (٨٧)

S. L. Agayyev. Op. cit., pp 55. 207 مقتبس من (٨٨)

W Knapp op. cit., p 25 (٨٩)

O.S. Melikov. Op Cit., P. 27; D.N. Wilber. Op. Cit., P. 49. (٩٠)

(Documents on British Foreign Policy. 1919 - 1939). First Series Vol. XIII. p 730; (٩١)

حسن اعظام قدسي . كتاب خاطرات من . ص ٢٠

للشعب جاء متوافقا في كل شيء مع الاهداف غير المعلنة للنظام الجديد^(٩٢). فقد اتسم البيان، الذي علق فوق جدران العاصمة طهران، بأسلوب حماسي مثير للمشاعر الوطنية. فقد اشار في مستهله الى مآل اليه وضع البلاد والمواطنين في «ظل العملاء» والى «خرق الدستور الذي فرضه ابناء الشعب بدمائهم منذ خمسة عشر عاما» مما ادى الى ان يسود البلاد «حكم ملوك الطوائف القروسطي»، فانتشر الفساد وراجت الخيانات، واستأثر بضع مئات من «الاشراف والاعيان» بثروات البلاد الى ان «بزغ فجر الانعتاق وحن يوم الانتقام» في الثالث من حوت.

حدد البيان الخطوط الاساسية لسياسة الانقلابيين على الصعيدين الداخلي والخارجي بالاسلوب نفسه. فبالنسبة للاول منهما اكد على ضرورة اصلاح النظام المالي والقضائي وتطوير التعليم والاهتمام بالتجارة والصناعة والطرق ووسائل النقل. اما بالنسبة للجيش فقد ذكر البيان: «الجيش قبل وفوق كل شيء وكل شيء للجيش اولا ومرة اخرى للجيش... الى ان تبلغ قواتنا المسلحة المرحلة الاعلى من التطوير»^(٩٣).

ويتطرق البيان بأسلوب ديماغوغي الى وضع الكادحين فيقول «من الضروري الاعتراف بعمل العمال والفلاحين ومعاناتهم، فقد ولى عهد اضطهادهم»، ثم يؤكد نية الحكومة الجديدة توزيع الاراضي الاميرية على الفلاحين وتقنين علاقاتهم بالملاكين و «اعادة تكييفها» مع الاخذ بنظر الاعتبار «تحسين ظروف الفلاحين».

اما على صعيد السياسة الخارجية، وهنا بيت قصيد الانقلاب، فقد اكد البيان «عزم الحكومة» على التخلص من القروض الخارجية و «اعادة النظر في بعض الامتيازات الممنوحة للاجانب» و «البحث عن المساعدة من اي دولة اجنبية بحرية» والغاء المحاكم القنصلية، ثم اعلن عن قرار «الغاء الاتفاقية الانكلو - الايرانية» وتمنى ان يزول «كل سوء تفاهم بين الشعبين» الايراني

(٩٢) راجع نص البيان في حسن اعظام قدسي، كتاب خاطرات من. ص ١٦ - ٢٠

(٩٣) يؤكد دونالد ولبر ان رضا خان هو الذي صاغ هذا الجزء من البيان (D N Wilber. Riza Shah. P. 49)

والانكليزي ليعبر بعد ذلك عن الرغبة في «اقامة علاقة صداقة» مع روسيا السوفيتية. ولتجسد الصورة اكثر وقمت حكومة ضياء الدين طباطبائي في نفس اليوم معاهدة للصداقة مع الاتحاد السوفيتي (١١).

كان من الطبيعي ان يبحث البيان الارتياح في نفوس الاوربيين، ولاسيما الانكليز منهم كما اكدت «تايمس» في عددها الصادر يوم ٣ اذار ١٩٢١. وبعد يومين فقط من نشر البيان بعث السفير نورمن بتقرير الى كرزن عن محتواه الذي لخصه في ثلاث عشرة نقطة رئيسية^(٩٤). ومن الجدير بالذكر ان نورمن عندما يتطرق في تقريره الى موضوع «الغاء المحاكم القنصلية» يؤكد لكرزن ان ضياء الدين اخبره «بصورة خاصة» بان اتخاذ هذا الاجراء امر ضروري «نظرا لوجود عدد كبير من الازربيجانيين والارمن والافغان ولاسيما الروس ممن يعيشون في البلاد ولكن دون ان يخضعوا للتشريعات المحلية». وقبل ضياء الدين نشر رضا خان بيانا علق هو الآخر فوق جدران العاصمة ورد فيه تأكيده على ضرورة «تأسيس حكومة لا تكون العوبة بيد الاجانب، حكومة يكون تأسيس الجيش الهدف الاساس لبرنامجها»^(٩٥).

لم يتخذ النظام الجديد اي اجراء جدي لتطبيق مايتعلق بوعوده السخية على صعيد السياسة الداخلية، فان كل ما فعله في هذا المجال لم يتعد بعض الاجراءات الفوقية قصد منها الهاء الناس من قبيل حصر كتابة القطع فوق واجهات المحلات والمخازن على اللغة الفارسية وفرض الحجاب على المرأة وحظر استخدام المسلمات في دور الاوربيين ومنع بيع المشروعات الروحية التي راجت نتيجة لذلك في السوق السوداء واجراءات صورية اخرى^(٩٦)، بينما نراه، بالمقابل، يستعجل الخطى في تطبيق سياسته الخارجية حسب الخطة المرسومة المعلنة منها وغير المعلنة. فكمما اسلفنا وقعت حكومة الانقلاب معاهدة للصداقة مع الاتحاد السوفيتي في نفس اليوم الذي نشر فيه رئيسها ضياء الدين طباطبائي بيانه العتيد للشعب والعالم وتماما في وقت اوقف فيه السفير السوفيتي الجديد لمدة عدة اسابيع على الحدود الفاصلة بين البلدين.

(٩٤) (Documents on BFP). First Series. Vol. XIII. p. 734

(٩٥) S. L. Agayev. op. cit., pp. 58 - 59

(٩٦) O. S. Melikov. op. cit., p. 31

وحسب الخطة اعلن رئيس وزراء الانقلاب بعد فترة وجيزة (في اواسط نيسان) عن الغاء معاهدة ١٩١٩ مع بريطانيا بصورة رسمية ونشر بياناً للشعب بالمناسبة عبر فيه عن «غبطته العظمى» لان ذلك جرى في عهده^(٩٧)

وبنفس السرعة تقريبا باشر سيد ضياء الدين في سكوت تام باستخدام المستشارين البريطانيين في اكثر اجهزة الدولة حساسية. فبعد مرور اقل من ثلاثة اسابيع على نجاح الانقلاب. طلبت حكومته من لندن ٢٠ مستشارا عسكريا و ١٠ خبراء ماليين. و (لذر الرماد في العيون) طلبت في الوقت نفسه عددا من الخبراء القانونيين الفرنسيين والزراعيين الامريكان مع ١٥ ضابطا سويديا لا للعمل في الجيش بل لاستخدامهم في «صفوف الجندرية في الشمال»^(٩٨). وفي الوقت نفسه استمر ضياء الدين في استغلال كل فرصة جديدة للتأكيد، طبعاً سرا، على اخلاصه للبريطانيين وحرصه على انقاذ مصالحهم في ايران وفاء منه «للمصادقة التي بين البلدين منذ قرون ثلاثة» كما اكد لنورمن والاخير لكرزن^(٩٩).

لم يكن بوسع سيد ضياء الدين طباطبائي، مهما تفنن، اخفاء نواياه الحقيقية، فانكشفت اوراقه بسرعة، وعجز نظامه عن حل العديد من المشاكل التي جابهها، بله عن اداء اهم المهمات التي اقتضت ظهوره. فقد اشتدت الحركة الوطنية الايرانية في عهده وتوحدت جهود فصائلها في الشمال كما انها بدأت تنتشر في المناطق الاخرى ايضا، منها العاصمة طهران التي شهدت توزيع النشرات والصور الكاريكاتيرية المعادية لطباطبائي^(١٠٠).

وتعقدت في الوقت نفسه الظروف المالية لحكومة الانقلاب، خاصة جراء صرفها بسخاء على القوزاق ولعدم الانتهاء من البت في موضوع عقد قرض جديد مع بريطانيا. وقد حاول طباطبائي معالجة الازمة المالية باساليب «زادت الطين بلة»، ففرض ضرائب جديدة، واصدر عملة ورقية ذات فئة الف تومان رصيدها قروض اجبارية على حساب واردات الاراضي الاميرية^(١٠١). كما انه حاول ابتزاز

(٩٧) حسين مكي، تاريخ بيست ساله ايران، جلد اول. ص ٨١٤ - ٨١٥

(٩٨) (Documents on BFP). First Series. Vol. XIII, p. 739

(٩٩) Ibid, pp. 742 - 744

(١٠٠) O.S. Melikov. Op. Cit., P. 33.

(١٠١) D.N. Wilber. Riza Shah. P. 25.

المعتقلين السياسيين بان طالبهم بمبالغ طائلة لقاء الافراج عنهم بلغ مجموعها حوالي ٦٠ مليون تومان^(١٠٢). ولتمرير خطته هذه اشاع بين الناس انه ينوي تقديم قسم من المعتقلين الى المحاكم العسكرية وتنفيذ حكم الموت بحقهم دون تأجيل^(١٠٣)، الامر الذي لم يسفر سوى عن اثاره الارستقراطيين اكثر.

وهكذا بهي سيد ضياء الدين وحيدا في الميدان. فقد اصيب المخذوعون بخيبة اعاتبهم الى صوابهم بسرعة، ومنذ البداية رأى فيه معظم الديمقراطيين عميلا لبريطانيا، واكتشف اليمينيون عجزه في قمع الحركة الوطنية - احدى اهم مهماته، وكان رجال البلاط والارستقراطيون ينظرون اليه بتعال، والشاه يشك في اخلاصه، اما العوام فانهم لم يحصلوا منه على خبز ارخص ووضع افضل. ومن هنا فهم الانكليز جيدا ان «بوسع سيد ضياء الدين ان يفعل القليل نسيا لجذب الرأي العام وكسبه» حسب تعبير دونالد دويلر^(١٠٤).

إذن كان لابد من شخص اقوى من ضياء الدين طباطبائي يستطيع فعلا القضاء على المعارضة، ولا يكون موضع شك مثله، ولا بأس، طبعا، في ان تكون لديه ميول قومية. هذا بالتحديد هو الذي مهد الطريق لتأسيس الاسرة البهلوية عبر درب معقد ناور فيه الجميع ولم يحقق احد منه كل ما اراد سوى رضا خان حسبما نعتقد وكان ابعاد ضياء الدين عن الحكم بواسطة ما يمكن تسميته بالانقلاب الثاني هو الخطوة المهمة الاولى على ذلك الدرب.

الانقلاب الثاني:

كان رضا خان يعرف «من اين تؤكل الكتف»، فترك «زميله» ضياء الدين طباطبائي يتورط في مشاكله لينعزل عن الجميع بينما انهمك هو في تعزيز مواقعه داخل الجيش الذي حقق له مكاسب كثيرة في الاشهر التي اتبعت الانقلاب، فكسب عددا اكبر من الضباط، وعين بعضهم في مراكز حكومية حساسة. ومن جانب اخر كان يحاول فرض نفسه كصاحب شرعي وحيد

(١٠٢) ايران المعاصرة - مجموعة مؤلفين باتراف البروفسور. ن راخودير باللغة الروسية. موسكو ١٩٥٧.

ص ٣٠٧ (في الهوامش القادمة. (Contemporary Iran)

(١٠٣) (Documents on BFP 1919 - 1939). First Series. Vol XIII. P 732. O.S. Melikov. Op. Cit., PP 33 - 34.

D N Wilber Riza Shah, p. 52 (١٠٤)

لانتقلا ب حوت؁ فمنذ الوم الاول لتأسس وزارة طباطبائي كان يحضر اجتماعاتها بانتظام وييدي رايه في كل صغيرة وكبيرة مع انه لم يكن عضوا في الوزارة^(١٠٥). وغالبا ماكان رضا خان يتجاهل ضياء الدين ولايستشيريه حتى في الاعمال التي كانت تدخل في صلب صلاحيات شخص رئيس الوزراء. وعادة كان يتقرر مصير الامور التي يظهر الخلاف حولها بين رضا خان وضياء الدين حسب مشيئة الاول منهما؁ كما حصل؁ مثلا؁ بالنسبة للجندرية التي تقرر ربطها بوزارة الحرية لا بوزارة الداخلية كما اراد رئيس الوزراء والح عليه. وعندما لم تفد محاولاته عن طريق البريطانيين لاقناع رضا خان بعدم تخطي حدوده فكر ضياء الدين في اسلوب اخر يمكنه من ابعاده عن قيادة القوزاق لعلمه بانه لا يستطيع اتخاذ اي اجراء فعلي ضده وهو في منصبه ذلك؁ فعينه وزيرا للحرية. الا ان حساباته لم تكن دقيقة؁ فانه قدم بنفسه «طبخة غداء دسمة» لغريمه دونما ان يحتاج الاخير للتفكير بالعشاء الذي اعد ضياء الدين العدة لاقامته؁ فقد رحب رضا خان بمنصب وزير الحرية دون ان يتنازل اعيد شعره عن قيادته للقوزاق؁ فتأزمت العلاقات بينهما اكثر من السابق؁ بحيث اصبح واضحا في آيار انه لابد لاحدهما ان يهي وحيدا في الميدان. وبما ان كفة الميزان كانت راجحة لصالح وزير الحرية حسب جميع الحسابات والتوقعات.. فقد اصدر الشاه يوم ٢٥ ايار بناء على طلب رضا خان فرمانا يقضي باقالة ضياء الدين طباطبائي بعد ان دام حكمه مدة ٩٣ يوما فقط؁ فجاء ذلك عمليا بمثابة انقلاب ثان ولكن تحت قيادة واحدة لا مزدوجة هذه المرة.

عرض سفيرا الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية حق اللجوء السياسي على ضياء الدين طباطبائي الذي رفض الطلب وقرر ترك البلاد الى جهة اخرى. وتبين فيما بعد ان رضا خان كان ينوي اعتقال غريمه الا ان تدخل البريطانيين حال دون ذلك. وعلى ما يبدو ان السفير السوفيتي نصح بدوره رضا خان بان لا يعتقل حليفه السابق «النيل المعادي للشيوعية الذي رفض اللجوء الى السفارة السوفيتية»^(١٠٦).

Ibid. p. 50 (١٠٥)

Ibid P. 54. (١٠٦)

كل الدلائل تشير بوضوح تام الى ان ضياء الدين طباطبائي ان لم يكن الرجل الاول للانكليز في ايران ما بعد الحرب الاولى فانه كان، حتما، في مقدمة اشد المواليين لهم هناك. مع ذلك فان التاريخ اللاحق لهذا الرجل حتى مماته في اب ١٩٦٩ يستحق التأمل، وخلاصته انه بعد ان خرج من طهران انتقل عن طريق بغداد الى اوربا حيث عاش في سويسرا والمانيا لعدة سنوات ثم استقر في فلسطين. وفي مطلع العام ١٩٢٦ رشح نفسه غيايبا لعضوية المجلس بعد ان بلغ رضا خان العرش، فكان من بين النواب الذين نالوا اعلى الاصوات. في هذا الوقت عرضت عليه الحكومة الافغانية منصب مستشار في البلاط، لكنها سحبت عرضها في اللحظة الاخيرة تحت ضغط رضا شاه وربما الانكليز ايضا. في كانون الاول عام ١٩٣١ اشترك طباطبائي في المؤتمر الاسلامي الذي عقد في القدس واختير سكرتيرا للمكتب المركزي الذي اسسه المؤتمر.

استمر ضياء الدين طباطبائي في معارضته لرضا شاه، فقد اعتبر حكمه «نقيضا لافكاره»^(١٠٧)، لذا لم يرجع الى وطنه لغاية العام ١٩٤٣، اي بعد سقوط رضا شاه بحوالي سنتين. وبعد عودته وقف من جديد ضد المد الديمقراطي الذي عاشته البلاد يومذاك، مع ذلك فقد انتخب عضوا للدورة الرابعة عشرة للمجلس الذي بدا اعماله في شباط ١٩٤٤. وفي اواخر ذلك العقد ترك طباطبائي الاشتراك الفعال في الحياة السياسية وطراً تغيير جذري في موقفه، فقد دعا في السنوات الاخيرة من عمره الى حياد ايران وادان التكتلات العسكرية في المنطقة وطالب بتطوير علاقات بلاده مع المعسكر الاشتراكي^(١٠٨).

كان سقوط سيد ضياء الدين طباطبائي يعني ظهور امكانات اضافية امام رضا خان لتثبيت مواقعه وتوسيع نفوذه، الامر الذي قرب من العرش اكثر ولكن بعد ان استمرت الدوامة السياسية في البلاد لفترة اخرى من الزمن.

W. Knapp, Op. Cit., P. 24 (١٠٧)

S.L. Agaev, Op. Cit., PP. 73 - 74 (١٠٨)

استمرار الدوامه:

بعد ان نجح رضا خان في ابعاد ضياء الدين طباطبائي عن الحكم حاول الجميع، حسب العادة، القاء تعة كل السليبات والمشاكل التي حدثت على عاتق الرجل المهزوم واطهاره للملا كعميل للبريطانيين وعدو للايرانيين واطهار رضا خان، بالمقابل، في ثوب الوطني المخلص الذي لا شائبة عليه.

وكان البريطانيون، على ما يبدو، يميلون الى تكليف رضا خان بتأليف الوزارة الجديدة، الا ان احمد شاه اعترض على ذلك^(١٠٩)، كما رفض مشير الدولة ومن بعده مستوفي الممالك المهمة من جانبهما. واخيرا وقع الاختيار على شقيق وثوق الدولة احمد قوام (قوام السلطنة) الذي يفسر المؤرخ الايراني ابو الفضل قاسمي مجيئه الى رئاسة الوزارة في كتابه «تاريخ سياه» (التاريخ الاسود) على النحو التالي:

«ان خدمات قوام السلطنة للانكليز ومساعداته للقنصل البريطاني العام في مشهد لتوسيع شبكة التجسس ضد روسيا وايصاله لرجال المحابرات الانكليز الى تركستان - كل ذلك ساعده على ان يصبح رئيسا للوزراء»^(١١٠).

الف قوام السلطنة الذي خرج لتوه من السجن وزارته يوم ٤ حزيران ١٩٢١، والتي لم يختلف منهاجها في شيء عن منهاج سلفه ضياء الدين طباطبائي سواء فيما يخص سياسة ايران الخارجية او سياستها الداخلية. والى ان اصبح رضا خان رئيسا للوزراء فيما بعد اصبحت حقبة وزارة الحرية حكرا عليه في جميع الوزارات التي تعاقبت على حكم البلاد كما نلاحظ ذلك فيما بعد. اما بقية الحقائب الوزارية فقد جرى توزيع معظمها على العناصر الليبرالية التي تعاونت، على النقيض من الرئيس نفسه، مع الالمان في سنوات الحرب العالمية الاولى. فقد اصبح محتشم السلطنة وزيرا للمعارف العامة ومشاور السلطنة وزيرا للبرق والبريد وعميد السلطنة وزيرا للعدل واديب السلطنة وزيرا للفوائد العامة والتجارة والفلاحة وحكيم الدولة وزيرا للصحة ومستشار الدولة وزيرا مشاورا^(١١١).

(١٠٩) حسين مكّي، تاريخ بيست ساله ايران، جلد اول، ص ٢٣٣.

(١١٠) مقتبس من: O.S. Melikov, Op. Cit., PP. 33 - 34.

(١١١) - العراق - (جريدة)، بغداد ١٤ حزيران ١٩٢١.

دشن قوام السلطنة عهده بتركيز اهتمامه على القضاء على الحركة الوطنية الإيرانية، ولاسيما على انتفاضتي كيلان وخراسان. ولكن بالرغم من ذلك ازداد الشعور المعادي للبريطانيين ومصالحهم، بل لكل الاجانب الذين عانت الجماهير الإيرانية منهم الامرين على مدى عقود طوال. ولم يكن عبثا ان اعترف اللورد كرزن صراحة في خطاب مفصل له القاه امام مجلس اللوردات بفشل سياسة بلاده تجاه ايران^(١١٢). وكتعبير عن ذلك جرى تغيير السفير هرمن نورون بآخر جديد هو بيرسي لورين.

ومع ان الهدف الاساس لسياسة بريطانيا نحو ايران بقي يتوخى، كما في السابق، تأسيس حكومة قوية تقضي على الحركة الوطنية في الداخل وتحمي الهند والعراق وغيرهما من «الخطر البلشفي» وتضمن المصالح النفطية لبريطانيا في الجنوب، الا ان لندن اجرت تعديلات معينة على ممارساتها بعد فشل تجربة ضياء الدين طباطبائي. فمن اجل ترويض بعض الساسة الايرانيين بدات منذ اواخر عام ١٩٢١ تمارس قدرا من الضغط وتعود الى جوانب من سياستها التقليدية، فطلبت بجدولة جميع الديون البريطانية المترتبة على ايران كما باشرت من جديد بتقوية النزعة الانفصالية لدى الزعماء العشائريين في الجنوب. وقد ركزت في ذلك على البختياريين الذين بدأوا يتحركون بصورة منظمة بقيادة ماعرف بحزب «النجمة البختيارية» كما نشطت القنصلية البريطانية في شيراز باتجاه تحريض عشيرة قشقائي المعروفة. وجرت محاولات مشابهة لتحريك عشائر لورستان وغيرها. بل هناك ما يؤثر الى ان بريطانيا بدات تفكر حتى بالعودة الى روح اتفاقية ١٩٠٧ بترك الشمال والتركيز على الجنوب^(١١٣). فالسفير البريطاني الجديد لورين اشار اكثر من مرة الى السفير السوفيتي حول ضرورة احياء الاتفاقية المذكورة، الا ان الاخير تجاهل الامر حسبما يؤكد المؤرخ البريطاني ل. فيشر في كتابه «السوفيت في القضايا الدولية»^(١١٤).

S L Agayev. Op. Cit., p. 83 (١١٢)

Ibid, pp. 84 - 85; M. E. Yapp. Op. cit., p. 22 (١١٣)

L. Fischer. The Soviets in World Affairs. A History of the Relations Between the Soviet Union (١١٤)
and the Rest of the World. 1917 - 1929. Vol. 1. Princeton. 1951. P. 429. (S.L. Agayev. Op. Cit., P.
84).

في خضم هذه الاحداث الحاسمة استمر نجم رضا خان في الصعود، ولاسيما انه ظل يعمل بذكاء من اجل تعزيز مواقعه ولكسب اكثر مايمكن من الاوساط الاجتماعية المؤثرة. فقد استغل ظروف الاحكام العرفية لفرض اعوانه في المقاطعات. اذ غير حاكم اذربيجان مصدق السلطنة (الدكتور مصدق) وحاكم مازندران اقتدار الدولة وعين مكانهما اثنين من اعوانه العسكريين. ومن اجل كسب الجيش اكثر استمر في العمل على تطويره وضممان المكاسب لضباطه. ويكفي القول هنا انه بتأثير منه جرى تخصيص ٤٩٪ من ميزانية الدولة للعام ١٩٢٢ للصرف على القوات المسلحة. وبالرغم مما يعنيه هذا الرقم لوحده الا ان حقيقته تتجسد اكثر اذا علمنا اولاً ان عجز الميزانية في تلك السنة بلغ ثلاثة ملايين ونصف مليون تومان (كان الدخل ١٩,٣ مليون تومان والصرف ٢٢,٨ مليون)، وثانياً ان الحكومة عجزت عن صرف رواتب موظفي معظم دوائر الدولة لمدة تتراوح بين ستة وثمانية اشهر، واخيراً ان مخصصات التعليم في الميزانية المذكورة لم تتجاوز ١٪، اي اقل بمقدار ٤٩ مرة من مخصصات الجيش، فأصبح طلاب مدارس طهران ومدرسوها على حق حينما قاموا بمظاهرة احتجاج رفعوا خلالها شعاراً معبراً يقول: «لقد دفن التعليم!»^(١١٥). ولم يستطع الدكتور مصدق الذي عينه قوام السلطنة وزيراً للمالية خصيصاً، معالجة الازمة الاقتصادية المستفحلة^(١١٦).

وقد تحول كل ذلك الى عوامل لتنشيط المعارضة لحكومة قوام السلطنة. ففي مطلع عام ١٩٢٢ ظهر ما عرف بـ «الكتلة الوطنية» التي نشطت داخل المجلس وخارجه، وقد ضمت عدداً من التنظيمات السياسية الجديدة التي اعتبرت نفسها احزاباً اشتراكية مثل «الحزب الاشتراكي الديمقراطي» بزعامة سليمان مرزا اسكندري وحزب «الاشتراكيين المستقلين» وغيرهما. وقفت الكتلة ضد قوام السلطنة وطالبت بحماية استقلال البلاد مما ساعد على عزل الوزارة القائمة.

(١١٥) للتفصيل حول هذه الحقائق راجع:

O.S Melikov. Op. Cit., PP. 46 - 47, D.N. Wilber. Riza Shah. P 59.

D. N. Wilber Riza Shah. p. 57 (١١٦)

ومن جهة اخرى كان من الطبيعي ان يتفجر الخلاف بين رضا خان وقوام السلطنة بسرعة، فلم يكن من الصعب على الاخير ادراك المرامي البعيدة لوزير حربيته الذي استمر، كالسابق، لايعير رئيس الوزراء اهتماما يذكر. وقد اشتد الخلاف بينهما بسبب السياسة المالية للحكومة في مطلع عام ١٩٢٢ وانتهى باستقالة قوام في ٢٠ كانون الثاني.

بعد يرمين اله مشير الدولة الوزارة الجديدة على اساس الائتلاف بين الاتجاهات المختلفة داخل المجلس. وفضلا عن رضا خان دخل وزارته اثنان اخران من اعضاء وزارة ضياء الدين طباطبائي كان مشير الدولة يأمل نيل المساعدة المالية البريطانية بواسطتهما.

في هذه الفترة ازداد الدور الامريكي في السياسة الايرانية. فقد اتخذت الحكومة السابقة خطوات جدية للتقرب من الولايات المتحدة حينما بعث رئيسها قوام السلطنة في تموز ١٩٢١ حسين خان علاء، وكان من الدبلوماسيين النشطين، سفيراً لبلاده لدى واشنطن. وبموجب تعليمات قوام كان على علاء ان يحاول الاتفاق مع شركات نفط امريكية لاستغلال نفط الشمال ونيل قرض من الولايات المتحدة. وقبل سقوط وزارته توصل قوام السلطنة الى اتفاق يقضي بمنح شركة ستاندرد اويل الامريكية المعروفة امتياز استغلال نفط الشمال لمدة خمسين عاماً، وتصدت الشركة من جانبها بالعمل من أجل منح الولايات المتحدة ايران قرضاً بمبلغ خمسة ملايين دولار. وعندما عرض رئيس الوزراء الاتفاق على المجلس في اواسط تشرين الثاني ١٩٢٢ وافق عليه بالاجماع^(١١٧).

سارت حكومة مشير الدولة على نفس النهج الذي سرعان ما انعكس صدىه في الدوائر السياسية والمالية الامريكية. فلم تمض على تأليف وزارة مشير الدولة ايام معدودات حتى بعثت الحكومة الامريكية بمذكرة الى الحكومة الايرانية تؤكد فيها ان «الولايات المتحدة الامريكية مهتمة جداً بمبدأ «الباب المفتوح»^(١١٨)... وتولي موضوع ضمان امكانات للمصالح الامريكية

(١١٧) Ibid, p. 60. S. L. Agayev. Op. cit., pp. 88 - 89

(١١٨) «الباب المفتوح» مصطلح سياسي استخدمه المسؤولون الامريكان لأول مرة في العام ١٨٩٩ عندما حاولوا إفساد الدول الكبرى الاخرى على فتح ابواب الصين امام مصالح الولايات المتحدة ايضاً، ازداد ترديد «مبدأ الباب المفتوح» على لسان المسؤولين الامريكان بعد الحرب العالمية الاولى في مجال سياسة النفط الدولية. وقد اصبحوا يقصدون به هذه المرة فتح ابواب المناطق النفطية الخاضعة للدول الاخرى امام الشركات الامريكية.

في ايران مشابهة لتلك المصالح التي يتمتع بها اي أمة أخرى، بالغ اهتمامها». وقد ورد في رد الرئيس الايراني بتاريخ ٢٦ كانون الثاني ١٩٢٢ انه «سوف يبذل كل ما في وسعه من اجل ضمان هذا المبدأ»^(١١٩).

اثار موضوع التقارب الايراني - الامريكي قلقا جديا بين الاوساط الحاكمة البريطانية التي لجأت الى سلاحها القديم - اثاره العشائر ومحاوله عزل العاصمة عن جنوب البلاد وغربها. فتحول هذا الى عامل جديد لزعزعة موقع مشير الدولة الذي اشتد في الوقت نفسه الخلاف بينه وبين وزير حربيته رضا خان لاستمراره على سياسة استغلال كل فرصة لتعزيز موقعه. فتقديرا منه لسمعة «الكتلة الوطنية» بدأ في تلك الفترة بالتقرب منه. كما واثت رضا خان فرصة مناسبة لضرب الصحافة المعارضة له. ففي ١٦ شباط ١٩٢٢ نشرت جريدة «ستاره ايران» (نجمة ايران) مقالة لمناسبة قرب الذكرى الاولى لانقلاب حوت حاولت فيها جعل نصرت الدولة، وهو من كبار الساسة المواليين للبريطانيين، العقل المدبر للانقلاب. فقد كتبت ان نصرت الدولة هو الذي خطط للانقلاب مع المسؤولين البريطانيين في بغداد، الا ان ضياء الدين طباطبي عرف كيف يستغل الظرف لصالحه.

وبعد خمسة ايام، اي بالتحديد يوم ذكرى الانقلاب، جاء رد رضا خان المفصل على مانشرته الجريدة فدبج بيانا مسهبا اراد منه، كما ادعى، «وضع نهاية حاسمة لكل المضاربات حول الحدث»، وتهجم فيه بعنف على الصحافة «لتحويلها الحقائق». ثم عرض نفسه في الثوب الذي كان مرغوبا يومذاك:

ان الذين صنعوا الانقلاب «هم وحدهم الرجال الذين ادركوا مدى ضغط الاجنبي ومدى ضعف دولتنا. ارجال الذين قضوا حياتهم في صفوف الجيش. الرجال الذين احسوا بالنوايا الشريرة للخبراء الاجانب ممن ارادوا تخريب البلاد. الرجال الذين غامروا بحياتهم في الصحارى والجبال خدمة لوطنهم».

(١١٩) - A C Miltspaugh (Pn. D). The American Task in Persia. New York - London. 1925. pp. 316 -

واختتم بيانه بالقول: « لا تخطئوا ولا تضيعوا انفسكم كالعميان بحثا عن مدبر الانقلاب، انني اعتبر من الشرف ان اعلن بانني انا المدبر الحقيقي للانقلاب، فاني انا الذي اخترت هذا الطريق وكذلك انني انا الذي لست نادما على ما فعلت»^(١٢٠).

وفي الوقت نفسه اتخذ رضا خان اجراءات صارمة ضد الصحفيين المعارضين واغلق العديد من جرائد العاصمة منها «ستاره ايران» و «ستاره شرق» (نجمة الشرق) «ونجاة ايران» (خلاص ايران). وخوفا من الاعتقال اضطر بعض الصحفيين الى اللجوء الى مسجد الشاه عبدالعظيم جنوبي طهران، بينما لجأ فروغي، محرر جريدة «طوفان»، الى دار السفارة السوفيتية. بعد فترة اكمل رضا خان المسرحية عندما استغل احتجاج جريدة «حقيقت» (الحقيقة) على تصرفات بعض الضباط المخزية فطلب من مشير الدولة غلق الجريدة، وعندما رفض رئيس الوزراء الاستجابة لطلبه هددته بالاعتقال شخصيا مما دفعه الى تقديم استقالته في ايار ١٩٢٢^(١٢١).

استغرق تأليف الوزارة الجديدة هذه المرة حوالي شهر كامل، وهو ما كان يرغب فيه رضا خان. واخيرا عهد الى قوام السلطنة ثانية تأليف الوزارة في حزيران وقد نشر بيانا بالمناسبة اعلن فيه عن استمراره على نهج وزارته الاولى مؤكدا على ضرورة حل مشاكل البلاد المالية والبت في مسألة النفط.

بالنسبة للموضوع الاخير طرأ بعض التغيير في الموقف البريطاني منه. فقد ادرك الانكليز انهم لا يستطيعون في ظروفهم المحددة مقاومة التغلغل الامريكي في ايران حتى النهاية، لذا اختاروا طريق المساومة مع واشنطن لاستغلال ثروات ايران معا بدل اتخاذ موقف متشنج يكون من شأنه تعميق ازمتهم داخل ايران. ان الوثائق المتبادلة بين لندن وواشنطن حول هذا الموضوع تبين بوضوح^(١٢٢) ابعاد السياسة الجديدة التي دفعت بالانكليز للرضوخ لسياسة «الباب المفتوح» الامريكية بالنسبة لايران كما فعلوا الشيء نفسه بالنسبة للعراق في حينه. وجراء ذلك تم التوصل الى اتفاق للتعاون بين شركة ستاندرد

(١٢١) Ibid. p. 63: O. S. Melikov. Op cit. p. 47

S. L. Agayev. Op. cit., pp. 102 - 103

اويل الامريكية وشركة النفط الانكلو - ايرانية البريطانية.

الا ان الامر اثار هذه المرة السوفيت بشدة، خاصة لان اجراءات ايران ومناورات لندن وواشنطن كانت تجري على حساب نفط الشمال الذي تعهدت الحكومة الايرانية بموجب البندين الثاني عشر والثالث عشر من معاهدتها التي وقعتها مع الحكومة السوفيتية في ٢٦ شباط ١٩٢١ بان لاتمنح امتيازه لطرف ثالث^(١٢٣). وقد شنت الصحافة السوفيتية حملة واسعة ضد قوام السلطنة الذي نشرت جريدة الـ «برافدا» يوم ١٦ كانون الثاني ١٩٢٣ نبأ يفيد بان الامريكان تعهدوا بتقديم رشوة له ولمساعدته مقدارها ١٥٠ الف دولار حال التوقيع على الامتياز، كما توالى مذكرات الاحتجاج السوفيتية على الحكومة الايرانية في نفس الفترة^(١٢٤).

اثار الموضوع نفسه المعارضة الايرانية بشدة، فاتهمت حكومة قوام السلطنة بالعمالة لبريطانيا وبخيانة المصالح الوطنية العليا خاصة بعد ان فسحت المجال «للشركتين الجشعتين» ستاندرد اويل والانكلو - ايرانية بتصيد «ثروة ايران وتقسيم الغنائم بينهما مناصفة» حسب تعبير جريدة «نهضة شرق» (نهضة الشرق)^(١٢٥).

توسعت الحملة الصحفية ضد قوام السلطنة بحيث انه لم يتحمل الامر فاصدر في نهاية اب عام ١٩٢٢ امرا يقضي بغلق جميع جرائد العاصمة. وردا على ذلك اعلن عمال المطابع في طهران الاضراب عن العمل في ٨ ايلول، تساندتهم في ذلك المعارضة، فيما وقف كبار رجال الدين الى جانب الحكومة ضد المضربين وطالبوا بعدم السماح باعادة فتح المطابع والجرائد الا بعد ان توضع الصحافة تحت رقابتهم بموجب قانون خاص يشرعه المجلس لهذا الغرض. وتمادى الرجعيون في موقفهم المعادي حينما دبوا هجمات منظمة

(١٢٣) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي . باللغة الروسية، المجلد الثالث (١ تموز ١٩٢٠ - ١٨ اذار

١٩١٢). موسكو ١٩٥٩. ص ٥٣٦ - ٥٤٤

(١٢٤) نفس المصدر. المجلد الخامس (١ كانون الثاني - ١٩ تشرين الثاني ١٩٢٢). موسكو. ١٩٦١. ص ١٤٤ -

١٤٥، ٧٢٥ - ٧٢٦ وغيرها.

(١٢٥) مقتبس من مجلة «الشرق الجديد». باللغة الروسية. موسكو. الكتاب الاول. ١٩٢٩. ص ٣٤٨

لمجموعات متخلفة على المطابع وادارات صحف المعارضة. لم تقتصر الحركة الاضرابية على عمال المطابع، بل انها شملت ايضا معلمي مدارس العاصمة وموظفي العديد من المدن. وارتفعت في كل مكان شعارات تطالب بالاصلاح. وقد بلغت الحركة الاحتجاجية اوجها في اواسط كانون الثاني ١٩٢٣. ففي الثامن عشر منه نظمت «الكتلة الوطنية» اجتماعا جماهيريا حاشدا ضد قوام السلطنة. كما بدأت في اليوم نفسه حملة واسعة ضده داخل المجلس تمخضت عن ارتفاع رصيد «الكتلة الوطنية» من ١٢ الى ٤٨ صوتا، بينما لم يقف الى جانب رئيس الوزراء سوى كتلة المدرس المتخلفة^(١٢٦).

وهكذا اضطر قوام السلطنة الى تقديم استقالة وزارته يوم ٢٥ كانون الثاني ١٩٢٣، مما كان يعكس بوضوح عجز الاوساط التقليدية عن الاستمرار في تحمل اعباء المسؤولية في الظرف الذي ساد البلاد يومذاك، فجاء دور العناصر الليبرالية، وفي مقدمتها الملاكون المتبرجزون، ثانية، وظهرت ايضا امكانات جديدة امام رضا خان قربته من العرش اكثر فأكثر. ولكن، مع ذلك، لم تحن الفرصة بعد للقفز الى كرسي رئيس الوزراء بسبب معارضة اقصى اليمين واقصى اليسار له فترث لفترة اخرى وترك المجال لمستوفي المالك، احد ابرز قادة الكتلة الوطنية، ليؤلف الوزارة الجديدة في ١٤ شباط.

بعد ان وزع مستوفي الممالك حقائب وزارته، فيما عدا الحربية منها التي بقيت بحوزة «صاحبها» رضا خان، على الساسة المعروفين بميولهم القومية من اعضاء «الكتلة الوطنية»، باشر ببعض الاصلاحات من قبيل اطلاق معظم الصحف التي بقيت محظورة وتخفيف الرقابة عليها، واصدار قوانين لتطوير التجارة وفرض الخدمة الالزامية ولتعزيز السلطة المركزية في المناطق العشيرية. اما على صعيد السياسة الخارجية فان الوزارة الجديدة حسنت من علاقاتها مع موسكو ودخلت في مفاوضات تجارية معها وحلت خلافاتها مع شركات النفط الامريكية.

اثار كل ذلك استياء البريطانيين والرجعيين المحليين الذين بدأوا بالتحرك

المضاد من جانبهم. ففي ٢٠ اذار ١٩٢٣ انزل البريطانيون ٨٠٠ من جندهم في المواليء الجنوبية. كما دبر عملاؤهم اغتيال عدد من قادة الكتلة الوطنية، مما اثار موجة عارمة من المظاهرات والاجتماعات للاحتجاج ضد الانكليز والرجعية المحلية الامر الذي خشي مستوفي الممالك وانصاره من تطوره، فاستغلت الرجعية ذلك واثارت معارضة قوية داخل المجلس بقيادة المدرس ضد الحكومة الى ان اجبرتها على تقديم استقالتها في اواسط حزيران ١٩٢٣. ولم يلعب الخلاف بين مستوفي الممالك ورضا خان الدور الاخير في اسقاط الوزارة، وكان الاخير قد اكتسب الى جانبه زعيم الكتلة الوطنية سليمان مرزا ووزير الخارجية في وزارة مستوفي الممالك ذكاء الملك (فروغي) الذي كان معروفا بميوله القومية.

ان رضا خان الذي لم يعر الضوابط الدستورية ادنى اهتمام لم يقدم استقالته، فبقي في مركزه الوزاري بصورة الية ضمن الوزارة الجديدة التي الفها مشير الدولة يوم ١٦ حزيران ١٩٢٣، وادخل فيها اثنين من الزعماء المعروفين بميولهما القومية هما الدكتور مصدق الذي عهد اليه وزارة الخارجية، وذكاء الملك (فروغي) الذي عهد اليه وزارة المالية. وقد اكدت الوزارة الجديدة في برنامجها على انها ستتبع «سياسة محايدة»^(١٢٧)، بينما تبنت، في الواقع، سياسة اكثر يمينية من سابقتها.

لم تستكن الحركة المعادية للوجود البريطاني في ظل الوزارة الثانية لمشير الدولة، بل انها تطورت اكثر تحت تأثير زخم الحركة الوطنية العراقية التي تفجرت اثر محاولة الانكليز فرض معاهدة جديدة على الشعب العراقي ونفيهم لعدد من زعمائه الى ايران التي شهدت سلسلة من المظاهرات والاجتماعات الجماهيرية بلغ عدد المشاركين في بعضها ٢٥ الف شخص طالبوا بمقاطعة البضائع البريطانية، وقد اضطر السفير لورين الى ترك مقر عمله في العاصمة طهران^(١٢٨). وهكذا فان بريطانيا «فقدت كل سمعتها في ايران» حسب اعتراف «تايمس» اللندنية في ٢١ اب ١٩٢٣.

(127) S.L. Agayev Op. Cit., P. 117.

(128) Ibid PP. 119 - 123

أخرجت الموجة الجديدة المعادية للبريطانيين موقف مشير الدولة فقدم استقالة وزارته يوم ٢٢ تشرين الاول ١٩٢٣ ورفض طلب الشاه ان يبقى في منصبه الى ان يتم جمع المجلس في دورته الخامسة، كما رفض عدد من كبار الساسة تأليف الوزارة الجديدة اذ لم يجزء احد منهم على المجازفة باستلام السلطة في مثل تلك الظروف الحرجة التي سادت البلاد. فلم يبق امام احمد شاه اختيار اخر سوى تكليف رضا خان بتأليف الوزارة الجديدة مع انه كان يدبر في الخلفاء المؤامرات لابعاده عن الحكم حتى وقت قريب، لكنه، مع ذلك، اقتنع بانه هو الشخص الوحيد الذي بوسعه وضع نهاية للمد الثوري العارم الجديد^(١٢٩). وهكذا اثمرت جهود رضا خان وخططه وحن وقت انفراده بالسلطة في وقت كان اليمين في تراجع اثر ضرباته الجديدة له بحجة تدبيره لمؤامرة ضده^(١٣٠)، كما كان المجلس معطلا فلم يكن بوسع المدرس وانصاره اثاره ضجة سياسية، اما الديمقراطيون فكانوا منقسمين على انفسهم وأضعف من ان يستطيعوا الحيلولة دون تفرده بالسلطة.

الحاكم المطلق:

في ٢٩ تشرين الاول ١٩٢٣ الف رضا خان اول وزارة له في تاريخ ايران فاصبح في افضل موقع يستطيع من خلاله تكريس كل شيء لتحقيق اهدافه. ومرة اخرى عرف كيف يعمل، كيف يفتت القوى، وكيف يكسب من يريد ويلفظ من يرغب.

ضم رضا خان الى وزارته الاولى مجموعة من القوميين الليبراليين من امثال سليمان مرزا والدكتور مصدق والصحفي المعروف صور اسرافيل^(١٣١) وذكاء الملك وغيرهم واحتفظ بوزارة الحربية لنفسه واعطى حقيقتي وزارة الداخلية والبرق والبريد لاثنيين من كبار القادة العسكريين القريبين منه، ودعا في اول برنامج لوزارته الى «ضمان حقوق الدولة» و«تنفيذ القوانين». وفي ١٢ تشرين الثاني اصدر بيانا مطولا حذر فيه من الاتصال بالاجانب^(١٣٢).

(١٢٩) Ibid, p. 123

(١٣٠) كان السياسي الماكر قوام السلطة من بين الذين اعتقلهم بهذه الحجة وقد اجبره على ترك البلاد.

(١٣١) اصدر جريدة بعس الاسم منذ ايام الثورة الدستورية.

(١٣٢) حسين مكّي، تاريخ بيست ساله ايران، جلد دوم، ص ٢٩٧ - ٢٩٩.

منذ اليوم الاول لتسلمه منصب رئيس الوزراء خطا رضا خان الخطوات الاخيرة الضرورية لضمان تفرده المطلق بالحكم ولتكريس كل الطاقات لخدمة اسمه واهدافه. فقد اجبر الشاه على السفر الى اوربا واخذ تعهدا من ولي عهده بعدم التدخل في شؤون الدولة. كما ابعد اليمينيين عن المسرح، وحارب الديمقراطيين بنفس العزيمة وضمن الاكثرية لنفسه داخل المجلس. فقد بوشر بانتخابات الدورة الخامسة للمجلس في ٢ نيسان ١٩٢٣ في عهد رضا خان.

زاوول اعوان رضا خان مختلف انواع اساليب الضغط والتزوير منذ اليوم الاول من الانتخابات حتى ان العديد من اللجان الرسمية التي عينتها السلطة نفسها للاشراف على سير الانتخابات قد استقالت احتجاجا. ففي كيلان، مثلا، ابعد مرشحو الجناح اليساري للقوميين ووزعت الاموال على الناجحين، وفي اردبيل دفع البسطاء للتصويت لمرشحي رضا خان تحت تهديد فرض الغرامة عليهم، وفي كرمنشاه منعت السلطات العسكرية العشائر الكردية غير الموالية من العودة الى مشائنها لتحويل دون اشتراكها في التصويت. وبهذا الاسلوب اصبح معظم اعضاء المجلس في دورته الخامسة من انصار رضا خان فيما عدا نواب الجنوب والجنوب الغربي من البلاد. وكان اكثر من عشري اعضاء المجلس الجديد من المجتهدين وغيرهم من رجال الدين^(١٣٣).

اذن فان الدورة الجديدة للمجلس كانت «اسوأ من جميع الدورات السابقة قاطبة» ذلك لان «روح الخيلاف والتناقض والكذب والجبن والخنوع امام الاجنبي والانانية والاهتمام بالحساب الخاص والطمع وفقدان الايمان والادعاء الكاذب بالدين» كان «يسود الدورة الخامسة من المجلس اكثر بكثير من الدورات السابقة»، كما اكدت جريدة «شفق سرخ» (الشفق الاحمر) في تعليق لها نشرته يوم ٢١ نيسان ١٩٢٤ بمناسبة انتهاء الانتخابات.

ولكن سرعان ما غيرت «شفق سرخ»، مثل غيرها من الجرائد الليبرالية، لهجتها بعد ان انتقل جميعها الى خندق رئيس الوزراء الجديد رهبة او رغبة او

شراء. فقد بدأ رضا خان بالصرف على صحافة العاصمة بسخاء، وهي «لم تقصر» من جانبها فبدأت يوميا تدبج المقالات وتنشر القصائد في مديح «البطل المنقذ» و «القائد الفذ» و «رجل الساعة» و «أمل الشعب وملجئه» وأوصاف أخرى^(١٣٤) بدأت ولم تنته الا بانتهاء رضا خان نفسه، فقد «نضجت الحماسة لديه» حقا!

بذل رضا خان عشية تسلمه رئاسة الوزراء جهودا أخرى لتحشيد القوى سياسيا حول شخصه. فقد وقع انشقاق داخل «الكتلة الوطنية» فالف الجناح اليميني منها الذي كان يضم الاوساط المرتبطة بالاقطاع والملاكين المتوسطين والصغار ممن وزعت عليهم الاراضي بعد انقلاب حوت، حزبا اسماه «تجدد» (التجدد) بزعامة سيد محمد تدين وقد تحول الى حزب رضا خان. اما الجناح اليساري للكتلة فقد الف قسم منه تنظيما جديدا بزعامة سليمان مرزا عرف باسم «حزب الاشتراكيين» فيما انضم الآخرون الى اليمينيين. ولكن لم يتجاهل رضا خان، كما لاحظنا، حقيقة ما كان يتمتع به الجناح اليساري للكتلة الوطنية من سمعة بين الناس فلم يقطع الاتصال بزعمائه في «مرحلة الحاجة» الى مساندتهم، ولا سيما لانم كانوا من اشد المعارضين للحكم القاجاري. وعلى هذا الاساس عهد حقبة وزارة المعارف الى زعيم «الاشتراكيين» سليمان مرزا كما مر بنا. وكرئيس للوزراء احكم رضا خان كامل سيطرته على اهم المراكز الحكومية وفي المقاطعات.

بعد كل ذلك حان الوقت المناسب لابعاد القاجاريين عن الحكم، مع العلم ان احمد شاه ادرك حقيقة نوايا رضا خان قبل سفره الاخير الى اوربا بفترة طويلة، فعبر عن شكوكه للدبلوماسيين الاجانب في طهران مرارا^(١٣٥) ومن اجل اصدقاء صبغة طبيعية على خطته ولكسب الرأي العام على الصعيدين الداخلي والخارجي كان على رضا خان ان يحول موضوع اسقاط الحكم القاجاري الى مطلب شعبي عام، فجند اعوانه لشن حملة واسعة لفضح

(١٣٤) D.N. Wilber Riza Shah pp 75-76

(١٣٥) Ibid p 70

مثالب القاجاريين على مختلف الأصعدة، الأمر الذي تمخضت عنه حملة أخرى واسعة بدورها ركزت على إقامة نظام جمهوري في إيران على غرار جمهورية مصطفى كمال أتاتورك في تركيا.

تعود بدايات الحملة من أجل الجمهورية إلى أواخر العام ١٩٢٣، وقد اتسعت بصورة خاصة عندما انتشر نبأ اتصالات أحمد شاه السرية بـ «اتحاد العشائر الجنوبية» بزعامة الشيخ خزعل^(١٣٦). وفي بداية الحملة بدأت الصحافة تعير أحمد شاه بصورة غير مباشرة وذلك بنشر المقالات عن «السلطين والملوك غير الجديرين» وعن «واجب الحكام في حب الوطن والوفاء له» وما شابه تلك من مواضيع^(١٣٧).

ومنذ شباط ١٩٢٤ بدأت أسماء أحمد شاه وولي عهده وملك القاجار السابقين وصورهم تظهر على صفحات الجرائد بصورة مكشوفة. فنشرت مقالات عديدة تدين أحمد شاه وولي عهده باهمال شؤون البلاد والعباد وبإهمامهما بحياتهما الخاصة التي «تتميز بالعريضة وقضاء الوقت في اللهو وفي النوادي الليلية» كما أكدت أكثر من جريدة واحدة ذكرت الإيرانيين، في الوقت نفسه، كيف أن الحكم القاجاري لم يجلب لإيران على مدى ١٣٠ عاما غير التخلف والعذاب.

وفي المرحلة التالية من الحملة بدأت صحافة طهران تضرب على الوتر الحساس لعواطف البسطاء. ففي عددها الصادر يوم ٩ آذار ١٩٢٤ نشرت جريدة «ستاره ايران» صورة لأحمد شاه محاطا بالأوربيات وفوق رأسه قبعة حديثة، ونشرت الجريدة تحت الصورة عبارة تقول:

«هل يستحق هذا الشاه الركوع أمامه والدفاع عنه؟»

وفي ٣١ آذار كتبت الجريدة نفسها تقول «إن السلطان الشاب الذي فضل القبعة على تاج الكيانيين وحول قبلة المسلمين إلى بؤرة للدعارة والفجور لم يكن ولن يكون جديرا بالسلطنة».

حاول أعوان رضا خان إضفاء طابع ديني على حملتهم من أجل

M. S. Ivanov. Ochirk p 308 (١٣٦)

(١٣٧) للتفصيل عن الموضوع راجع

O. S. Melikov. Op. cit., pp. 63 - 70. D. N. Wilber. Riza Shah, pp. 76 - 87

الجمهورية. فقد اكدت «ستاره ايران» في افتتاحيتها ليوم ٢٧ اذار ١٩٢٤ ان «النظام الجمهوري لا يتناقض في شيء مع روح الاسلام» وانه «لا فرق بينه وبين النظام الملكي الدستوري» الا في ان الذي ينتخب لرئاسة الجمهورية «لا يشترط ان يكون ابن محمد علي شاه او مظفر الدين شاه^(١٣٨)، بل يكفي ان يكون وطنيا او عاملا نزيها». ونشرت غيرها من الصحف مثل «ايران ازاد» (ايران الحرة) مقالات تحمل عناوين من قبيل «الاسلام والجمهورية» و«الجمهورية والمرأة» و«الجمهورية وقانون الانتخاب» وما شابه من مواضيع كانت تهم المواطن الايراني.

لم تقتصر الحملة من اجل الجمهورية على الصحافة وحدها، فقد شهدت العاصمة ومعظم المدن الايرانية مظاهرات صاخبة واجتماعات حاشدة تدعو بصوت واحد الى اعلان النظام الجمهوري. وانهالت على طهران برقيات من مختلف المناطق تطالب بانهاء الحكم القاجاري تلقفتها الصحافة ونشرتها تحت عناوين مثيرة مع ان البرقيات نفسها كانت متشابهة في صياغتها ومحتواها، مما كان يدل بدوره على ان جهة واحدة تقف وراء الحملة كلها. وفي الوقت نفسه ظهرت في الميدان مجموعة من الاحزاب «الجمهورية» تأسست لتوها من قبيل «الحزب الجمهوري» و«حزب الجمهوريين» و«الحزب الديمقراطي المستقل» وغيرها من التنظيمات التي وحدت جهودها مع «حزب التجدد» في الدعوة لاسقاط لقاجاريين وتأسيس الجمهورية.

وكان من الطبيعي ان تنتقل اثار الحملة بقوة الى داخل المجلس، وقد اتخذ الموضوع فيه طابعا اكثر جدية، الامر الذي كان يقلق بال رضا خان الى حد كبير ذلك لان مصير القاجاريين وكل النظام القائم كان يعتمد على القرار الذي يتخذه المجلس. وكان ميزان القوى في الاخير يومذاك على النحو التالي: «حزب التجدد» - ٤٣ عضوا، اي الاكثرية، وكان يؤيده الاشتراكيون بزعامة سليمان مرزا ولهم ١٤ صوتا. اما جبهة المعارضة التي كانت تتألف من

(١٣٨) محمد علي شاه هو والد احمد شاه كان مكروها من الشعب جدا. وقد نخلع عن العرش ايام الثورة الدستورية اما مظفر الدين شاه، خامس ملوك القاجار وجد احمد شاه، فقد كان من اضعف من تبوأ وعرش ايران فتدهورت اوضاع البلاد في عهده الى حد كبير.

اقصى اليمين بزعمامة المدرس فقد كان ينتمي اليها عشرون من اعضاء المجلس. واتخذ الآخرون موقفا «مستقلا» متذبذبا.

بدأت مناقشات حادة داخل المجلس مما كانت تنتهي في احيان كثيرة بالشتم والضرب، حتى ان زعيم «الجمهوريين» رئيس «حزب التجدد» ونائب رئيس المجلس محمد تدين قد اعتدى على زعيم الملكيين المدرس بالضرب في احدى جلسات المجلس^(١٣٩). ومن الجدير بالذكر ان هذا «التقليد البرلماني» لم يختف بسرعة. فقد وصف مراسل جريدة «ديلي تلغراف» اللندنية احد اجتماعات المجلس في اب ١٩٢٥ على النحو التالي:

«... وكان رئيس المجلس يدق الجرس باستمرار، ولكن ارتفع صوت الضجيج اكثر فأكثر... ثم قفز النواب من مقاعدهم واخذوا يجررون بعضهم، وفي هذه الاثناء جرّ احد المستخدمين الساخطين نائبا مشتبكا من عنقه وشده فوق المنصة لينتهي الاجتماع بذلك».

مع ذلك لم يكن من الهين على المجلس ان يتخذ قرارا نهائيا بالنسبة لموضوع الساعة الحساس، لاسيما لان اعضاءه كانوا يحسبون الف حساب لرجال الدين الذين ابدوا معارضتهم الصريحة للنظام الجمهوري على اساس انه يتنافى مع روح الشريعة، وشدد رجال الدين من موقفهم المعارض بعد القرار الذي اتخذه مصطفى كمال بصدد الغاء الخلافة في تركيا. وعندما علم هؤلاء بنية رضا خان اعلان الجمهورية عشية عيد نوروز، ٢١ اذار ١٩٢٤، وبما كا يجري داخل المجلس انزلوا مؤيديهم بدورهم الى الشوارع، فعقدوا اجتماعا حاشدا في ساحة بهارستان ضم حوالي عشرين الف شخص هتفوا ضد رضا خان والقوا عليه الحجارة عندما كان في طريقه الى بناية المجلس، فحاول رجال الشرطة تفريقهم بعد ان جرحوا واعتقلوا المئات منهم. واحتدم النقاش داخل المجلس بحضوره ولم ينته، الا في العاشرة ليلا بعد مساومة جمعت الطرفين على صعيد واحد. فعندما هدد رضا خان بالاستقالة اقنعه قادة

(١٣٩) حسين مكّي . تاريخ بيست ساله ايران . جلد دوم . ص ٣١٨ - ٣١٩

المعارضة بالعدول عن قراره ووعدوه بمنحه كامل تأييدهم ضد احمد شاه في حالة تنازله عن شعار الجمهورية^(١٤٠)، الامر الذي بدأ يميل اليه بدوره خاصة بعد ان اثارت الحملة من اجل الجمهورية مدا ثوريا جديدا في البلاد كاد ان يسلك مجرى يختلف كليا عن مراميه هو.

وبدأ الواعون يدركون فعلا ابعاد المسرحية على حقيقتها. فان الشاعرين ميرزادة عشقي وملك الشعراء بهار واخرين ممن وقفوا بحماس الى جانب رضا خان في البداية اصبحوا يحسون بما يجري خلف الكواليس، ولاسيما بعد ان بدا رضا خان بتوجيه ضربات ماحقة للحركة الديمقراطية ولزعماء وطنيين من امثال الشيخ محمد خياباني الذي ابنه ملك الشعراء بهار بمناسبة مقتله قائلا: ان الذين يدعون الدفاع عن ايران «يحاولون تخريبها... فلو فار دم خياباني لارتدت ايران عن بكرة ابيها كفنا احمر... ايها اليتيم المتأوه لاتبك فان الغد ات»^(١٤١)

اما ميرزادة عشقي فقد ادرك ابعاد «الثورة المصطنعة» التي بدأ يكشف بعض جوانبها على صفحات جريدة «قرن بيستم» (القرن العشرون)، فاطلق «مجهولون» النار عليه وارذوه قتيلا في الحال، وقد اشترك في تشييعه ما لا يقل عن ثلاثين الف من مواطني العاصمة طهران التي شهدت، فضلا عن ذلك، مظاهرات جماهيرية تندد بالمجلس الخامس وبالوزراء الرجعيين، بل وبشخص رضا خان، ففتحت الشرطة النار على المشتركين فيها واعتقلت العديد منهم^(١٤٢).

ولكن لم يثن شيء رضا خان الذي بدأ يخطو خطواته الاخيرة لفرض حكمه المطلق، ولكن بصولجان الشاه هذه المرة.

نحو العرش:

تأكد رضا خان انه لا بد من مساومة كبار رجال الدين، ولو مرحليا، ان اراد تحقيق كل ما يريد، لا سيما بعد ان تردد المجلس في اتخاذ قرار بصدد مصير

D N Wilber. Riza Shah pp 77 - 79

(١٤٠)

مقتبس من Sh M. Badi. Op. cit , p. 145

(١٤١)

O. S. Melikov. Op. cit., pp. 77 - 78; D8 N. Wilber. Riza Shah, p. 87. (١٤٢)

الحكم وترك الامر لمجلس تأسيسي يعقد بصورة خاصة لهذا الغرض، وبعد ان اخذ رصيد «حزب التجدد» داخل المجلس ينخفض بصورة ملحوظة. بدأت بوادر المساومة الجديدة تظهر وتتطور بسرعة. فقد عاقب رضا خان جريدة «طوفان»، مثلاً، لتهجمها على احد رجال الدين، وعاقب اخرى بسبب دعوتها للمرأة الايرانية الى القاء الحجاب «اسوة باختها التركية». وبعد مساومة المجلس مباشرة افرج في الليلة نفسها عن جميع المتظاهرين المحتجزين الذين تعرضوا لشخصه^(١٤٣)، ثم رأى فجأة «حلماً سعيداً» «دعاه فيه الامام على الى الجنة»^(١٤٤)، فتلقف «السماسة» الخبر بسرعة ونشروه في كل مكان. وبعد كل ذلك شد رضا خان الرجال الى قم، على بعد ١٥٠ كم جنوبي طهران، حيث عقد اجتماعاً مطولاً مع كبار رجال الدين وتم وضع الاطار النهائي لصورة المساومة التي فرضتها طبيعة الاحداث والنيات. فما ان رجع من قم حتى نشر في الاول من نيسان عام ١٩٢٤ بياناً «الى جميع الايرانيين» ورد فيه ما يلي:

«ايها المواطنون: اثبتت التجربة ان على رجال الحكم ان لا يعترضوا على الرأي العام ابداً. وان الحكومة الحالية لم تبد اي اعتراض حتى اليوم على مشاعر الشعب في اي جزء من البلاد. كان هدفي منذ اليوم الاول، ولم يزل، هو صون عز الاسلام وخيره وحماية استقلال ايران ومصالح البلاد والامة. وكل من يخالف هدفي هذا يعتبر عدواً للوطن ويعاقب بشدة... انني شخصياً، والقوات المسلحة بأسرها، على استعداد لحماية مجد الاسلام وصيانيته... انني ارجب دائماً في ان ارى تقدم الاسلام وعزه واكن اعمق احترام نحو رجال الدين. وعندما تشرفت بزيارة الضريح الطاهر لفاطمة في قم تبادلنا الرأي مع رجال الدين فتوصلنا الى الاستنتاج ان من الافضل لخير البلاد

ان يوقف كل دعوة لاقامة الجمهورية، وان توجه الطاقات والجهود كلها لازالة العقبات التي تعرقل اصلاح البلاد وتقدمها، فادعو كل الامة للتعاون معي ومساعدتي بنشاط لتحقيق الهدف المقدس المذكور اعلاه، الا وهو تعزيز الدين وحماية استقلال الدولة وتأسيس حكومة وطنية مستقرة. لذا اقترح على جميع الوطنيين الحقيقيين وعلى جميع ابناء وطننا المقدس الكف عن المطالبة بالجمهورية وتوحيد جهودهم معي لتحقيق الاهداف التي ذكرناها والتي لا خلاف بيننا في فهمها»^(١٤٥)

وبالمقابل نشر اربعون من كبار الساسة اليمينيين الذين كانوا يؤيدون الحكم القاجاري قبل ذلك بيانا اعلنوا فيه وقوفهم الى جانب رضا خان. ثم بدأت الحملة المضادة للجمهورية، فاجتهدت الاقلام الرخيصة نفسها التي ترقص دائما على انغام الطفلة لتصم بالكفر والزندقة كل من يرى في النظام الجمهوري سوى الشر والهوان، واذا بجميع الصحف والخطباء والمنظمات التي هتفت حتى الامس للنظام الجمهوري بصوت جهوري تحاول بعد مساومة قم ان تثبت وبالحماس نفسه ان ظرف ايران الخاص لا يسمح باقامة مثل ذلك النظام. فان جريدة «ستاره ايران» التي اجهدت نفسها كثيرا لاثبات افضلية النظام الجمهوري كتبت في عددها الصادر يوم الاول من نيسان تقول دون وجل او تردد:

«فلتكن الجمهورية، او ملكية دستورية أو أي شيء آخر، فحسبنا تحقيق هدفنا الذي هو اعلاء شأن ايران».

ولكن لم تنس الجريدة ان تختتم مقالتها بالقول «على اي حال يجب ان يعرف سيادة رئيس الوزراء (رضا خان - ك. م.) وكل وطني البلد ان حكم ايران عن طريق مثل هذا الشاه غير الجدير (تقصد احمد شاه - ك. م.) وولي عهده امر غير ممكن».

بعد ذلك باشر رضا خان مناوراته الاخيرة مع الجميع - المجلس ورجال الدين وانصاره ومناوئيه والانكليز والامريكان وغيرهم. ففي بداية ليلة السادس

من نيسان ١٩٢٤ اجتمع بمستشار السفارة البريطانية، وفي منتصفها اجتمع بعدد قليل من كبار الضباط المقربين منه ليجمع في صبيحة اليوم التالي الوزراء والنواب وممثلين عن الجيش ويتحدث لهم باسهاب عن خدماته، ثم يفاجأهم «بقراره القاطع» بالتنازل عن الحكم والاستقرار في النجف او كربلاء مادام هناك من يحيك الدسائس ضد اصلاحاته. وبعد «جهد جهيد» اقنعه الحضور بعدم ترك البلاد فقرروا نزولا عند رغبتهم (١)، الانتقال الى قرية قريبة من طهران. وترك العاصمة فعلا في منتصف نهار السابع من نيسان بعد ان بعث برسالة «وداع» وتحريض الى قادة الجيش في الجبهات اختتمها بالقول: «اودعكم الجيش واستودعكم الله» (١٤٦).

عقد المجلس في الحال اجتماعا متواصلا استلم اثناءه برقية من احمد شاه يعلن فيها عن سحب ثقته من رضا خان، فأجابه رئيس المجلس ببرقية تحمل تواريخ ٨٦ من النواب يؤكدون فيها مطلق ثقتهم برئيس الوزراء. وفي اقتراع سري جرى في اليوم نفسه صوت لرضا خان ٩٦ من اصل ١٠٠ عضو حضروا اجتماع المجلس حسب اعلان الصحف الايرانية، فألف المجلس في الحال لجنة وساطة لاقتناع رضا خان بالعودة الى مقر عمله، لاسيما بعد ان توترت الاوضاع في البازار والشارع اثر اطلاق عملاته شائعات عن عودة الشاه من الخارج، وبعد ان انهالت برقيات قادة الجيش من الاطراف على العاصمة مؤكدين فيها «ان الثورة واقعة لا محالة اذا لم يرجع رضا خان الى مقره»، بل ان قائد القوات الغربية احمد آغا خان منح المجلس ٦٨ ساعة فقط ليقرر «التعاون مع قائد الجيش او عدمه» والا «فانه ورجاله» على اتم استعداد للزحف على طهران «من اجل ان يضحوا بدمائهم قربانا لمعلمهم وقائدهم» (١٤٧). وقد رافقت كل ذلك حملة صحفية جد واسعة تطالب بعودة «البطل القومي» و «الابن البار للوطن» و «الانسان القدير الوحيد الذي انجبه

(١٤٦) D. N. Wilber. Riza Shah. pp. 81 - 82

(١٤٧) راجع نص البرقية في حسين مكي. تاريخ بيست ساله ايران. جلد دوم. ص ٣٤٨ - ٣٤٩.

عصر الثورة والحركة الدستورية في ايران».

ذهبت اللجنة التي ضمت ١٢ عضواً، منهم مستوفي الممالك ومشير الدولة والدكتور مصدق الى رضا خان، وقد سبقهم اليه نبأ يقول: «ان المدافع والتهديدات قد اعطت مفعولها»^(١٤٨)، فاستغل الامر كما يجب وناقش الموضوع مع الوفد من منطلق القوة والثقة، فأكد في النقاش انه شخصياً «يقدر خدماته التي قدمها لايران افضل من الجميع» وانه متأكد من «ان البلاد بحاجة الى خدماته لفترة اخرى». وبعد ساعات من النقاش المسهب وصل بيت القصيد حينما أكد للوفد «مالم يمنحني الشعب الايراني التأكيد التام بالتعاون معي من اعماق قلبه يكون من الصعب عليّ الاستمرار في تحمل المسؤولية... يجب ان اتأكد من مثل هذا التعاون قبل ان استعد لتجديد جهودي ومجابهة كل الصعاب»^(١٤٩).

والترجمة الفعلية لاقوال رضا خان هذه كانت تعني رضوخ الجميع المطلق لارادته.

بعد عودته بايام الف رضا خان وزارة جديدة ادخل فيها مجموعة من الارستقراطيين المعروفين من امثال مشاور الدولة ومستشار الدولة ومحمد علي فروغي ومعتضد السلطنة، بينما ابعد منها الوزيرين الليبراليين سليمان مرزا والدكتور مصدق. وفي اب ضم الى وزارته الجديدة الزعيم البختياري المعروف سردار اسد.

أكد رضا خان في منهج وزارته الجديدة على ضرورة «تطوير العلاقات الطيبة مع الحكومات الصديقة» وعلى قضايا تتعلق بتطوير الجيش وتوحيد المقاييس والموازن ووضع سجلات للوثائق الرسمية وتأسيس شركة للطيران والاهتمام بالتعليم والصحة وما شابه. ودون تأخير باشر «بتنظيف» اجهزة الدولة من العناصر غير الموالية له، ولاسيما في جهازي الشرطة والقضاء. استمرت المناورات وبدأت رائحة النفط تفوح في الاجواء من جديد.

(١٤٨) نفس المصدر، ص ٣٥٣.

(١٤٩) D. N. Wilber, Riza Shah, pp. 83 - 84

فقبل «اعتصام» رضا خان بفترة وجيزة وقعت حكومته اتفاقية مع شركة سنكلر الامريكية منحها بموجبها امتيازاً لاستغلال نفط الشمال. وبمناسبة التوقيع على الاتفاقية عبر رضا خان عن امله في ان يفضي التعاون مع الشركة الامريكية الى ان تتخلص ايران من «السيطرة الاقتصادية لبريطانيا وروسيا»، و اضاف يقول ان حكومته ستبذل من جانبها «كل ما هو ممكن لادامة الروابط الجيدة الحالية» مع الولايات المتحدة الامريكية و «يراودها الامل بان شعب الولايات المتحدة المخلص لتقاليده القومية في مساعدة الشعوب الاخرى سوف يستغل هذه الفرصة السعيدة ويمد لنا يد العون لبناء ايران مرفهة ومزدهرة»^(١٥٠).

وقفت لندن، وكذلك شركة «ستاندرد اويل» الامريكية المتنفذة ضد الاتفاقية الجديدة باعتبارها غير قانونية لانه سبقت لايران ان منحت امتيازاً مشابهاً لستاندرد اويل ثم الغته بدعوى مخالفة الشركة لنص الامتياز عندما اشركت معها شركة النفط الانكلو - ايرانية كما مرّ بنا. وقد تمكنت «ستاندريد اويل» التي تعزز موقعها بفوز الجمهوريين في انتخابات ١٩٢٠، من اثارة ضجة صحفية ضد ايران التي تصدت صحافتها للرد على الصحف الامريكية. ويهمنا هنا التصريح الذي ادلى به رضا خان لجريدة «ايران» بتاريخ ٢٤ شباط ١٩٢٤ والذي ذكر فيه ان الحملة الصحفية المتبادلة بين طهران وواشنطن لاتخدم سوى مصلحة البريطانيين الذين، يحاولون كما قال، «اصابة عصفورين بحجارة واحدة: التشهير بإدارتي وتشويه سمعة الامريكان في البلاد». ومن جانبه اوعز رضا خان بوقف الحملة، واغلق بعد يومين صحيفتين لاستمرارهما في التهجم على الولايات المتحدة^(١٥١). وفي ١٩ نيسان، اي بعد عودته مباشرة، عرض امتياز سنكلر على المجلس، وبعد يومين فقط استلمت حكومته مذكرة الاحتجاج البريطانية التاسعة عشرة^(١٥٢).

لم يكتف رضا خان بذلك، بل انه منح الشركات الامريكية سلسلة امتيازات اخرى لبناء السكك الحديدية وطرق السيارات وغيرها داخل

(١٥٠) مقتبس من N.S. Fatemi, Oil Diplomacy. Powderkeg in Iran, New York, 1954, PP. 123 - 124.

ibid, pp. 126 - 127 (١٥١)

ibid, p. 129 (١٥٢)

ايران^(١٥٣). وفي خضم هذه الاحداث ثار الجنوب وثار الغرب ومن ثم قتل وكيل القنصل الامريكي روبرت ايمبري في احدى ضواحي طهران يوم ١٨ حزيران ١٩١٤^(١٥٤)، وقد اختلفت المصادر في تحديد الجهة التي كانت تقف وراء حادث الاغتيال، ف فيما تميل المصادر الايرانية الى اتهام القاجاريين، تورّد مصادر اخرى ادلة مقنعة تثبت ان الانكليز كانوا وراءه، الامر الذي اكدته صحافة طهران ايضا في حينه. ومن المفيد ان نشير الى ان السفارة البريطانية رفضت اقتراحا لرضا خان يقضي بتأليف لجنة من جميع الاطراف للتحقيق بالموضوع^(١٥٥).

ومن جانب اخر فتح رضا خان ابواب ايران من جديد امام المصالح الألمانية التي تمكنت بسرعة من استعادة مواقعها القوية التي كانت تحتلها في البلاد قبل الحرب العالمية الاولى^(١٥٦).

وهكذا استمرت «لعبة جرّ الجبل الايرانية» الى ان التقت الاطراف الاساسية فيها عند النقطة الحاسمة. وقد جاءت الاشارة الاولى من وزير الخارجية البريطاني اللورد كرزون عندما اعترف في ايار ١٩٢٤ امام البرلمان بان سمعة بلاده في ايران قد تدنت كليا. لكنه اضاف قائلا: علنا ان نهادن «روح التمرد القومي» التي تفجرت هناك^(١٥٧). وبدأت المهادنة فعلا على صورة نزاجع واضح امام طموحات رضا خان. فقد ترك البريطانيون الشيخ خزعل وغيره من حلفائهم وشأنهم، وسحبوا قواتهم الموجودة في دوزداب لحراسة خط السكة الحديدية هناك لتحل محلها قوات ايرانية، وفي اواسط ١٩٢٥ سلموا جميع دوائر البريد الموجودة في الموانئ الجنوبية الى وزارة البرق والبريد الايرانية، كما سحبوا حرسهم الخاص الذي كان مكلفا بحماية مؤسساتهم

(١٥٣) S.L. Agayev, Op. Cit., PP. 141 - 143

(١٥٤) للتفصيل عن حادث الاغتيال راجع: D.N. Wilber, Op. Cit., PP. 87 - 89.

(١٥٥) ز. ر. عبدالله ييف، بداية تغلغل الولايات المتحدة الامريكية في ايران. باللغة الروسية، موسكو. ١٩٦٣ ص ٧٥ - ٧٧

S L. Agayev, Op cit., pp. 134 - 144; D. N. Wilber, Riza Shah, pp. 88 - 89

(١٥٦) للتفصيل حول الموضوع راجع: س. ل. آكايف، الاستعمار الاعلامي في ايران، باللغة الروسية. موسكو. ١٩٦٩ ص ١٤ - ٢٧

D. N. Wilber, Contemporay Iran, New York, 1961, p. 71 (١٥٧)

الدبلوماسية في مختلف انحاء البلاد^(١٥٨).

جاءت خطوات الطرف المقابل بمستوى المساومة و «الحدث الكبير» الذي كان يعد له. ففي اب ١٩٢٥ اجري رضا خان تعديلا وزاريا ادخل بموجبه نصرت الدولة وقوام الدولة في وزارته، وكلاهما كانا من اكثر ساسة ايران ارتباطا بالبريطانيين، لاسيما الاول منهما الذي لعب دورا كبيرا في عقد معاهدة ١٩١٩ بصفته وزيرا للخارجية في عهد وثوق الدولة واحد مفاوضي الجانب الايراني، وقد بقي مخلصا للمعاهدة وللانكليز حتى النهاية، الامر الذي اشارت اليه الوثائق البريطانية الخاصة مرارا^(١٥٩). وقد أوكل اليه رضا خان حقيبة وزارة العدلية وعهد الى زميله قوام الدولة وزارة الداخلية. كما خفف رضا من حماسه لشركات النفط الامريكية الى حد كبير ووافق على توسيع اعمال شركة النفط الانكلو - ايرانية في الجنوب، ثم منح شركة طيران الامبراطورية البريطانية شبه الحكومية حق استخدام الاجواء الايرانية في رحلة جديدة ومهمة تبدأ من لندن وتمر بالقاهرة وتنتهي بكراتشي، هذا الخط الذي كان يؤلف حلقة وصل مهمة بين مستعمرات انكلترا والبلدان التي إنتدبت هي لادارتها مع انتهاء الحرب العالمية الاولى، وكان بالامكان تحويله للخدمات العسكرية عند الضرورة. وبما ان اهداف هذا الخط كانت واضحة فان رضا خان اجري المفاوضات بصدده بسرية تامة خشية ان يؤثر الامر على سمعته^(١٦٠).

ومن المهم ان نشير الى ان رضا خان في لقاءاته الخاصة بالمسؤولين البريطانيين في تلك الفترة كان يتحدث بصراحة عن اعتماده على بلادهم. ففي تقرير سري بهذا الخصوص رفع في ٦ تشرين الثاني ١٩٢٥ الى وزير

S L. Agayev. Op. cit., pp 151 - 152 (١٥٨)

(Documents on British Foreign Policy, 1919 - 1939), First Series, Vol XII, pp. - 466 - 468, 698, (١٥٩)

693 - 694 727 - 728 etc.

S L. Agayev, Op cit, pp - 186 - 187; M S Ivanov, Contemporary Iran. p. 64 (١٦٠)

الخارجية الجديد اوستن تشمبرلن اكد السفير لورين ذلك واذضاف ان لديه «عوامل عديدة» تجعله متأكدا من ان رضا خان «مخلص فيما يذكر بهذا الصدد»^(١٦١).

وضمن المخطط نفسه حاول رضا خان في الفترة نفسها اصفاء برود واضح على علاقات حكومته بالاتحاد السوفيتي^(١٦٢). وباسلوب ما تلقفت الصحافة الغربية ذلك وبدأت تتهم موسكو بموالاة احمد شاه القاجاري لدرجة ان وكالة تاس اضطرت الى ان تنشر بيانا بتاريخ ٢٠ تشرين الاول ١٩٢٥ تؤكد فيه ان «الحكومة السوفيتية تتبع سياسة عدم التدخل المطلق في شؤون ايران وتحفظ بعلاقات صداقة كاملة مع الحكومة الوطنية الايرانية التي يقف على رأسها رئيس الوزراء سيادة رضا خان»^(١٦٣).

وكل ذلك كان يعني، في الواقع، ان الطريق اصبح مفتوحا امام رضا خان ليخطو خطواته الاخيرة نحو العرش، فبعد ان قضى على حركتي خزعل في عربستان وسمكو في كردستان، وبعد ان صفى العديد من خصومه، واثر زيارته للنجف وكربلاء اعلن رضا خان امام المجلس في الثامن من شباط ١٩٢٥ رغبته ثانية في ترك مهمته لعدم امكان استمرار التعاون مع القاجاريين حسب تأكيده، اما اذا اريد له الاستمرار في العمل حينئذ «يجب اعادة تنظيم موقعه»، وكان يقصد بذلك جعله القائد الاعلى لجميع القوات المسلحة، بما فيها جهاز الشرطة، المنصب الذي كفلته المادة ٥٠ من الدستور لشخص الشاه وحده. وقد منح رضا خان المجلس مهلة اربعة ايام فقط، فاذا لم يتخذ في الوقت المحدد الاجراء المطلوب حينذاك يضطر الى ان «يشكو امره» للشعب الايراني^(١٦٤).

(١٦١) «Documents on British Foreign Policy. 1919 - 1939». Series IA. Vol. I. London, 1966, P. 806.

(١٦٢) S. L. Agayev, op. cit, pp. 187 - 188

(١٦٣) «وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي»، باللغة الروسية، المجلد الثامن، ص ٦٣٤ - ٦٣٥.

(١٦٤) D. N. Wilber, Riza Shah, pp.91 - 99; O. S. Melikov, Op. cit., pp. 87 - 95; M. S. Ivanov,

Contemporary Iran, p. 64

وفي اليوم المحدد، ١٢ شباط، اصدر المجلس قانونا يتألف من مادة واحدة ينص على مايلي:

«يقر المجلس حصر كل القيادة العليا لجميع قوى الدفاع والامن بيد رضا خان سردار سبه الذي يمنح كامل الصلاحيات لانجاز واجباته في حدود الدستور وقوانين الدولة المرعية ولا يجوز تجريده من هذه الصلاحية دون موافقة المجلس».

يعتبر المؤرخ الايراني عبدالله رازي الاجراء الاخير لرضا خان «كأول خطوة عملية على درب خلع الاسرة القاجارية»^(١٦٥). وكان الامر هكذا فعلا ففي ١٧ شباط زار رضا خان المجلس وشكر اعضاءه على «قرارهم» وبعد ان اكّد للمرة الالف ماقدمه من خدمات «لصالح الوطن والامة» برر خطوته الاخيرة هكذا. «بالرغم من جميع ما جرى بصدد عودة صاحب الجلالة... الا انه لم يعد لحد الان، لذا اتخذت في الاونة الاخيرة بعض الاجراءات الاضافية حتى يعود جلالته من سفرته الطويلة باسرع مايمكن». وبالطبع لم يكن رضا خان يقصد من اقواله هذه ومن غيرها التي كانت تتلقفها صحافة العاصمة في الحال، سوى اظهار احمد شاه امام الملا كإنسان لا يهتمه مصير الوطن والشعب. ومن اجل ان «يثبت» صدق ما يقول اقترح رضا خان في اليوم نفسه تأليف لجنة تضم ١٢ من اعضاء المجلس لمعاونته في الحكم بينما عمم في الثالث من ايار امرا على جميع دوائر الدولة يقضي بان يخاطب في المراسلات الرسمية بلقبه الجديد - بهلوي. ومنذ ذلك الوقت بدأت بعض الصحف تذكر اسمه مع لقب «صاحب الجلالة»، ولم يكن ذلك سوى تجسيد لامر واقع ظهرت بوادره من قبل عندما بدأ كبار المسؤولين والاعيان يتجاهلون احمد شاه وولي عهده في الاحتفالات الرسمية ويحيطون رضا خان بالتبجيل والتقدير علنا^(١٦٦) وفي ٨ حزيران سافر صاحب الجلالة غير

(١٦٥) عبدالله رازي، تاريخ ايران از زمان باستان تا سال ١٣١٤ شمسي - هجري، تهران، ١٣١٨، ص ٧٧٠.

(١٦٦) Percy Sykes. A history of Persia, vol. II, London, 1963 pp 545 - 546.

المتوج الى اذربيجان وزار العديد من مدنها واتصل طوال حوالي شهرين بالمتنفذين فيها كجزء من خطته لتحشيد القوى حوله من اجل جولته النهائية. وبعد كل هذا التمهيد بدأت حملة جديدة وواسعة ضد الاسرة القاجارية وضد شخص احمد شاه وولي عهده وغيرهما حتى لا يبقى شخص واحد من العائلة المالكة يكون جديرا بعرش ايران. وظهرت هذه المرة اعلانات وملصقات جدارية ليلية كانت تحمل اسماء جمعيات ومنظمات مختلفة من قبيل «جمعية قومي ايران»، حاولت جميعها ان تثبت، كما كان يرد في عناوينها البارزة، ان «الاسرة القاجارية ممقوتة» وان احمد شاه «يتسكع في فنادق اوربا وملاهيها» وان ما قدمه الحكم القاجاري لايران على مدى قرن ونيف لا يعادل «ماقدمه رضا بهلوي لها خلال اربع سنوات فقط». لم تفقد القوى التقليدية مع ذلك مواقعها وتأثيرها نهائيا. فقد تمكنت ان تثبت وجودها حتى في تلك الايام العصيبة بالنسبة لها، اذ استغلت نبأ عودة الشاه وازمة الخبز لاثارة قلقا خطيرة في البلاد. ففي ١٦ ايلول ١٩٢٥ تلقى رئيس الوزراء برقية من احمد شاه يخبره فيها عن عودته قريبا الى «ايران العزيزة» وعن «غاية امتنانه» لانه سيكون «قادرا في القريب» على ان «يناقش الامور مع فخامته» شخصا.

بعد ثلاثة ايام رد رضا خان باسلوب لم يخل من استهزاء: «حملت البرقية المباركة انباء طيبة من جلالتم. قبول نبأ عودتكم الميمونة، وبخاصة قرار تنفيذها العاجل، بالغبطة. التماسي هو ان نعلم امركم السامي عن الميناء الحدودي الذي يتشرف بمقدمكم. رضا»^(١٦٧). انتشر النبأ بسرعة بين الناس. وقد صادف ذلك ازمة خبز حادة في العاصمة جراء الجذب الذي حصل في الموسم الزراعي الاخير والذي ادى الى ان «يموت الناس افواجا في الطرقات» حسب تعبير جريدة «شفق سرخ» في عددها الصادر يوم ٢٨ كانون الثاني ١٩٢٦. وكان سعر الخبز قد ارتفع لشحته بمعدل ٢٠٪ على اقل تقدير^(١٦٨)، الامر الذي استغله اعداء رضا خان من اليمين المتطرف، فقاموا بتنظيم مظاهرات عنيفة يومي ٢٣ و ٢٤ ايلول رفع المشتركون فيها شعار «الشاه

D N. Wilber, Riza Shah, pp. 104 - 105 (١٦٧)

O. S. Melikov, op. cit., p.97 (١٦٨)

والخبز»، واحتلوا حديقة المجلس، وهاجموا الدوائر الحكومية، ثم اقام حوالي ١٧٠ منهم «بستا»^(١٦٩) في باحة السفارة السوفيتية اضطروا الى تركها بعد ثلاثة أيام تحت ضغط مسؤولي السفارة^(١٧٠).

استغل رضا خان هذه الاحداث لوضع اللمسات الاخيرة على خطة خلع الاسرة القاجارية. فقد اعتقل ما بين ٨٠٠ و ٩٠٠ من الساسة الذين كان معظمهم من اشد المتحمسين للحكم القاجاري. واعاد منصب الحاكم العسكري الذي اضطرت لالغائه قبل ذلك بفترة وجيزة، كما بدأ بتحريض انصاره في مختلف انحاء البلاد التي شهدت سلسلة من المظاهرات المعاكسة. ففي تبريز مثلاً نظمت مسيرات واجتماعات واسعة بعث المشتركون فيها ببرقيات الى المجلس واعضائه والى رئيس الوزراء والزعماء السياسيين في ٤٤ مدينة يعربون فيها عن تأييدهم المطلق لرضا بهلوي وعن احتجاجهم الشديد على قرار عودة الشاه ويؤكدون قطع صلاتهم بالعاصمة وقرارهم لجمع المتطوعين للزحف عليها. وفي اصفهان اغلقت الحوانيت والدوائر الحكومية ابوابها. وفي طهران عقد التجار «بستا» امام دار رئيس الوزراء وفي المدرسة العسكرية ودعوا الايرانيين الى قلب الحكم الايراني وتأسيس حكم «ملكي» منتخب مكانه. وانضمت الى البست جماعات كثيرة منها «المجموعة الزرادشتية» و«المجموعة الارمنية» و«المجموعة اليهودية» و«التجار الشباب» والاصناف المختلفة. وظهرت النشرات الليلية من جديد وقد بدأت تطالب هذه المرة صراحة بخلع احمد شاه واختيار رضا بهلوي مكانه. وكل هذه النشاطات سواء في العاصمة او في المدن الاخرى كانت تجري تحت اشراف ما عرف

(١٦٩) «بست» كلمة فارسية تعني العقد او الانعقاد، وقد تحول الى مصطلح يدل على الاعتصام فموجبه كان الخارجون على القانون والمحتجون وغيرهم يعتصمون في الاماكن المقدسة والمؤسسات النابعة للسفارات الاحية وغيرها دوما ان يطاولهم القانون، وقد تحول الـ «بست» الى احد المظاهر الاساسية للنضال ضد الشاه ايام الثورة الدستورية.

(١٧٠) «وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي»، المجلد الثامن. ص ٨٠٦.

بـ «لجان الحركة الوطنية»^(١٧١). وفي هذه الفترة نشر حزب التجدد منهاجه^(١٧٢) الذي وردت فيه شعارات واهداف كثيرة كانت ايران بامس الحاجة اليها يومذاك، من قبيل اصلاح الجهاز الاداري والقضائي وتطوير التعليم ومنح حرية الكلام والصحافة والاضراب. ووضع قانون جديد يعتمد الاقتراع السري والتصويت العام اساسا لانتخابات المجلس. والاهتمام بالتجارة والصناعة والزراعة. ومنع التلاعب بقوت الشعب. وتوزيع الاراضي الاميرية على الفلاحين واصدار القوانين لتنظيم علاقاتهم مع الملاكين على «اساس عادل» وتحديد ساعات العمل بالنسبة للعمال بثمان فقط. وقد جاء كل هذا «السخاء» من جانب حزب رضا بهلوي على اوراق صفحات الجرائد من اجل نقطة اساسية وردت في منهاجه والتي كانت تطالب بـ «اعادة النظر في الدستور من قبل مجلس تأسيسي»، مما كان يعني تغيير نظام الحكم صراحة.

وبعد ان هيا رضا بهلوي. الجو على الصعيدين الداخلي والخارجي بذلك يشهد له. الجميع اراد ان يتأكد نهائيا من موقف الانكليز قبل ان يضع التاج فوق راسه. ففي اواسط تشرين الاول ١٩٢٥. اجري وزير خارجيته مرزا حسن مشاور لقائين مع السفير البريطاني في طهران حاول خلالهما ان يتأكد مما اذا كانت الخارجية البريطانية هي التي حرضت الشاه على العودة الى البلاد ام لا. ويرى ما هو الحل المقبول «للازمة السياسية» الايرانية في نظر البريطانيين^(١٧٣).

وجاء الرد البريطاني ذكيا بدوره. ففي ٢٨ تشرين الاول تسلم وزير الخارجية الايراني رسالة شفوية خاصة من تشمبرلن بواسطة السفير لورين يكذب الوزير البريطاني فيها الشائعات التي تشير الى مساندة بلاده لاحمد شاه (١١). وفي اللقاء نفسه اكد السفير للوزير الايراني ما ذكره تشمبرلن من

D. N. Wlber, Riza Shah, pp. 105 - 106, O. S. Melikov, op. cit., pp.99 - 100, S. L. Agayev, Op. (١٧١)
cit., p. 108; (Contemporay Iran), p. 315.

(١٧٢) عن منهاج «حزب التجدد» راجع

O. S. Melikov. op. cit., pp. 97 - 98, M. S. Ivanov, Contemporary Iran, p. 65.

(Documents On British Forreign policy, 1919 - 1939), Series IA, vol. I, pp. 763 - 764. (١٧٣)

«ان حكومة صاحب الجلالة لاترغب في التدخل في الشؤون الداخلية لدولة اخرى صديقة»^(١٧٤).

كان رد لندن واضحا بعث الاطمئنان التام في نفس رضا بهلوي. ولندع الكلام للسفير لورين ثانية. فقد اخبر تشمبرلن برقيا انه سلم رده الى وزير الخارجية مرزا حسن خان مشاور في ٢٨ تشرين الاول والتقى برضا بهلوي صبيحة اليوم التالي «فاطلع بدوره على الرد» فجاء تأثيره «ممتازا تماما وكان اختيار الوقت مناسبا» كما ورد نصا في برقيته. ثم يضيف الى ذلك قوله: «وقد اكد رضا خان بانه عند موقفه من بياناته السابقة فيما يخص علاقات ايران بانكلترا . . . والتي ستعطي مفعولها حال تحرره من المشاكل الحالية»^(١٧٥).

فلم يبق اذن سوى الاجراءات الشكلية الاخيرة لخلع القاجاريين. وهنا جاء دور رئيس «حزب التجدد» نائب رئيس المجلس محمد تدين الذي اثار الموضوع امام المجلس يوم ٢٩ تشرين الاول، اي بعد لقاء السفير البريطاني برضا بهلوي مباشرة. ففي ذلك اليوم قدم محمد تدين «نداء» وقعه ٧٦ نائبا يقولون فيه:

«بالنظر للاستياء من الاسرة القاجارية والذي بلغ حدا يهدد البلاد، وبما ان الهدف الاسمي للمجلس هو العمل لوضع نهاية لازمة (السياسية - ك.م.) باسرع ما يمكن نحن الموقعون ادناه . . . نقدم الاقتراح التالي ونطلب من المجلس اقراره:

«يعلن المجلس باسم الشعب^(١٧٦) خلع الاسرة القاجارية ويعهد ادارة البلاد لسيادة رضا خان بهلوي وقتيا في اطار الدستور والقوانين المرعية».

Ibid, pp. 764 - 765. (١٧٤)

Ibid, p. 765 (١٧٥)

(١٧٦) في النص «باسم سعادة الشعب»

وعندما جرى التصويت على مشروع القرار بعد يومين^(١٧٧) لم يحدث داخل القاعة ما يتناسب مع خطورة القرار في شيء سوى ان المدرس ترك القاعة تفاديا للاشتراك في التصويت وان بقي زاده طالب بتأليف لجنة لدراسة مشروع القانون. ولكن ارتفع صوت رجل واحد مثالي مؤمن بما تعلمه في السوربون عن قدسية القانون وجلال الدستور فاعترض على القرار صراحة هو الدكتور مصدق الذي قدر له من بين الجميع ان يلعب دورا مشهودا في تاريخ ايران السياسي فيما بعد وبالتحديد في عهد ثاني واخر ملوك الاسرة البهلوية محمد رضا شاه.

صوت الى جانب مشروع القرار ٨٠ عضوا مقابل ٥ اعضاء فقط صوتوا ضده، فانهى بذلك حكم القاجاريين لايران من الناحية الرسمية في ٣١ تشرين الاول عام ١٩٢٥. وقرر المجلس في الجلسة ذاتها اجراء انتخابات لمجلس تأسيسي يأخذ على عاتقه تحديد نوع الحكم في البلاد. وبعد ساعتين من اتخاذ القرار قام العسكريون بوضع الشمع الاحمر على ابواب مصر كلستان، مقر الشاه الشتوي الذي تركه ولي العهد مرتديا السواد، وقد جرى تسفيره بصحبة عدد من افراد اسرته في الليلة نفسها الى الحدود العراقية ووصل بغداد في ٣ تشرين الثاني، وبعد ان ادى مع والدته الزيارة للعبات المقدسة ولقبور ملوك قاجار غادر العراق الى أوروبا^(١٧٨).

ما ان انتشر نبأ خلع احمد شاه في طهران حتى امتلأت شوارعها بالناس وبدأ اطلاق المدافع احتفاء بسقوطه. وفي اليوم نفسه زار اعضاء المجلس رضا بهلوي وهنأوه على «ثقة الشعب به»، وطلب منه محمد تدين باسم النواب الامان للقاجاريين واطلاق سراح المسجونين. وفي اليوم التالي اصدر رضا بهلوي اوامرا تقضي باعلان عطلة رسمية لمدة ثلاثة ايام وبتخفيض سعر الخبز وبيع المشروعات الروحية، كما نشر بيانا بالمناسبة ذكر فيه:

(١٧٧) عن هذه المواضع راجع:

D.N. Wilber. Riza Shah, PP. 106 - 107; O S Melikov, Op. Cit., PP. 102 - 105; M.S Ivanov, Contemporary Iran, PP. 65 - 66.

(١٧٨) «العالم العربي» (جريدة)، بغداد، ٤ تشرين الثاني ١٩٢٥.

« لا يخفى انه قد مضى وقت منذ ظهرت بين الشعب الايراني الحركة التي دلت على نفوره وسخطه على حكم العائلة القاجارية وكانت رغبة الشعب في اسقاط هذه العائلة وخلعها تشتد من يوم الى اخر. وقد اشتد هذا السخط وذلك النفور الى درجة حصل معها عدة حوادث اضطراب في عاصمة البلاد وصار الموقف حرجا يخشى معه اذا اهملت هذه الحركات حدوث ثورة هائلة لها نتائجها الفظيعة». وبعد ان وضع بعض النقاط على الاحرف بصورة غير مباشرة بهذا الاسلوب ادعى الشاه الجديد انه التزم «جانب الحياد التام اثناء هذه الحركات احتراماً للرأي العام ورغائب الاهالي وشعورهم ولكي يكون للجمهور ولللمجلس الوطني مطلق الحرية في التدبر في مصالح الامة وتكييفها». واختتم بيانه قائلاً: «اني واثق من ان جميع الصادقين في وطنيتهم يؤيدونني في حماية مصالح الجمهور»^(١٧٩).

وفي ٣ تشرين الثاني ١٩٢٥ نشر في طهران قانون انتخاب اعضاء المجلس التأسيسي الذي لم يختلف عن قانون انتخاب البرلمان، وبعد يومين عين رضا بهلوي بصفته رئيس الدولة المؤقت وزير ماليته رئيساً للحكومة الجديدة التي اشرفت على انتخابات المجلس المذكور. وبالرغم من محاولات رضا بهلوي اصفاء صبغة ديمقراطية على الانتخابات الا انها جرت باسلوب يضمن له الاكثريّة المطلقة ويسرعة جلبت انظار الصحافة الاجنبية. ذلك لان الانتخابات السابقة، بما فيها الانتخابات الاخيرة لمجلس النواب التي جرت باشرافه، كانت تستغرق في العادة مدة سنة واحدة، بينما لم تستغرق انتخابات المجلس التأسيسي الجديد سوى اربعة اسابيع مع ان «الامة الايرانية انتخبته برمتها» كما ادعى رضا بهلوي شخصياً^(١٨٠).

افتتح رضا بهلوي المجلس التأسيسي يوم ٦ كانون الاول «بابهة ملكية» حسب وصف جريدة «العالم العربي» في عددها الصادر يوم ٩ كانون الاول ١٩٢٥. وقد استمرت مداولات المجلس لمدة ستة ايام ناقش الاعضاء خلالها قضايا صورية من قبيل تحديد لقب رضا بهلوي بان يكون مجرد شاه ام شاهنشاه «ملك الملوك»^(١). ثم اصدر المجلس في ١٢ كانون الاول قانوناً يقضي بانتهاء حكم القاجارية

(١٧٩) «العالم العربي»، ٧ تشرين الثاني ١٩٢٥.

(١٨٠) حسين مكّي، تاريخ بيست ساله ايران، جلد سوم، تهران، ١٣٢٥، ص ٤٨٤. «العالم العربي»، ٩ كانون

الاول ١٩٢٥.

وحرمان جميع افرادها من حق الادعاء بالعرش الايراني في المستقبل و«بانتخاب» رضا خان بهلوي شاهها جديدا على ايران باغلبية ٢٥٧ صوتا وامتناع ثلاثة فقط عن التصويت هم سليمان مرزا واثنان اخران من زملائه «الاشتراكيين» ، وقد اعلنوا انهم مع اختيار رضا بهلوي لكنهم يعترضون على اقامة نظام ملكي وراثي لانه «لا يتفق مع المبادئ الاشتراكية»^(١٨١).

ادى رضا شاه بهلوي اليمين الدستورية يوم ١٥ كانون الاول عام ١٩٢٥ بحضور الوزراء والنواب واعضاء المجلس التأسيسي وكبار العسكريين والوزراء ورؤساء الوزراء السابقين. وفي اليوم التالي دخل قصر كلستان كأول ملك بهلوي ، وفي ١٩ كانون الاول كلف فروغي بتأليف اول وزارة في العهد الجديد. وبعد ان امضى رضا شاه في التمعن في ملابس ملوك اوربا اثناء تنويعهم وقع اختياره على زي نابليون بونابارت الذي اجري بعض التعديل عليه^(١٨٢) ثم لبس التاج الشاهنشاهي يوم ٢٥ نيسان ١٩٢٦ في حفل مهيب حضره ، فضلا عن كبار المسؤولين الايرانيين ، جمع غير من الدبلوماسيين والصحفيين ، والقى خلاله خطابا لم يختلف في محتواه عن خطبه السابقة.

صدى الحدث عالميا:

تلقت الاوساط الدبلوماسية والصحافة العالمية انباء التغييرات التي شهدتها ايران منذ اواخر تشرين الاول ١٩٢٥ وعلمت عليها من منطلقات مختلفة ، ولكن ما يهمنا اكثر من غيره هنا هو الموقف البريطاني الرسمي المعلن وغير المعلن من «الحدث الكبير» بعد وقوعه. ففي الفترة الواقعة بين يومي ٢٩ تشرين الاول و ٢ تشرين الثاني ١٩٢٥ بعث السفير لورين عددا من البرقيات المستعجلة الى شخص وزير الخارجية تشمبرلن يخبره فيها بتفاصيل الاحداث الايرانية حال وقوعها. وقد اخبر تشمبرلن في احدها عن «الرغبة الملحة (لنظام الجديد - ك. م.) في ان تكون حكومة صاحب الجلالة اول حكومة اجنبية... تعترف به»^(١٨٣). وقد رد الاخير على ذلك بالقول:

«من المعلومات التي وصلت يبدو ان الثورة كانت منظمة كليا ولم تسبب اي ضرر للمصالح البريطانية. والى هذا الحد فان الاحداث لا تجري في اي اتجاه مخالف

(١٨١) D N Wilber, Riza Shah, p 107

(١٨٢) الدكتور عبدالسلام عبدالعزير فهمي ، تاريخ ايران السياسي في القرن العشرين ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٦٠ -

(١٨٣) (Documents on British Foreign policy, 1919 - 1939), Series IA, Vol I, p 775

لوجهات نظر حكومة صاحب الجلالة». ثم يطلب الوزير من السفير ان يخبر رضا بهلوي عن استعداد حكومته «للاعترا ف بالنظام الجديد» حال «اعترافه من جانبه بجميع المعاهدات والاتفاقيات المعقودة بين البلدين مع ما يترتب عليها من التزامات»^(١٨٤).

وهكذا اعترفت لندن رسميا بالنظام الجديد يوم ٣ تشرين الثاني . وفي تعليق له حول ذلك ذكر لورين لتشمبرلن في برقية بعثها له في اليوم نفسه : «ان موقف رضا خان تجاهي كان وديا للغاية ، وان اجراءكم (يقصد الاعتراف بالنظام الجديد - ك . م .) ترك اثرا عميقا عليه»^(١٨٥). وفي نفس اليوم ايضا ابلغت السفارة البريطانية وزارة الخارجية الايرانية عن «قرار الحكومة العراقية» بعدم اخذ الرسوم من الحبوب المصدرة الى ايران عبر اراضيها^(١٨٦) ، الامر الذي كان في غاية الاهمية بالنسبة لايران التي عانى انتاجها من الحبوب من نقص كبير في الموسم الزراعي ١٩٢٤ - ١٩٢٥ ، مما اجبرها حتى على شراء كميات كبيرة من الحبوب من الاتحاد السوفيتي فضلا عن الكميات التي تبرع بها الاخير^(١٨٧).

بدأت الصحافة البريطانية من جانبها بنشر العديد من المقالات في مديح رضا شاه الذي وصفه احد المحاضرين امام «الجمعية الاسيوية المركزية الملكية» في لندن بـ «الرجل القوي الذي تحتاجه ايران» ، الرجل الذي «قدم لبلاده قبل تسنمه للعرش اكثر مما قدمه لها غيره على مدى ثلاثة اجيال مضت»^(١٨٨).

اعترف الاتحاد السوفيتي في الرابع من تشرين الثاني بالنظام الجديد في ايران ، فيكون بذلك ثاني دولة بعد انكلترا تعترف بالعهد بهلوي . وفي الوقت نفسه ابلغ الوزير المفوض السوفيتي لدى طهران ك . ك . يورنييف رضا شاه قرار حكومته برفع تمثيلها الدبلوماسي لدى ايران الى درجة سفارة^(١٨٩). بعد ذلك توالى اعترافات الدول الاخرى على طهران . ففي خلال الايام الثلاثة

Ibid (١٨٤)

Ibid, pp. 776 - 777 (١٨٥)

S. L. Agayev, Op. Cit., p. 190 (١٨٦)

(١٨٧) مقتبس من S.L. Agayev, Op Cit., PP. 191 - 192 «وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي» ، المجلد الثامن ، ص ٥٤٨ ، ٩٣٤ . «الاستقلال» (جريدة) ، بغداد ، ٨ تشرين الاول ١٩٢٥ .

(١٨٨) مقتبس من S. L. Agayev, op cit., pp. 191 - 192

(١٨٩) «وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي» ، المجلد الثامن ، ص ٧٠١ .

التالية، من ٥ لنهاية ٧ تشرين الثاني، اعترفت كل من ألمانيا وإيطاليا وبلجيكا والولايات المتحدة الأمريكية على التوالي بالنظام الجديد. ومن بين الدول الكبرى تأخر فقط اعتراف فرنسا نسبيا وذلك بسبب خلاف سبق ان وقع بينها وبين ايران حول يوم استيلاء شركة الطيران الفرنسية، مع ذلك فان الخارجية الايرانية تسلمت اعتراف باريس بتغيير الحكم في طهران يوم ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٥^(١٩٠).

رأي أحداث ايران في العراق:

لم تجد أحداث ايران خلال السنوات الاولى التي اتبعت الحرب العالمية الاولى رأي مأموسا لها في العراق وذلك بحكم مجموعة عوامل معروفة منها انعدام صحافة رأي في البلاد يومذاك. فعندما وقع «انقلاب حوت» في ايران كان يصدر في العراق عدد جده قليل من الجرائد والمجلات تأتي في مقدمتها «العراق» - الجريدة الرئيسية التي كانت تصدر بصورة منتظمة^(١٩١). ولكن حتى «العراق» ظلت لفترة غير قصيرة من الزمن متخلفة عن الركب. فبالنسبة لانقلاب حوت والاحداث التي سبقته، مثالا، كانت تنشر اخبارا متأخرة ومبتسرة للغاية ما كان بوسعها تقديم الحد الأدنى من المعلومات الواضحة للقارئ العراقي عن الاحداث الايرانية، حتى تلك التي كانت لها علاقة ما بالعراق من قبيل انسحاب الخبراء والعسكريين البريطانيين من ايران الى هناك او انتقال ضياء الدين طباطبائي بعد سقوطه الى بغداد وما شاكل من مواضيع. وكانت تنشر، في الغالب، اخبار وزارة ايرانية ما او منهاجها بعد سقوطها بفترة غير مقبولة في عالم الصحافة^(١٩٢). لذا ليس بغريب ان اكدت جريدة «العراق» بكل بساطة ان «موقف بريطانيا هو عدم التدخل في الامور الداخلية لايران» مع انها افرت، في الوقت نفسه، ان «الحكومة البريطانية تراقب الاحوال ايرانية بانتباه لا مزيد عليه»^(١٩٣). وقد تطرقت جريدة «الاستقلال» البغدادية الى الوقائع ايرانية بصورة افضل^(١٩٤)، الا انها اغلقت في التاسع من شباط عام ١٩٢١، اي عشية «انقلاب حوت» وما اعقبته من احداث خطيرة.

(١٩٠) S. L. Agayev, op cit, pp. 190 - 191

(١٩١) فيما عدا الجرائد الانكليزية التي كانت تصدرها سلطات الاحتلال.

(١٩٢) راجع مانشرته جريدة «العراق» عن تأليف وزارة سبهدار اعظم بعد سقوطها بايام في عددها الصادر يوم ٢٨ شباط ١٩٢١ او عن مباحث وزارة ضياء الدين طباطبائي بعد نشره باكثر من اسوعين في عددها الصادر يوم ١٩ اذار ١٩٢١ وعن تأليف وزارة قوام السلطنة في عددها الصادر يوم ١٠ حزيران ١٩٢١ وغير ذلك من الاخبار

(١٩١) «العراق»، ١١ و ١٥ حزيران ١٩٢٠.

(١٩٢) راجع على سبيل المثال: «الاستقلال»، ٣٠ كانون الثاني و ٢ شباط ١٩٢١.

قطعت الصحافة العراقية في السنوات اللاحقة شوطا ما الى امام، فظهرت جرائد جديدة لها رأيها دونما ان تخضع كليا لارادة سلطات الاحتلال، لذا اولت الصحافة العراقية احداث ايران في اواسط العقد الثالث اهتماما اكبر بكثير من السابق، حتى ان بعضها نشر تقارير صحفية عن الاحداث الايرانية اعدتها الصحفيون العراقيون بانفسهم، منها تقرير كتبه الاستاذ عبدالرزاق الحسيني عن زيارة رضا بهلوي للعراق قبيل توليه العرش نشره في جريدة «المفيد»^(١٩٥). وقد جلبت الاحداث التي راقت اعتلاء رضا بهلوي للعرش الايراني انتباه الصحافة العراقية اكثر من غيرها. فان جريدة «العالم العربي»، مثلا، نشرت بصورة واضحة تفاصيل تلك الاحداث وعلقت عليها في بعض الاحيان. فقد تحدثت عن «خلع الاسرة الايرانية المالكة» وعن «احتجاج جلالة الشاه» وعوامل سقوط القاجاريين ومواضيع اخرى كثيرة تتعلق باحداث ايران في تلك الفترة^(١٩٦).

اولت الصحافة العراقية شخصية رضا شاه اهتماما خاصا. فقد كرست جريدة «العالم العربي» افتتاحية عددها الصادر يوم ١٧ كانون الاول عام ١٩٢٥ لموضوع مفصل نسبيا تحت هذا العنوان: «الامة تنهض وتتقدم برجالها. رجل ايران العظيم». فان «البطل البهلوي» حسب تعبير الجريدة «قد تمكن بحكمته وصولته وقوته من الجلوس على العرش الشاهي، وكان هذا المجد، بل، هذا الملك ثمرة جهوده العجيبة وقد اكتسبه بعمله واستحقاقه» وعليه «سيقال ان جلالة البهلوي ليس من جملة بعض الملوك الذين يدعوهم التاريخ بالكسالى والبطالين» ذلك لان «جلالة البهلوي فريد عصره اليوم في ايران ونسيج وحده وقد خط لامته بقلم من حديد وعلى صحيفة من فولاذ خطة النهوض والسير في سبيل التجدد والتقدم». ثم تختتم «العالم العربي» مقالها الافتتاحي بالقول «فالهنا وكل الهنا لجارتنا العزيزة امة ايران بنهضتها ورقيا وحصولها على ملك عامل وثابت في العمل»^(١٩٧).

وقد بلغ اهتمام الصحافة العراقية بشخصية رضا شاه حد ان جريدة اسبوعية مثل «العالم المصور» التي قلما كانت تعير الاخبار السياسية اهتماما يذكر، كرست مقالة افتتاحية لـ «رجل ايران الحديدي» الذي «دحرج اسرة آل قاجار ورماتها من شاهق، فاعاد الى الذاكرة حوادث التاريخ الماضية وذكر شباب طهران بابي الراعي نادر شاه

(١٩٥) مقابلة مع الاستاذ عبدالرزاق الحسيني بتاريخ ١٠/٢/١٩٨٢.

(١٩٦) «العالم العربي»، تشرين الثاني وكانون الاول ١٩٢٥.

(١٩٧) «العالم العربي»، ١٧ كانون الاول ١٩٢٥.

وكيف انهى حكم الاسرة الصفوية . . . ونشرت الجريدة صورة كبيرة لمؤسس الاسرة البهلوية في صدر صفحتها الاولى^(١٩٨). وبالاسلوب نفسه تحدث بعض المثقفين العراقيين عن رضا شاه في مؤلفاتهم. فمثلا انه كان واحداً من ابطال ثلاثة ظهوروا في الشرق حسب رأي الشاعر والصحفي، صاحب مجلة «اليقين» محمد الهاشمي^(١٩٩).

كان اهتمام الاوساط السياسية العراقية بالاحداث الايرانية التي اسفرت عن تأسيس الاسرة البهلوية بالمستوى نفسه، حتى ان ازدياد اهتمام الصحافة العراقية بالاحداث الايرانية في اواسط العقد الثالث كان بتشجيع من ياسين الهاشمي، احد رؤساء الوزراء العراقيين انذاك^(٢٠٠). ولم يكن مجرد صدفة ان بكر صدقي، زعيم اول انقلاب عسكري في العراق، كان متأثراً الى حد كبير بشخصية رضا شاه حسب اجماع المؤرخين.

التقييم:

مع ان حروف المعلومات التي وردت ضمن هذا البحث في غنى عن ان توضع فوقها النقاط الا ان هنالك بعض الحقائق التي يجب ان نأخذها بنظر الاعتبار عند التقييم النهائي لتأسيس الاسرة البهلوية في ايران، اولها ان الاحداث التي رافقته لم تكن عفوية، بل انها كانت تعبر عن مصالح محددة اكثريتها داخلية عكست تطورات وقعت في عمق المجتمع الايراني. فان تأسيس الاسرة البهلوية كان يعني، في الواقع، انتهاء حكم الارستقراطية التقليدية وظهور عهد جديد يعتمد اساساً على الملاكين شبه الاقطاعيين والبورجوازيين الجدد، التجار منهم اولاً، الذين كانوا يؤلفون فئات اجتماعية جديدة ومؤثرة موقعها ايضا في اعلى الهرم الاجتماعي. ففي الظروف الاجتماعية والسياسية التي سادت ايران في الربع الاول من القرن العشرين كان الملاكون شبه الاقطاعيين والتجار يؤلفون القوة الاجتماعية الوحيدة التي بإمكانها تسنم السلطة والقضاء على النظام القاجاري الاقطاعي. وان الاعمال التي حققها رضا خان

(١٩٨) (العالم المصور)، بغداد، ١٨ كانون الاول ١٩٢٥.

(١٩٩) محمد الهاشمي، الابطال الثلاثة، بغداد، ١٩٣٧. يقصد المؤلف بالابطال الثلاثة رضا شاه ومصطفى كمال

اتاتورك والملك فيصل الاول.

(٢٠٠) مقابلة مع الاستاذ عبدالرزاق الحسيني بتاريخ ٢/١٠/١٩٨٢.

بهلوي بعد «انقلاب حوت»، في الفترة ١٩٢١ - ١٩٢٥ ، لاسيما قضاؤه على التسبيب الاقطاعي وتقوية السلطة المركزية وحماية الاستقلال السياسي للبلد، دفعت بالاطراف المذكورة الى الالتفاف حوله اكثر فاكثر ذلك لانها، بحكم مصالحها، كانت مهتمة يومذاك اكثر من غيرها بتلك الاجراءات.

مع ذلك فان دور القوى الخارجية في تحديد مسار الاحداث الايرانية خلال العقد الثالث من القرن العشرين لم يكن قليلا. وهنا يستحق رأي المؤلف الايراني رضا ارسته بعض التأمل. انه يقول:

«من السهل ان ترى عن كثب ان المصالح البريطانية قد روعيت بصورة افضل (من السابق - ك. م.) عن طريق تعزيز القوى المحافظة المتطرفة، اي بواسطة احياء الدكتاتورية المبنية على التقاليد الايرانية مع الاستفادة نوعا ما من مؤسسات ادارية وقضائية غربية غير متماسكة - الحاجة التي لببت بواسطة دكتاتورية رضا شاه»^(٢٠١). ولولا «فقدان» بعض حلقات الوثائق البريطانية الخاصة لكان بالامكان القاء ضوء اكثر على هذا الجانب من الموضوع. فكما ذكرنا في حينه ان العديد من البرقيات السرية المهمة للسفير هرمن نورمن لم تطبع سوى مقتطفات خاطفة منها في المجلد الثالث عشر من التسلسل الاول لوثائق السياسة الخارجية البريطانية^(٢٠٢). ويصح القول نفسه على تقارير خلفه السفير الجديد لورين. فهناك، مثلا، اربع برقيات غير مطبوعة بعثها لورين الى لندن في عز ايام الصراع الذي ادى الى سقوط القاجاريين^(٢٠٣)، فضلا عن تقرير اخر مهم، على ما يبدو، ارسله الى تشمبرلن بتاريخ ٦ تشرين الثاني ١٩٢٥ والذي تحدث فيه السفير عن مداولاته الخاصة مع رضا شاه وتأكيده الاخيره لخلاصه التام للبريطانيين وثقته المطلقة بكلامه وما الى ذلك من مواضيع حساسة وردت في التقرير دون ان تنشر منه سوى نتف وردت في الهامش كتعليق على وثيقة اخرى اقل اهمية^(٢٠٤).

A Riza Arasteh, in Collaboration with Josephine Arasteh, *Man and Society in Iran*, Leiden, (٢٠١) 1964, P. 103.

(٢٠٢) راجع عنى سبيل المثال:

“Documents on British Foreign policy, 1919 - 1939”, First Series, vol. XIII, pp. 539, 548.

Ibid, Series IA, Vol, I, p. 775 (٢٠٣)

Ibid, pp. 805 - 806 (٢٠٤)

وينطبق الشيء نفسه على الوثائق السوفيتية الخاصة. ففي الوقت الذي تعطي الوثائق المذكورة رايها صراحة في شخص ضياء الدين طباطبائي باعتباره رجل الانكليز في ايران^(٢٠٥) نراها تتحفظ في ذكر شيء عن رضا شاه ضمن ما هو متوفر للتداول من الوثائق المذكورة. بينما بدأ السوفيت يهتمون بشخصية رضا شاه بصورة خاصة بعد ان اصبح رئيسا للوزراء عام ١٩٢٣، الامر الذي لاحظته العديد من المتابعين^(٢٠٦). ويسود الاستشراق السوفيتي منذ البداية وحتى الان تقييمان متناقضان لشخصية رضا شاه احدهما ايجابي والاخر منهما سلبي^(٢٠٧)

ومهما يكن من امر فان دور رضا المازندراني وشخصيته وذاته وطموحاته ومركزه كان كبيرا في تحريك الاحداث التي ادت الى سقوط الاسرة القاجارية وتأسيس الاسرة البهلوية الحاكمة في ايران.

وفي الاخير يجب ان نقر ايضا بأن الحدث بحد ذاته لم يؤلف تغييرا جذريا وشاملا في واقع اجتماعي وسياسي سائد مع ان رضا شاه لم يقدم القليل لايران، الا ان جانباً مما قدمه لها فرضته سنة التطور وقوانينه وحاجة الذين ساعدوه على تبؤ العرش، كما ان اجراءاته الاولى اتسمت بطابع فوقي توخى منها الدعاية للعهد الجديد. فان قرار تخفيض سعر الخبز، مثلاً، كان تقليدا قديما اتبعه العديد من ملوك ايران في ظروف مشابهة، ثم ان مفعوله لم يسر على جميع المناطق ولم يستمر طويلا في اي مكان. اما قرار منع تداول المشروبات الروحية فانه لم يؤد سوى الى رواجها في السوق السوداء، بينما لم يتخذ الشاه البهلوي اي اجراء ضد الافيون لان مئآت التجار والملاكين الجدد من اعوانه كانوا يجنون اموالا طائلة من ورائه على حساب حياة الايرانيين وغيرهم. ولم يجبر رضا شاه تغييرا كبيرا في الجهاز الاداري السابق، حتى ان معظم القاجاريين بقوا داخل ايران واستمروا في خدمة العهد الجديد واحتفظوا، كالسابق، بجانب غير قليل من امتيازاتهم، بل ان عددا منهم اصبحوا يتمتعون في العهد البهلوي بنفوذ اكبر من العهد القاجاري حسبما يؤكد ليونارد بندر^(٢٠٨).

(٢٠٥) «وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي»، باللغة الروسية، المجلد الرابع، موسكو، ١٩٦٠، ص ٧٨٦.

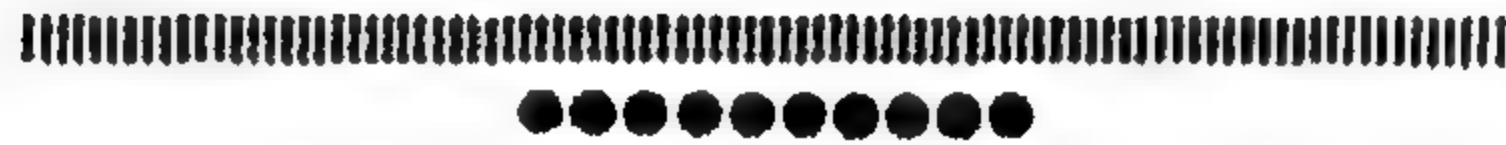
G. Lenczowski, Op. Cit., p. 87 (٢٠٦)

(٢٠٧) للتفصيل حول الموضوع راجع :

S. L. Agayev, Op. Cit., pp. 3 - 5; G. Lenczowski, op. cit.,

P. L. Bander, Iran. Political development in a Changing Society, California, 1962, pp, 67 - 88. (٢٠٨)

مع كل ذلك فقد بدأ عهد جديد في تاريخ ايران بتأسيس الاسرة البهلوية ، عهد مليء بالاحداث ، جدير بالدراسة من جميع الواجهه .



حقائق عن «المؤسسة الدينية»
في ايران

«المؤسسة الدينية» في إيران^(٥)، من المواضيع الحساسة، والمهمة جدا، والتي تستحق اهتماما خاصا من لدن المختصين، فدون فهمها على حقيقتها يتعذر، دون شك، فهم الجوانب الأساسية من أحداث إيران المعاصرة، ومحركاتها غير المرئية كما يجب.

قبل كل شيء، ومن اجل فهم واقع «المؤسسة الدينية» الإيرانية، وللقاء بعض الضوء على اداة التنفيذ بيد قمة هذه المؤسسة في ظروف إيران الخاصة نستعرض فيما يلي عددا من الارقام الاحصائية الضرورية:

حسب الاحصاءات الرسمية الإيرانية كانت اللوحة او الخارطة الدينية لإيران في اواخر العهد البهلوي على النحو التالي:

- بلغ عدد المسلمين حوالي ٣٤ مليون شخص (اي ٩٨٪ من مجموع السكان).

- بلغ عدد المسيحيين حوالي ٣٥٠ ألف شخص كان اغلبهم من الارمن (حوالي ٢٨٠ ألف) ومن الاثوريين النسطوريين (حوالي ٣٢ ألف) وغيرهم.

- ٨٥ ألف يهودي.

- وحوالي ٢٠٠ ألف ينتمون الى طوائف وديانات اخرى.

وتؤلف الشيعة حوالي ٩٠٪ من مجموع مسلمي إيران، اما ١٠٪ الباقية فتتألف من المنتمين الى المذهب السني السائد بين قسم كبير من الاكراد والتركمان والبلوش وحسب الاحصاء الرسمي العام الثاني بلغ عدد رجال الدين المحترفين في إيران عام ١٩٦٦ اكثر من ١٢ ألف شخص، ١٧٤ منهم كانوا من العنصر النسائي، وبعد سبع سنوات ارتفع الرقم الاول الى ١٥ ألف شخص. وفي العام ١٩٦٣ بلغ عدد المدارس الدينية في إيران ٢٢٩ مدرسة، تضم حوالي ١٤٠ ألف طالبا، كان اكثر من

(٥) التي البحث في ندوة «إيران الحاضر والمستقبل» التي عقدها المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية بجامعة المستنصرية في نيسان عام ١٩٨١، وكان تعقيا على بحث آخر قدمه السيد حميد المعهد الدكتور نزار عبداللطيف الحديثي.

٦ آلاف منهم في مدينة قم وحدها. يبلغ عدد المساجد في المدن الايرانية وحدها حوالي ٤٠٠٥ مسجدًا يقع حوالي الف منها في العاصمة طهران و١٥٥٥ مسجدًا في مدينة قم و٩٧ مسجدًا في مدينة كاشان، واكثر من ١٥٠٠ مسجدًا في المدن الواقعة وسط البلاد، هذا اضافة الى عدد كبير جدا من المساجد الموجودة في ارياف ايران وقراها (**). ومن المهم ان نشير الى ان هذه المساجد والعاملين بين جدرانها كانوا مرتبطين مباشرة، ومن جميع الواجه، ماديا ومعنويا، بقمة المؤسسة الدينية.

في السنوات الاخيرة من عهد الشاه ارتفع عدد الحجاج والزوار الايرانيين بصورة ملموسة للغاية، الامر الذي لم يخل عن بعض التوجهات السياسية للقمة الدينية التي زاولت نشاطا واسعا بينهم بهدف ربط اكبر عدد منهم بنفسها. ففي العام ١٩٦٣ بلغ عدد الحجاج الايرانيين ١١ ألف شخص فقط، ارتفع عددهم خلال حوالي عقد واحد الى اكثر من ٥٢ ألف شخص، وبعد سنتين اخريين بلغ حوالي ٧٠ ألف شخص. وفي العام ١٩٦٧ بلغ عدد زوار ضريح الامام رضا في مشهد ٣٣٢ ألف شخص، وخلال خمس سنوات فقط ارتفع الرقم الى حوالي مليوني شخص ومن ثم الى ثلاثة ملايين في العام ١٩٧٥ - ١٩٧٦ اي بنسبة ١٠٠٠٪. وقد كرس لخدمة هؤلاء في مشهد عشرون فندقا واكثر من ٢٠٠ دار ومكتبة دينية ومستشفى ومتحف خاص.

تتمتع «المؤسسة الدينية» في ايران بامكانات اقتصادية هائلة تأتيها منذ زمن بعيد من الوقف الخاص والعام الذي لم يقتصر على الارض الزراعية وحدها بل امتد ليشمل قنوات الري والخانات والدور والدكاكين والحمامات وغيرها من الاموال غير المنقولة. ولتوضيح هذه النقطة نقصر على ذكر مثلين نعتبرهما معبرين بهذا الصدد. فقد بلغ عدد قرى الوقف التابعة بصورة مباشرة الى كبار رجال الدين حوالي ستة آلاف قرية قبل قيام محمد رضا شاه باصلاحه الزراعي الاخير. وفي اواخر الستينات بلغ المورد السنوي لكبار رجال الدين في مدينة مشهد وحدها حوالي ٤٥٠ مليون ريال، وهو مبلغ ضخم للغاية حسب جميع المقاييس وكل الاعتبارات.

منحت هذه القوة الاقتصادية الكبيرة رجال الدين امكانية ان يؤلفوا على طول تاريخ ايران (منذ اواخر العصر الوسيط وفي كل العصور الحديثة والمعاصرة) فئة

(**) نخس الارقام اواخر العهد البهلوي في ايران.

مستقلة عن الشاه والسلطة الى حد كبير، فانهم، كما ذكرنا، ماكانوا يأخذون الرواتب من خزينة الدولة، وكبار آيات الله ماكانوا على اتصال مباشر بالشاه، انهم عند الضرورة كانوا يدعون اليهم من يريدون من كبار المسؤولين ويسلمونه مايريدون ليقوم بايصاله الى الشاه، وكان يستثنى من ذلك في العقود الاخيرة امام الجمعة في مسجد الشاه بطهران الذي كان يعين من قبل الشاه ويأخذ راتباً منظماً من خزينة الدولة كأى موظف اخر.

ومما زاد من نفوذ «المؤسسة الدينية» بين الايرانيين انها ظلت تسيطر لغاية العقود الاولى من القرن العشرين على الجانب الاساس من السلطة القضائية، فأن النظر في كل ماكان يتعلق بحياة الناس، فيما عدا قضايا السرقة والقتل والتمرد، كان من اختصاص كبار رجال الدين الذين كانت احكامهم قطعية لا يحق لاحد التدخل فيها سوى مرجع ديني اعلى. وينطبق القول نفسه على مسألة التعليم ذات المردود الفكري الكبير. فلغاية العقد الثالث من القرن العشرين كان رجال الدين يسيطرون تقريباً على كل شؤون التعليم في البلاد. وحتى حينما قام رضا شاه باصلاحاته المعروفة في مجال التعليم فان رجال الدين ظلوا يحتفظون ولمدة طويلة نسبياً بحق تدريس مادة الدين في المدارس الرسمية.

ومما كان يقوي من نفوذ كبار رجال الدين بين الايرانيين على مدى قرون طوال هو ظهور الظاهرة الغريبة المعروفة بالـ «به ست» التي كانت تمنح حق الحماية الكاملة لكل خارج على القانون ولكل مناهض للسلطة يلجأ الى بعض المساجد المعروفة، او الى دور كبار رجال الدين دون ان تتمكن السلطة من اتخاذ اي اجراء بحقه.

كل هذه الامتيازات وكل هذا النفوذ دفع كبار المتنفذين في المجتمع الايراني الى الانخراط في المؤسسة الدينية فاصبحوا يؤلفون اساس قمتها وقيادتها. فعلى طول القرون الاخيرة كان كبار رجال الدين الايرانيين ينتمون بالاساس الى الارستقراطية الاقطاعية وكبار ملاكي الارض وكان معظمهم على اتصال وثيق بالسوق وبالرأسماليين الفرس منذ ظهورهم. وحتى صغار رجال الدين فانهم كانوا في اغليبتهم الساحقة ينتمون الى الفئات الاجتماعية الوسطى كصغار التجار والحرفيين، وفي حالات قليلة فقط، ولاسيما في الريف، كانوا ينتمون الى الوسط الفلاحي

من كل ما سبق نستطيع القول اننا نجد في «المؤسسة الدينية» الايرانية صورة مطابقة الى حد كبير للبابوية الكاثوليكية في اوربا، ويستطيع المرء ان يلمس في صراع القمة الدينية من اجل السلطة الدنيوية بعض ظواهر هذا الصراع في اوربا القرون الماضية. وفي كل الاحوال فإن استقلالية المؤسسة الدينية في امور كثيرة، وكذلك اهتماماتها، ولا سيما الاقتصادية، تشبه البابوية الى حد غير قليل. وعلى غرارها لم تستطع «المؤسسة الدينية» الايرانية ان تبقى بعيدة عن الاحداث السياسية، بل انها تحولت الى محركة اساسية لكل حدث مهم شهدته الساحة الايرانية. والى جانب العوامل الاساسية العامة كانت هنالك ايضا عوامل اساسية خاصة تحرك الفئات المختلفة من كبار رجال الدين بحيث لم يكن هناك تطابق كلي في مواقفها واجتهاداتها التي اتخذت طابعا غريبا في حالات غير قليلة. فعلى سبيل المثال لم يكن بامر غير متوقع ان تظهر البابية والبهائية في ايران بالذات وان تدعو الحركتان الى امور غريبة تصل حد المطالبة بالغاء الحدود الدولية واللغات القومية والدفاع من بين الجميع عن اليهود المسيطرين على مفاتيح مهمة من التجارة الايرانية. فان زعماء الحركتين بدءاً «بالمهدي المنتظر» علي محمد الشيرازي ومرورا بالشاعرة المعروفة الخارقة الجمال قرة العين ووصولا الى العديد من زعماء البابية والبهائية المتحمسين كانوا ينتمون في ان واحد الى اسر دينية وتجارية معروفة كانت مصالحها مرتبطة بالسوق الرأسمالية العالمية بصورة مباشرة في احيان كثيرة وغير مباشرة في احيان قليلة.

ولئن وقف بعض كبار رجال الدين ضد التسبب الاقطاعي وارادوا الدستور فان ذلك كان نابعا الى حد كبير من حرصهم على مصالحهم الدنيوية الخاصة. فان رجل الدين المعروف الشيخ محمد الخياباني الذي كان من قادة الثورة الدستورية ومن زعماء الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الاولى مباشرة كان بدوره تاجرا كبيرا، ولكن تجارة اسرته كانت تعتمد على الداخل بالاساس، فلم يكن من مصلحتها ولا من مصلحة امثالها ان تدفع قوافلها التجارية ضرائب باهظة الى رؤساء العشائر ١٤ مرة خلال مسيرتها من شمال البلاد الى جنوبها.

وهكذا فان كبار رجال الدين الايرانيين كانوا يتوخون من كل موقف سياسي يتخذونه خدمة مصالحهم الخاصة وحمايتهم، وتوسيع نفوذهم السياسي والاجتماعي الى حد كبير. وقد حققوا من مواقفهم السياسية مكاسب كبيرة ونادرة في التاريخ. ومن

الشواهد المعبرة المجلس الخاص الذي أُسِسَ قانوناً عام ١٩٠٧ ، اي في عزايام انتصار الثورة الدستورية ، والذي تقرر ان يضم خمسة من كبار المجتهدين يقومون بتنفيذ مهمة خطيرة للغاية هي النظر في جميع قرارات البرلمان و اقرار موافقتها لروح الاسلام ليتم بعد ذلك فقط عرضها على الشاه الذي لم يحق له اقرار اي قانون جديد مهما كان طابعه دون موافقة المجلس الخماسي المذكور. اذن حققت قمة المؤسسة الدينية جانبا كبيرا مما ارادت من اشتراكها في الثورة الدستورية من منطلق صراعها من اجل السلطة الدنيوية وتحويل الشاه الى اداة طيعة بيدها. ولم يكن مجرد صدفة ان انتقل بعد ذلك معظم الزعماء الدينيين الى الخندق المقابل عندما بدأت الثورة تتخذ لها مجرى اعمق وبدأت تقترب من قضايا تخص الاستغلال الاقطاعي ومسألة الارض وما شابه من امور كان من شأنها مس مصالح قمة «المؤسسة الدينية» .

والسؤال المهم الذي يفرض نفسه هنا هو لماذا استفحل الصراع بين قمة «المؤسسة الدينية» والسلطة الدنيوية الايرانية في ظل حكم الاسرة البهلوية بالذات؟ . قبل الخوض في الموضوع لابد من التأكيد اولا على انه كان من الطبيعي ان يحاول النظام الشاهنشاهي استخدام «المؤسسة الدينية» لتثبيت مواقع اقدامه ولتحويلها الى اداة لقمع الحركة الوطنية ، وقد حقق نجاحا غير قليل في هذا المضمار، ولا سيما بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة حينما اعاد محمد رضا شاه امتيازات مهمة لكبار رجال الدين . بل ان هذا العامل ذاته ، اي محاولة تحويل «المؤسسة الدينية» الى مجرد اداة تنفيذ بيد الشاه هو الذي أَجَجَ نار الصراع بين الطرفين ، ذلك لان الامر كان يقتضي تجريد كبار رجال الدين من امكاناتهم الاقتصادية الهائلة لاضعاف نفوذهم ولربطهم بعجلة النظام اكثر فاكثر. ثم ان السلطة كانت تنظر دائما بعين الحسد والغيرة الى نفوذ كبار رجال الدين ، لا سيما الى امكاناتهم الاقتصادية في وقت كانت خزيتها تعاني من عجز مستمر وتحتاج الى كل ريال من اجل تثبيت دعائمها ، خاصة قبل ظهور الموارد النفطية الضخمة . اذن ان تطور الدولة المركزية الحديثة المتوافقة مع روح العصر كان يتطلب في ظروف ايران تجريد «المؤسسة الدينية» من استقلاليتها ، وكان من الطبيعي جدا ان يتحول كبار رجال الدين الى اعداء ألداء لكائن من كان يحاول حرمانهم لاي سبب كان من ثرواتهم الطائلة ونفوذهم اللامحدود . وقد حاول رضا شاه ان يقوم بذلك فعلا . فقام باجراءات من شأنها تقليص نفوذ القمة الدينية في مجالي التعليم والقضاء . ففي

العام ١٩٣١ ، مثلاً ، منع المحاكم الدينية من النظر سوى في قضايا بسيطة ونادرة من قبيل زواج رجل غير مسلم من امرأة مسلمة . وقلص عدد المدارس الدينية الى حد كبير بحيث لم يتجاوز عدد طلابها في اواخر عهده ٧٨٤ شخصاً . والخطر من ذلك ان رضا شاه فرض سيطرة الدولة على اراضي الوقف المسجلة بأسم ضريح الامام الرضا في مشهد . وجاء رد فعل كبار رجال الدين على اجراءات رضا شاه قويا ، فقد وقفوا بحماس ضده وضد اصلاحاته ورفعوا شعار «ضرورة الجهاد المقدس لحماية الاسلام من تدخلات السلطة الدنيوية» الا ان رضا شاه الذي قدر الامور بصورة صحيحة عرف كيف يضع حدا لمعارضة الزعامة الدينية التي ضربها بشدة ، ولكنه بعمله هذا دق ايضا اسفينا بين «المؤسسة الدينية» والاسرة البهلوية !

ولعوامل معلومة انتهج محمد رضا شاه في المرحلة الاخيرة من حكمه نفس نهج والده في امور عديدة تتعلق بالمؤسسة الدينية . فانه مثلاً حاول ايام اصلاحاته ان يفرض سيطرة اقوى للدولة على اراضي الوقف وموارد «المؤسسة الدينية» ، فاقام لهذا الغرض مؤسسة خاصة للاوقاف مرتبطة بشخص رئيس الوزراء مباشرة اصبح رئيسها احد نواب رئيس الوزراء المتنفذين .

والسؤال ، الذي يفرض نفسه بالحاح هو :

لماذا جاء حسم الصراع لصالح «المؤسسة الدينية» ؟ . يمكن تلخيص عوامل ذلك ، على ما نعتقد ، في النقاط الرئيسة التالية :

- ١- تحليل نظام الشاه وضعفه رغم جميع مظاهر القوة البادية عليه .
- ٢- وجود فراغ سياسي كبير بسبب ضعف اليورجوازية الوطنية ممثلة بجماعة مصدق ، وبسبب ضعف اليسار الكبير لاسباب معلومة ، وكذلك لعجز اليسار المتطرف في ظروف ايران من احداث تغيير جذري .
- ٣- تحييد الجيش .
- ٤- اساليب عمل «المؤسسة الدينية» .

ومن اجل توضيح هذه الامور نشير الى الملاحظات التالية التي من شأنها لقاء اعضاء على النقاط المذكورة اعلاه .

* من الطبيعي جدا ان تتحول «المؤسسة الدينية» الايرانية بامكاناتها وتأثيراتها الواسعة الى محط انظار القوى الخارجية المهمة بأيران ، وهذا عامل مهم اثر دائما على تصرفات «المؤسسة الدينية» الايرانية . ومن المفيد ان نشير هنا الى ان مكان

-١٨٨-

اول اعتصام قام به الدستوريون بزعامة رجال الدين في المرحلة الاولى من الثورة كان باحة السفارة البريطانية في طهران لاغيرها.

* تلقت الزعامة الدينية «اصلاحات» الشاه التي توخى منها تقوية اركان نظامه بتحفظ كبير وعارضتها منذ البداية، وخاصة ماكان يتعلق منها بالمسألة الزراعية، حتى ان الاصلاح الجزئي والسطحي الذي دشنت به الحكومة توجهاتها الجديدة في عهد اقبال لم ترض الزعامة الدينية فوقف ضدها حتى اولئك الزعماء الذين كانوا ياثرون قبل ذلك البقاء بعيدين عن الحياة السياسية فبدأوا يدعون، مع غيرهم، ان اي تغيير للواقع السائد يتنافى مع روح الشريعة ومضامين الدستور. وقد تمكن هؤلاء فعلا من تنظيم اضراب عام في سوق طهران في كانون الاول عام ١٩٦٢.

* عرفت الزعامة الدينية كيف تستغل كل ثغرة اجتماعية واقتصادية وسياسية للنفوذ من خلالها الى صفوف الجماهير. فاستغلت بنجاح الفقر المدقع الذي كانت تعاني منه الاوساط الاجتماعية المدنية الدنيا، لاسيما تفشي البطالة بينها، واستغلت كذلك الظروف الصعبة للحرفيين وصغار التجار الذين كانوا يعانون بشدة من ضغط كبار الرأسماليين المحليين والبضاعة الاجنبية. انها ادانت سياسة الشاه الخارجية فكسبت بذلك قطاعا واسعا من المثقفين. والتاريخ مليء بالشواهد التي تدل على حالات مشابهة حينما تمكن قائد ما من كسب قطاعات مختلفة وشرائح متناقضة في المجتمع، وربما كان هتلر خير مثال على ذلك.

* كان رجال الدين يعرفون كيف يعملون وكيف يحركون العواطف. فعلى سبيل المثال لا الحصر انهم كانوا يشبهون الشاه بيزيد، الامر الذي كان يكفي لهز عواطف بسطاء الناس في ايران من الاعماق. وقد لجأوا ايضا الى اساليب لا تخلو من الجرأة وروح المغامرة. فقد استولى انصار خميني، مثلا، على اذاعة قم خلال الفترة الواقعة بين يومي ٣ و ٥ حزيران عام ١٩٦٣ حيث اذاعوا النشرات، والخطب الحماسية التي كان من شأنها اثارة الجميع ضد الشاه. كما قاموا بتوزيع عشرات الالوف من النشرات المطبوعة المدونة باسلوب عاطفي مؤثر مع التأكيد على مثالب نظام الشاه، واصدروا

مجلة «نهضت روحانيات» السرية منذ خريف ١٩٧١ والتي كانت توزع على نطاق واسع.

* وبالمقابل لم يلجأ الشاه الا الى اساليب فوقية بهدف فت عضد «المؤسسة الدينية»، فقبل كل شيء انه لم يكن مستعدا لمنح الحريات الديمقراطية واجراء تغييرات جوهرية تكون في صالح القوى المؤثرة في المجتمع الايراني ليتمكن بذلك من ابعادها عن «المؤسسة الدينية» حتى وان لم يكسبها الى جانبه. لذا اقتصر الشاه واعوانه على اتخاذ اجراءات فوقية مثل السماح لعدد من رجال الدين بالقاء احاديث يومية من اذاعة طهران والتي لم تلق اذنا صاغية من احد لانها كانت تؤكد اساسا على كيل المديح للشاه ولاجراءاته والتأكيد على اخلاصه للاسلام، وكان دليلهم على ذلك تشجيعه لطبع المصحف الشريف طبعاً أنيقاً وباعداد كبيرة، وكان رد المؤسسة الدينية انه (اي الشاه) يعطي النفط للكيان الصهيوني ويؤيدها ضد العرب المسلمين، حتى ان دعائها وزعت نشرة خاصة بهذا المفهوم على الحجاج الايرانيين في مكة عام ١٩٧٣.

ومن اجراءات الشاه الشكلية ايضا انه قرر عام ١٩٧١ تأسيس ما أسماه بالفرقة الاسلامية بهدف «تقوية الاسلام» كما جاء في قرار اقامة الفرقة التي ضمت خريجي فروع الفقه من الجامعات الايرانية الذين عينوا في الجيش للقيام بالدعاية للشاه في صفوفه. ومن اجراءاته كذلك انه رصد الاموال اكثر من مرة لترميم الاضرحة المقدسة، وتبرع بمليون ونصف مليون ريال لشعبة لبنان، ومليون باون استرليني لترميم المساجد في عمان، كما انه اهدى المسجد الحرام سجادة نادرة تبلغ مساحتها ٨ آلاف متر مربع.

في الختام اؤكد ثانية على الاهمية العلمية والعملية لدراسة «المؤسسة الدينية» في ايران، الموضوع الذي تكمن في ثناياه مفاتيح العديد من «اسرار» ايران في تاريخها الحديث والمعاصر.

حقائق عن النضال التحرري
الأذربيجاني في إيران

تقع اذربيجان في القسم الجنوبي الشرقي من المنطقة المعروفة بما وراء القفقاس، تحدها من الشمال داغستان، ومن الشمال الغربي جورجيا، ومن الجنوب الغربي ارمينيا وتركيا، ومن الجنوب كردستان. كما تشغل قسما اساسيا من السواحل الجنوبية، والغربية من قزوين الذي يعتبر اكبر بحر مغلق في العالم^(١).

تقدر مساحة اذربيجان بحوالي ١٨٦ الف كم^٢، يقع حوالي ٨٧ الف كم^٢ منها داخل الاتحاد السوفيتي^(٢)، وتقع البقية داخل ايران، وتشغل اقسامها الشمالية الغربية. يتجاوز عدد الاذربيجانيين في الاتحاد السوفيتي ٤ ملايين نسمة في الوقت الحاضر^(٣)، وفي ايران يتجاوز عددهم ٦ ملايين نسمة.

يعتبر الاذربيجانيون من السكان الاصليين في المنطقة التي كانت تعرف قديما باتروباتينا^(٤) والبانيا القفقاسية^(٥)، وقد اختلطوا في غضون فترة تاريخية طويلة، تمتد بين الالف الاول قبل الميلاد والالف الاول بعد الميلاد، بمجموعات ايرانية وتركية الاصل. وفي الفترة الواقعة بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر تكونت اللغة الاذرية الموحدة نتيجة انتقال موجات من العشائر الناطقة بالتركية الى اذربيجان^(٦)، والتي كانت لغاتها اسهل نطقا، وتركيبا من اللغات التي كانت سائدة هناك، فحدث نوع من التفاعل الطبيعي بينها.

وعلى هذا الاساس اصبح لاذربيجان موقع متميز في الشرق العريق. فتوجد في سهولها ووديانها اثار حضارية تعود الى عصور ما قبل الميلاد. وفي بداية القرن الخامس كان الاذربيجانيون يستخدمون (الفباء) خاصا بهم يتألف من ٥٢ حرفا^(٧). وفي الفترة نفسها عاشت اذربيجان، ذات الامكانيات الواسعة، ازدهارا اقتصاديا ملموسا، فظهرت فيها مدن لها وزنها الحضاري والاقتصادي حسب مقاييس ذلك الزمن، منها

(١) يبلغ طول سواحل بحر قزوين حوالي ٧ الاف كم، يقع اكثر من ٦ الاف كيلومتر منها داخل الاتحاد السوفيتي، وأقل من الف منها داخل ايران.

(٢) يؤلف ذلك القسم من اذربيجان احدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي.

(٣) بلغ تعدادهم ٣ ملايين و ٦٠٠ ألف نسمة في العام ١٩٦٥.

(٤) اتروباتين - اتروباتينا (Atropatene) اسم اغريقي قديم، اطلق على جنوب اذربيجان، ويعني بالاصل بلاد الاخمينيين.

(٥) البانيا القفقاسية احدى الدول القديمة التي تأسست في شرق ما وراء القفقاس.

(٦) خصوصا الموجات السلجوقية.

(٧) لاعداد القسم الاول من هذا البحث استفاد المؤلف كثيرا من المجلدات الاربعة التي اصدرتها اكااديمية العلوم الاذربيجانية بعنوان «تاريخ اذربيجان» باللغة الروسية في ١٩٥٨ - ١٩٦٣، ولا سيما

المجلدان الاول والثاني (Istoria Azerbajjana, Baku)

شابران وشهاخا وكبالا وشمنخور وشكي وبرده وكنجه (Ganja) وتبريز، وغيرها من المدن التي تحول بعضها الى مراكز اسلامية مهمة بعد ان انتشر الدين الجديد في اذربيجان في القرن السابع الميلادي. وفي النصف الثاني من القرن التاسع، والنصف الاول من القرن العاشر ظهرت امارات شبه مستقلة في اذربيجان، منها الامارتان المعروفتان السالارية والشدادية^(٨)، وغيرهما من الامارات التي شهدت المدن الاذربيجانية في ظلها تطورا لاحقا، بحيث بلغ تعداد سكان بعضها (تبريز واربيل وباكو مثلا) عشرات الالوف.

ومنذ العصور القديمة توجهت انظار الطامعين من مختلف الملل والنحل صوب اذربيجان الغنية. ففي بداية القرن الثالث استولى الساسانيون عليها، وتحول اديمها الى أحد ميادين الصراع الساساني الروماني في القرن الرابع. ومنذ ذلك الوقت لم يقف الاذربيجانيون مكتوفي الايدي امام مضطهديهم، فقد انتفضوا ضد الساسانيين مرارا، في السنوات ٤٥٠ - ٤٥١ و ٤٥٧ و ٤٨١ - ٤٨٤ و ٥٧١ - ٥٧٢.

وفي اواسط القرن الحادي عشر تعرضت اذربيجان للغزو السلجوقي، ومن ثم للغزو المغولي في العقد الرابع من القرن الثالث عشر، وبقيت تؤلف جزءا من دولة المغول لغاية العقد السابع من القرن الرابع عشر، ومن ثم تحولت الى جزء من دولتي قره قوينلو وآق قوينلو المعروفتين.

لعب تأسيس الدولة الصفوية فوق ارض اذربيجان مطلع القرن السادس عشر، دورا مهما في تأريخ تلك البلاد. فقد استولى مؤسس الدولة الصفوية الشاه اسماعيل (١٥٠٢ - ١٥٢٤) على القسم الاعظم من اذربيجان التي تحولت الى مركز حكمه. وفي غضون عقود قليلة استطاع الصفويون ضم كل ماتبقى من اذربيجان الى دولتهم التي اتخذت من مدينة تبريز عاصمة لها، ومن الاذربيجانية لغة رسمية لبلاطها وجيشها ومؤسساتها الادارية، وحتى مراسلاتها الرسمية مع الدول الاجنبية. وسيطر الاذربيجانيون على معظم مرافق الدولة الصفوية ومؤسساتها، ففي اواسط القرن السادس عشر كان ٦٩ من امراء الدولة البالغ مجموعهم ٧٤ اميرا فقط، من الاذربيجانيين الذين كانوا يؤلفون ايضا نسبة عالية داخل الجيش الصفوي قيادة وافرادا. لذا فان رأي بعض المؤرخين بخصوص الانتماء القومي للدولة الصفوية في المرحلة الاولى من وجودها يستحق التأمل. يقول المتخصص المعروف في الدراسات الايرانية البروفيسور م. س. ايفانوف بهذا الصدد مانصه:

(٨) عنها راجع:

C.E. Bosworth, The Islamic Dynasties-A Chronological and Genealogical Handbook, Edinburgh, 1967, NN. 35, 37.

«رغم ان العهد الصفوي في تاريخ ايران لم يدرس الا في حدود ضيقة للغاية، الا انه يمكن القول ان الدولة الصفوية في ظل الصفويين الاوائل لم تكن قطعاً دولة ايرانية من حيث المفهوم القومي»^(٩).

ولكن لم يدم هذا الواقع طويلاً. ففي عهد الشاه عباس الاول، الذي حكم ايران مدة ٤٢ عاماً (من ١٥٨٧ حتى ١٦٢٩)، فقد الاذربيجانيون وزنهم السابق في الدولة الصفوية، فقد ابعد الشاه الطموح القادة الاذربيجانيين من الجيش، وزعماءهم من البلاط، وفي العام ١٥٩٨ نقل عاصمة ملكه من قزوین الى اصفهان^(١٠). وبسرعة حلت الفارسية محل الاذربيجانية منذ ذلك التاريخ. وهكذا تحولت اذربيجان الى مجرد مقاطعة داخل ايران. وقد رافق ذلك ترد في الاوضاع الاقتصادية، التي تفاقمت صعوباتها اكثر فاكثربسبب الصراع الصفوي - العثماني الدموي من أجل السيطرة على المنطقة، وفي مقدمتها اذربيجان، كما باشر الصفويون اتباع سياسة التهجير الممقوتة تجاه العناصر غير الفارسية في عهد الشاه عباس الاول.

ظهرت بحكم هذه العوامل امام الشعب الاذربيجاني مهمة النضال ضد مضطهديه من الحكام الصفويين، ويمكن تأشير بداية ذلك النضال في عهد الشاه اسماعيل الصفوي الذي ارسل في العام ١٥٠٩ حملة قوية ضد سكان شابران وشيروان ودربند الذين قاوموها رغم امكاناتهم المتواضعة، خصوصاً اهل دربند، اذ لم تستطع قوات الشاه فرض سيطرتها على مدينتهم الا بعد ان حفرت ١٢ منفذاً من تحت جدران قلعتها^(١١). وفي عهد الشاه طهماسب الاول (١٥٢٤ - ١٥٧٦)، الذي تصفه المصادر كأنسان بخيل ومكروه^(١٢)، انفجرت انتفاضة واسعة في مدينة تبريز، والمناطق المجاورة لها، لعب المصارعون فيها دوراً قيادياً بارزاً. ففي ربيع سنة ١٥٧١ لجأ اهل تبريز الى السلاح، واجبروا حاكمها، وعدداً من المتنفذين فيها، على الهرب منها. وفي غضون حوالي العامين ظل الثوار يسيطرون على تبريز وماحولها، اذ لم تتمكن قوات الشاه من استعادتها لغاية العام ١٥٧٣. وبعد ان أعاد الشاه سيطرته على تبريز وضواحيها، امر بشنق اكثر من ١٦٠ من مواطنيها الذين علق جثثهم في شوارع المدينة، وامام ابواب جوامعها. ولكن الشاه اضطر، مع ذلك، الى ان يعفي اهل تبريز من دفع «ضريبة الديوان» تهدأة لهم^(١٣).

(9) M. S. Ivanov, Ochirk..., PP. 61 - 62

(10) «Vsemirnaya Istorja», Vol. IV, Moscow, 1958, P. 561.

(11) «Istoria Azerbajjana», T.I., Baku, 1958, P. 26.

(12) M.S. Ivanov, Ochirk.., P. 62.

(13) «Vsemirnaya Istorja», Vol. IV, P. 560; «Istoria Azerbajjana», T.I., P. 250.

اتبعت انتفاضة تبريز انتفاضات مشابهة انفجرت في العقدين الثامن والتاسع من القرن السادس عشر في كل من شيروان وطالش، وتمكن ثوار طالش من السيطرة على المنطقة الممتدة الى مدينة اردبيل، حيث هزموا هناك من قبل قوات الشاه المتفوقة عليهم عددا وعدة. ومنذ ذلك التاريخ، وطيلة النصف الاول من القرن السابع عشر، تحولت منطقتا شيروان وطالش، الى مركزين اساسيين لمقاومة الحكم الصفوي. فقد شهدتا، مع المناطق المجاورة لهما، سلسلة من الانتفاضات في السنوات ١٦١٤ و ١٦١٥ و ١٦٢٩ وغيرها. حتى ان الشاه عباس الاول اضطر الى ان يذهب بنفسه على رأس قوة كبيرة الى اذربيجان من أجل قمع حركاتها المعادية المتكررة. وفي كل مرة كانت القوات الايرانية تلجأ الى اشد اساليب القمع ضد سكان المنطقة. فعندما ثار ما لا يقل عن ثلاثين الف من فلاحي طالش ضد الاقطاعيين الفرس عام ١٦٢٩، قامت قوة حكومية كبيرة بقتل اكثر من سبعة الاف من الطوالش في سبيل القضاء على انتفاضتهم^(١٤). وفي العام ١٦٧١، وعلى مدى عدة سنوات، شهدت قره باغ المجاورة نضالا مسلحا ضد الشاه، واعوانه من الخونة المحليين. وباعتراف المتخصصين ان الانتفاضات الاذربيجانية المتوالية لعبت دورا ملموسا في اضعاف الدولة الصفوية، وسقوطها فريسة سهلة بيد الغزاة الافغان.

ولم يطرأ تغيير ماعلى وضع الاذربيجانيين سواء في سنوات التسيب الافغاني، أو في عهد نادر شاه الافشاري القوي (١٧٣٦ - ١٧٤٧). بل بالعكس، فقد تردت الامور في اذربيجان الى حد واضح ايام حكم الافشاريين لايران. فحسب اقوال شهود عيان غدت متاجر مدنها خاوية من البضائع، فيما جمع رضا قولي، نجل نادر شاه، من اهلها مبلغا ضخما للغاية بلغ مليوناً ونصف مليون قران فضي^(١٥)، مما اثار اعجاب والده ودهشته. وازداد الضغط الضريبي على السكان بسبب حروب الشاه الافشاري المتكررة، الامر الذي ادى الى حدوث ازمة اقتصادية حادة في المنطقة. وحسبما ورد في وثيقة تعود الى تلك الفترة فان اسعار المواد الحياتية الضرورية قد ارتفعت في اذربيجان بصورة خيالية. وقد ادى الجوع الى انتشار الطاعون في معظم اصقاع اذربيجان سنة ١٧٣٧. وفضلا عن كل ذلك مارس الافشاريون سياسة التهجير بحق الاذربيجانيين، فنقلوا عشرات الالوف منهم الى مناطق ايرانية مختلفة. لذا فان المؤرخين يعتبرون العقد الرابع من القرن الثالث عشر من اصعب فترات التاريخ الاذربيجاني^(١٦).

(14) «Istoria Azerbajana», T.I., PP. 250, 275 - 276.

(١٥) عملة فضية، كان وزنها يتراوح ما بين ٤ و ٥ غرامات.

(16) «Istoria Azerbajana», T.I., PP. 321 - 324

وبحكم كل ذلك كان من الطبيعي جدا ان يتخذ نضال الاذربيجانيين بعد سقوط الصفويين طابعا اوسع حتى من السابق، وذلك بغض النظر عن سطوة نادر شاه، وقسوته التي لم تقف عند حد^(١٧). وربما يكفي ان نشير بهذا الصدد الى ان نادر شاه، رغم انشغاله بحروبه، وغزواته التي اوصلته الى اعماق الهند، الا انه اضطر الى ان يقود بنفسه اربع حملات على اذربيجان بهدف قمع انتفاضات اهلها، دون ان يحصل على نتيجة حاسمة^(١٨). وقد اشار محمد كاظم، مؤرخ نادر شاه الخاص، الى زخم الحركة الثورية الاذربيجانية في العهد الافشاري، الامر الذي اكده ايضا بعض التقارير الدبلوماسية الخاصة^(١٩).

وأهم الانتفاضات التي انفجرت في اذربيجان ايام حكم نادر شاه كانت انتفاضة آستر في حزيران ١٧٣٤، التي اتبعتها انتفاضة اقوى في السنة التالية في مناطق مجاورة لها، فشلت حملتان كبيرتان، قادهما نادر شاه بنفسه، في القضاء عليها. وفي العام ١٧٣٨ انتفض سكان قره باغ وشكي وشيروان وغيرها، فارسل نادر شاه قوة كبيرة ضدهم بقيادة شقيقه ابراهيم خان الذي لقي مصرعه في معركة كبيرة وقعت بين الطرفين يوم ٢٦ تشرين الاول من العام نفسه. وبما ان نادر شاه كان منشغلا في ذلك الوقت بحملته على الهند، لم يتمكن من تكريس قوات اخرى لقمع الثوار الاذربيجانيين. لغاية شباط عام ١٧٤١، عندما وجه جيشا جرارا قوامه ١٠٠ الف رجل بهدف القضاء على جميع بؤر المقاومة في اذربيجان وداغستان. ولكن رغم ذلك لم يمر سوى عامين حتى اعلن اهل شيروان، وأردبيل، ومناطق اخرى، العصيان ضد نادر شاه، الذي هزم الثوار قواته، وقتلوا قائدها حيدر خان. واثرت ذلك انتقلت المنطقة الممتدة من آق صوحتى دربند الى ايدي الثوار الذين ارسل الشاه جيشا اكبر للقضاء على حركتهم. وبامر منه لجأ جنده الى أساليب في غاية الوحشية ضد الاذربيجانيين. ففي دربند وحدها بلغ وزن العيون التي سملت ١٤ منا (حوالي ٤٠ كيلو غراما)، كما قتل ما لا يقل عن ١٥ الف شخص في شيروان. مع ذلك فان مقاومة اذربيجان استمرت، واضطر نادر شاه لان يقود بنفسه حملته الرابعة، والاخيرة ضد اهلها دون ان يحقق اهدافه النهائية قبل ان يغتال^(٢٠).

بعد مقتل نادر شاه، اثر مؤامرة دبرتها ضده ليلة ٩ شباط عام ١٧٤٧، دب الوهن

(١٧) عانت معظم شعوب المنطقة الممتدة بين القفقاس ودجلة والسند من قسوة نادر شاه وتعسفه.

(18) «Istoria Azerbajana», T.I., P. 332.

(١٩) راجع:

«Vsemirnaya Istoria», Vol. IV, PP. 245 - 246

(20) Ibid, Vol. V, PP. 246 - 247; «Istoria Azerbajana», T.I., PP 324 - 329, 332.

من جديد في اركان الدولة الايرانية التي اقتربت السلطة المركزية فيها من العدم . فظهر في اذربيجان عدد كبير من الامارات (الخانيات) شبه المستقلة ، هي قره باغ وشكي وشيروان وكنجة وياكوكوبا ودر بند وتبريز واردييل ومراغه وقره داغ ، وغيرها من الامارات التي لم تخضع للشاه الايراني عمليا الا في عهد كريم خان زند (توفي عام ١٧٧٩). ولكن تغير الوضع بالنسبة لها في العهد القاجاري ، الذي تمكن مؤسسه اغا محمد خان من فرض سيطرته على عدد من خانيات اذربيجان الجنوبية اثر حملة شنّها على المنطقة في العام ١٧٨١ . وفي غضون عامين آخرين احتل كلا من استراباد ومازندران وكيلان^(٢١) .

وبعد ان تمكن اغا محمد خان القاجاري من فرض سيطرته على جنوب اذربيجان ، جاء دور مناطقها الشمالية التي استولى عليها تباعا ، الامر الذي كلف الطرفين غاليا . فعندما رفض ابراهيم خان ، امير قره باغ ، ان يبعث ابنه رهينة الى طهران ، ارسل اغا محمد خان قوة مؤلفة من ٨ الاف رجل للقضاء على امارته . وقد دحر القره باغيون ، بالتعاون مع جيرانهم الجورجيين ، القوة الايرانية في معركة وقعت قرب قلعة عسكريان . فتوجه جيش كبير^(٢٢) الى قره باغ في صيف عام ١٧٨٥ ، وفرض الحصار على قلعة شوش التي بلغ عدد المدافعين عنها ١٥ الف شخص . وبعد قصف مدفعي دام لمدة ثلاثة ايام ، فشل حصار شوش الذي استمر لمدة ٣٣ يوما . وقد مارس الغزاة شتى انواع السلب ، والنهب ، والقسوة مع سكان المنطقة الامنين^(٢٣) .

ومنذ تأسيس الدولة القاجارية ارتبط مصير اذربيجان باحداث الحروب الايرانية - الروسية ، ونتائجها بصورة مباشرة^(٢٤) . ويومذاك عبر الاستياء الاذربيجاني عن نفسه في صور مختلفة ، اهمها قاطبة كان تعاون العديد من ابناء اذربيجان مع الروس ضد الايرانيين في مواقف ومواقع حاسمة ، اسهبنا في استعراض ظواهره ضمن موضوع سابق . ونضيف على ماورد هناك الحقائق التالية التي لها مغزاها بالنسبة لما نحن بصدد توضيح ابعاده هنا . ففي الفترة الواقعة بين عامي ١٧٩٧ و ١٧٩٩ ذهبت بعثات عدة من امارتي قره باغ وكوبا الى روسيا طلبا للحماية . وفي بداية حرب ١٨٠٤ - ١٨١٣ طلب ابراهيم خليل خان ، امير قره باغ ، مساعدة الروس لردع الايرانيين .

(٢١) تمكن اغا محمد خان القاجاري حتى نهاية عام ١٧٩٤ من فرض سيطرته على معظم المقاطعات الايرانية .

(٢٢) كان جيش اغا محمد خان يتألف ، حسب ماورد في بعض المصادر ، من ٨٥ ألف رجل .

(23) «Istoria Azerbailjana», T.I., PP. 334 - 343, 372 - 376

(٢٤) للتفصيل عنها راجع الموضوع المعنون «من تاريخ الحروب الايرانية الروسية . صفحة من العلاقات الدولية في الشرق الاوسط قبل ظهور الامبريالية» في هذا الكتاب .
- ١٩٨ -

وعندما اقترب الخطر الإيراني من أمارته أكثر، وقع في ١٤ أيار ١٨٠٥ اتفاقية مع قائد القوات الروسية العاملة في ماوراء القفقاس، وضع أمارته، بموجب بنودها، تحت حماية روسيا. وفي الوقت نفسه تقريرا اتخذت خانية شكي المجاورة خطوة مشابهة لتلك^(٢٥).

ولم يقتصر الأمر على ما حدث من تقارب ملموس بين أوساط أذربيجانية مسلمة مع روسيا المسيحية، بل تعداه، وبلغ حد حمل الأذربيجانيين السلاح من جديد ضد مضطهديهم الإيرانيين. ومن المهم أن نشير بهذا الخصوص إلى أن مؤرخ البلاط القاجاري مرزا فيض الله يعترف بالمقاومة الثابتة التي أبدتها أهل أذربيجان للقوات الإيرانية في سنوات حرب ١٨٠٤ - ١٨١٣، الحقيقة التي أشارت إليها كذلك الوثائق الروسية الخاصة. واثنا حرب ١٨٢٦ - ١٨٢٨ ألف الأذربيجانيون كتائب خاصة لضرب الجيش الإيراني. وعندما اضطرت قوات ولي العهد عباس مرزا لأن تنسحب من العاصمة الثانية تبريز، قام أهل المدينة بجريد من تبقى من الجنود من أسلحتهم، ومن ثم استقبلوا الجيش الروسي الذي دخل تبريز في الأيام الأخيرة من الحرب المذكورة^(٢٦).

أدت حربا ١٨٠٤ - ١٨١٣ و ١٨٢٦ - ١٨٢٨ إلى تقسيم أذربيجان إلى جزئين متساويين تقريبا، بقي أحدهما داخل إيران ليعرف منذ ذلك الوقت بأذربيجان الإيرانية، التي ظلت تعاني الأمرين من السياسة الشوفينية لحكام إيران. وقد تحول هذا الواقع إلى محرك أساس للنضال التحرري الأذربيجاني الذي غدا يحتل موقعا متميزا في تاريخ إيران الحديث والمعاصر. فلم تشهد تلك البلاد حدثا سياسيا كبيرا دون أن يكون للأذربيجانيين دور كبير فيه^(٢٧).

إن مجموعة من العوامل المتفاعلة فيما بينها هي التي جعلت من الأذربيجانيين راس رمح الحركة الوطنية داخل إيران منذ العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر. فقد تعمقت سياسة حكام إيران الشوفينية تجاههم من جميع الأوجه السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كما تفاقم استغلالهم، وازداد وضعهم الاقتصادي سوءا، مما أجبر عشرات الألوف منهم على عبور حدود روسيا الدولية بحثا عن العمل في حقول نفط باكو، وفي غيرها من الأماكن. ففي أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين كان يعبر تلك الحدود سنويا ما لا يقل عن ٢٠٠ ألف إيراني، كان معظمهم من

(25) «Istoria Azerbajana», T.I., P. 381; T. II, Baku, 1960, PP. 6 - 7.

(26) Ibid, T. II, PP. 8 - 9, 37, 42.

(٢٧) يلاحظ نوع من الركود في النضال المسلح للأذربيجانيين، وغيرهم من أبناء شعوب إيران، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

الاذرييجانيين بالتحديد. فقد بلغ عدد الذين انتقلوا من مدينة تبريز وحدها الى روسيا، وبصورة رسمية^(٢٨)، ٢٦٨٥٥ شخصا في العام ١٨٩١، فيما ارتفع الرقم الى ٣٢٨٦٦ في العام ١٩٠٣. وفي العام ١٩٠٤ وصل روسيا من تبريز واورمية وحدهما ٦٢٢٦٧ شخصا بصورة رسمية. وخلال الفترة نفسها كان ينتقل سنويا حوالي ٣٠ الف شخص من ولاية اردبيل وحدها الى روسيا^(٢٩). وكان هؤلاء يلاحظون عن كثب كيف ان ابناء الجزء الشمالي من وطنهم، الذي اصبح تحت سيطرة دولة اوروية، بدأ يشق طريقا جيدا من التقدم، لا يمكن مقارنته بما كان يسود اذرييجان الجنوبية من تخلف قروسطي. فقد بدأت مظاهر اقتصادية وحضارية وثقافية وفكرية مختلفة جديدة تظهر في اذرييجان الشمالية، وخصوصا داخل مدينة باكو^(٣٠) التي وجدت المؤسسات الرأسمالية طريقها اليها بفضل ثروتها النفطية التي باشر الروس باستخراجها. ففي بداية القرن العشرين بلغ عدد العمال في ذلك الجزء من اذرييجان حوالي ٦٠ الف شخص. وقبل ان ينتهي القرن التاسع عشر بفترة ظهرت في اذرييجان الشمالية فئة مثقفة متنورة احتكت بالفكر الاوربي بصورة مباشرة، ولها ادبياتها، وصحافتها الخاصة بها. وارتفعت الابنية الحديثة، والمصارف، ودار للاوبرا، وغيرها، في شوارع باكو.

كان من الطبيعي ان ترك هذه الظواهر بصماتها على الوعي الفكري والسياسي للاذرييجانيين الجنوبيين الذين انتقلوا الى مدن اذرييجان الشمالية بدوافع مختلفة، لاسيما وانهم لم يفقدوا صلتهم باهلهم ومواطنيهم في الجنوب، فان معظمهم انتقلوا الى الشمال دون ان يأخذوا اسرهم معهم. ثم ان الواعين منهم اصبحوا على اتصال بالتنظيمات الثورية السرية في روسيا، بما فيها التنظيمات الاشتراكية. وللاستدلال على التأثير الفكري لهؤلاء على الايرانيين عموما، وعلى الاذرييجانيين خصوصا، نقول ان بعضا منهم قاموا بتأسيس اول تنظيم شبه عمالي للكادحين في ايران اطلقوا عليه اسم

(٢٨) كانت اعداد كبيرة من الاذرييجانيين يعبرون الحدود بصورة غير رسمية.

(٢٩) للتفصيل راجع:

S. Sh. Aslan, Obrozovanie Iranskay Partii «Ejtimalon - Amion» (Mujahid), Baku, 1975, PP. 6-7.

ش. ش. اسلان، تأسيس الحزب الايراني «اجتماعيون - عاميون» (مجاهد)، ملخص رسالة دكتوراه، باللغة الروسية، باكو، ١٩٧٥، ص ٦ - ٧؛

A.R. Arasteh in Collaboration with Josephine Arasteh, Man and Society in Iran, Lieden, 1964, P.

«حزب اجتماعيون عاميون»، الذي كان تنظيمًا اشتراكيًا - ديمقراطيًا، وضع برنامجه ونظامه الداخلي بتأثير من الاشتراكيين الروس. وكان الحزب يطبع منشوراته في باكو بصورة غير علنية، ومن هناك كان ينقله سرا إلى داخل إيران، لتقوم فروعها بتوزيعها في المدن الأذربيجانية وغيرها^(٣١). كما وجد النتاج الفكري المتطور للمثقفين الأذربيجانيين الشماليين، من أمثال الأديب والمفكر البارز مرزا فتح علي آخندوف (١٨١٢ - ١٨٧٨)^(٣٢)، وكذلك صحافتهم، أقبالا واسعا بين المثقفين الأذربيجانيين في إيران. فعلى نطاق واسع تداولوا، مثلا، المجلة الانتقادية «ملا نصر الدين» التي كانت تصدر في تبليس باللغة الأذربيجانية، وكانت تتصدى للقضايا الإيرانية بأسلوب ساخر ترك أثرا كبيرا على الصحافة الإيرانية فيما بعد.

تجسدت انعكاسات هذه الأمور، وكذلك الدور المتميز للأذربيجانيين في الحركة الديمقراطية الإيرانية قبل الثورة الدستورية، وفي سنواتها. فعندما انفجرت حركة إضرابية عامة في أواسط عام ١٨٩١ ضد امتياز التبغ الذي منحه ناصر الدين شاه لشركة تالبوت البريطانية، كان الأذربيجانيون في مقدمة من استجابوا لشعاراته. ففي ١٩ آب نظم التبريزيون مظاهرات واسعة طافت شوارع المدينة، ومرت أمام قصر ولي العهد، حاكم الولاية، واقسموا أن يحطموا القنصلية البريطانية في تبريز إذا لم يلغ الشاه الامتياز، كما مزقوا اعلانات شركة تالبوت. وإيام الاضراب حمل ٢٠ ألف تبريزي السلاح. وكانت تبريز المدينة الوحيدة التي لم يستطع ممثلو تالبوت الدخول إليها.

وردا على ذلك أرسل ناصر الدين شاه قواته للقضاء على المقاومة في تبريز التي أراد أن يجعل منها درسا لكل من يتجرأ على التصدي لامتيازاته. ولكنه اضطر أخيرا إلى أن يتراجع، ويلغي الامتياز الممنوح للشركة البريطانية^(٣٣).

تجسدت انعكاسات الظاهرة الجديدة للحياة السياسية في أذربيجان في سنوات الثورة الدستورية (١٩٠٥ - ١٩١١) التي كانت تمثل انطلاقة رائعة بوجه الاستعمار،

(31) A. Sh. Aslan, Op. Cit., PP. 12 - 15; «Sovremenay Iran», Moscow, 1975, P. 142.

(32) عن تأثيره الكبير على الفكر الثوري الإيراني راجع:

A.M. Agahi, O vliani M.F. Akhundova na Razvitiye Progressivenay Obshestvenay Misl V Irane, «Izvestia Akademii Nauk Azerbajjani USSR», N. 10, 1962, PP. 75 - 84.

الدكتور أ.م. اغاهي، حول تأثير آخندوف على تطور الفكر الاجتماعي التقدمي في إيران، مجلة «أخبار أكاديمية علوم أذربيجان السوفيتية»، العدد العاشر، ١٩٦٢، ص ٧٥ - ٨٤. راجع خلاصة تاريخ حياة آخندوف في كراس «آخندوف»، تعريب عز الدين مصطفى رسول، باكو، ١٩٦٢.

واستبداد الشاه، وكبار الاقطاعيين، رفعت شعار وضع دستور ديمقراطي للبلاد،
المطلب الذي التفت حوله اوساط وفئات اجتماعية مختلفة.

لعب الاذريجانيون دورا اساسيا في جميع مراحل الثورة الدستورية. ففي مرحلة
الاعداد والتفجير برزت في الميدان مجموعة من «الانجمنات» الجمعيات السرية التي
ظهرت نواتها في اذربيجان والمقاطعات الشمالية الاخرى منذ العام ١٩٠٥، وكان يطلق
على اعضائها اسم (المجاهد). ويمكن حصر اهم اهداف هذه الجمعيات الثورية
السرية بما يلي:

١- ضمان حق انتخاب عام، واقتراع سري لجميع ابناء الشعب.
٢- منح الشعب ما اسمته بالحریات السبع، التي كان يقصد بها حرية الكلام والطباعة
والخطابة والاجتماع، وحق تأسيس الجمعيات، والاضراب، والحریات الشخصية.
٣- الاستيلاء على اراضي الشاه، وشراء اراضي كبار الاقطاعيين لتوزيعها على
الفلاحين.

٤- تحديد يوم العمل بثمان ساعات.
٥- اصلاح النظام الضريبي على اساس نسبي - تصاعدي يتفق مع ثروة الفرد
وامكاناته.

٦- نشر التعليم المجاني العام^(٣٤).
آمنت هذه الجمعيات بالارهاب الفردي وسيلة للقضاء على النظام القاجاري
ومؤسساته. وفعلا دبر المجاهدون من اعضائها امر اغتيال عدد من كبار المسؤولين
الرجعيين، منهم رئيس الوزراء اتابك اعظم الذي قتله فدائي اذربيجاني يوم ٣١ آب

(٣٣) للتفصيل حول الموضوع راجع:

N.R. Keddie, Religion and Rebellion in Iran. The Tobacco Protest of 1891 - 1892, London, 1966, PP.
39 - 40, 45 - 47, 55 - 59; 66 - 68 etc.; L.M. Kulagina, Ekspansia Inostranovo Imperialisma V Iran...,
«Ochirk Novay Istorii Irana», Moscow, 1978, PP. 161 - 165.

ل. م. كولاكينا، تغلغل الامبريالية في ايران وتحويلها الى شبه مستعمرة (العقد الثامن من القرن
التاسع عشر - بداية القرن العشرين)، باللغة الروسية، في كتاب «موجز تاريخ ايران الحديث»،
موسكو، ١٩٧٨، ص ١٦١ - ١٦٥؛ ب. و. ليباريتوفيتش، النضال المعادي للكولونيالية والاقطاع
في ايران في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ملخص رسالة دكتوراه باللغة الروسية، يريفان،
١٩٧٤، ص ٢٥ - ٢٦.

(٣٤) للتفصيل عن هذه الجمعيات، ونشاطها راجع:

M.S. Ivanov, Ochirk..., PP. 208 - 210.

عام ١٩٠٧ امام بناية المجلس وسط العاصمة طهران^(٣٥)، كما انهم حاولوا اغتيال محمد علي شاه في شباط من العام التالي عندما القوا قنبلة على موكبه في أحد شوارع العاصمة، وقد نجا من الموت المحقق صدفة، إذ لم يكن في العرببة المخصصة له وقت انفجار القنبلة.

وفي بداية الثورة ظهرت جمعيات «انجمنات» علنية كان ينتخب اعضاؤها للاشراف على عملية انتخابات اعضاء المجلس، وذلك بعد ان اضطر مظفر الدين شاه للموافقة على وضع اول دستور للبلاد في ايلول ١٩٠٦. ولكن هذه (الانجمنات) تحولت بسرعة الى مؤسسات سياسية ثابتة لها وزنها الجماهيري الكبير. وقد ظهر اول انجمن من هذا القبيل باسم «انجمن ملي» (المجلس الشعبي او الجمعية الشعبية) في تبريز التي اشترك اهلها على نطاق واسع في اختيار اعضائها. وقد بلغت سمعة انجمن تبريز، وشعبيته حد ان حاكم اذربيجان، ولي العهد محمد علي مرزا^(٣٦)، الغارق حتى اذنيه في افكاره الرجعية، اضطر، على مضض منه، الى ان يحسب له، ولقترحاته حسابا خاصا. وكان اعضاء الانجمن يفضحون نواقص النظام دون تردد في نشاطهم اليومي، بل انهم اتخذوا بعض الاجراءات المهمة لصالح الجماهير دون ان يعيروا مؤسسات الشاه الحكومية ادنى اهتمام. فقد سعت هيئات الانجمن الحاجيات الحياتية الضرورية من لحم وخبز، ونظمت الموازين والمقاييس، وحاربت السوق السوداء، واستولت على الحبوب المخزونة لدى بعض المضاربين، ثم وزعتها على المعوزين من سكان تبريز وضواحيها. وبعث انجمن تبريز مندوبين عنه الى المدن والقرى الاذربيجانية بهدف توعية السكان، ونشر الفكر الثوري الدستوري بينهم. وكان للانجمن صحيفته الناطقة باسمه، والتي كانت تسمى ايضا «انجمن»، وتطبع منها في كل مرة خمسة الاف نسخة، الرقم الذي له مغزاه حسب مقاييس زمانه^(٣٧). وكان الانجمن يزود اعضاءه بهوية تحمل شعار «العدالة. الحرية. المساواة. الاتحاد»، وهو بذلك كان يشبه نوادي الثورة الفرنسية الى حد كبير^(٣٨).

(٣٥) وجدت بحوزة قاتل اتابك اعظم بطاقة شخصية دون فيها مايلي:

«عباس آغا. صيرفي اذري. عضو الانجمن. فدائي شعبي. الرقم ٤١». راجع:

P. Sykes, A History of Persia, Vol. II. PP. 408 - 409

(٣٦) تبوأ العرش في العام ١٩٠٧ بعد موت والده مظفر الدين شاه، فاصبح يعرف بمحمد علي شاه.

(٣٧) شهدت الصحافة الايرانية في سنوات الثورة الدستورية مدا لم يسبق له مثيل لا في تاريخ ايران حسب، بل ايضا في تاريخ معظم الاقطار الشرقية الاخرى. ففي المرحلة الاولى من الثورة فقط صدرت اكثر من ١٥٠ جريدة ومجلة، كان بعضها باللغة الاذربيجانية.

(٣٨) احمد كسروي، تاريخ مشروطه ايران، جاب هفتم، تهران، ١٣٤٦، ص ٧٢٢؛

P. Sykes, Op. Cit., Vol. II, P. 408.

وفي آب سنة ١٩٠٧ رفض «انجمن تبريز» قبول قرار الشاه الجديد محمد علي، الذي كان يقضي بتعيين الامير فرمان فرما حاكما على اذربيجان، بعد ان شغل المنصب اثر انتقال العرش اليه. ولعب الانجمن نفسه دورا قياديا داخل المجلس ايضا، وذلك من خلال اعضائه الاذريين الذين كانوا يضغطون باستمرار من أجل فرض اجراءات ديمقراطية على الحكومة، ولابعاد كبار المسؤولين المعروفين باتجاهاتهم الرجعية، من وظائفهم.

تحول «انجمن تبريز» بفضل نشاطه، وانهجته الى قدوة اهتدى بافكاره الثوريون في المدن الايرانية الاخرى، كما ان دوره الكبير جلب انظار المراقبين الاجانب. فقد ورد بحقه في تقرير دبلوماسي روسي، يحمل تاريخ ٢٤ آب ١٩٠٨، مانصه:

«في السواقع ان كل السلطة في تبريز انتقلت منذ زمن بعيد الى الانجمن المحلي الذي يعتبر من اكثر الانجمنات الايرانية نفوذا، وله فرع في العاصمة طهران يصغي الى صوته جميع اعضاء المجلس»^(٣٩).

وعندما تمكن محمد علي شاه من توجيه ضربة قوية للقوى الديمقراطية في العاصمة، انتقل ثقل النضال الثوري الى اذربيجان. ففي ٢٣ حزيران ١٩٠٨ اعلن الشاه الاحكام العرفية في طهران، وبامر منه قصف القوزاق^(٤٠) بناية المجلس بالمدفعية لمدة عدة ساعات، واعتقل اعضاؤه الراديكاليون، مع غيرهم من العناصر الديمقراطية الذين تعرضوا لصنوف الاهانة والتعذيب، كما نفذ حكم الموت بحق عدد من ابرزهم، منهم الصحفي والكاتب المعروف ملك المتكلمين. وقد تجاوز عدد ضحايا القصف والارهاب عدة مئات من الوطنيين بين قتيل وجريح وسجين^(٤١).

كان رد فعل اذربيجان على احداث العاصمة سريعا، وقويا للغاية. فقد ظهر في صفوف الجماهير المعذبة هناك قائدان ثوريان ذاع صيتهما في طول البلاد وعرضها، هما ستارخان وباقرخان^(٤٢)، اللذان بعثا في اليوم الاول لانقلاب الشاه برقية الى المجلس يؤكدان فيها باسم انجمن تبريز ان اكثرية المدن الايرانية تعتبر محمد علي شاه خائنا

(٣٩) مقتبس من:

M.S. Ivanov, Ochirk..., P. 212.

(٤٠) قوة عسكرية اسست على نمط القوزاق الروس، وكان يقود افرادها، ويدربهم ضباط من الروس.

(٤١) تسمى المصادر هذه الاحداث «انقلاب محمد علي شاه».

(٤٢) جاءهما لقب الخان من بسطاء الناس تعبيرا عما كانوا يكتونه نحوهما من تقدير واحترام.

للوطن^(٤٣).

كان ستارخان مزارعا صغيرا، قوي التأثير على اقرانه، شجاعا مقداما، ثابت العزم والارادة، صادقا صدوقا، وقف باستمرار الى جانب فقراء اذربيجان في نضالهم من اجل الارض والخبز^(٤٤). وكان من الطبيعي ان يشترك بحماس في احداث الثورة الدستورية منذ لحظة انفجارها، بحيث استحق عن جدارة شرف انتخابه عضوا فخريا في «انجمن تبريز». جمع ستارخان عددا كبيرا من اصلب الفدائيين حوله، وذاد بحماس عن مكتسبات الثورة، مما أثار ضده حنق الرجعيين، حتى ان الشاه خصص مبلغا ضخما مكافئة لمن يأتيه برأسه. ومن الجدير بالذكر ان اسم ستارخان قد برز حتى في الصحف الاوربية التي كانت تسميه «غاريا لذي ايران»، اما الجماهير فقد منحته لقب «سردار ملي» الرفيع، أي القائد الوطني. كما خلده الشعر الاذربيجاني الحديث باعتباره بطلا قوميا^(٤٥).

اما رفيقه في الفكر والسلاح بافرخان، فقد كان عاملا بسيطا، يشتغل في مقلع للحجر، تميز ايضا بالشجاعة والاخلاص، فمنحه ثوار اذربيجان لقب «سالار ملي»، أي الزعيم الوطني.

التف الوطنيون الاذربيجانيون حول هذين الزعيمين، لتبلور بذلك ابعاد انتفاضة رائعة في تبريز، تعتبر ذروة العمل الثوري في خضم احداث الثورة الدستورية^(٤٦)، والتي عبرت شعاراتها بصدق عن عمق محتواها، وتقدير قادتها لمهام مرحلتهم التاريخية. فقد تركزت مطالب الثوار على اعادة الدستور، والدعوة لانعقاد مجلس جديد، وطرد كل الاجانب الذين وقفوا الى جانب محمد علي شاه، ويطائنه الرجعية ايام انقلاب حزيران ١٩٠٨ في طهران.

وبفضل التفاف الجماهير حول هذه الشعارات تمكن قادة الانتفاضة من ضرب اعداء الثورة، وتطهير تبريز منهم في تشرين الاول عام ١٩٠٨. واستولى الثوار على موجودات مخزن الاسلحة التابع للحامية الحكومية في تبريز، والتي كانت تتألف من

(٤٣) عبدالله رازي، تاريخ مفصل ايران از تأسيس سلسله ماد تا عصر حاضر، ص ٥٢١.

(٤٤) عن تاريخ حياة ستارخان وباقرخان، وعن نشاطهما راجع:

محمد رضا عافيت، سردار ملي ستارخان، باللغة الاذربيجانية، باكي (٩)، ١٩٦٨؛ اسماعيل امير خيزي، قيام اذربايجان وستارخان، تبريز، ١٣٣٩ هـ، ص ٢-٧، ٢١-٢٣؛ احمد كسروي، تاريخ مشروطه ايران، ص ٦٩١-٧٠٩؛ كريم طاهرزاده بهزاد، قيام اذربايجان در انقلاب مشروطيت ايران، ص ٤٤٢-٤٤٧.

(٤٥) راجع: محمد رضا عافيت، سردار ملي ستارخان، ص ١٣٥-١٤٩.

(46) «Sovrimenay Iran», P. 143.

عشرين ألف بندقية، مع عدد من المدافع، وكميات من الذخائر^(٤٧). كما نظم الثوار شؤون المدينة، وما والاها من مناطق بأسلوب استرعى انتباه المراقبين الاجانب. فان المسؤولين الروس الذين كانوا يكون الحقد تجاه الثوار، ويتآمرون ضدهم، اعترفوا في تقاريرهم السرية التي كانوا يبعثونها الى بطرسبورغ، بان اوضاع المنطقة في ظل ادارة الثوار غدت افضل بكثير مما كان عليه الامر قبل ذلك.

تمكن ثوار تبريز في غضون فترة وجيزة من تأليف هيئات خاصة للإشراف على البلدية، ودوائر البرق والبريد والمالية والمعارف والعدل، ووضعوا حدا للمضاربين، والمتلاعبين بقوت الشعب، وصادروا ممتلكات الشاه واقربائه في المنطقة. واتخذوا اجراءات معينة ضد المصالح الاجنبية في اذربيجان، فقد استولوا على اراضي عدد من الملاكين الذين كانوا من تبعية روسية، واجبروا الشركة البريطانية للتلغراف على دفع مبالغ محددة لمصالح خزانة الثوار. كما اولوا الدفاع عن تبريز جانبا كبيرا من اهتمامهم، فقد الفوا لجنة خاصة للإشراف على شؤونها باسم «كمسيون جنك»، اي اللجنة الحربية التي اخذت على عاتقها امور تنظيم كتائب المتطوعين، وتدريب افرادها على استخدام الاسلحة، بما فيها المدافع. ولغاية ايلول ١٩٠٨ ارتفع عدد المتطوعين في المنطقة الى حوالي عشرة الاف رجل^(٤٨). وتتوفر شهادات مقنعة تبين ان الأمور داخل تبريز وضواحيها كانت مستتبة تماما في ظل ادارة الثوار^(٤٩).

تلقت الاوساط الشعبية الاذربيجانية في كل مكان انباء انتفاضة تبريز بارتياح بالغ، فتقاطر المتطوعون على المدينة، ولم يمر سوى وقت قصير حتى انتقلت السلطة الفعلية في معظم المناطق الادرية الايرانية الى ايدي ثوار تبريز الذين تلقوا ايضا مساعدات قيمة من اخوتهم الاذربيجانيين الشماليين، ومن ثوريي ماوراء القفقاس الذين اسسوا لجنة خاصة اخذت على عاتقها مهمة طبع منشورات الثوار، وابداء صنوف المساعدات الممكنة لهم، بما في ذلك الاسلحة وذخيرتها التي كانوا يخفونها ضمن بضائع القوافل التجارية المتوجهة الى ايران. فضلا عن ذلك جاء متطوعون من

(47) M.S. Ivanov, Ochirk..., P. 228

(٤٨) اسماعيل اميرخيزي، قيام اذربايجان وستارخان، ص ٢٤٩ - ٢٥٠؛

M.S. Ivanov, Ochirk ., PP 228 - 229; H. Nazem, Russia and Great Britain in Iran (1900 - 1914), Teheran, 1975, P 42.

(٤٩) راجع:

W.M. Shuster, The Strangling of Persia, Story of the European Diplomacy and Oriental Intrigue That Resulted in the Denationalization of Twelve Million Mohammedans. A Personal Narrative, New York, 1912, P. XI.

مختلف مناطق ماوراء القفقاس الى تبريز، حيث اسسوا ورشات صغيرة لانتاج القنابل والرمانات، واقاموا مستشفى لمعالجة المرضى والجرحى من أهل المدينة وضواحيها، افتتح يوم ١٤ ذي القعدة ١٣٢٦ (٩ كانون الاول ١٩٠٨) باسم «مريضخانهء ملي»، اي مستشفى الشعب. واشتركوا ايضا في القتال الفعلي للثوار ضد اعدائهم، فقتل منهم اكثر من عشرين متطوع، تحول بشييعهم الى تظاهرة شعبية. وكان من الطبيعي ان تشير هذه الامور حتى محمد علي شاه، فاتصل بشخص القيصر نيقولا الثاني يطلب منه العمل للحيلولة دونها، وفعلا اصدر القيصر اوامر صارمة بهذا الصدد^(٥٠).

وجدت انتفاضة تبريز صدى ابعدها من مناطق ماوراء القفقاس. فقد نشرت جريدة «مساوات» الاسبوعية في عددها الصادر يوم ١٤ محرم ١٣٢٧ هـ نص الرسالة التي بعثها ٧٥٨ من طلاب دار الفنون بموسكو الى ستارخان يؤيدون فيها بحماس نضاله من أجل «اعلاء راية الحرية». وفي العدد نفسه نشرت الجريدة رسالة اخرى بعثها الى ستارخان «الجمعية الخيرية للايرانيات المقيمات باستانبول»، التي ختمت رسالتها بالدعاء لنصرة «المجاهدين في سبيل الله على عموم خونة الشعب، ومخربي الوطن المقدس». ونشرت جريدة «صباح» الصادرة في استانبول مقالات تؤيد فيها ثوار اذربيجان، وتدعو الناس لجمع التبرعات لهم. وكما يؤكد اسماعيل أمير خيزي، احد اعضاء «انجمن تبريز»، ان نشيدا وطنيا شاع في المغرب ايام الثورة الدستورية كان يتغنى ببطولات ستارخان^(٥١).

انتقلت اشعارات احداث اذربيجان الثورية الى المناطق الايرانية الاخرى بسرعة، ليتحول الجزر الذي سببه انقلاب حزيران ١٩٠٨ الى مد ثوري جديد. ففي كانون الثاني ١٩٠٩ انفجرت انتفاضة في اصفهان ادت الى انتقال السلطة في المدينة، وماحولها الى الدستوريين الذين انضم اليهم ابناء عشيرة بختياري المعروفة، بعد ان فشل الشاه في استخدامهم ضد ثوار تبريز. كما تحرك اهل كيلان، واستولى الدستوريون على السلطة في العديد من المدن والمناطق الجنوبية، بما فيها ميناء بندر عباس وبوشهر.

وهكذا بدأ الخطر يهدد من جديد، ومن كل جانب عرش محمد علي شاه الذي فقد سيطرته على معظم المناطق الايرانية. وفي محاولة منه لردع الثوار لجأ الشاه الى

(50) M.S. Ivanov, Ochirk..., PP. 229 - 231

(٥١) اسماعيل امير خيزي، قيام اذربايجان وستارخان، ص ٢٩٧ - ٢٩٨، ٣٠٣، ٣٩٦ - ٣٩٧.

استخدام القوة، وحرك أكثر القوى الاقطاعية تخلفاً ضدهم، بل وحتى استعان بقطاع الطرق، والقتلة، وحاول توجيه ضربته الاولى الى ثوار اذربيجان الذين ارسل قوات كبيرة من الجيش، ورجال الاقطاعيين الخونة من أمثال رحيم خان، للقضاء على حركتهم. وقد تمكن الاعداء بالفعل من اعادة فرض سيطرتهم على بعض المناطق، وسيطروا على طريق جلفا - تبريز المهم الذي كان يؤلف حلقة وصل اساسية بين الثوار وديمقراطي ماوراء القفقاس، وقبل حلول شباط ١٩٠٩ اطبقوا حصاراً محكماً على تبريز نفسها، اشترك فيه بايعاز من الشاه، الشقة وقطاع الطرق، فعانى سكان تبريز من نقص خطير في المواد الغذائية^(٥٢). ولكن رغم ذلك دافع الثوار عن مكتسباتهم ببسالة، واتخذوا كل ما من شأنه وقف الزحف المعادي، فوجه رجال ستار خان وباقر خان ضرباتهم لقوات الشاه واعوانه، كما ارسل الثوار دعائهم للاتصال بالجنود.

وعندما لم يحقق الشاه النجاح المطلوب، وظل خطر الثورة جاثماً، هب المستعمرون الروس والبريطانيون لمساعدته، خاصة وانهم بدأوا يخشون مضاعفات الثورة الدستورية، واحتمال تأثيرها على شعوب القفقاس والهند المجاورة، الامر الذي تفاقم خطره اكثر بعد انتصار ثورة الاتحاديين في تركيا عام ١٩٠٨. وهكذا القي حكام بطرسبورغ ولندن الاقنعة من وجوههم، فنزلت قواتهم الى الميدان الايراني منذ نيسان ١٩٠٩ للاشتراك الفعلي في ضرب بؤر الثورة. فقد احتلت القوات البريطانية العديد من المدن الايرانية الجنوبية، فيما وجه حكام روسيا قواتهم بقيادة الجنرال سنارسكي (Snarski) الى تبريز في أواخر نيسان، وذلك بحجة انقاذ الاجانب الموجودين هناك، وايصال الحاجيات الضرورية اليهم، كما قامت قوة روسية اخرى باحتلال اردبيل في الوقت نفسه.

ورغم احتلالهم لتبريز، الا ان الروس لم يلقوا القبض على ستار خان وباقر خان^(٥٣)، كما لم يقدموا على تجريد رجالهما من اسلحتهم مباشرة، خشية ماكانوا يتوقعونه من عواقب اجراء من هذا القبيل. ولكن ما ان استتبت الامور لهم حتى طلبوا منهما مغادرة تبريز، فتوجها مع قسم من رجالهما الى العاصمة طهران، حيث استقبلتهما جماهير المدينة استقبال الابطال. واضطر اخرون من قادة الانتفاضة الى ترك البلاد، والتوجه الى استانبول.

أثار احتلال تبريز من جانب القوات الروسية الدستوريين في المناطق الاخرى،

(52) M.E. Yapp, 1900 - 1921, the Last Years of Qajar Oynasty, «Twentieth Century Iran», New York

1977, P. 11; H. Nazem, Op. Cit., PP. 47 - 50.

(٥٣) لجأ ستار خان وباقر خان في البداية الى دار القنصلية العثمانية في تبريز.

فانهالت على رئيس الوزراء برقيات احتجاج شديدة اللهجة من رشت وقزوين واصفهان، فضلا عن تبريز نفسها، طالب اصحابها منه ان تتخذ حكومته اجراءات حاسمة لفرض انسحاب عاجل للقطعات الروسية من المنطقة^(٥٤). وبعد فترة وجيزة لجأ التبريزيون الى السلاح ثانية في محاولة منهم لاجبار المحتلين على الانسحاب، مع العلم ان زعماء الدستوريين اوصوا المجاهدين في البداية ان لا يتحرشوا بالتوترات الروسية على اساس ان قادتها اكدوا ان مهمتها تقتصر على فتح الطريق الى المدينة، وايصال المؤن الى اهلها، وضمان انسحاب الاجانب منها، لتسحب هي بعد ذلك من المنطقة دون تأخير. ولكن الروس الذين كانوا يطمعون بمنطقة تبريز، التي طالبوا بها اثناء مفاوضات عقد «معاهدة تركمانجاي»، لم تبد عليهم نية الانسحاب، بل بقوا هناك بالفعل حتى سنوات الحرب العالمية الاولى، وعززوا مواقعهم كلما وجدوا الى ذلك سبيلا. فعندما هاجم رجال رحيم خان اردبيل في ايلول ١٩٠٩ اتخذت بطرسبورغ منه ذريعة لارسال قوات جديدة الى المنطقة، وتأجيل الانسحاب الموعود. وامام عجز الحكومة المركزية، وتلكؤها الصريح، نادى اهل تبريز الى ميدان التصدي المسلح للقوات الروسية رغم امكاناتهم المتواضعة جدا. ففي ٢٧ كانون الاول ١٩٠٩ هاجم الفدائيون القوات الروسية التي اخترقت حرمة المدينة ردا على الهجوم، فدخلتها على رأس الجنرال فوربانوف (Vorbpanov)، ونفذت حكم الموت بحق عدد من المجاهدين^(٥٥).

وتجددت مقاومة الاذربيجانيين للقوات الروسية في اواخر عام ١٩١١، اثناء الازمة السياسية الحادة التي ظهرت بسبب موقف روسيا المعارض من وجود الخبير المالي الامريكي شوسترفي ايران. فارتفعت اصوات تنادي بمقاطعة البضائع الروسية. وفي اواخر كانون الاول وقع صدام مباشر بين الجنود الروس واهالي تبريز ورشت، ادى الى وقوع خسائر بين الطرفين، تختلف المصادر في تقدير حجمها. ولكن الذي يسترعي الانتباه ان التبريزيين مثلوا بجثث القتلى من الجنود الروس الذين نشرت جريدة تايمس اللندنية صورهم في عددها الصادر يوم ١٥ كانون الثاني ١٩١٢. وقد دفع ذلك الروس الى اتخاذ اجراءات مشددة بحق التبريزيين، فقد القوا القبض على اعداد كبيرة منهم، قدموهم الى محاكم خاصة شكلوها لهذا الغرض،

(54) H. Nazem, Op Cit., P. 51

(٥٥) بروفيسور و. مينورسكي، تاريخ تبريز، ترجمه وتحشيه عبد العلي كارنك، ص ٧٥.

كما نفذوا حكم الموت بحق ٩ من ابرز زعماء الفدائيين الاذبيجانيين ، مما اثار استياء كبيراً في النفوس على الصعيدين الداخلي والخارجي^(٥٦). ان انتفاضة تبريز، ونتائجها، مع موقف الشاه من الاحتلال الروسي ومضاعفاته، فجرت الاوضاع في ايران، فتحرك المجاهدون من الشمال والجنوب صوب طهران، حيث اجبروا محمد علي شاه على التخلي عن العرش لابنه احمد شاه الذي اصبح اخر ملك قاجاري حكم ايران لغاية عام ١٩٢٥^(٥٧). اما الثورة الدستورية، التي كان الاذبيجانيون يؤلفون قوة محركة اساسية فيها، فقد اصبح بالامكان وضع نهاية لها بتدخل مباشر من المستعمرين البريطانيين، ولاسيما الروس، وتعاونهم مع حكومة الشاه في اواخر سنة ١٩١١.

بعد القضاء على الثورة الدستورية بدأت فترة جزر في النضال التحرري الاذري، شأنه في ذلك شأن مجمل الحركة الوطنية الايرانية. ولكن حتى انذاك ارتفعت اصوات الاحتجاج مراراً ضد الوجود الروسي في اذربيجان، الامر الذي سجلته الوثائق الدبلوماسية السرية الروسية اكثر من مرة^(٥٨). كما ان الموضوع نفسه اثار اوساطاً اخرى خارج ايران. ففي لقاء جرى بين وزير خارجية تركيا عاصم بيك والسفير الروسي لدى الباب العالي جريكوف (Chrikoff) عبر الوزير عن امله في «حل مشكلة تبريز بسرعة»، خصوصاً وانها، كما اكد، «تثير قلقاً كبيراً بين مسلمي تركيا»^(٥٩).

وكل الدلائل تشير الى ان حكام روسيا كانوا يخططون للاستيلاء على اذربيجان الجنوبية لضمها الى بلادهم في اقرب فرصة مواتية، لذا نراهم يشجعون على نطاق واسع اقتناء الارض الزراعية هناك من قبل مواطنيهم، واعوانهم من الاذبيجانيين وغيرهم من الايرانيين. فحسبها اكدت جريدة «تايمس» اللندنية في عددها الصادر يوم ١٨ حزيران ١٩١٤، وبالاستناد الى مصادر ايرانية رسمية، ان حوالي ثلث اراضي

(٥٦) للتفصيل راجع:

H. Nazem, Op. Cit., PP 105 - 108

(٥٧) للتفصيل راجع:

P. Sykes, Op. Cit., PP 419 - 420.

(٥٨) «وزارة الخارجية - العلاقات الدولية في عصر الامبريالية - وثائق ارشيفات الحكومة القيصريّة والحكومة انمؤقتة ١٨٧٨ - ١٩١٧»، التسلسل الثالث، المجلد الرابع (٢٨ حزيران - ٢٢ تموز ١٩١٤)، موسكو - لينينغراد، ١٩٣١، ص ٣١٥ - ٣١٨، الوثيقة رقم ٢٥٥.

(٥٩) المصدر نفسه، المجلد التاسع عشر، القسم الثاني (١٤ كانون الثاني - ١٣ ايار ١٩١٢)، موسكو - لينينغراد، ١٩٣٨، ص ١ - ٢، الوثيقة رقم ٣٤٦ والهامش رقم ٢.

المركزية والحلفاء. ولما تحول الاتحاديون من شعارات «الوحدة الاسلامية» الدينية الى شعارات «الوحدة الطورانية» القومية استجاب لهم العديد من الاذربيجانيين الايرانيين الذين نشروا في صحفهم مقالات تؤكد على انتمايتهم الطوراني. وحينما اسس الاذربيجانيون الشماليون بمساعدة تركيا «جمهورية اذربيجان» قبل انتهاء الحرب، دعوا اذربيجانيي ايران للانضمام اليها، ورفعوا شعار نقل عاصمتهم من باكو الى تبريز. كما نشرت صحفهم بالافكار نفسها، وكانت اعدادها تصل تبريز والمدن الحدودية، حيث لقت رواجاً واسعاً، الامر الذي اثار حكام ايران والوساط القومية الفارسية التي تصدت صحافتها لافكار المنشقين الاذربيجانيين^(٦٤).

ومع اعلان الحرب عقدت «جمعية نشر المعارف» اجتماعاً طارئاً في تبريز للمداولة في الموقف الذي على اعضائها تبنيه في الطرف الجديد، فانقسمت اراء المجتمعين بين من يرغب في استغلال ظروف الحرب لتفجير ثورة في اذربيجان، ومن يؤيد الوقوف الى جانب العثمانيين والامان، وفريق ثالث رأى المصلحة في اتخاذ موقف محايد. وقد سافر ثلاثة من ابرز اعضاء الجمعية، هم محمد علي خان ومرزا رضا خان تربيت ومحمود غني زادة، الى برلين حيث اسسوا بالتعاون مع حسن تقوي زادة جمعية اصدرت مجلتها الخاصة بها باسم «كاوه» التي يحمل عددها الاول تاريخ ٢٤ كانون الثاني ١٩١٦، وكانت تعالج قضايا ايران السياسية. ومع انتهاء الحرب اختفت الجمعية، فيما انتقلت ادارة «كاوه» الى آخرين من غير اعضائها^(٦٥).

برز في سنوات الحرب العالمية الاولى نجم الشخصية السياسية الليبرالية المعروفة الشيخ محمد خياباني، الذي قدر له ان يلعب دوراً كبيراً في تأريخ ايران عموماً، وتاريخ اذربيجان خصوصاً.

ولد محمد بن الحاج عبد الحميد، الذي اصبح يعرف بالشيخ محمد خياباني، سنة ١٨٨٠ في قرية خامشي القريبة من تبريز في اسرة تجارية صغيرة، وزاول بنفسه التجارة في شبابه^(٦٦). حصل خياباني التعليم منذ صغره، فدرس الفقه والاصول والحكمة

(٦٤) للتفصيل راجع:

فوري خلف شويل، ايران في مسنونات الحرب العالمية الاولى، رسالة ماجستير، كلية الاداب - جامعة بغداد، ١٩٨٣، ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٦٥) للتفصيل راجع:

كريم طاهر زاده بهزاد، قيام اذربايجان در انقلاب مشروطيت ايران، ص ٣٦٨ - ٣٧٦.

(٦٦) عن تأريخ حياة خياباني راجع:

شيخ محمد خياباني، اذربايجان واذربايجانيين دموكراتيك قوه لري، «اذربايجان» روزنامه سينين

والكلام والعلوم الصرفة في تبريز وبيتر وفسك^(٦٧)، فأصبح مثقفا بارزا، مولعا بالفلسفة والتاريخ والاقتصاد والرياضيات والفلك. وفضلا عن لغته الاذرية كان يجيد الفارسية والتركية والعربية والفرنسية. تميز خياباني بالذكاء، والصبر والاخلاص، وكان خطيبا لامعا، تنفذ كلماته الى اعماق مستمعيه. وقد وصفت جريدة «تجدد» امكاناته الخطابية هكذا:

«تسري كلماته الجميلة، وعباراته البليغة سريان الماء الرقراق في جدول جار»^(٦٨). كان الشيخ محمد خياباني مؤمنا بعمق بالحياة البرلمانية، وبالقيم الديمقراطية والحرية الفردية، وقف ضد كل انواع التعسف والارهاب، وكان يؤكد في خطبه وكتاباتاته على انه يضع مصلحة شعبه، ومواطنيه فوق أي مصلحة اخرى^(٦٩).

إشترك خياباني بحماس في الثورة الدستورية، ولعب دورا بارزا في انتفاضة تبريز، كما انتخب عن اذربيجان للمجلس في دورته الثانية التي بدأت عام ١٩٠٩. واثناء ازمة عام ١٩١١ وقف خياباني في المجلس بثبات الى جانب رفض الانذار الروسي، ودخل في نقاش طويل مع رئيس المجلس وكبار المسؤولين حول الموضوع. ثم عقد اجتماعا حاشدا في احدى ساحات العاصمة طهران كشف فيه على مدى ساعة ونصف الساعة ابعاد سياسة حكومة الشاه، وحكام روسيا تجاه اذربيجان^(٧٠). وعلى اثر ذلك اضطر الى ان يترك ايران خشية اعتقاله، فانتقل للمرة الثانية الى داغستان، حيث أصبح على اتصال وثيق بالمفكرين الثوريين في مناطق ما وراء القفقاس، منهم التبريزي الاصل مرزا رحيم طالبوف، الذي لعبت كتاباته دورا ملموسا في رفع الوعي السياسي والاجتماعي بين مثقفي اذربيجان الايرانية. ومنذ ذلك الوقت بدأت افكار خياباني تقترب الى حد كبير من اراء الاشتراكيين الديمقراطيين. فقد غدا يؤمن بضرورة

نشره سي، ١٩٦١، باللغة الاذربيجانية، ص ١ - ٩ (المقدمة)؛ بروفيسورو. مينورسكي، تاريخ تبريز، ترجمه وتعليقه عبد العلي كارنك، ص ٧٨ - ٧٩؛

N.S. Fatemi, Diplomatic History of Persia 1917 - 1923. Anglo - Russian Power Politics in Iran, New York. 1952, PP. 246 - 248, 250; M.S. Ivanov, Ochirk..., P. 275.

(٦٧) عاصمة داغستان، وقد اعيد اليها اسمها السابق محج قلا بعد ثورة اكتوبر.

(٦٨) مقتبس من:

N.S. Fatemi, Op. Cit., P. 247.

(٦٩) راجع خطبه في:

س. علي اذري، قيام شيخ محمد خياباني بتبريز، جاب اول، تهران، ١٣٢٩.

(٧٠) المصدر نفسه، ص ٢٤ - ٣٩.

استيلاء الشعب على السلطة لصالح الشعب الأذربايجاني^(٧١). ومن الضروري ان نشير الى ان خياباني فهم طبيعة الثورة الديمقراطية في تلك المرحلة من نضاله^(٧٢)، اي في وقت كان لا يزال العديد من القادة الليبراليين الايرانيين يعتقدون بإمكانية الاعتماد على لندن في نضالهم من أجل الدستور، بحيث انهم اختاروا باحة السفارة البريطانية لأول اعتصام احتجاجي بمثابة الشرارة الاولى للثورة الدستورية.

عندما اندلعت الثورة في الحرب العالمية الاولى، عاد خياباني الى ايران، وزاول نشاطا واسعا ضد سياسة الشاه، والوجود الاجنبي في تبريز، فتعرض الى ملاحقة السلطات المحلية التي خشيت انتشار الفوضى والاضطراب في تبريز. وعندما احتل الاتراك تبريز عام ١٩١٦ القوا القبض عليه، وابعدوه الى قارص. ولكن سرعان ما افرج عنه، فعاد الى تبريز حيث عاود نشاطه السياسي، وبدأ باصدار جريدة «تجدد» اعتبارا من يوم التاسع من نيسان سنة ١٩١٧، والتي التف حولها المثقفون الثوريون الاذربيجانيون. ثم بادر خياباني الى تأسيس الحزب الديمقراطي الاذربيجاني الذي انعقد مؤتمره التأسيسي الاول في أواخر آب ١٩١٧ بحضور ٤٨٠ مندوبا، كانوا يمثلون الملاكين الليبراليين، والمثقفين الثوريين، والعناصر البورجوازية الجديدة، وبعض الواعين من العمال والحرفيين، وصغار رجال الدين^(٧٣).

تحولت ثورة أكتوبر الاشتراكية الى نقطة تحول مهمة بالنسبة للنضال التحرري الاذربيجاني في ايران. فان مجرد سحب القطعات الروسية من تبريز واربيل، وغيرها من المناطق الاذربيجانية، قد هيا ظروفا انسب للتحرك السياسي الاذربيجاني في ظروف الانحلال الكبير الذي كانت تعاني منه السلطة المركزية في طهران. ثم ان تحولا فكريا ملموسا قد طرأ على التوجهات السياسية للاوساط الراديكالية الاذرية. فقد رفع الحزب الديمقراطي الاذربيجاني شعار تأسيس نظام اشتراكي، ودعا الى اشتراك الجماهير في تسيير دفة الحكم^(٧٤).

(71) Sh. M. Badr, Op. Cit., P 134.

(72) س. علي اذري، غيام سينغ محمد خياباني در تبريز، ص ٤١.

(73) Sh. A. Tagieva, Natsionalno - Osvoboditelnoe Dvijenie V Iranskorn Azerbajane V 1917 - 1920, Baku, 1956, PP. 44 - 48

ش.أ. تاغيفاف، حركة التحرر الوطني في اذربيجان الايرانية في ١٩١٧ - ١٩٢٠، باللغة الروسية، باكو، ١٩٥٦، ص ٤٤ - ٤٨؛ جبرائيل روثين دز، انقلاب كبير سوسباليستي اكتبروجنوش خياباني، ص ٢٩٧

(74) N.S Fatemi, Op Cit , P. 250.

ولكن بالمقابل ان خروج روسيا من اللعبة ادى الى فتح ابواب ايران على مصراعيها امام القوى الطامعة الاخرى. فاعاد الاتراك احتلال اراضي واسعة من اذربيجان، بما فيها مدينة تبريز، والقوا القبض ثانية على خياباني وعدد من رفاقه الذين نفوهم الى اورميه. كما نشط الالمان والامريكان، وغيرهم في مناطق ايرانية مختلفة. ولكن لم يستفد طرف دولي بقدر ما استفاد الانكليز من الاوضاع التي استجذت على الساحة الايرانية، فقد صفى الجوامامهم كليا ليثبتوا اقدامهم هناك بشكل لم يسبق له مثيل، خصوصا بعد ان اضطر الالمان والاتراك الى الانسحاب من اراضي ايران، مثل غيرها، اثر هزيمتهم في الحرب العالمية الاولى.

فقبل ان تضع الحرب اوزارها بشهرين ونيف الف وثوق الدولة وزارة جديدة لم تتردد عن التعاون مع البريطانيين في الميادين كافة. ولم تمض سوى فترة وجيزة على انتهاء الحرب عندما وقعت حكومته معاهدة جديدة مع لندن منحها بنودها من الامتيازات ما جعلت من ايران اشبه ماتكون بمحمية بريطانية^(٧٥).

أثار عقد المعاهدة الانكلو-ايرانية موجة استياء شديدة بين الايرانيين. الا ان حكومة وثوق الدولة لجأت الى سلسلة من الاجراءات للحد من تأثير المعارضة الوطنية، فقد اعلنت الاحكام العرفية في العاصمة طهران، وجرى مفعول منع التجول بعد التاسعة ليلا لفترة طويلة من الزمن، ومنعت النشاط الحزبي، وفرضت رقابة مشددة على المطبوعات، وعلى تحركات العناصر الليبرالية.

وفي الوقت نفسه تحولت آثار التغلغل البريطاني المتزايد الى عبء جديد اثقل كاهل الاقتصاد الايراني الذي ظل يعاني بشدة من بقايا الخراب الاقتصادي الذي تركته سنوات الحرب. كما ان انقطاع العلاقات التجارية مع روسيا، التي كانت تؤلف ٧٠٪ في الميزان التجاري الخارجي الايراني مقابل ٢٠٪ فقط لانكلترا عشية الحرب^(٧٦)، أثر على الوضع العام في السوق. وجراء كل ذلك ساء وضع الفئات الفقيرة في الريف، والمدن التي امتلأت شوارعها بجيش كبير من المتسولين والعاطلين عن العمل، وغدت الهجرة من الريف الى المدينة، او الى الخارج احيانا، من الظواهر الاجتماعية المألوفة. أدت هذه الاوضاع الى تفجير الوضع السياسي في البلاد بعد انتهاء الحرب مباشرة. فقد شهدت العديد من المدن الايرانية تحركات جماهيرية، واضرابات عمالية

(٧٥) للتفصيل عنها راجع موضوع «رضا المازندراني والعرش الايراني».

(76) H. Nazem, Op. Cit., P. 173.

في تلك الفترة . واتخذ الموقف في اذربيجان طابعا خطرا ، واكثر جدية من بقية انحاء ايران ، فقد انفجرت فيها انتفاضة جديدة في العام ١٩٢٠ دخلت التاريخ باسم «انتفاضة خياباني» ، نسبة الى قائدها الشيخ محمد خياباني ، الذي اعلن يوم ٩ نيسان^(٧٧) في اجتماع جماهيري عن قطع ولاية اذربيجان لعلاقتها بالسلطة المركزية المعادية للديمقراطية . وبعد أيام اعلن عن خطة اصلاحية تناولت الامور الثقافية والمالية في اذربيجان ، واسس مستشفى ، وثلاث مدارس جديدة في تبريز هي «المحمدية» و«فيوضات» و«حكمت» . واصدر مجلة «ازاديستان» التي اخذت على عاتقها مهمة نشر «نظريات وعقائد النهضة» . واعلن عن تخفيض اسعار المواد الحياتية الضرورية ، وعن الغاء الالقاب . كما خطط لتأسيس جيش شعبي يضم ١٢ ألف مقاتل^(٧٨) . وحاول خياباني تحريض المناطق الايرانية الاخرى للقيام بوجه وزارة وثوق الدولة . ففي عددها الصادر يوم ١٥ حزيران ١٩٢٠ كتبت جريدة «تجدد» تقول :
«ان حركة تبريز هي تحذير للطبقة الحاكمة الفاسدة في طهران ، وهي نموذج جيد للمقاطعات الاخرى في البلاد»^(٧٩) .

فقد كان خياباني يصرف في كتاباته ، وخطبه اليومية^(٨٠) ، على ضرورة «تغيير نظام الحكم في ايران» بنظام جمهوري يوفر «الحرية ، وقيما اخلاقية افضل ، وتسهيلات اكبر في مجال التعليم»^(٨١) .

استقبلت جماهير اذربيجان حركة خياباني بحماس بالغ ، فارتفعت اصدااء الاناشيد الثورية في كل مكان ، وخصوصا في المراكز المدنية^(٨٢) . وقد استولى الثوار على المراكز الحكومية ، وطردها جميع الموظفين المواليين للشاه ، فيما انضم الآخرون الى المؤسسات الثورية الجديدة ، منهم رجال الجندرية الذين كان يوجد بينهم عدد غير قليل من الذين

(٧٧) حسب بعض المصادر يوم السابع من نيسان .

(٧٨) س . علي اذري ، قيام شيخ محمد خياباني در تبريز ، ص ٤٠٧ ، ٤٩٥ - ٤٩٦ ؛

Sh. A. Tagieva Op. Cit., PP. 98 - 99.

(٧٩) مقتبس من :

N S. Fatemi, Op. Cit., PP. 251 - 252

(٨٠) كان خياباني يلقي عصر كل يوم خطابا في جماهير تبريز (و . مينورسكي ، تاريخ تبريز ، ترجمه وتحشيه عبد العلي كارنك ، ص ٧٩) .

(81) G. Lenczowski, Russia and the West in Iran (1918 - 1948), New York, 1949, P. 61.

(٨٢) لم يول نظام خياباني موضوع الارض ما يستحق من اهتمام ، مما ادى الى بقاء الوسط الفلاحي الواسع بعيدا الى حد واضح عن الاحداث الثورية في تبريز .

اشتركوا في الثورة الدستورية. واختار الثوار لنظامهم، وللمناطق المحررة، اسما جديدا هو «ازادستان»، اي بلاد الحرية التي الفوا لها حكومة خاصة يوم ٢٤ حزيران عام ١٩٢٠، اشترك في عضويتها ممثلون عن المثقفين والتجار ورجال الدين وصغار الملاكين. وقد لخصت حكومة «ازادستان» اهدافها في النقاط الرئيسية التالية:

- ١- قلب نظام الشاه، واقامة نظام جمهوري ديمقراطي مكانه.
 - ٢- وضع نهاية لتبعية ايران للدول الكبرى الاستعمارية.
 - ٣- منح اذربيجان الايرانية الحكم الذاتي.
 - ٤- منح الحريات الديمقراطية، واجراء اصلاحات اقتصادية وثقافية وغيرها.
- أدخلت احداث اذربيجان الثورية الخوف في نفوس الحكام، وكل الرجعيين في ايران، فاسرعوا الى اتخاذ الاجراءات الكفيلة بقمع الحركة الوطنية الاذرية قبل ان تتحول، في مرحلتها الحاسمة الجديدة، الى ثورة عامة مشابهة للثورة الدستورية^(٨٣). وقد لقيت خطة حكومة الشاه ضد «ازادستان» تشجيعا مباشرا من السفارة البريطانية في طهران، لاسيما وان جانباً كبيراً من اصوات احتجاج ثوار اذربيجان انصب ضد الوجود البريطاني في البلاد، وبالتحديد ضد معاهدة عام ١٩١٩ التي وردت بالاسم مرارا في خطب خياباني، وعلى صفحات جريدة «تجدد»^(٨٤). فكان من الطبيعي ان يعادي البريطانيون انتفاضة خياباني، فبعثوا ادموندس خصيصا الى المنطقة «لمهمة تخريبية» على حد تعبير علي اذري مؤلف كتاب «قيام الشيخ محمد خياباني في تبريز»^(٨٥). وقد اشاع المسؤولون الايرانيون، وبتشجيع من البريطانيين، اشاعات كاذبة عن خياباني، واتهموه بالانفصالية، مع ان مطالبه ركزت على الحكم الذاتي، ويتوافق تام مع مضمون المادة التاسعة والعشرين من قانون ذيل الدستور الايراني^(٨٦). وضعت طهران خطة مخاتلة للقضاء على انتفاضة خياباني. فقد عينت مخبر السلطنة هدايت، الذي كان يحاول ان يظهر نفسه في ثوب المؤمن بالافكار الليبرالية،

(٨٣) في هذه الفترة بدأت مناطق اخرى من ايران بالتحرك الثوري، وكان لاحداث اذربيجان التأثير على بعضها.

(84) M.S. Ivanov, Ochirk..., PP. 275 - 276.

(٨٥) س. علي اذري، قيام شيخ محمد خياباني در تبريز، ص ٤١٣.

(86) Sh. M. Badl, Op. Cit., PP. 136 - 137.

حاكما عاما جديدا على اذربيجان . وقد رافقته الى هناك قوة من القوزاق ، عسكرت قرب تبريز .

دخل الحاكم العام الجديد في مفاوضات «ودية» مع قادة الانتفاضة ، فيما كان يجري سرا اتصالات مريبة مع العناصر الرجعية ، ويعمل من أجل شراء ذمم اصحاب النفوس الضعيفة الذين اندسوا بين صفوف الثوار ، وظل يدرس بامعان تحصيناتهم على مدى عشرة ايام من المفاوضات ، اجراها باسلوب ادخل الاطمئنان في نفوس خياباني ورفاقه . واخيرا وجه نخب السلطنة ضربة مباغطة للثوار صبيحة ١٢ ايلول ١٩٢٠ ، رافقها الاستيلاء على مراكز الثوار ، واحتلال اكثر من ٣٠٠ دار من دور قادة الانتفاضة الذين قتل العديد منهم ، واعتقل الآخرون . ولم يستسلم خياباني ، بل ظل يقاوم مع نفر من اعوانه على مدى اليومين التاليين ، الى ان قتل شرقتلة على أيدي المهاجمين يوم ١٤ ايلول^(٨٧) ، لتبدأ بعد ذلك فترة جزر جديدة في النضال التحرري الازري في ايران .

رغم فشلها ، الا ان انتفاضة خياباني ساعدت على رفع الوعي الثوري في المناطق الايرانية الاخرى ، كما تدخل ضمن العوامل التي أدت الى سقوط وزارة وثوق الدولة الموالية للبريطانيين في اواسط عام ١٩٢٠ . فضلا عن ذلك اسهمت الانتفاضة ، مع غيرها ، في فضح نواقص الحكم القاجاري الذي فقد بعد الحرب سمعته نهائيا في نظر الايرانيين ، مما هيا ظروفًا انسب لازاحته ، الامر الذي عرف رضا المازندراني (البهلوي فيما بعد) كيف يستغله للقضاء على حكم احمد شاه ليتتهي بذلك العهد القاجاري في تاريخ ايران الحديث يوم ٣١ تشرين الاول ١٩٢٥ ، وليبدأ عهد جديد في تاريخها المعاصر يعرف بالعهد البهلوي ، الذي أصبح مؤسسه رضا شاه اول ملك له اعتبارا من يوم ١٢ كانون الاول ١٩٢٥^(٨٨) .

قبل ان يتبوأ العرش بسنوات تمكن رضا شاه من قمع الحركات والانتفاضات الثورية للشعوب غير الفارسية في ايران بقسوة . لذا فان سنوات حكمه الدكتاتوري تعتبر فترة هادئة نسبيًا ، وفي الظاهر على الاقل ، في تاريخ ايران المعاصر . ولكن في

(٨٧) للتفصيل راجع :

س . علي اذري ، قيام شيخ محمد خياباني در تبريز ، ص ٦٤٨ - ٦٥٢ ؛ جبرائيل روئين دز ، انقلاب كبير سوسياليستي اكتب وجنش خياباني ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ ؛

Sh. A. Tagieva, Op. Cit., PP. 113 - 114

(٨٨) للتفصيل راجع الموضوع المعنون «رضا المندراني والعرش الايراني» .

الواقع كانت عملية التراكم الكمي للحقد المشروع في نفوس أبناء تلك الشعوب في تزايد مستمر، خصوصا بسبب تمادي العهد البهلوي في سياسته الشوفينية المبنية على تفريسههم. يقول البروفيسور م. س. ايفانوف بهذا الصدد:

«كانت ايران في عهد رضا شاه عبارة عن معتقل كثيب للشعوب، تستباح فيه ابسط حقوق الاقليات القومية»^(٨٩)

ورغم استبداده، ووسائله القمعية، الا ان الاستياء الاذربيجاني قد عبر عن نفسه بصور مختلفة في عهد رضا شاه الذي كان يكن حقدا في نفسه تجاه اذربيجان على حد قول المؤرخ البريطاني بيتر افري^(٩٠). وبومذاك ظهرت ممارسات جديدة في النضال التحرري الاذربيجاني، تميزت بنمو دور الكادحين، من عمال وفلاحين، فيها. ففي حزيران عام ١٩٢٦ انتفض جنود وفلاحو ديلمان التي اصبحت تعرف بشاهبور في العهد البهلوي^(٩١). وقد استخدم رضا شاه الجيش لقمعهم بقسوة بالغة. وفي العام ١٩٣٠ اعلن مالا يقل عن الف الف فلاح مازندران التمرد بسبب قطع المياه عن اراضيهم، وتحويلها الى اراضي الشاه الذي لم يتردد عن استخدام القوة ضدهم، فالتجأ العشرات منهم الى الغابات المجاورة. وفي العام ١٩٣١ حدث تمرد في معمل الشخاط تبريز، ووقع اضرابان بين عمال السكك في مازندران المجاورة. وجرت في الوقت نفسه محاولات لتأسيس منظمات للعمال والشباب في العديد من المدن الاذربيجانية^(٩٢). كما شهدت المناطق الاخرى، وفي اوقات مختلفة، حركات مشابهة لما وقع في تبريز ومازندران، كانت تعكس الواقع المأساوي للطبقات الاجتماعية الكادحة في العهد البهلوي. فقد ورد في النداء الذي وجهته «عصبة مكافحة الامبريالية» الى عمال العالم بتاريخ ٢٠ تموز ١٩٣١ مانصه:

«ان اكثر من الف معتقل سياسي يعانون من التعذيب في السجون الفارسية. ان حكومة بهلوي لاتعترف لهم بحق المثل امام المحاكم. ان المنظمات العمالية الثورية تتعرض لارهاب وحشي»^(٩٣).

(89) M S Ivanov, Ochirk , P 325.

(90) P Avery, Modern Iran, P. 387

(٩١) غيرت السلطات اسماء العديد من المدن والمناطق الاذربيجانية في العهد البهلوي.

(92) A E Diomin, V V Trubetskay, Iran V Godi Economicheskovo Cnsisa, «Iran. Ochirk Noveyshi Istori», Moscow, 1976, PP 106, 109; M.S Ivanov, Ochirk , PP 325, 327.

(٩٣) مقتبس من :

M S Ivanov, Ochirk , P 328.

ولكن رضا شاه لم يعر الرأي العام الداخلي والخارجي اذنى اهتمام ، فاستمر يزاول سياسة القمع بحق الاذرييجانيين ، وغيرهم من الايرانيين ، دون هوادة . فباعتراف الصحافة الايرانية نفسها ان المحاكم العسكرية الخاصة اذانت في غضون النصف الثاني من عام ١٩٣٢ فقط ١٥٣ شخصا ، نفذ حكم الموت بحق ٣٦ منهم . وحكم على ١٩ منهم بالسجن المؤبد ، وصدرت احكام بحق البقية بلغ مجموعها ٣٥٥ عاما^(٩٤) .

دخل النضال التحرري الاذرييجاني مرحلة جديدة من مراحل تطورها في سنوات الحرب العالمية الثانية ، ولاسيما بعد ابعاد رضا شاه عن العرش يوم ١٦ ايلول عام ١٩٤١ . ومنذ ذلك التاريخ فقدت طهران عمليا كل نفوذ لها في اذرييجان التي دخلت ضمن المنطقة التي اصبحت في حوزة القوات السوفيتية^(٩٥) . وفي الواقع اصبحت اذرييجان الايرانية تعيش في سنوات الحرب مخاضا ثوريا مهما ، فقد عم الاستياء الاكثري الساحقة من سكانها . ولم يكن مجرد صدفة ان اكد محمد رضا شاه بعد تسنمه للعرش مباشرة ، على ضرورة اجراء الاصلاحات في اذرييجان بصورة خاصة^(٩٦) .

تركزت مطالب الاذرييجانيين في سنوات الحرب العالمية الثانية على تعديل الدستور بصورة تضمن حقوقهم القومية المشروعة ، وتطهير اجهزة الدولة ، ومنح الحريات الديمقراطية . وبما ان الاوساط الحاكمة كانت تخشى مبادرات الاذرييجانيين بصورة خاصة ، لذا لجأت بحقهم الى اجراءات غريبة في بابها . ففي العام ١٩٤٤ رفض المجلس تصديق عضوية الشخصية السياسية الاذرييجانية البارزة جعفر بيشوري الذي حصل على الاكثري الساحقة من اصوات ناخبي تبريز في انتخابات ١٩٤٣ ، الامر الذي اثار موجة احتجاج شديدة بين الاذريين ، انتقلت اثارها الى طهران ، حيث احتج ضد قرار المجلس ٦٠ صحفيا من محرري جرائد العاصمة . وعلى الغرار نفسه رفضت وزارة الداخلية في العام التالي الاعتراف بالاعضاء المنتخبين للمجلس البلدي في تبريز^(٩٧) .

(94) A.E. Diomin and V V. Trubetskay, Op Cit., P. 110

(٩٥) اثر تزايد النفوذ الالماني في ايران ، دخلت القوات السوفيتية المناطق الشمالية ، والبريطانية المناطق الجنوبية من ايران في ٢٥ آب ١٩٤١ ، وانسحبت منها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .
(٩٦) راجع :

عبد الهادي كريم سلمان ، ايران في سنوات الحرب العالمية الثانية ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب - جامعة بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ١٣٠ .

(97) P. Avery, Op. Cit., P. 388; M.S. Ivanov, Ochirk..., P 367.

ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية شدد الاذربيجانيون نضالهم في سبيل حقوقهم القومية، وقد اولوا التنظيم في خضمه اهتماما اكبر من السابق. ففي اب ١٩٤٥ اسس الوطنيون الاذربيجانيون «فرقه ديمقرات اذربايجان» (الحزب الديمقراطي الاذربيجاني)، الذي عقد اول مؤتمره في تبريز يوم ٢ تشرين الاول من العام نفسه. وقد حضر المؤتمر ٢٣٥ مندوبا ناقشوا على مدى اربعة ايام برنامجه ونظامه الداخلي، وانتخبوا لجنته المركزية. واصدر الحزب جريدته المركزية «اذربايجان» باللغة الاذرية^(٩٨).

التفت جماهير واسعة حول الحزب الديمقراطي الاذربيجاني. فحسب المعلومات التي نشرتها جريدة «اذربايجان» في عددها الصادر يوم ٢٣ كانون الثاني ١٩٤٦ بلغ عدد اعضاء الحزب في اواخر العام ١٩٤٥ حوالي ٧٠ الف عضو، كان ٥٦ الفا منهم من الفلاحين، و ٦ الاف من العمال، و ٣ الاف من الحرفيين، والفان من المثقفين، والفان من صغار التجار، و ٥٠٠ من صغار الملاكين، و ١٠٠ من رجال الدين.

وقبل ان ينتهي عام ١٩٤٥ خطا الاذربيجانيون خطوة اخرى. فاثرا اجتماعات جماهيرية في كل انحاء اذربيجان الايرانية، تقرر تأسيس مجلس شعبي، افتتح يوم ٢٠ تشرين الثاني بحضور ٧٤٤ مندوبا كانوا يمثلون كل الفئات الاجتماعية، وجميع المناطق الاذربيجانية. وقد رفع المجلس شعار «الحكم الذاتي»، وانتخب لجنة خاصة مؤلفة من ٣٩ عضوا، عهد اليها ادارة اذربيجان، واجراء الانتخاب لاعضاء مجلس اذربيجاني خاص، مع حق المفاوضة مع السلطات المركزية لحل المشكلة الاذربيجانية حلا سلميا.

جرت انتخابات المجلس الوطني الاذربيجاني التي اشتركت المرأة فيها لأول مرة في تاريخ ايران، وفي ١٢ كانون الاول ١٩٤٥ افتتح المجلس الذي بلغ عدد اعضائه ١٠١. وعهد المجلس الى جعفر بيشوري رئاسة حكومة اذربيجان ذات الحكم الذاتي، التي حددت برنامجها في النقاط التالية:

- ١- تعزيز الحكم الذاتي في اذربيجان.
- ٢- انتخاب المجالس الادارية للمدن والمقاطعات.
- ٣- تحويل كتائب الفدائيين الى جيش شعبي.

(٩٨) في سنوات الحرب العالمية الثانية، وخاصة بعد سقوط رضا شاه، ارتفع عدد الصحف الصادرة في ايران بصورة ملموسة. ففي العاصمة طهران وحدها كانت تصدر ١٠٣ جرائد، و ٢٩ مجلة. اما في تبريز فقد كانت تصدر اربع جرائد.

- ٤- جعل الاذربيجانية لغة رسمية.
 - ٥- نشر التعليم الالزامي المجاني، وتأسيس جامعة خاصة.
 - ٦- تطوير الصناعة والتجارة.
 - ٧- وضع قانون للعمل، وتنظيم العلاقات بين الملاكين والفلاحين.
 - ٨- توزيع اراضي الدولة، وارضى الاقطاعيين الاذربيجانيين الذين انتقلوا الى الخندق المعادي، بين الفلاحين.
 - ٩- ضمان حرية الرأي والاعتقاد لجميع مواطني اذربيجان.
- وفي الوقت نفسه اعلنت حكومة بيشوري انها تعترف بالحكومة المركزية، وتنفذ كل ما يصدر عنها في حالة عدم تعارضه مع اساس الحكم الذاتي المعلن لاذربيجان^(٩٩). كما اتخذت سلسلة اجراءات بصدد تنظيم العلاقات بين الفلاحين والملاكين فيما يخص تقسيم الحاصل، ووزعت حوالي ٢٦٠ ألف هكتار من الارض الزراعية على حوالي ٢١٠ ألف فلاح، ونظمت الشؤون الاقتصادية للمنطقة، واسست ورشة لصناعة السجاد، وحددت ساعات العمل اليومي للعمال بثمان فقط. واولت حكومة بيشوري الثقافة والفن اهتماما خاصا، فاعلنت عن تأسيس «جامعة اذربيجان الحكومية»، وافتتحت عددا كبيرا من المدارس الجديدة، والفت فرقا خاصة لمكافحة الامية في الريف، واسست مدرسة للفنون، ومسرحا، وفرقة موسيقية. وبفضل الاجراءات الجديدة اصبحت كلفة الحياة في تبريز، ثاني كبرى مدن ايران، تؤلف، في المعدل، نصف كلفتها في طهران.
- وفي ظروف ايران يومذاك، ونتيجة لفشل جميع محاولات الاوساط الحاكمة، وكبار الاقطاعيين الاذربيجانيين لخلق مشاكل جدية في اذربيجان^(١٠٠)، اضطرت حكومة قوام السلطنة للدخول في مفاوضات مع حكومة بيشوري، التي انتهت يوم ١٣ حزيران ١٩٤٦ بالتوقيع على اتفاقية بين الطرفين نصت موادها على تلبية جانب كبير من مطالب الاذربيجانيين.
- ولكن الاوساط الحاكمة الايرانية استطاعت ان تعيد ترتيب اوضاعها بفضل سلسلة من المناورات السياسية، ونتيجة المساندة المباشرة التي ابدتها لها لندن وواشنطن. فمنذ

(٩٩) للتفصيل راجع:

M S Ivanov, Ochirk. , PP. 369 - 370; P. Avery, Op Cit., PP 390 - 391

(١٠٠) فقط خلال شهر تشرين الاول سنة ١٩٤٥ دبر الرحعيون اغتيال حوالي مئة شخص من مؤيدي الحزب الديمقراطي الاذربيجاني.

اواسط عام ١٩٤٦ توالى ضرباتها الموجهة للمكتسبات الديمقراطية القليلة التي حققها الايرانيون في ظروف الحرب، واندحار الفاشية. بعد ذلك جاء دو اذربيجان وكردستان^(١٠١). ففي ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٦ اعلن قوام السلطنة عن عزم طهران ارسال قواتها الى جميع مقاطعات ايران دون استثناء بهدف «ضمان حرية الانتخابات» للمجلس في دورته الخامس عشرة، كما ادعى، وفعلا توجهت القوات الايرانية صوب اذربيجان بعد اقل من ثلاثة اسابيع من نشر التصريح، وبدأت حملة ارهاب واسعة النطاق ادت الى مقتل واعتقال الالوف من الازربيجانيين، والى هرب عشرات الالوف منهم الى داخل اراضي اذربيجان السوفيتية، بمن فيهم جعفر بيشوري^(١٠٢). وحسب المعلومات التي نشرتها جريدة «مردم» في عددها الصادر يوم ٧ تموز ١٩٤٧ تم تنفيذ احكام الاعدام بحق ٧٦٠ من الديمقراطيين الازربيجانيين بعد القضاء على حكومة بيشوري.

تحولت الاحداث الاخيرة الى ضربة قوية وجهت للنضال التحرري الازربيجاني في ايران، فقد احتاج الى سنوات عديدة قبل ان يستعيد انفاسه من جديد، ويتحول مرة اخرى الى قوة ضاربة، وحاسمة في الساحة السياسية الايرانية. ان النضال التحرري الازربيجاني ظل يؤلف شوكة سامة بجانب النظام البهلوي حتى النهاية . . .



(١٠١) بالنسبة لاهداث كردستان راجع الموضوع المعنون «حقائق عن النضال التحرري الكردي في ايران».

(١٠٢) توفي جعفر بيشوري بحادث سيارة قرب مدينة باكو. تحوم الشبهات في تدبير الحادث حول باقروف، الزعيم الستاليني الازربيجاني المتطرف، السكرتير الاول السابق للحزب الشيوعي الازربيجاني السوفيتي الذي ادين مع بيريا، وبغذ فيه حكم الموت . . .

حقوق عن النضال التحرري الكردى فى ايران

تشغل كردستان الايرانية الاقسام الشمالية الغربية من ايران، وهي تتصل من الشمال والشرق باراضي اذربيجان الجنوبية، وتمتد شرقا حتى همدان، وجنوبا حتى مرتفعات برووشاه ووداله هو وامتداداتها، وغربا حتى الحدود الشرقية العراقية. وتختلف المصادر في تقدير مساحتها بين ربع، وهو رقم مبالغ فيه^(١)، واقل من عشر مساحة ايران التي يتجاوز مجموعها مليوناً و ٦٠٠ ألف كم^٢ (يقدر الدكتور عبدالرحمن قاسمלו مساحة كردستان الايرانية بحوالي ١٢٥ ألف كم^٢). ويؤلف الاكراد ثالث اكثرية في ايران بعد الفرس والاذرييجانيين. وتختلف المصادر في تقدير عددهم ما بين ثلاثة وسبعة ملايين نسمة^(٣). ولكن اغلب الظن ان عدد الاكراد في ايران لا يقل في الوقت الحاضر عن خمسة ملايين نسمة، بمن فيهم الاكراد القاطنون خارج كردستان (في العاصمة طهران، واذرييجان، وشمال خراسان، وكرمان وكيلان وفارس، وغيرها^(٤))، مما يؤلف حوالي سدس العدد الكلي لسكان ايران^(٥). ولكن المصادر الرسمية الايرانية لم تعترف في اواخر العهد البهلوي الا بوجود مليوني كردي في ايران^(٥).

ينقسم الشعب الكردي في ايران على حوالي ٣٠ عشيرة، اكثريتها الساحقة مستقرة، وقسم منها نصف متنقل بين مشاتي ومصائف ثابتة. وتعتبر موكري وديبوكري وشكاك وكلهور وسنجاوي وگوران (Goran) وبلباس وجلالي وجوانرو من اهم العشائر الكردية في ايران. اما اهم المراكز المدنية في كردستان الايرانية فهي كرمشاه وسندج ومهاباد وماكو وبانه وسقز ونغده وغيرها. ومن اجل تصور التطور السكاني للمدن

(١) ورد الرقم المذكور في مجلة «ام درمان»، العدد الخامس والعشرون، السنة الثانية، اول يونيو ١٩٤٦، ص ٥.

(٢) للتفصيل راجع:

سرتيب علي رزم آرا، جغرافياى نظامى ايران. كردستان، تهران، ١٣٢٠، ص ٤ - ٥؛ الدكتور عبدالرحمن قاسملو، كردستان والاكراذ. دراسة سياسية واقتصادية، ترجمة ثابت منصور، بيروت (٩)، ١٩٦٨، ص ٤ - ٦، ١١ - ١٧؛ فؤاد حمه خورشيد، الاكراد. دراسة علمية موجزة، بغداد، ١٩٧١، ص ١٠، ٢٠ - ٢١؛

A.R. Ghassemlou, Iranian Kurdistan, PP. 1 - 2.

(٣) تقدر بعض المصادر عدد ذلك الجزء من الشعب الكردي بربع مليون نسمة.

(٤) في آذار عام ١٩٧٤ بلغ عدد سكان ايران ٣١٨ مليون نسمة. راجع:

«Sovrimenay Iran», P. 16.

(5) Ibid, P. 34.

الكردية في ايران نشير الى ان عدد سكان كرمنشاه بلغ حوالي ١٢٦ ألفا في العام ١٩٥٦ ، و ١٨٨ ألفا في العام ١٩٦٦ ، و حوالي ٢٢١ ألفا في العام ١٩٧٠^(٦) .

منذ القديم توجهت انظار الحكومات الايرانية الاخمينية والارشاكية - الفرثية والساسانية المتعاقبة^(٧) صوب كردستان التي عانى شعبها ، مثل بقية شعوب المنطقة ، الكثير من ويلات حروبها المستمرة مع اليونان والرومان . فان من شأن اللوحة التي يرسمها شارموا في مقدمته للآثار التاريخية «شرفنامه» عن الواقع السياسي لكردستان في تلك المرحلة ان يعطينا تصورا واضحا حول الموضوع . فكما يشير كان الاخمينيون هم الذين يسيطرون في البداية على كردستان التي حكموها بواسطة اسرة هيكان الارمنية التابعة لهم ، لتنتقل بعد ذلك الى اسكندر المقدوني ، لترجع بعد موته المفاجيء في بابل الى الاخمينيين الذين حكموها هذه المرة بواسطة الاسرة الارشاكية الارمنية ، ليسيطر عليها بعد ذلك اسكندر ابن مارك انطونيوس ، ولترجع بعد فترة الى الارشاكين الذين حكموها باسم الفرث تارة ، وباسم الرومان تارة اخرى ، ليأتي بعد ذلك دور الساسانيين الذين فرضوا سيطرتهم عليها في عهد الملكين اردشير وشاهبور ، ليرجع اليها الرومان ، ثم الساسانيون الذين تناوبوا السيطرة عليها مع البيزنطيين لغاية بزوغ فجر الاسلام .

ومنذ ذلك الوقت ثار اجداد الكرد مرارا ضد الملوك الاخمينيين والفرث والساسانيين^(٨) واليونان والرومان والبيزنطيين . ولشهادة الفيلسوف والقائد اليوناني زينفون قبل حوالي ٢٤٠٠ سنة مضت اهمية تاريخية خاصة بهذا الخصوص . فقد اشار زينفون في كتابه «أناباسيس» الى ما كان يتمتع به الكرد من استقلالية ، وكيف انهم «ما كانوا يخضعون للملك» ، كما اسهب في وصف ما عاناه جيشه على ايديهم اثناء انسحابه عبر اراضيهم . وفي حالات غير قليلة اضطر ملوك ايران الى ارسال جيوش جرارة الى

(٦) لم يكن هذا التطور النسبي السريع ناجما عن النمو الطبيعي الداخلي وحده ، فقد لعبت الهجرة من الريف ايضا دورها فيه .

(٧) حكم الاخمينيون ايران في الفترة الواقعة بين عامي ٥٥٠ و ٣٣٠ قبل الميلاد ، وحكمها الارشاكيون - الفرث من سنة ٢٥٠ قبل الميلاد حتى سنة ٢٢٤ بعد الميلاد ، ثم جاء دور الساسانيين الذين حكموها من سنة ٢٢٤ حتى سنة ٦٥١ ميلادية .

(٨) يرجع رشيد ياسمي ، الاستاد السابق بجامعة طهران ، أصل الساسانيين الى الاكراد ، وذلك في محاولة غير علمية منه ، وواضحة المقاصد (انظر . رشيد ياسمي ، كردويويستكي نژادی وتاریخی او ، تهران ، ص ١٦٥ - ١٧٤)

کردستان التي وقف اهلها دائما بوجه الغزاة، وكبدوهم افدح الخسائر^(٩). وفي العصر الوسيط ظهرت في ايران امارات كردية مستقلة، منها امارة الراودية التي كان مركزها في تبريز، وعاشت من مطلع القرن العاشر حتى سنة ١٠٧١^(١٠)، وامارة شوانكاره في اقليم فارس، والتي عاشت من مطلع العقد الرابع من القرن الحادي عشر حتى اواسط العقد السادس من القرن الرابع عشر الميلادي. كما كانت الاسرة الحاكمة في الامارة الشدادية التي ظهرت في اذربيجان سنة ٩٥١ كردية الاصل ايضا^(١١). دشن العهد الصفوي (١٥٠٢ - ١٧٣٦) بداية جديدة للتاريخ الكردي في ايران، تشغل الفواجع والاحداث الدموية معظم صفحاته. فان مؤسس الدولة الصفوية الشاه اسماعيل الصفوي (١٤٨٧ - ١٥٢٤) كان يرفض كل ما هو كردي، بحيث انه لم يتحمل حتى اولئك الامراء من الكرد الذين اتوه الى بلدة خوي لتقديم الولاء له، فامر بالقاء القبض عليهم جميعا، وعين مكانهم ولاية من اتباعه القزلباش^(١٢). وفي تعليق له على تلك الحقبة يقول المؤرخ الكردي المعروف محمد أمين زكي مانصه:

«وكان عهد الشاه اسماعيل وسيره في الكرد... عهد ظلم وعدوان شديدين، لان الكرد كانوا من أهل السنة، فكان لا يأمن جانبهم،

(٩) للتفصيل عن هذه المواضيع راجع:

Xenophon, Anabasis, Russian trans. by M. Maksimovich, Mosow - Leningrad, 1951, book III and IV;
Xenophon, The Persian Expedition, trans. by R. Warner, Baltimore, 1961, PP. 97 - 146; B. Nikitine, Les Kurdes, Russian trans. by I.O. Farizov, Moscow, 1964, PP. 238 - 243;

محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وکردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الان، ترجمة محمد علي عوني، الطبعة الاولى، القاهرة، ١٩٣٩، ص ٨٦ - ١٢٩؛ سرتيب علي رزم آرا، جغرافياى نظامي ايران. كردستان، ص ١.

(١٠) حسب المعلومات التي يوردها محمد أمين زكي تأسست الامارة الراودية عام ٤٢٠ هـ - ١٠٢٩ م، ودام حكمها حتى عام ٤٢٦ هـ - ١٠٣٥ م، فيما يؤكد كليفورد آدموند بوسورث انها ظهرت في بداية القرن الرابع الهجري - بداية القرن العاشر الميلادي، وعاشت لغاية عام ٤٦٣ هـ - ١٠٧١ م.

(١١) للتفصيل راجع:

محمد أمين زكي، المصدر السابق، ص ١٤٦ - ١٤٧؛

C.E. Bosworth, Op. Cit., NN. 36, 37, 39; Sharifli, O gosudarstve Ravadldov, - «Trudl Instituta istorii Akademii Nauk Azerbaidzhanskay USSR», Baku, 1957, N XI.

شريفلي، حول الدولة الراودية، - «أعمال معهد التاريخ التابع لأكاديمية علوم اذربيجان السوفيتية»، باللغة الروسية، باكو، ١٩٥٧، العدد الحادي عشر.

(١٢) رشيد ياسمي، كردويويستكي نژادي وتاريخي او، ص ٢٠٣.

ولا يثق بهم . . . ولهذا لم يكن يدع فرصة تمر من غير ان ينتهزها ويلحق فيها بالأكراد أذى كبيرا^(١٣).

وعرف العثمانيون كيف يستغلون ذلك لكسب الامراء الكرد الى جانبهم في صراعهم المصيري مع الايرانيين. فسرعان ما ثارت كردستان ضد الحكم الصفوي في كل مكان، حيث ابعد الثوار الحكام المواليين للشاه، وطرّدوا قواته حيثما وجدت. وعندما حاول الشاه اسماعيل استعادة ما فقدته من المناطق الكردية، جوبه بمقاومة شديدة اينما حل، مما كلف الاكراد ضحايا جسيمة. فان حصار قوات الشاه لمدينة ديار بكر الذي دام اكثر من عام واحد، أودى بحوالي ١٥ ألفا من سكانها. وطيلة العهد الصفوي تكررت هذه الصورة الدموية مرارا. فعندما زحف الشاه طهماسب الاول سنة ١٥٥٤ على كردستان فانه «لم يترك في الطريق الذي سلكه عامرا الا دمره». واعادت قوات طهماسب الكرة بعد أقل من سنة لتدمر من المدن الكردية بدليس وأرجيش وموش وغيرها «تدميرا كاملا، وتقتل من اهلها مقتلة عظيمة»، ليكمل رئيس حرسه من بعده عمله «على افطع وجه، وأشنع صورة»، فقد ارتكبت القوات الايرانية «من الاعمال الوحشية وضروب القسوة والفظاعة، ما أنسى الناس هول الاعمال البربرية التي اجترحها في هذه البلاد كل من هولاكو وتيمورلنك». وفي يوم واحد قتل رجال طهماسب ٤٠٠ من ابناء عشيرة دنبلي، ونفذوا حكم الموت بكل دنبلي كان يعمل في بلاط الشاه، مما أجبر من تبقى على قيد الحياة من دنبليين على اللجوء الى داخل الاراضي العثمانية^(١٤).

ولم تكن ممارسات الشاه عباس الاول (١٥٨٧ - ١٦٢٩) أقل قسوة من ممارسات أسلافه، بل انه في بعض الاحوال تجاوزهم الى حد كبير. فانه توجه بنفسه على رأس جيش كبير الى خوي، ومن هناك زحف على منازل عشيرة محمودي الكردية التي دافع رئيسها مصطفى بيك عن قلعة ماكوبيسالة، ولكن الجيش الايراني «عاث في ارض تلك البلاد فسادا، وغالى في النهب والسلب والتدمير، وقتل من الاهالي مقتلة عظيمة»، ونقل منهم بضعة الاف من النساء والاطفال الذين عوملوا معاملة الاسرى، كما يقر

(١٣) محمد أمين زكي، المصدر السابق، ص ١٧٤.

(١٤) للتفصيل عن احداث كردستان ايران في العهد الصفوي راجع:

شرف خان البدليسي، شرفنامه، الطبعتان الروسية (ترجمة ي. فاسيليفا، موسكو، ١٩٦٧) والكردية (ترجمة هزار، بغداد، ١٩٧٣)؛ محمد أمين زكي، المصدر السابق، ص ١٧٤ - ٢١٦؛ رشيد ياسمي، كردويويستكي نزاڊي وتاريخي او، ص ٢٠٧.

مؤرخ الشاه الشهير اسكندر منشي^(١٥). ومنذ كانون الاول عام ١٦٠٨ ضرب جيش الشاه حصارا محكما على الاكراد البرادوستيين في قلعة دمدم الشهيرة قرب اورمية، والذي دام عدة شهور «أصيب خلالها الجيش الايراني بضحايا كبيرة، وخسائر فادحة، بسبب مهاجمة الكرد لهم، ومباغتتهم ليلا في معسكراتهم المنبثة حوالي القلعة». ودافع الاكراد عن قلعتهم بقيادة أمير خان حتى ابعدوا عن آخرهم، إذ «لم يترك الاعجام من المقاتلة احدا، ولا من غير المحاربين، الا وقتلوه شرقتة»، لتتحول المأساة فيما بعد الى ملحمة اشاد بها المستشرقون، وتغنى بها الادباء^(١٦). ومما له مغزاه ان المناطق الخاضعة للنفوذ الايراني شهدت في الفترة ذاتها سلسلة من الانتفاضات الشعبية المشابهة لتلك التي وقعت في كردستان من حيث الدوافع والوقائع، منها انتفاضة طالش عام ١٥٩٣، وانتفاضة عربستان عام ١٥٩٦، وفي جورجيا الشرقية عام ١٦٢٣ - ١٦٢٤، وفي اذربيجان بقيادة كور اوغلو عام ١٦١٠ - ١٦٣٠.

لم تمر على مأساة دمدم سوى فترة وجيزة عندما زحف الشاه عباس بنفسه على رأس قواته ضد عشيرة مكري، فارتكب رجاله مذابح عامة في أفرادها، وغيرهم، إذ «لم يستثنوا احدا من القتل العام»، كما اسروا الافا من نساء المنطقة وأطفالها. وفي عهد الشاه عباس الاول ايضا تم تهجير ١٥ ألف اسيرة كردية الى منطقة خراسان^(١٧).

(١٥) أسكندر بيك تركمان منشي (١٥٦٠ أو ١٥٦١ - ١٦٣٤)، مؤرخ الشاه عباس الأول، ومؤلف الكتاب الشهير «تاريخ عالم آراي عباسي» باللغة الفارسية. للكتاب أهمية تاريخية كبيرة لان صاحبه كان شاهد عيان لمعظم الوقائع التي دونها، فقد رافق الشاه في غزواته وترحاله. سجل معظم أحداث كردستان في عهد الشاه عباس الاول بأسلوب غير ودي، كما فعل الشيء نفسه مع أحداث شيروان وجورجيا. وأولى أحداث وطنه اذربيجان جانبا كبيرا من اهتمامه.

(١٦) سجل القاصصان الكرديان عرب شميلوف ومصطفى صالح كريم أحداث ملحمة دمدم في قصتين لهما مكائنتهما المتميزة في الادب الكردي المعاصر. فقد ترجمت قصة شميلوف الى عدد من اللغات، بما فيها الروسية في العام ١٩٦٩. تقع الترجمة الروسية لدمدم في ٢٠٦ صفحات، وطبعت منها ٣٠ ألف نسخة. وصدرت من قصة «شهداء قلعة دمدم» للقاص مصطفى صالح كريم طبعتان حتى الان. كما نشر الدكتور اوردنيخان جليلوف دراسة مفصلة باللغة الروسية حول الموضوع نفسه. راجع:

O.J. Jalilov, Kurdski giroechiski epos «Zlоторuki Khan», Moscow, 1967, 206 PP.

راجع ايضا «بطولة الكرد في ملحمة قلعة دمدم»، اعداد جاسم جليل، ترجمة شكور مصطفى، تقديم ومراجعة الدكتور عز الدين مصطفى رسول، بغداد، ١٩٨٣.

(١٧) رغم كل فظائعه وقسوته تمكن الشاه عباس الاول من كسب عدد غير قليل من الزعماء الكرد باساليب مختلفة، فكرس إمكاناتهم الكبيرة لخدمة اغراضه التوسعية.

ورغم كل هذا الارهاب لم يستطع الملوك الصفويون فرض ارادتهم على كردستان التي ظلت مناطق واسعة منها تقاوم نفوذهم ، فيما تمتعت اجزاء اساسية منها باستقلال فعلي عن الشاه الايراني . ففي أواخر القرن السادس عشر، مثلاً، بلغت سلطات هه لو حان، زعيم اردلان، واستقلاليتها الكبيرة عن الشاه درجة «يصعب وصفها» على حد تعبير شرف خان البدليسي . كما تحدث مؤرخ الشاه عباس الاول المذكور عن القاب خان أحمد خان، الذي خلف والده هه لو خان في إمارة اردلان . فقد كان لديه جيشه الذي استعان به الشاه في حملاته، وكان في قصره الأميري يحيط به الشعراء الذين كانوا يتغنون بآثره . وبعد موت الشاه عباس بدأ خان أحمد خان يسك النقود باسمه، ويعين حكام منطقة واسعة تمتد من كرمنشاه حتى اورميه . ولكن لم يرق ذلك للشاه الايراني صفي الذي شن حملة ضده في العام ١٦٣٨ - ١٦٣٩ . ورغم المساعدات التي تلقاها من السلطان العثماني الا ان قوات خان أحمد خان اندحرت امام الجيش الايراني في معركة وقعت بين الطرفين على ضفاف بحيرة مريوان، فلجأ هوالى الموصل وبقي هناك الى ان وافاه الأجل^(١٨).

وفي كل الاحوال لم يلعب النضال الكردي، شأنه في ذلك شأن نضال الشعوب الايرانية الاخرى، الدور الاخير في اضعاف الدولة الصفوية، ومن ثم في سقوطها . إن ماعاناه الاكراد من مظالم نادرشاه الافشاري^(١٩) (١٧٣٦ - ١٧٤٧) لا يختلف كثيراً عما عاناه الاذربيجانيون في عهده^(٢٠) . فقد اقترفت قواته جرائم بشعة بحق اكراد موكريان وبوتان واريل والموصل، وكذلك بحق ابناء عشيرة دنبلي الذين امتشقوا السلاح بوجهه، واثاروا انتفاضة كبيرة ضد نظامه في اواسط العقد الخامس من القرن الثامن عشر، والتي امتد لهيبها الى خوي وسلماس وغيرهما من المناطق الكردية في ايران^(٢١) . وفي بعض المناطق لم ينسج حتى النساء والاطفال من مذابح تلك القوات . وفي تعليق له على مظالم نادرشاه بحق الشعب الكردي، يقول المؤرخ محمد أمين زكي :

(١٨) راجع :

«تاريخ خسرو بن محمد بني اردلان»، باللغة الفارسية، تحقيق وترجمة وتقديم ي . فاسيليفا، موسكو، ١٩٨٤، ص ٧٨ - ٧٩ من المقدمة الروسية، ٥٧ (٢٧ أ)، ٦٥ (٣١ أ) من نص المخطوط المنشور مع الترجمة الروسية.

(١٩) مع انه حمل لقب الشاه اعتباراً من ٨ آذار عام ١٧٣٦، الا ان السلطة الفعلية لنادرشاه بدأت قبل ذلك التاريخ بما لا يقل عن ستة أعوام .

(٢٠) للتفصيل راجع موضوع «حقائق عن النضال التحرري الاذربيجاني في ايران» .

'(21) «Vsemirnaya Istoria», Vol. V, P. 246.

«ولا يخفى ان معاملة نادرشاه للكرد لم تكن طيبة قط، فلهذا كان

الكرد يكرهونه أشد الكراهية، حتى انهم الفوا قصائد باللهجة

الكورانية الكردية في هجو نادرشاه، ونعتوه بالقسوة والغدر»^(٢٢).

ومن الجدير بالذكر ان نادرشاه قد اغتيل يوم ٢٠ تموز عام ١٧٤٧ أثناء حملته ضد اكراد خراسان الذين ظلوا شبه مستقلين مثل اخوتهم اكراد اردلان وشدلو وظفرانلو^(٢٣).

رغم اساليب البطش والحرمان ظل الاكراد يؤلفون، مثل الاذريجانين، قوة فاعلة

ومؤثرة في حياة ايران السياسية، الامر الذي تجسد بصورة خاصة في استيلاء محمد كريم

خان^(٢٤) زعيم عشيرة زند الكردية^(٢٥) على السلطة في ايران في اواسط العقد السادس

من القرن الثامن عشر. وهنا يسترعي الانتباه واقع ربما كان نابعا من وضع نفسي كامن

خلقه الاضطهاد المستمر في اعماق الكردي الايراني. فرغم ان كريم خان كان اعدل

حاكم ظهر في تاريخ ايران الحديث، والذي يسميه الاوربيون «الملك الصالح»^(٢٦)،

ورغم انه اصبح الحاكم الفعلي الوحيد لكل ايران منذ عام ١٧٦٠^(٢٧)، الا انه لم يحمل

لقب الشاه، بل سمي نفسه الوكيل^(٢٨)، في وقت اودع الزعيم الصفوي، الذي كان

يطالب بالعرش، السجن بعد ان ايده مع علي مردان خان قبل ذلك التاريخ.

لم يدم حكم الزنديين لايران طويلا. فبعد ان وافي الأجل مؤسسه كريم خان في

سنة ١٧٧٩ خلفه في الحكم من الزنديين من كانوا دون مستواه في كل شيء، الامر

الذي استغله الزعيم القاجاري آغا محمد خان، فتمكن من القضاء على الزنديين،

ليبدأ منذ عام ١٧٩٦ عهد جديد في تاريخ ايران الحديث يعرف بالعهد القاجاري.

عانى الجميع، دون استثناء، من قسوة القاجاريين، وتخلفهم، ومن واقع تحول

ايران الى شبه مستعمرة تابعة للدول الكبرى في عهدهم. فان آغا محمد خان، الذي

تحدثنا عن قسوته اللامتناهية في مكان آخر من هذا الكتاب^(٢٩)، دشّن عهده باراقة دماء

الزنديين دون هوادة، مع ان كريم خان زند كان قد اكرم وفادته باعتراف جميع

(٢٢) محمد أمين ركي، المصدر السابق، ص ٢٣٠.

(23) P Sykes, Op Cit , P 291

(٢٤) ولد عام ١٧٠٤ أو ١٧٠٥، وتوفي عام ١٧٧٩.

(٢٥) تقطن عشيرة زند في غرب وجنوب غربي ايران.

(26) «The Good King»

(٢٧) تستثنى من ذلك فقط منطقة خراسان التي كان يحكمها حفيد نادر شاه الضير شاه رخ.

(٢٨) كان يقصد به الوصي على العرش.

(٢٩) راجع موضوع «من تاريخ الحروب الايرانية الروسية».

المؤرخين، من إيرانيين وغربيين على حد سواء^(٣٠). فانه تزوج من شقيقته، وكان يستشير في الامور السياسية المهمة طيلة ستة عشر عاما قضاها «بين الصيد والتفكير» في شيراز عاصمة الزنديين.

ولكن اغا محمد خان الذي يصفه المؤرخ الايراني سعيد نفيسي كأنسان نحيف، قاس في تقاطيع وجهه، ، حاقدا في اعماقه، انسان لم يعرف العفو عن حقد عليهم، ولم يتردد في قتل أقرب أقربائه، واحب اصدقائه من أجل كرسي الحكم^(٣١)، قد تعدى الحدود في قسوته مع الزنديين، وكل من تعاون معهم. فبعد انتصاره في آخر موقعة له مع لطف علي خان، آخر حاكم زندي، أمر باحضار عشرين الف زوج من عيون اعدائه امامه. وعندما اتوه بخبر أسر لطف علي خان نفسه، أمر بقطع رؤوس ستة الاف من الاسرى الزنديين احتفاء بالمناسبة!^(٣٢). وقد بلغ المرض به درجة انه قام بنفسه بتقطيع سجادة نفيسة تركها كريم خان لانها، كما ذكر، كانت تذكره بمثوله امامه^(٣٣). كما نقل رفاته، مع رفات نادر شاه الافشاري، ودفنها امام عتبة قصره حتى يظهر بذلك عظمتة! ولكن هل كان بالامكان ان يتوقع من اغا محمد خان القاجاري أقل من ذلك، وهو الذي لم ينس ان ينتقم من بائع سمن شيرازي غشه في يوم من الأيام قبل ان يتبوأ العرش، والذي قتل شقيقه جعفر قلي خان لمجرد انه تجرأ وطالب بتوليته ولاية اصفهان بعد ان وقف باخلاص مشهود الى جانبه ايام صراعه من أجل السلطة، وقد خدع والدته، إذ بعد توسلاتها، عندما شكت في الامر، تعهد لها بانه لن يبقى شقيقه في طهران اكثر من ليلة واحدة لمهمة ضرورية، وفعلا نفذ ماوعدها، إذ لم يبق جعفر قلي خان اكثر من ليلة واحدة في عاصمة ملكه!^(٣٤).

وهنا يجب ان نشير ايضا الى ان اغا محمد خان تصرف بمثل تلك القسوة مع الزنديين مع ان عددا من المتنفذين الكرد في ايران وقفوا الى جانبه، منهم صادق خان زعيم عشيرة شكاك القوية، الذي كان يتبعه اكثر من ١٥ ألف مسلح، ومنهم ايضا خسرو خان، أمير اردلان، الذي «كان مستقلا في منطقة واسعة»، وتحول الى «سند

(٣٠) راجع على سبيل المثال:

سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ٤٦، ٥٥، ٥٧؛

J R Perry, Karim Khan Zand A history of Iran 1747 - 1779, Chicago - London, 1979, PP 146 - 147;

P Sykes, Op Cit, P 298

(٣١) سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ٥٢ - ٥٤

(٣٢) دكتور علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ٣٥

(٣٣) سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ٥٥ - ٥٦؛

P Sykes, Op Cit P 298

(34) J R Perry, Op Cit, P 147; P Sykes, Op Cit, PP. 295 - 296.

قوي لاغا محمد خان» على حد تعبير بيرسي سايكس^(٣٥). وعندما قتل اغا محمد خان داخل خيمته بشوش، وهو في طريقه للاغارة على جورجيا عام ١٧٩٧، حامت الشبهة حول صادق خان الشكاك في تدبير اغتيال الشاه لعدة أسباب، اهمها مطالبة بالعرش، وحمايته للحراس الذين قاموا بتنفيذ عملية الاغتيال، وانسحابه الى اذربيجان حيث فرض حكمه على عدد من مدنها^(٣٦). كما ان صادق خان كان على اتصال وثيق بالاذرييجانيين، وكذلك بالجورجيين الذين القوا مجلسا سريا منذ ايام الحملة الاولى للشاه القاجاري على بلادهم اتخذ قرارا يقضي بالتوصل بجميع الوسائل التي تحول دون عودة الايرانيين الى بلادهم، والعمل من أجل القضاء على اغا محمد خان، لاعتقادهم ان مجرد اغتياله يكفي لابعاد شبح الاحتلال الايراني^(٣٧). وبعد صدام مسلح قرب قزوین اندحرف فيه الشكاك امام قوات فتح علي شاه الذي خلف اغا محمد خان في العرش، جرى نوع من المساومة السياسية بين القاجاريين والشكاك لحل الازمة التي ظهرت بين الطرفين، وذلك بان اعاد صادق خان مجوهرات الشاه المقتول الى خلفه مقابل توليه حكم كرمروود وسراب^(٣٨).

وفي الوقت نفسه ظلت مناطق اخرى من كردستان ايران غير خاضعة لسلطات الشاه. فان الرحالة الاوروبيين الذين زاروا المنطقة في النصف الاول من القرن التاسع عشر، ومنهم مالكولم الشهير، والمقيم البريطاني في بغداد كلوديوس جيمس ريج صاحب الرحلة الشهيرة الى كردستان، وغيرهما، تحدثوا باسهاب عن نفوذ امير اردلان امان الله خان، الذي كان وضعه يشبه وضع الملوك، حسب وصفهم له. فباعتراف اكثر من شاهد عيان اجنبي لم يضاه في كل ايران قصر آخر قصر امان الله خان في سنج الصبورة، على حد تعبيره، لذا لم يخضع للشاه الا بالاسم فقط. ولم يكن مجرد صدفة ان توجه الشوار الهنود الى الشاه وامن الله خان على حد سواء طلبا للعون في نضالهم ضد البريطانيين.

ومن المفيد ان نشير الى ان خسرو خان، نجل امان الله خان، تزوج من وليه خانم، ابنة فتح علي شاه التي طغى نفوذها بعد انتقال الامارة الى زوجها. ومنذ ذلك

(35) P. Sykes, Op. Cit., P 291

(٣٦) راجع ايضا موضوع «من تاريخ الحروب الايرانية الروسية».

(37) Z.M Sharashenidze, Iran vo ftoroi polovine XVIII veka Tiflis, 1971, pp 34 - 35

ز.م. شاراشينيدزي، ايران في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ملخص رسالة دكتوراه. باللغة الروسية، تبليس، ١٩٧١، ص ٣٤ - ٣٥.

(٣٨) دكتور علي بينا، تاريخ سياسي ودبلوماسي ايران، جلد اول، ص ٥٣.

الوقت بدأ يحكم في كردستان «الغرباء الذين يتكلمون الفارسية» كما ورد نصا في مخطوط «تاريخ خسرو بن محمد بني اردلان» الذي يعود تأليفه الى ذلك العصر^(٣٩). ولئن مهد ذلك الطريق لناصر الدين شاه (١٨٤٨ - ١٨٩٦) ان يفرض عمه النشاط، الابن الخامس عشر لعباس مرزا نائب السلطنة الشهير، الحاج فرهاد مرزا معتمد الدولة حاكما على اردلان بعد وفاة امان الله خان الثاني بن خسرو خان سنة ١٢٨٤ هجرية (١٨٦٧ - ١٨٦٨ ميلادية)، الا ان منطقة هورامان رفضت الرضوخ لطهران «لتعارض ذلك مع طبع اهلها» حسب تعبير باسيل نيكيتين. وبصعوبة كبيرة تمكن معتمد الدولة من فرض سيطرته على تلك المنطقة التي ظل زعمائها يتمتعون بوضع شبه مستقل لفترة اخرى من الزمن^(٤٠).

تعكس انتفاضة الشيخ عبيدالله بن السيد طه الشمزيني^(٤١) عام ١٨٨٠ ذروة الاستياء الكردي من الحكم المتخلف للملك آل قاجار في ايران. فقد كان الشيخ يتمتع بنفوذ ديني ودينيوي كبير بين الاكراد في منطقة واسعة تمتد من بحيرة وان الى منطقة اورمية وخوي ومهاباد واردلان، وغيرها من المناطق التي كانت ٢٠٠ من قراها ملكا خاصا له^(٤٢). وحسب وصف كرزن ان الشيخ عبيدالله كان «يتصرف على طريقة الملوك»، فكان معدل من يزورونه في ديوانه يوميا يتراوح ما بين خمسمائة ولف شخص. ويقول ايضا انه كان يحلم بالانعتاق «حجرا اساسا للهجوم على حكومة... ايران

(٣٩) «تاريخ خسرو بن محمد بني اردلان»، ص ٩٣.

(40) B. Nikitine, Op. Cit , PP. 257 - 258.

(٤١) جاءه اللقب من اسم قرية شمدينان بمنطقة حكاري التي كان الشيخ يسكنها

(٤٢) للتفصيل عن الشيخ عبيدالله، وانتفاضته راجع:

اسكندر قوريانس، قيام شيخ عبيدالله شمزيني در عهد ناصر الدين شاه، به اهتمام عبدالله مردوخ كردستاني، تهران، ١٣٣٦ وردت في الكتاب، رغم عدم موضوعية مؤلفه، معلومات مهمة يمكن الوقوف من خلالها على جوانب مهمة من انتفاضة الشيخ عبيدالله وتائجها؛

Jalile Jalil, Vosstanie Kurdov 1880 goda, Moscow, 1966.

جليلي جليل، انتفاضة الاكراد عام ١٨٨٠، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٦٦؛

N A. Khalphin, Borba za Kurdistan, Moscow, 1963, PP 108 - 132, 134 - 144.

ن. أ. خالفين، الصراع على كردستان، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٦٣، ص ١٠٨ - ١٣٢، ١٣٤ - ١٤٤. نشر الدكتور احمد عثمان ابوبكر الترجمة العربية للكتاب في العام ١٩٦٩، وحلال احمد تقى ترجمة كردية له في العام ١٩٧٠.

الممقوتة»^(٤٣).

ولم يدفع الاضطهاد وحده ابناء الشعب الكردي في ايران الى الالتفاف حول الشيخ عبيدالله، بل انه، فضلا عن ذلك، كان في تعامله نموذجا يختلف تماما عن المسؤولين الايرانيين الذين تحولوا، بشهادة الجميع، الى عبء ثقيل على كاهل الناس. فقد تبين من المعلومات التي كانت تصل القنصل البريطاني في تبريز ان الشيخ جعل الموت جزاء لكل مرتش. وكما يقول القنصل في تقرير له عما اسماه «بالغزوة الكردية لايران»، ان الشيخ عبيدالله كان «رجلا مثقفا، حاول قدر المستطاع ان يتعلم أفكار واسلوب حياة المجتمعات المتحضرة». وكما تؤكد المصادر الارمنية، وغيرها، ان الشيخ لم يكن متعصبا من الناحية الدينية، الامر الذي جلب اليه عطف الارمن والاثوريين بقدر المسلمين^(٤٤). وقد جاء وصفه على لسان أرمني بهذا الاسلوب:

«انه كان انسانا رائعا، محبا للعمل، جذابا، مؤثرا، رقيقا وذكيا. انه دائما كان يبدي عطفًا ابويا تجاه اليتامى والارامل. ومن كل صوب كان الكرد يتقاطرون على شمدينان حتى يتحدثوا له عن مآسيهم، وما يتعرضون له من ضغط، ويستشيروه، ويستفتوه في قضايا الدين والدنيا. انهم كانوا يحترمونه، ويعتبرونه زعيما انسانيا، وعادلا».

سجل الشيخ عبيدالله بنفسه وقائع معينة من المظالم الايرانية التي دفعت الكرد الى الانتفاض بوجه طهران، وذلك في رسالتين مهمتين بعثهما الى المشر الامريكي في اورميه الدكتور كوهران الذي كان على افضل علاقة به^(٤٥). فقد ذكر الشيخ في اولى رسالتيه التي تحمل تاريخ ٢٥ أيلول ١٨٨٠^(٤٦) ان شجاع السلطنة نفذ حكم الموت بحق خمسين من اتباعه عام ١٨٧٩، والحق به من الاضرار ما يربو قيمتها على ١٠٠ ألف تومان^(٤٧)، كما عذب رجال الحكم الشخصية المعروفة في المنطقة فرج الله خان حتى الموت، وفرضوا غرامة قدرها ٢٠ ألف تومان على عبدالله خان وابراهيم خان من اشنو، واهانوا النساء. وردا على ذلك اعلن الشيخ انه ارسل «ابناءه على رأس قواته الى

(43) G N. Curzon, Persia and the Persian question, Vol I, P 553

(٤٤) للتفصيل حول الموضوع راجع

J Jalil, Op Cit , PP 52 - 72

(45) G N Curzon, Op Cit , P 554

(٤٦) للتفصيل عنهما راجع

J Jalil, Op Cit , PP 75 - 76, 105 - 107

(٤٧) مبلغ ضخيم للغاية حسب القوه الشرائيه السائدة ائذاك

ايران» للثأر عما لحق باخوانه من أضرار^(٤٨).

لعب الوضع الاقتصادي المزري دورا غير قليل في إثارة الاكراد. فقد تحدثت التقارير الدبلوماسية الروسية عشية انتفاضة الشيخ عبيدالله عن «الوضع المرعب» و «البؤس الكبير» الذي دفع الناس في كردستان الى ان «يقتاتوا على البلوط واوراق الشجر»، بل وحتى «على لحم الحمير»، مما جعل الدبلوماسيين يتوقعون «اضطرابات شعبية جدية» في المنطقة يكون الجوع أقوى دافع لها^(٤٩).

وبحكم هذه العوامل، وغيرها، ارتفع عدد المتذمرين الذين التفوا حول الشيخ عبيدالله بسرعة. وقد جاء في تقرير خاص رفعه القنصل العام الروسي في تبريز الى وزارة الخارجية ببطرسبورغ ان اكراد ايران «المعذبين والمسحوقين من قبل الادارة الفارسية... يستقبلون الشيخ باذرع ممدودة لمعانقته باعتباره محررا، وينتقلون الى جانبه افواجا»^(٥٠). لذا لم يكن غريبا ان ارتفع عدد انصار الشيخ عبيدالله في فترة وجيزة من حوالي ٣ - ٥ الاف شخص في البداية الى اضعاف مضاعفة^(٥١). وكما يشير الدكتور ن. أ. خالفين، مستندا في ذلك الى التقارير الدبلوماسية الخاصة التي تعود الى مطلع العقد التاسع من القرن التاسع عشر، ان بعض الاوساط العربية، بما في ذلك شريف مكة وخديوي مصر، أيدوا، كما اشيع، الشيخ عبيدالله الذي قيل عنه انه يمثل دور وهابي في المنطقة^(٥٢). وتشير تقارير اخرى الى تأييد بعض رؤساء العشائر العربية للشيخ عبيدالله^(٥٣).

تمكن الثوار من تحرير لاهيجان وسردشت في النصف الاول من ايلول عام ١٨٨٠. وبعد ذلك توجهوا نحو مهاباد^(٥٤)، التي حرروها ايضا. وفي ٢٣ ايلول دخلوا اوشنو، ثم دخلوا عشتاروخ بعد اربعة ايام فقط. وبعد ان حرروا مناطق اخرى بضمونها اورمية، اصبح الثوار على ابواب تبريز، مقر ولي العهد، فدب الذعر بين أهلها الذين

(48) N A Khalphin, Op. Cit , P 124

(49) Ibid, PP 108 - 111

(50) Ibid P 125

(51) Ibid, P 127 J Jalil, Op Cit , P 77, M S Lazarev, Kurdski vopros 1891 - 1917, Moscow, 1972, P 34

م. س. لازاريف، المسألة الكردية ١٨٩١ - ١٩١٧، موسكو، ١٩٧٢، ص ٣٤

(52) N A Khalphin, Op Cit , P 116

(53) Ibid, P. 126, J Jalil, Op Cit , P 91

(٥٤) كانت مدينة مهاباد تسمى يومذاك صاوجبولاقي.

عانوا من الجوع بسبب انقطاعها عن المناطق المجاورة، ونتيجة لجوء اعداد كبيرة من الناس اليها^(٥٥).

ان ناصر الدين شاه الذي كان يخشى توجه الثوار صوب العاصمة طهران، استعان بالروس والبريطانيين والعثمانيين لنجدته . . وكان القيصر الروسي سباقا للاستجابة لطلبه، فامر بتوجيه قطعات من جيشه الى منطقة نخجوان على الحدود مع ايران. وبطلب من الروس والبريطانيين ركز الباب العالي ايضا بعض القطعات على الحدود الايرانية^(٥٦). ورغم كل ذلك كانت صحافة لندن تؤكد ان انتفاضة الشيخ عبيدالله هي من عمل يد الروس، فيما كانت صحافة بطرسبورغ تؤكد عكس ذلك تماما، وتمد أصابع الاتهام الى البريطانيين. فان جريدة «ديلي تلغراف» اللندنية المعروفة اكدت في مقالة لها بعنوان «لماذا انتفض الكرد» ان «سبب الانتفاضة هوروسيا بالتحديد». بينما كتبت جريدة «قفقاس» الروسية ان الشيخ عبيد الله «نجح في دفع اكراد ايران للوقوف على اقدامهم بفضل تحريض الانكليز له». اما الصحافة الارمنية فانها كانت تؤكد ان الاتراك هم الذين يقفون وراء الانتفاضة الكردية^(٥٧).

كرست طهران جيشا كبيرا قوامه ٢٠ ألف رجل، ومزود بالمدافع، للقضاء على انتفاضة الشيخ عبيد الله^(٥٨). وفي الاخير حقق الايرانيون مبتغاهم بفضل تعاون الاجانب، وعدد كبير من الخونة المحليين معهم، فضلا عن ضعف التنظيم والتماسك في صفوف الثوار انفسهم. وقد لجأت قوات الشاه الى ابشع اساليب الارهاب بحق الاكراد اينما حلت. وهنا نكتفي بترجمة ماورد في تقرير دبلوماسي سري بهذا الصدد، اكد على ان قمع الانتفاضة رافقته مذابح دموية في كردستان ايران، مما ادى الى «مقتل الاف من الاكراد دون اعتبار للعمر والجنس، والى نهب وحرق اكثر من ٢٠٠ قرية كردية»^(٥٩).

بعد فشل الانتفاضة انسحب الشيخ عبيد الله الى داخل الاراضي العثمانية، و

(٥٥) بروفيسور و. مينورسكي، تاريخ تبريز، ترجمة وتحشية عبدالعلي كارنك، ص ٧١؛

N.A. Khalphin, Op. Cit., P. 127

(56) J. Jalil, Op. Cit., P. 84.

(57) Ibid, PP. 99 - 100.

(58) G.N. Curzon, Op. Cit., Vol. I, P. 554.

(٥٩) مقتبس من :

N.A. Khalphin, Op. Cit., P. 133.

«تحت ضغط اوروبي على الباب العالي» نقل الى استانبول في تموز عام ١٨٨١^(٦٠). ولكن رغم ذلك انه استقبل بحفاوة في العاصمة العثمانية، فقد خرج المسؤولون للقائه، وامتلات الشوارع بالناس، واطلقت المدافع بالمناسبة. الا ان الشيخ سرعان ما فهم انه ليس ضيفاً على السلطان، بل اسير لديه حسب تعبير س. ولسن^(٦١). وعلى هذا الأساس استمر الشيخ عبيد الله في اتصالاته السرية، خصوصاً وانه كان يعلم ان الظروف مازال مواتية لمواصلة نضاله. فان عوامل الاستياء والتذمر بين الشعب الكردي في ايران ازدادت بعد القضاء على حركته، وذلك بسبب قصر النظر السياسي لاوساطها الحاكمة. وربما يكفي ان نورد هنا ماورد في البرقية التي بعثها السفير الروسي في استانبول الى خارجية بلاده بصدد ذلك، فقد ذكر مانصه:

ان الحكومة الايرانية «ليست فقط لم تتخذ اي اجراء من شأنه التخفيف عن كاهل السكان الاكراد الذين ساء وضعهم بسبب الانتفاضة الاخيرة، بل انها تنوي فرض ضرائب جديدة عليهم»^(٦٢)

دبر الشيخ عبيد الله امر هربه من استانبول بذلك. فقد تحين فرصة حلول عيد الفطر، وعلن انه ينوي الاعتكاف للتعبد في غرفته طيلة فترة العيد، لذا لا يرغب في ان يتصل احد به، فيما انتقل سرا في اواسط آب ١٨٨٢^(٦٣) بواسطة سفينة فرنسية، وجواز سفر مزور، وبملايس تاجر تركي، الى ميناء بوتى الجورجي في طريق عودته الى كردستان. ولكن الشيخ لم يحالفه النجاح هذه المرة ايضاً، فقد اسر ثانية بعد مرور أشهر على هربه. واستجابة لطلب ناصر الدين شاه قرر السلطان عبد الحميد نفيه، مع افراد اسرته، الى مكة حيث وافاه الأجل في تشرين الاول عام ١٨٨٣^(٦٤).

(60) G.N. Curzon, Op. Cit., Vol. I, P. 554.

(٦١) للتفصيل راجع:

J. Jalil, Op. Cit., P. 93.

(62) N.A. Khalphin, Op. Cit., P. 134.

(٦٣) يشير كرزون الى ان الشيخ عبيد الله هرب من استانبول في آب عام ١٨٨٢، فيما يؤكد الدكتور جليلي جليل، مستنداً الى ما يذكره س. ولسن، ان الشيخ قد هرب في اواخر تموز من ذلك العام. وبما ان اليوم الاول لعيد الفطر عام ١٢٩٩ يصادف يوم السادس عشر من آب عام ١٨٨٢، لذا يكون التاريخ الاول هو الصحيح.

(64) G.N. Curzon, Op. Cit., Vol. I, P. 554.

حسب مصادر اخرى ان الشيخ توفي في المدينة المنورة (راجع: الدكتور بله ج شيركوه، القضية الكردية. ماضي الكرد وحاضرهم، القاهرة، ١٩٣٠، ص ٤٨). وقد وقع باسيل نيكيتين في خطأ كبير عندما كتب ان الشيخ ظل على قيد الحياة، وعاد للعيش مع نجله الشيخ عبدالقادر بعد انتصار ثورة الاتحاديين عام ١٩٠٨ (B. Nikitine, Op. Cit., P. 289)

لم يضع اختفاء الشيخ عبيد الله عن المسرح نهاية للنضال التحرري الكردي ، الذي اشتد اواره ثانية بعد مرور سنوات قليلة فقط ، وذلك «ردا على محاولات طهران للضغط على استقلالية الوطنيين الاكراد ، والتشديد في استغلالهم الاقتصادي»^(٦٥) . فقد ثار أبناء عشيرة دشت ضد تصرفات حاكم اورميه الامير جهانسوز مرزا ، وكان يقودهم حسوبيك وبدر بيك ولدي حسن بيك الذي لقي حتفه في السجن . وامتد لهيب انتفاضة دشت بسرعة الى مناطق واسعة في مهاباد وسردشت التي اضطر حاكمها الفارسي عزت الله خان الى ترك المدينة . كما هدد الثوار مدينة اورميه . وفشلت محاولات السلطات الايرانية في وضع حد لمقاومة الثوار الذين استمر نشاطهم لغاية أواخر عام ١٨٨٧ . فاضطرت حكومة ناصر الدين شاه الى الاستجابة لمطالبهم ، فابتعدت عزت الله خان ، حاكم سردشت ، وعينت مكانه أحمد بيك المكري ، كما نقلت الامير جهانسوز مرزا من اورميه وعينت مكانه حاكما من اهل المنطقة نفسها^(٦٦) .

وكان للکرد ايضا دورهم في أحداث الثورة الدستورية الايرانية ١٩٠٥ - ١٩١١ ، الامر الذي انعكس في واقعين متناقضين التقيا ، مع ذلك ، في نقاط اساسية من حيث دوافعها الكامنة . فان الجماهير الكردية وقفت في اكثريتها الساحقة الى جانب الثورة ، فيما وقفت اوساط كردية اخرى ، لها وزنها وتأثيرها ، في خندق آخر ، نحاول فيما يلي تقديم فكرة مركزة عنها .

لم يكن بالامكان ان تبقى القوى الوطنية الكردية المتذمرة دون حدود ، بعيدة عن آثار حركة ثورية استهدفت النظام القاجاري المتخلف . فتشير احدى وثائق «ارشيف سياسة روسيا الخارجية» التي تعود الى العام ١٩٠٧ ، الى اشتراك حوالي ٣٠ ألف مقاتل كردي في منطقتي خوي وماكوز ضد العصابات التي شكلها اعداء الثورة هناك بقصد ضربها . وتشير وثيقة اخرى من المجموعة نفسها الى «المساعدات الكبيرة» التي «قدمها الاكراد للثوار العاملين في مناطق اورميه وساوجبولاق (مهاباد) وسلماش»^(٦٧) ، وهي جميعها مناطق كردية . واسس الدستوريون عددا من الانجمنات في المدن الكردية كرمنشاه ومهاباد وسندج وسقز وبوكان وغيرها . وكان انجمن سقز من انشطها في ميدان المطالبة بالحقوق القومية للاكراد في ايران .

(65) N A Khalphin, Op. Cit., P. 145.

(66) Ibid, PP 145 - 146.

(67) M S Lazarev, Kurdistan i Kyrdskaya problema (90 - e godi XIX veka - 1917), Moscow, 1964, P. 118.

م. س. لازاريف ، كردستان والمشكلة الكردية (من تسعينات القرن التاسع عشر حتى العام ١٩١٧) ، باللغة الروسية ، موسكو ، ١٩٦٤ ، ص ١١٨ . حول الموضوع راجع ايضا : عبدالله رازي ، تاريخ مفصل ايران از تاسيس سلسلهء ماد . . . ، ص ٥١٨ - ٥١٩ .

ولكن في الوقت نفسه تمكن اعداء الثورة من كسب قطاع كردي مهم الى جانبهم .
ففي صراعه المستمر من اجل العرش استغل سالار الدولة ، شقيق محمد علي شاه
المخلوع ، علاقاته التي كونها في فترة ولايته لسندج ايام حكم والده مظفر الدين شاه ،
مع عدد من رؤساء عشائر كلهر وسنجاوى والجاف والزنگنه والمكري وغيرها .
طالب سالار الدولة بالعرش مرتين ، الاولى عندما وافى الاجل والده عام ١٩٠٧ ،
والثانية بعد الاضطرابات الواسعة التي اثارها عودة شقيقه المخلوع من المنفى في المرحلة
الاخيرة من عمر الثورة الدستورية . وفي المرة الثانية كان جل اعتماد سالار الدولة على
عدة الاف من المسلحين الكرد من اتباع داود خان كلهر وعلي خان اللرستاني
وغيرهما^(٦٨) . فاستقر في البداية في همدان . واتخذ لنفسه لقب ابو الفتح شاه قاجار ،
وأخبر السلطان العثماني بذلك^(٦٩) ، وأصدر أوامره للجميع بقطع علاقاتهم مع طهران
التي هدد بالزحف عليها . وعندما اندحر امام البختياريين ، المؤيدين للثورة ، توجه مع
أنصاره الى كردستان ، حيث احتل مدينة سندج التي اضطر حاكمها عبد الحسين مرزا
فرمان فرما ورجاله الى الانسحاب منها الى كرمنشاه . وفي ٣ أيلول ١٩١٢ أجبر سالار
الدولة المسؤولين الإيرانيين من انصار أحمد شاه ، فضلا عن الدستوريين ، على ترك
كرمنشاه ايضا ، او اللجوء الى بناية القنصلية التركية في المدينة^(٧٠) . وعندما يأس فرمان
فرما من وضع حد لتحركات سالار الدولة واتباعه استقال من منصبه برقيا^(٧١) .
اثارت نشاطات سالار الدولة في كردستان الروس والبريطانيين الذين طلبوا منه ان

(٦٨) للتفصيل راجع :

دكتور نوري الله دانشور علوي (مجاهد السلطان) تاريخ مشروطه ايران . جنبش وطن پرستان اصفهان
وبختياري ، نهران ، ١٣٣٥ ، ص ٨٦ - ١١٣ .

(٦٩) بعث سالار الدولة برقية الى السلطان العثماني يخبره بانه اعلن نفسه شاهاً على ايران ، الا ان
السلطان لم يرد على برقيته : راجع :

«وزارة الخارجية . العلاقات الدولية في عصر الامبريالية . وثائق ارشيفات الحكومة القيصريّة
والحكومة المؤقتة ١٨٧٨ - ١٩١٧» ، باللغة الروسية ، التسلسل الثاني ، المجلد العشرون ، الجزء
الاول (١٤ ايار - ١٣ آب ١٩١٢) ، موسكو - لينينغراد ، ١٩٣٩ ، ص ٢٢ .

(٧٠) استمرت تحركات سالار الدولة في كردستان لفترة اخرى بعد القضاء على الثورة الدستورية .

(٧١) «وزارة الخارجية . وثائق ارشيفات الحكومة القيصريّة والحكومة المؤقتة ١٨٧٨ - ١٩١٧» ،
التسلسل الثاني ، المجلد العشرون ، الجزء الثاني (١٤ آب - ١٧ تشرين الاول ١٩١٢) ، موسكو -
لينينغراد ، ١٩٤٠ ، الوثيقة رقم ٨٢١ .

يلقي السلاح، الا انه رفض الاستجابة لطلبهم^(٧٢)، واستمر في نشاطه لفترة اخرى من الزمن، الى ان اجبرته القوات الايرانية على ترك كرمنشاه، ثم سئندج وبقية المناطق الكردية، واضطرت في الاخير الى ان يلقي السلاح، وهرب الى داخل الاراضي الروسية^(٧٣).

ولكن يجب ان نشير هنا الى ان التفاف عدد كبير من رجال العشائر الكردية حول سالار الدولة لم يكن نتيجة علاقاته السابقة برؤسائها حسب، بل ان الامر كان يعكس بقدر اكبر من ذلك واقع الاستياء الكردي من النظام القاجاري. فان العديد انضموا الى جانب سالار الدولة لمجرد انه دعا الى الامتناع عن دفع الضرائب الحكومية، وخصوصا ضريبة الملح الممقوتة التي فرضتها طهران في العام ١٩١٠ بصورة غبية بمعنى الكلمة. فقد بلغ مقدار الضريبة الجديدة المفروضة على الانتاج المحلي من الملح حوالي ست مرات اكثر مما كان مفروضا على الملح المستورد. وحسب تعليق الخبير المالي الامريكي مورغان شوستر الذي استعانت به طهران لاصلاح وضع البلاد الاقتصادي المزري، لم يجن الفوائد من ضريبة الملح سوى «الجباة الذين سموا على حسابها»، ذلك لان ما جمعه هؤلاء كان اكثر بمقدار خمس مرات من الحد المقرر قانونا^(٧٤).

يورد لنا فرامرز بزرگر اسماعيل راين، الذي كان مفتشا ماليا في كردستان ايران قبل الحرب العالمية الاولى، معلومات لها مغزاها لما نحن بصدد توضيحه هنا. فهو يقول ان الناس غدوا يفضلون عدم استخدام الملح «على الرضوخ لهذا القانون المجحف»، بحيث ان مقدار ما بيع من الملح قد تقلص في بعض المناطق الى حد كبير جدا. ويؤكد المسؤول الايراني ان الاستياء من ضريبة الملح كان واحدا من العوامل الاساسية التي دفعت الناس في كردستان الى مناهضة الحكومة، والاشراك في حركة سالار الدولة «دون خوف أو إجبار». واخيرا يؤكد فرامرز بزرگر ان الاكراد لم يعتبروا قرار طهران بصدد الغاء ضريبة الملح بناء على اقتراح شوستر، مكسبا للمشروطة، بل «تصوروها نتيجة لسيرهم وراء سالار الدولة الذي أعفى الرعية من دفع الضرائب المالية الجديدة

(٧٢) المصدر نفسه، التسلسل الثاني، المجلد التاسع عشر، الجزء الثاني (١٤ كانون الثاني - ١٣

ايار ١٩١٢)، موسكو - لسيغراد، ١٩٣٨، ص ٤٥٣ - ٤٥٤، الوثيقة رقم ٥٠٨.

(٧٣) دكتور بورالله دانستور علوي، تاريخ مشروطه ايران، ص ١٢٥.

(74) W.M. Shuster, The Strangling of Persia, PP 33 - 34

للسالح . . . وكانوا يبدون ارتياحهم من نفوذه كانسان معتد بذاته»^(٧٥).
ومما يؤسف له حقاً ان يبريم خان، الزعيم الارمني البارز^(٧٦)، وأحد أجراء قادة الثورة الدستورية الذي لعب دوراً كبيراً من الجميع في خلع محمد علي شاه، لقي حظه على يد رجال العشائر الكردية من انصار سالار الدولة، وذلك في معركة وقعت بين الطرفين يوم ١٩ أيار عام ١٩١٢، الامر الذي ترك صدى كبيراً داخل ايران، بل وحتى في الخارج ايضاً^(٧٧).

ورغم القضاء على الثورة الدستورية، وانتهاء حركات سالار الدولة، الا ان الاستقرار لم يعد الى المناطق الكردية الايرانية عشية الحرب العالمية الاولى. وربما يكفي ان نشير هنا الى ان الحاكم الجديد الذي عينته طهران في اورميه بعد القضاء على المشروطية، لم يستطع ان يلتحق بمقر وظيفته من تبريز على مدى ثلاثة اشهر بسبب الفوضى التي كانت تسود المنطقة يومذاك^(٧٨).

وفي تلك الفترة ايضاً ظهر فوق المسرح السياسي والثقافي لكردستان ايران الشخصية البارزة عبدالرزاق بدرخان الذي تحول ديوانه العامر الى منتدى أدبي، ومركز التقاء الوطنيين^(٧٩). ففي اوائل العام ١٩١٣ اسس جمعية ثقافية في مدينة خوي، قامت بفتح اول مدرسة كردية في ايران من المبالغ التي تبرع بها اهالي المنطقة انفسهم. وقد

(٧٥) راجع:

موركان شوستر، اختناق ايران، ترجمه ابو الحسن موسوي شوشتری، با تصحيح ومقدمه وحواشي واسناد محرمانه منتشر نشده در ايران توسط: فرامرز بزرگر اسماعيل راين، جاب دوم، تهر، ان، ١٣٥١، ص ٩٣ - ٩٤.

(٧٦) يبريم (اويفريم) خان كان من ارمن تركيا، لجأ الى رشت في ايران حيث امتهن التجارة. انضم الى صفوف الشوارايام المشروطية بحماس. كان قوي التأثير، متواضعاً، كثير الاطلاع، وجريئاً للغاية.

(٧٧) «وزارة الخارجية. وثائق ارسيفات الحكومة القيصريّة والحكومة المؤقتة ١٨٧٨ - ١٩١٧»، المجلد العشرون، الجزء الاول، ص ٢٢، ٨٩ - ٩١، الوثيقة رقم ١٠٢؛

W.M. Shuster, Op. Cit., PP. 81, 86 - 87

(٧٨) راجع:

Academic V.A. Gardievski, Izbranie sochinenia, T I, Moscow, 1960, PP. 174 - 175.

الاكاديمي ف. أ. كاردليفسكي، الاعمال المختارة، باللغة الروسية المجلد الاول، موسكو، ١٩٦٠، ص ١٧٤ - ١٧٥.

(٧٩) للتفصيل عنه، وعن نشاطه راجع كتابنا المعنون «كردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى»، ترجمة محمد الملا عبدالكريم، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٨٤، ص ٥٠، ٦٤، ١٠٢ -

١٠٤

حاول عبد الرزاق بدرخان مرارا ان يحصل على مساندة الروس في صراعه ضد القاجاريين والعثمانيين الذين اضطر تحت ضغطهم ان يلجأ الى تبليس بجورجيا ، ومن ثم الى باريس .

في سنوات الحرب العالمية الاولى حاول الجميع ، وكل باسلوبه الخاص ، استغلال الاستياء الكردي لصالحه . فان رجال المخابرات الالمان شيونيان ونيدرماير وزوغهاير زاولوا نشاطا واسعا بين اكراد ايران ، وحققوا نجاحا ملموسا بينهم «لكونهم اكثر مسمي تلك البلاد تمحسا للدولة العثمانية بدافع مذهبي» على حد تعبير جورج لنشوفسكي^(٨٠) . ومن جملة اجراءات الالمان لكسب الاكراد انهم بدأوا يسعون أثناء الحرب لنشر بيانات دعاة الجامعة الاسلامية ، وسائر مطبوعاتهم في جميع ارجاء كردستان الايرانية^(٨١) . ومن الجدير بالذكر ان الروس كانوا يتابعون نشاط شيونيان بصورة خاصة ، وحاولوا الضغط عليه بواسطة اعوانهم من المسؤولين الايرانيين ورؤساء العشائر قبل ان تندلع نيران الحرب^(٨٢) . وفي سنوات الحرب ضاعفوا من متابعتهم لنشاطات شيونيان في منطقة كرمنشاه ، وقد شاطروهم في ذلك حلفاؤهم الانكليز ايضا ، اذ قدم السفيران الروسي والبريطاني طلبا مشتركا للسلطات الايرانية للقبض عليه^(٨٣) . وكان عملاء المانيا ، المزودين بعملات مختلفة من نقد ايراني واجنبي ، يجرون الاتصال بكبار الشخصيات ، ورؤساء العشائر ، ويصرفونهم بسخاء ، فتمكنوا من كسب العديد من الساسة من امثال مستوفي الممالك الذي وعد بالعمل من أجل وضع جيش ايراني تحت اشراف المارشال الالمانى فون دير غولتز (Von der Goltz) الذي عين قائدا عاما للقوات التركية العاملة في العراق في أواخر عام ١٩١٥ . وقد زار غولتز بنفسه المنطقة الكردية الايرانية في كانون الثاني عام ١٩١٦ ، وذلك لما كان يعلقه من آمال على الجيش الايراني الموعود^(٨٤) . وفي الوقت نفسه بلغت الدعاية التركية بين عشائر كاشان

(80) G Lenczowski, Russia and the West in Iran 1918 1948, New York, 1949, P 150.

(٨١) كان عملاء المانيا المنتبون في كل انحاء ايران يؤكدون في حملتهم الدعائية التصليبيه على تمسك الشعب الالمانى وامبراطورهم «الحاج وليم!» بتعاليم الاسلام راجع :

P Sykes, Op Cit , PP 442 - 443

(٨٢) «وزارة الخارجية . وثائق ارشيفات الحكومة القيصريه والحكومة المؤقتة ١٨٧٨ - ١٩١٧» ، المجلد التاسع عشر ، الجزء الاول ، ص ٣٠٩ ، الوثيقة رقم ٣٣٤ .

(٨٣) المصدر نفسه ، التسلسل الثالث (١٩١٤ - ١٩١٧) ، المجلد السابع ، الجزء الاول (١٤)

كانون الثاني - ٢٣ ايار ١٩١٥ ، موسكو - لينينغراد ، ١٩٣٥ ، ص ٥٢١ - ٥٢٢ ، الوثيقة رقم ٣٩٥

(84) P Sykes, Op Cit , PP 543 - 544

وكردستان حدا اثارث قلق المسؤولين الايرانيين^(٨٥).

ولكن لم يكن الاستياء الكردي المشروع بحاجة الى مثل هذه الانشطة حتى يعبر عن ذاته في الفرصة الجديدة التي واثت مع اندلاع نيران الحرب العالمية الاولى . ففي تلك السنوات خاض اكراد ايران حومة النضال بحماس ، ورفعوا السلاح ضد السلطات الايرانية والمحتلين الاجانب في العديد من المناطق . وقد برز في ميدان النشاط الوطني انذاك بعض المثقفين الكرد الايرانيين ، منهم افراد اسرة قاضي المعروفة في مهاباد ، والشاعر الشيخ بابا الغوث ابادي الذي اسس جمعية صغيرة وحاول الاتصال بالروس ، ولكن نشاط جمعيته ظل محصورا في نطاق ضيق لم يتعد الشاعر ، والبعض من أصدقائه المقربين .

ومن جهة اخرى خلقت مظالم المحتلين^(٨٦) ، بمختلف فصائلهم ، ردود فعل كبيرة بين اوساط كردية ايرانية مختلفة ، اضطرت للجوء الى السلاح دفاعا عن كرامتها . فقد قاوم سكان منطقة مهاباد الجيش العثماني ، ثم الجيش الروسي بنشاط ، تقودهم الشخصية المعروفة القاضي فتاح (١٨٣٢ - ١٩١٦) ، الاخ الاصغر لجد القاضي محمد المعروف .

وفي سنوات الحرب ، وبعدها مباشرة ، لعب الوطنيون الكرد دورا بارزا في الحركة الثورية التي انفجرت في منطقة كيان ، الواقعة في شمالي ايران ، بقيادة مرزا كوجك خان ، والتي دخلت التاريخ باسم «حركة الجنكليين» ، اي الغابيين ، فقد اتخذ الثوار من غابات كيان الكثيفة مركزا لنشاطهم .

كانت قيادة الحركة الجنكلية ، وقاعدتها تتألف من انتهاءات قومية مختلفة . ففضلا

(٨٥) «وزارة الخارجية وثائق ارسيفات الحكومة الفيصرية والحكومة المؤقتة ١٨٧٨ - ١٩١٧» ، السلسل الثالث ، المجلد السابع ، الجزء الاول ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ، الوثيقة رقم ١٥٨ .

(٨٦) رعم اعلان ايران الحياد ، الا ان اراضيها تحولت طبله سنوات الحرب العالمية الاولى الى ساحة قتال بين حيوس الجبهتين المتحاربتين ، مما في ذلك اراضي كردستان ايران التي إنطلقت منها السراره الاولى للحرب في ميدان الشرق الاوسط ، وقبل البحر الاسود ، حسب رأي المستشرق

الدكتور م س لازاريف (M S Lazarev, Kurdistan , P 299)

عن الكيلانيين^(٨٧)، اشترك في صفوفها عدد كبير من المتطوعين الذين اتوا من المدن والمناطق الاخرى، بما فيها العاصمة طهران، ومدينة تبريز الاذربيجانية، وبعض المناطق الكردية، وغيرها. وقد جمعت هؤلاء أهداف مشتركة تركزت خلال سنوات الحرب العالمية الاولى في النضال ضد المستعمرين والمحتلين، وفي مقدمتهم الروس والانكليز، ومن أجل ضمان الاستقلال السياسي الناجز لايران. فاقسم المشتركون في الحركة ان لا يخلقوا لحاهم حتى يتحقق مبتغاهم، مما تحول الى تقليد غالباً ما التجأ اليه الثوريون الايرانيون فيم بعد^(٨٨).

ومما كان يدفع الناس، وبشكل خاص الفلاحين، للالتفاف حول الحركة تأكيد قادتها على ضرورة العودة الى القيم الاسلامية الاصيلية، وتحويلها الى سلاح ماض للنضال ضد المحتلين الاجانب، والى حد أقل ضد المستغلين في الداخل. وقد الف الجنكليون منذ أواخر العام ١٩١٧ لجنة خاصة للاشراف على حركتهم باسم «اتحاد اسلام». ومن الجدير بالذكر ان الالمان والعثمانيين عملوا بنشاط في سنوات الحرب من أجل اذكاء الدعاية للجامعة الاسلامية في منطقة كيلان، لانهم كانوا يدركون امكانية توجيه ضربات الى اعدائهم الروس والانكليز بواسطة الجنكليين، فبعثوا عددا من الضباط الى منطقتهم كان من بينهم الضابط العثماني المقدم حسين افندي التبريزي الذي كان مطلعاً على المناطق والشؤون الكردية، خاصة لاشتراكه في المعارك الحربية التي وقعت بين القوات الروسية والعثمانية في كردستان^(٨٩). وقد تمكن الاتحاديون

(٨٧) يحتل اقليم كيلان المناطق المشرفة على السواحل الجنوبية الغربية لبحر قزوين. تبلغ مساحته حوالي ١٥ ألف كم^٢. يبلغ عدد سكان الاقليم اكثر من مليوني نسمة (حسب احصاء عام ١٩٦٦ بلغ تعدادهم مليوناً و٧٥٤ ألفاً). تعتبر رشت ولاهيجان من أهم مدن كيلان، التي تشغل غاباتها مساحة تربو على مليون ونصف مليون هكتار. تنتمي الكيلانية الى مجموعة اللغات الهندو-اوروبية. في الفترة من عام ١٣٧٠ حتى القرن السادس عشر كانت الاقسام الشرقية من كيلان تؤلف دولة مستقلة. في العام ١٥٩٢ تمكن الصفويون من فرض سيطرتهم الفعلية على الاقليم. انتفض اهل كيلان ضد الحكم الصفوي مرارا (في السنوات ١٥٧٠ - ١٥٧١ و ١٥٩٢ و ١٦٢٩). اشترك الكيلانيون بحماس في الثورة الدستورية في ٥ حزيران عام ١٩٢٠ اعلن عن تأسيس جمهورية كيلان في مدينة رشت، والتي قضت عليها القوات الايرانية في ٢٩ أيلول ١٩٢١. (٨٨) للتفصيل عن الحركة الجنكلية راجع.

ابراهيم فخرائي، ميرزا كوجك خان سردار جنكل، تهران، ١٣٤٤ شمسي؛

M.S. Ivanov, Ochirk. , PP 259 - 269, 279 - 285, 293 - 299.

(89) M N Ivanova, Natsionalno - osvoboditel'naya dvizhenie v Irane, Moscow, 1961, P 18.

م. ن. إيفانوف، حركة التحرر الوطني في ايران، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٦١، ص ١٨.

والألمان فعلاً من الاستفادة الى حد ما من الحركة الجنكّلية، حتى ان مرزا كوجك خان ارسل مجموعات من المجاهدين لمعاونة القوات التركية والالمانية في المناطق الاخرى، بما فيها منطقة كرمنشاه الكردية .

اشترك عدد غير قليل من الفلاحين الكرد بحماس في الحركة الجنكّلية، وتقاطرت مجموعات منهم على مركز الحركة مع اندلاع نيران الحرب مباشرة، وتحول خالوقوربان الى واحد من ابرز قادة الحركة المقربين من مرزا كوجك خان، كما برز عدد اخر من الاكراد في صفوف الجنكّليين، منهم كريم خان وقنبر خان وخالو حشمت وبابا خان الذي كان ينتمي الى خالوقوربان بصلة القرابة . وقد علا شأن خالوقوربان نفسه في صفوف الجنكّليين، حتى انه بلغ منصب قوميسير، أو ما يوازي درجة وزير الحربية، ولكنه انفصل في النهاية عن الحركة، ودخل سوق المساومات الرائجة آنذاك، وقتل اثناء اشتراكه في العمليات العسكرية التي جرت ضد سمكو، وهو شخصية بارزة اخرى لعبت دورا كبيرا في النضال التحرري الكردي الايراني بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى، الموضوع الذي نعود الى تفاصيله فيما بعد .

دخلت الحركة الجنكّلية مرحلة جديدة بعد انتصار ثورة اكتوبر، وانتهاء الحرب العالمية الاولى . فتم في الخامس من حزيران عام ١٩٢٠ تأليف جمهورية كيان . وبعد تنظيم صفوفهم تقدم الثوار الجنكّليون باتجاه قزوین . فاصدرت طهران الاوامر للقوزاق بمهاجمة الجنكّليين، الا انهم اندحروا أمامهم، واضطروا الى التراجع والتفرق في قرى قزوین . واقترب الخطر من العاصمة، حتى ان السفارة البريطانية إتخذت الاجراءات اللازمة لنقل مقراتها الى اصفهان، واغلق المصرف الشاهنشاهي فروعه في رشت وتبريز . ولكن القوات البريطانية المتمركزة في قزوین هي التي حالت دون تقدم الجنكّليين نحو العاصمة طهران^(٩٠) . وفضلا عن ذلك فان ضعف التحالف بين القوى الوطنية لمختلف القوميات الايرانية، أحدث ثغرة كبيرة في جبهة الجنكّليين، مما مكن من القضاء على حركتهم وجمهوريتهم في تشرين الاول عام ١٩٢١ . ولقي مرزا كوجك خان مصرعه في جبال طالش، وذلك اثناء مطاردته من قبل القوات الحكومية في أواخر تشرين الثاني من عام ١٩٢١، وقد قطع رأسه وجلب الى العاصمة طهران^(٩١) . لم يقتصر اشتراك الاكراد الايرانيين في حياة البلاد السياسية اثناء الحرب على

(٩٠) للتفصيل راجع :

حسن اعظام قدسي (اعظام الوزارة)، كتاب خاطرات من يا روشن سدد تاريخ صد سانه، جلد دوم، تهران، ص ١٠ - ١٣ .

(٩١) المصدر نفسه، ص ٧ .

الحركة الجنكلية، بل انهم اسهموا كذلك، وباشكال مختلفة في نضالات الايرانيين . فعندما احتدم صراع القوى الوطنية ضد حكومة وثوق الدولة التي الفت في آب ١٩١٦، وعرفت بمسؤولاتها للانكليز. ومن أجل اجبار تلك الحكومة على اجراء انتخابات جديدة، ودعوة المجلس للانعقاد، عقدت اجتماعات جماهيرية في مدينة كرمنشاه، رفعت فيها شعارات بهذا المعنى، وقد لعب الشاعر المعروف، الكردي القومية، ابو القاسم لاهوتي دورا بارزا في تلك الاجتماعات^(٩٢).

إثر انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية، وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى، دخل النضال التحرري لشعوب ايران مرحلة جديدة أنضج من السابق^(٩٣)، بما في ذلك النضال التحرري الكردي الذي تجسد يومذاك في سلسلة من الحركات والانتفاضات الجديدة انصبت، كالسابق، في مجريين متناقضين في الاهداف، ومتحدين من حيث العوامل المحركة الكامنة. فبعد الحرب ظهر سالار الدولة فوق المسرح من جديد، ولكن لم يقابل هذه المرة بنفس الحماس السابق من قبل حلفائه رؤساء العشائر الكردية، فأندحر امام القوات الايرانية، وهرب الى داخل الاراضي العراقية حيث اعتقل وابعد الى حيفا بناء على طلب الحكومة الايرانية التي وافقت على تزويده بامواله^(٩٤).

وقبل ان تضع الحرب اوزارها تحرك سردار رشيد، أحد احفاد امان الله خان الشهير، في منطقة اردلان، فاجتمع حوله عدد كبير من رؤساء عشائر موكريان وهورامان، والمناطق الكردية الاخرى، كما اقام الصلات مع الروس وسالار الدولة^(٩٥). وبسرعة امتد نفوذ سردار رشيد واعوانه الى كرمنشاه وسنندج، وأصقاع اخرى من كردستان ايران. ولكن الايرانيين تمكنوا من اعتقاله في شباط عام ١٩٢٠ بفضل مكيدة دبرها له شريف الدولة، حاكم سنندج انذاك. وفيما بعد ظهرت فرص جديدة امام سردار رشيد، لكنه لم يستطع ان يلعب دورا ملموسا في النضال التحرري الكردي في ايران الذي تجسد بعد الحرب بصورة خاصة في الانتفاضة الكبيرة التي قادها سمكو.

يرجع تأريخ بروز اسماعيل اغاشكاك، المعروف بسمكو، الى سنوات ما قبل الحرب العالمية الاولى، ولاسيما بعد ان قتلت السلطات الايرانية شقيقه الاكبر جعفر

(٩٢) راجع .

M.N Ivanova, Op Cit., PP 22 - 23

(٩٣) راجع موضوع «حقائق عن النضال التحرري الاذربيجاني في ايران» .

(94) P Sykes, Op. Cit., PP 430 - 431, 554

(٩٥) للتفصيل حول الموضوع راجع . علاء الدين سجادي، شورته كاني كورد وه كوردو كوماري عيراق (الوراث الكردية والكرد والجمهورية العراقية)، بغداد، ١٩٥٩، ص ٧١ - ٧٧

اغما غيلة في العام ١٩٠٥ لاتصاله بالثوريين الايرانيين . فمنذ ذلك الوقت أصبح سمكو على اتصال وثيق بعبد الرزاق بدرخان ، وبالروس الذين أشاروا الى اسمه ، ونشاطاته في وثائقهم الدبلوماسية مرارا^(٩٦) . وقد ورد عنه مانصه في تقرير روسي خاص :

«تقريباً منذ العام ١٩١٤ أصبح اسم سمكو معروفاً على نطاق واسع في الدوائر الدبلوماسية الروسية والبريطانية والايرانية والتركية . ففي سفارة كل واحدة من هذه الاقطار، وكذلك في وزاراتها الخارجية، يوجد ملف كبير عن سمكو»^(٩٧) .

ومن اجل «ان تبقى الابواب جميعها مفتوحة امامه» ، حسب تعبير مارتن فان برونسن ، تبنى سمكو في سنوات الحرب العالمية الاولى سياسة تميزت بهدوء نسبي^(٩٨) . ولكن بعد انتهاء الحرب تحول سمكو الى ابرز عنصر في النضال التحرري الكردي الايراني الذي تعمق مضمونه ، وتحددت أهدافه اكثر، ليتحول الى ظاهرة بارزة في تاريخ ايران السياسي ، خصوصاً بعد ظهور رضا خان (الشاه فيما بعد) فوق المسرح ، والذي تبنى سياسة لاديمقراطية تجاه المسألة القومية الملتهبة دائماً بحكم واقع ايران . رغم الاخطاء التي ارتكبها سمكو بحق الاثوريين والاذريجانين^(٩٩) ، الا انه كان واضحاً في موقفه من الحقوق المشروعة لاهل جلدته ، الأمر الذي جعله في خندق معاد لطهران بصورة ثابتة . وان الاسم الذي اختاره لجريدته التي كان يصدرها في اورميه يغني عن الخوض في تفاصيل هذا الجانب من الموضوع ، فقد سماها نصاً «روز كرد شه و عه جه م» ، اي «نهار الكرد ليل العجم»^(١٠٠) .

(٩٦) راجع على سبيل المثال :

«وزارة الخارجية . وثائق ارشيفات الحكومة القيصريّة والحكومة المؤقتة» ، التسلسل الثاني . المجلد العشرون ، الجزء الاول ، ص ٥٥ ، ٧٧ ، الوثيقتان ٦٢ و ٨٠ .

(97) «Ismail Aga Simko i plemia Shkak», P. 1

«اسماعيل اغا سمكو وعشيرة شكاك» ، تقرير خاص باللغة الروسية ، ص ١ . في العام ١٩٦٨ زودني الاخ الدكتور علي كلاويز ، القابع الان في السجون الايرانية ، بنسخة من هذا التقرير .

(98) M. Van Bruinessen, Kurdish Tribes and the State of Iran. The case of Simko's Revolt, P. 18

(٩٩) قتل البطريك الاثوري مار بنيامين شمعون مع عدد كبير من رجاله بعد اللقاء به يوم ٣ آذار عام ١٩١٨ ، كما تصرف بقسوة مع الاذريجانين في بعض المناطق .

(١٠٠) غير سمكو اسم الجريدة فيما بعد الى «روز كرد» (نهار اوشمس الكرد) ، ثم الى «كرد» وحده . وقد كتب فوق اسم الجريدة «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا» . للتفصيل عن الموضوع راجع :

محمد تمدن ، اوضاع ايران در جنگ اول . تاريخ رضائية ، تهران ، ص ٣٧١ - ٣٧٢ .

باشر سمكو حركاته الفعلية منذ اواسط العام ١٩٢١ ، وقد شملت منطقة واسعة في غربي بحيرة اورميه . وفي البداية تمكن سمكو من فرض سيطرته على مدينة اورميه التي تحولت عمليا الى مقر له . بعد ذلك توجهت قوات سمكو الى مدينة مهاباد التي دخلتها يوم السابع من تشرين الاول بعد ان تمكنت من دحر قوة كبيرة من الجندرمه كان يقودها ملك زاده . وفي غضون فترة وجيزة حرر الثوار مدن سلماش وخوي وسلدز وسقز وبانه ، وغيرها من المناطق (١٠١) .

وبما ان طهران لم يكن بوسعها القضاء على انتفاضة سمكو بواسطة قواتها الخاصة ، لذا استعانت ببعض المتنفذين لتحقيق ذلك ، منهم خالو قوربان الذي تمكن رضا خان من شراء ذمته ، ومنهم ايضا الامير الكردي الموالي لطهران أمير أرشد الذي منحه رضا خان لقب سردار ، اي العميد او الزعيم . وقد توجه الاخير على رأس عدة الاف من المرتزقة المسلحين نحو مهاباد ، وانتصر في عدد من المعارك التي خاضها ضد الثوار في تشرين الثاني ١٩٢١ . وفي ١٥ كانون الاول تمكنت قوة مشتركة من اتباع امير ارشد والجندرمه والقوزاق من اعادة احتلال مهاباد . وبعد مرور عشرة ايام فقط شن الثوار هجوما مضادا واسعا ، فاستعادوا كل المناطق التي فقدوها ، ووقعوا خسائر جسيمة بالقوات المعادية ، كما لقي أمير ارشد جزاءه في المعارك الاخيرة (١٠٢) . وفيما بعد قتل خالو قوربان ايضا على يد انصار سمكو (١٠٣) .

وعلى هذا المنوال استمر الصدام بين الطرفين حتى اواسط تموز من العام التالي ، عندما تمكنت القوات الحكومية من الحاق الهزيمة بالثوار ، واحتلال مقرهم الرئيس في جهریق ، فلجأ سمكو الى داخل الاراضي التركية ، ومن ثم الى داخل الاراضي العراقية ، حيث أجرى اتصالا مباشرا بالبريطانيين الذين يستحق موفئهم من سمكو

(١٠١) أحمد شريفی ، عشاير شکاک و شرح زندکی انها به رهبری اسماعیل اغا سمکو ، تهران ، ١٣٤٨ . ص ٤٢ - ٤٣ ؛

Wilber Riza Shah Pahlavi Resurrection and reconstruction of Iran, New York, 1975, P 59.

(102) D N Wilber, Op Cit , P 59; «The Near East and India», London, Vol xxi, No 556, January 5, 1922, PP 2 - 3, No 557, January 12, 1922, PP 38 - 39

(١٠٣) ابراهيم فخراني ، مرزا كوجك خان سردار حنكل ، ص ٣٤٧ ، عدلی سه نحوه ری ، له بیاوه ناوداره كانی كورد میرزا كوجك خان ، - جریله «زین» ، السلیمانیه ، العدد ٣٢ ، تسوز ١٩٧١

بعض التمعن . فقبل كل شيء ان الصحافة البريطانية التي كانت تعتبر مكوروين هود الشرق ، ولصا^(١٠٤) ، رحبت بانتصار القوات الايرانية عليه^(١٠٥) . ولكن التعبير عن موقف الانكليز المناور جاء بصورة ادق على لسان آدموندس ، الذي كان يومذاك حاكم كركوك السياسي ، وجرى الاتصال بسمكو عن طريقه . فقد كتب آدموندس فيما بعد يقول :

« . . . انه اندهش لدى اهتمامنا بالفرس ، رغم انهم كانوا يتعاونون على طول الحدود مع الاتراك الذين طردونا من راوندوزورانيه ، والذين كانوا لا يزالون يحاربونا علنا . وفي حالة عكس ذلك انه ما كان يرغب في طلب اللجوء ، بل كان يرجع الى عشائره ليعمل بوحده»^(١٠٦) .

وهذا ما حصل فعلا . فان سمكو الذي اصيب بخيبة كبيرة من سياسة البريطانيين^(١٠٧) ، عاد الى كردستان ايران في العام ١٩٢٤ ، ليوالي صراعه من جديد ، وعلى مدى أشهر ، اضطر بعدها الى ترك المنطقة ثانية تحت ضغط القوات الايرانية ، لتنتهي بذلك المرحلة الاولى من حركات سمكو التي كلفت طهران ثمنا غاليا جدا^(١٠٨) . ولم يكن عبثا ان رضا شاه لم يستطع ان ينسى طينة حياته «الاکراد العنودين» . . . وقائدهم سمكو الذي قدر له ان يكافح ضده في مجرى صراعه من اجل السلطة» على حد تعبير بيتر افري^(١٠٩) .

(١٠٤) راجع . «The Near East and India», Vol. xxx III, No. 868, January 5. 1928, P 2

(١٠٥) راجع :

«The Near East and India», Vol. xxi, No. 557, January 12, 1922, P 39

(106) C J Edonds, Kurds, Turks and Arabs Politics travel and research in North - Eastern Iraq, London, 1957, P 307

(١٠٧) راجع عن رأي سمكو الشخصي في الانكليز ، وعدم ثقته بهم في مذكرات أحمد نفي الذي رافقه لفترة من الزمن «حده باتي كه لي كورد له يادداشتنه كاني نه حمه ته في دا . لاه ره يه كه له شورشه كاني شيخ محمود وسمكو وه ستانه كه ي ره واندز» ، ريخستن وثاماده كردني بوجاب وجه لال ته في . به غدا ، ١٩٧٠ ، ص ٧٠ .

(108) «THE Near East and India», Vol. xxii, No. 588, August 17 1922, P 202, No. 591, September 7, 1922, P 307; O S. Melikov, Ustovnenie dictaturi Riza Shaha v Irane, Moscow, 1961, PP. 88, 90. أ. س . ميليكوف ، اقامة دكتاتورية رضا ساه في ايران ، باللغة الروسية ، موسكو ، ١٩٦١ ، ص ٨٨ ، ٩٠ .

(109) P Avery, Modern Iran, P 387

استمرت حركات سمكويين مد وجزر لمدة ست سنوات اخرى، رافقتها تحركات موضوعية اخرى كانت تعكس بدورها التذمر الشديد من اجراءات طهران اللاديمقراطية. ففي أواخر آذار ١٩٢٩ وقعت اضطرابات قرب مهاباد احتجاجا ضد «محاولة حكومة ايران ارغام الكرد على ارتداء الملابس الافرنجية، ولبس القبعة البهلوية» حسبها أفادت الصحف الاجنبية. وقد اضطر رضا شاه الى ارسال قوة قوامها اربعة الاف رجل للقضاء على معارضة المهاباديين الذين تمكنوا من اصابة قائد الحامية الايرانية في اذربيجان. وقد تمكنت القوات الايرانية من قمع الحركة التي اضطر عدد من قادتها الى اللجوء للاراضي العراقية^(١١٠). وتمادت سلطات الشاه في سياستها الارهابية في كل مكان، وتمكنت في الاخير من تدبير مؤامرة بمدينة اشنوفي اواسط تموز سنة ١٩٣٠ أودت بحياة سمكومع عشرة من اعوانه^(١١١). وفيما بعد نقلت رفاته الى قرية جهريق التي اندلعت منها الشرارة الاولى لانفجاضته^(١١٢).

بعد القضاء على انتفاضة سمكوا أعلن احد مقربي رضا شاه، المدعو علي دشتي، امام البرلمان الايراني انه «لا توجد في ايران مشكلة باسم المشكلة الكردية، فان الاكراد هنا لا يعانون كأقلية قومية»^(١١٣). ومنذ ذلك الوقت بدأت فترة جزر في النضال التحرري الكردي. فان كردستان ايران لم تشهد على مدى العقد التالي سوى بعض الحركات المسلحة الصغيرة، منها، مثلا، الحركة التي قادها جعفر سلطان الذي اضطر

(110) «Report by His Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the League of Nations on the administration of Iraq for the year 1929», London, 1930, PP. 39 - 40;

«العالم العربي» (جريدة)، بغداد، ٣ نيسان ١٩٢٩.

(١١١) «العالم العربي»، ٢٣ تموز ١٩٣٠.

(١١٢) يتمتع سمكوبحب كبير بين الاكراد. ومن الجدير بالذكر ان احد فصائل الانصار في كردستان الايرانية حاليا تحمل اسم سمكو، ويقودها نجله طاهر خان الذي يبلغ من العمر حوالي ٧٠ عاما.

(١١٣) «محضر المجلس الايراني في ٢٢ تشرين الاول ١٩٣٠» (مقتبس من:

R.Qazi, Kurdistan democrat partiaci Iran Kurdistanında Kurd Khalgının milli azadlıg harakatının rahbarı va tashkilatıcı 1945 - 1946, Baku, 1954, P. 107

رحيم قاضي، الحزب الديمقراطي الكردستاني منظم وقائد حركة التحرر الوطني للشعب الكردي في كردستان ايران، باللغة الاذربيجانية مع ملخص باللغة الروسية، رسالة دكتوراه، باكو، ١٩٥٤، ص ١٠١؛

الى اللجوء الى داخل الاراضى العراقية في اواسط كانون الثانى عام ١٩٣٢^(١١٤).
في العقد الرابع ، عندما تمكن رضا شاه من تثبيت دعائم نظامه الدكتاتوري ،
تفاقت شوفينية طهران تجاه الشعوب غير الفارسية ، بضمنها الشعب الكردي ،
فامتلات سجون البلاد بالوطنيين ، بمن فيهم عدد من رؤساء العشائر ممن وقفوا ،
بصورة اوباخري ، ضد الحكم البهلوي الجديد الذي كان إمتدادا للحكم القاجاري
في العديد من النقاط والامور^(١١٥). ولا ينكر ان اهم عامل دفع رؤساء العشائر الى
الجهة المعادية للسلطة كان يكمن في استيائهم الشديد من السياسة المركزية
الجديدة للسلطة ، الا ان الشعور القومي لعب ايضا دوره بالنسبة لقسم منهم ، والا
فان النظام البهلوي احتفظ بجوانب اساسية من العلاقات الاقطاعية السابقة . فان
قانون الارض الذي صدر عام ١٩٢٨ رغم ما تركه من آثار مباشرة على كيان النظام
العشيري ، الا انه ثبت في الوقت نفسه سيطرة الملاكين على الارض ، ولم يؤثر الا
في حدود ضيقة على علاقات الملكية ، واساليب استغلال الارض التي كانت قائمة
قبل ذلك التاريخ . ثم ان سياسة رضا شاه هذه ، التي عرفت بـ «تخته قابو» ،
استهدفت القضاء على حياة التنقل بين العشائر الايرانية ، فافقدت الرعاة جانبا كبيرا
من قطعانهم ، بل ان قسما منهم فقدوا الحياة بسبب الصعوبات التي جابهتهم ، لذا
نراهم يتحولون الى وقود لكل حركة تعادي عرش الشاه . وفعلا شهدت الارياف
التابعة لسندج وهورامان ومريوان سلسلة من الانتفاضات الفلاحية الموضعية في
الفترة الممتدة بين عامي ١٩٣٦ و ١٩٣٩ ، والتي كان ينقصها التنظيم والترابط فيما
بينها ، مما سهل امر القضاء عليها من جانب القوات الايرانية بقيادة الجنرال أمير
أحمدي ، الذي لم يتوان في اراقة دماء الابرياء دون هوادة^(١١٦).

وكما تشير بعض المصادر^(١١٧) قامت السلطات الايرانية بشنق ما لا يقل عن ١٢٠
كرديا داخل السجون في الفترة الممتدة بين عامي ١٩٣٤ و ١٩٤٠ . وقد انعكست
اثر هذه السياسة الشوفينية على الوضع الثقافي والصحي والاجتماعي للشعب
الكردي في ايران . فلغاية الحرب العالمية الثانية لم توجد في جميع الاقسام الشمالية

(١١٤) راجع : «العراق» (جريدة) ، بغداد ، ٢٩ كانون الثاني ١٩٣٢ .

(١١٥) للتفصيل راجع موضوع «رضا المازندراني والعرش الايراني» .

(116) R. Qazi, Op. Cit , P. 111

(١١٧) في ذكر الحقائق المتعلقة بالاضطهاد القومي الذي عاناه الشعب الكردي في ايران قبل
تأسيس «جمهورية مهاباد ذات الحكم الذاتي» استندنا بالاساس الى اطروحة الدكتور رحيم قاضي
التي ورد ذكر تفاصيلها في الهامش رقم ١١٣ .

من اقليم كردستان، التي تتألف من مدن سردشت وسقز ويانه ومهاباد واشنولاهيجان ونغدة وبوكان وغيرها، اكثر من مدرسة ثانوية واحدة، مع ان عدد سكان هذه المنطقة الواسعة كان يربو آنذاك على حوالي مليون شخص. اما في منطقة مهاباد وقراها الستمائة والخمسين فكانت توجد خمس مدارس ابتدائية فقط.

ولم تكن الحالة الصحية في كردستان ايران احسن من وضعها الثقافي. فقد خصص لجميع سكان منطقة مهاباد، البالغ تعدادهم آنذاك حوالي ٢٠٠ ألف نسمة، مستشفى واحد، بلغ عدد اسرته ٢٠ سريراً فقط. وباعتراف صحيفة «كيهان» شبه الرسمية في كانون الثاني عام ١٩٥١ بلغ عدد اسرة مستشفيات منطقة كرمنشاه، اكثر مناطق كردستان الايرانية تطوراً، حوالي عشر الحاجة الفعلية للمنطقة على اكثر تقدير. ولم يكن ذلك سوى نتيجة طبيعية لسياسة التمييز المتبعة تجاه الانسان الكردي الذي بلغ نصيبه من المخصصات الصحية، باعتراف الصحيفة نفسها، ١٪ فقط من نصيب الفرد في بعض المناطق المتطورة من ايران. لذا لم يكن اعتباراً ان اعترفت صحيفة «سندج» في عددها الصادر يوم ٢٢ خرداد ١٣٣١ انه «لم يطرأ اي تغيير على وضع كردستان قياساً مع ماكانت عليه قبل ٦٠ عاماً». وهذا لايعني، بالطبع، ان الوضع كان افضل بالنسبة للاذربيجانيين، أو العرب والبلوج وغيرهم. ومن المفيد ان نشير بهذا الخصوص الى انه لغاية عام ١٩٤١ لم توجد في ايران وزارة للصحة، بل ان مديرية تابعة لوزارة الداخلية هي التي كانت تشرف على كل مايتعلق بالامور الصحية لايران التي قدرت إمكاناتها الطبية بأقل من ١٪ من الحاجة الفعلية للسكان^(١١٨).

وفي عهد رضا شاه مارست السلطات الايرانية سياسة التهجير بالنسبة لاقسام مهمة من ابناء عشائر كلباغي وجلالي وبيران، وغيرهم، الذين نقلوا الى سلطان آباد وكرمان وشيراز في العام ١٩٣٥. وكان يجري نقل هؤلاء في أسوأ الظروف. فباعتراف الضابط الذي أشرف على نقل أفراد عشيرة كلباغي القاطنة في المنطقة الواقعة بين سنندج وسقز، لقي جميع الاطفال والنساء، وعدد كبير من الرجال حتفهم في الطريق^(١١٩).

وفي السنوات الاخيرة من حكم رضا شاه اشتد الاضطهاد القومي بالنسبة لسائر شعوب ايران غير الفارسية. ففي كردستان، مثلاً، حاولت السلطات منع استخدام اللغة الكردية، خاصة داخل المدارس، وفي الدوائر الحكومية، كما جرت محاولات

(118) «Sovrimenay Iran», P. 519.

نسرية لمنع ارتداء الملابس القومية ، فكان رجال الشرطة يداهمون حتى المساجد
لاجبار القرويين على ترك ملابسهم القومية . كما غيرت اسماء عدد كبير من المدن
والقرى الكردية الى اسماء فارسية ، فغير اسم مدينة اورميه المعروفة الى رضائية ،
وسلماس الى شاهبور ، وسايه نقه لا الى شاهيندير ، وجومي جه غه توالى زرينه رود .
امتدت اثار هذه السياسة المتعصبة الى الناحية الاقتصادية ايضا . فقد اتبعت
طهران سياسة تمييز واضحة المعالم في الحقل الاقتصادي بالنسبة للمناطق غير
الفارسية من ايران . ففي السنوات العشر الاخيرة من حكم رضا شاه جرى تأسيس ٤٠
معملا للغزل والنسيج ، و ٨ معامل لصناعة السكر ، وعدد كبير من المحالج ومعامل
تنظيف الحبوب ، وصناعة السكاثر ، وغير ذلك لم يكن نصيب اذربيجان وكردستان
منها سوى معملين صغيرين لصناعة السكر ، اسس احدهما في ميانداو ، والاخر في
شاهاباد ، هذا مع ان هذين الجزئين من البلاد كانا ، ولا يزالان يحتلان مكان الصدارة
من حيث الانتاج الزراعي ، كما تأتي كردستان على رأس المناطق المنتجة للتبوغ في
ايران . ومن الجدير بالذكر ان رضا شاه نفسه كان يمتلك اراضي زراعية واسعة في
ميانداو وشاهاباد والمناطق المجاورة لهما .

أثارت سياسة الاوساط الحاكمة جميع الطبقات والفئات الاجتماعية في
كردستان ايران ، وتحول ذلك الى العامل الاهم لتحديد ابعاد النضال التحرري
الكرد في تلك المرحلة التاريخية من تطوره . وقد عبر قاضي محمد فيما بعد عن
ذلك بجلاء في العديد من خطبه ومقالاته^(١٢٠) .

وهكذا كانت جميع عوامل التحرك ، والانفجار الداخلية متوفرة في كردستان ايران
عشية اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية ، ولكن الحكم الدكتاتوري البهلوي حدد
من امكانية بروز نتائجها فوق السطح الى أقصى حد . ولم يقتصر ذلك على اقليم
كردستان ، بل تحول الى ظاهرة عامة امتدت اثارها الى ايران بأسرها ، إذ لم يبق في
أي جزء منها أدنى مجال للنضال السياسي العلني ، وحتى السري ، بحيث اضطرت
القوى الوطنية للاختفاء عن المسرح السياسي خلال هذه الفترة . ففي كردستان ايران
لم تظهر خلال عقدين من الزمن سوى منظمة صغيرة باسم «حزبي ئازاديخواي
كوردستان» (حزب التحرر الكردستاني) التي تزعمها عزيز زندي الذي كان من ابرز
مثقفي كردستان ايران يومذاك . إتصل زندي بعدد من رؤساء العشائر الليبراليين ،
ومثقفي منطقة مهاباد ، وحاول الاتفاق مع ارامنة تبريز للاستفادة من تجاربهم الغنية .

(١٢٠) راجع مثلا : «كردستان» ، ٢٩ ايار ١٩٤٦ .

ولكن بحكم طبيعة تكوينها، وفي ظروف الارهاب السائد، لم تستطع هذه المنظمة التغلغل في صفوف الجماهير الكردية. فأقتصرت نشاطها المحدود على مدينة مهاباد، وهي لم تستطع، بحكم ذلك، التأثير على سير الأحداث في كردستان إيران، فاختفت عن المسرح بعد نشاط لم يستمر أكثر من عامين فقط (من ١٩٣٩ حتى ١٩٤١).

ولكن ظهرت في هذه الفترة بالذات عوامل خارجية معينة رافدة لسنوات الحاسمة في تاريخ الحرب العالمية الثانية، وثلاث نتائجها بصورة مباشرة مع الواقع الداخلي، فتمخض عن أحداث سياسية كبرى نتجت أثارها إيران لتمتد إلى مناطق حساسة من الشرق الأوسط. ففي الخامس والعشرين من آب عام ١٩٤١ دخلت القوات السوفيتية من الشمال، والقوات البريطانية من الغرب والجنوب إلى داخل الأراضي الإيرانية، فاستقلت وزارة علي منصور الموالية لألمانيا النازية بعد يومين، واضطر رضا شاه للتنازل عن العرش لصالح نجله محمد في ١٦ أيلول من العام نفسه، لتنتهي بذلك دكتاتوريته النازية. استمرت دون انقطاع لمدة عقدين كاملين. وقد هيأت هذه الأحداث ظروفا مناسبة لنشاط المعارضة، ولنضال القوميات المضطهدة في إيران، فتحركت القوى الوطنية في طهران وكبرى المدن الإيرانية، وتحرك الأذربيجانيون والأكرد بصورة خاصة.

خلقت هذه الأحداث ظروفا خاصة، ومتناقضة إلى حد ما في كردستان إيران. فقد أصبح القسم الجنوبي منها (منطقة كرمنشاه ولغاية سنندج) خاضعا للنفوذ البريطاني، والقسم الشمالي منها (المنطقة الممتدة إلى الشمال من مهاباد) أصبح خاضعا للنفوذ السوفيتي، فيما بقيت المنطقة الممتدة بينهما، بما فيها مدينة مهاباد، محايدة تتبع اسميا للسلطة المركزية في طهران، بينما اضطركبار المسؤولين الإيرانيين إلى ترك مراكزهم في معظم المناطق الكردية التي توالى الأحداث فيها بسرعة. ففي ١٦ أيلول عام ١٩٤٢ تأسست «كومه له ي زيانه وه ي كورد»^(١٢١) (جمعية بعث أو إحياء الكرد)^(١٢٢) التي باشرت في أيار عام ١٩٤٣ باصدار لسان حالها مجلة «نيشتمان» (الوطن).

(١٢١) تعرف عادة باسم «ز.ك.» أو مجرد «كومه له».

(١٢٢) يشير الدكتور رحيم قاضي في الصفحة ١٥٠ - ١٥١ من رسالته التي قدمها لنيل شهادة الدكتوراه (راجع الهامش رقم ١١٣) إلى أن جمعية «ز.ك.» قد تأسست في حزيران عام ١٩٣٨، عادت إلى النشاط في سنوات الحرب. أغلب الظن أن المؤلف اعتبر تأسيس حزب «نازاديخواي» «بستان» بداية لظهور الجمعية

اسس جمعية «ز.ك.» ممثلو الفئة المثقفة الكردية، وحملة افكارها، وانحصرت قيادتها في البداية بأيدي هؤلاء، فيما ضمت قاعدتها فضلا عن المثقفين ممثلين عن الفلاحين الذين اولتهم الجمعية اهتماما نوعيا جديدا. وحسبما ورد في العدد الخامس من مجلة «نيشتمان» ان الجمعية تمكنت لغاية صيف عام ١٩٤٣ من تأسيس تنظيماتها في معظم انحاء كردستان ايران، خصوصا بعد ان كسبت عددا من الملاكين ورؤساء العشائر الليبراليين. واستطاعت قيادة الجمعية اقناع الشخصية الكردية المعروفة قاضي محمد بالانضمام اليها في أواخر عام ١٩٤٤.

ينتمي قاضي محمد الى اسرة معروفة في منطقة موكریان. ولد في ربيع عام ١٩٠٠ بمدينة مهباد، ودرس علوم الدين على يد والده مرزا علي الذي أصبح قاضيا لمنطقة موكریان. كان قاضي محمد مولعا بالادب منذ صغره، وتأثر بقصائد الشاعر المجدد الحاج قادر كوي. وبعد ان تعلم الفارسية والعربية اولى اداب الشرق جانبا كبيرا من اهتمامه. وفيما بعد تعلم اللغات التركية والانكليزية والروسية، وتابع العلوم التاريخية والجغرافية والرياضية. وتأثر قاضي محمد بافكار ونضال الشاعر قاضي فتاح، الشقيق الاصغر لجده، والذي ناهض الحكم القاجاري، وقاوم الاحتلال العثماني والروسي لكردستان ايران، فاستشهد اثناء مقاومته للقوات القيصريّة، كما المحنا الى ذلك من قبل. كانت اولى تجربة سياسية في حياة قاضي محمد انضمامه الى صفوف المقاومين من مهباد ضد القوات العثمانية الغازية عام ١٩١٥، وهولم يبلغ انذاك الخامسة عشرة من عمره. كما تأثر ايضا بالافكار الديمقراطية التي اصبحت رائجة بفضل الثورة الدستورية. وحسبما تؤكد «دائرة المعارف السوفيتية الكبرى» فقد كان قاضي محمد على اتصال بالخلايا البلشفية التي كانت تعمل بين صفوف القوات القيصريّة العاملة في ايران خلال سنوات الحرب العالمية الاولى^(١٢٣). زاول قاضي محمد منذ عام ١٩٢٢ التدريس الى ان عين في عام ١٩٢٦ مديرا للمعارف في مهباد، حيث بذل جهودا كبيرة لفتح عدد من المدارس، بما فيها اول مدرسة للبنات في المنطقة. وفي العام ١٩٣١ نقل قاضي محمد الى منصب قاضي موكریان، وبقي في منصبه الأخير حتى نهاية الحرب.

أدى كسب قاضي محمد الى توسيع قاعدة جمعية «ز.ك.» بصورة ملحوظة، خصوصا انه بعد سقوط رضا شاه مباشرة بدأ بالتجوال بين عشائر موكریان، وجمع في اواخر كانون الاول عام ١٩٤١ عددا كبيرا من رؤسائها في مهباد في اشبه مايكون

(١٢٣) «الموسوعة السوفيتية الكبرى»، باللغة الروسية، الطبعة الثانية، المجلد الثامن والعشرون،

بمؤتمر استمر لمدة عدة ايام بذل خلالها جهودا كبيرة لجمع شملهم، وتوحيد كلمتهم. وللغرض نفسه عقد مؤتمر اوسع في تشرين الثاني عام ١٩٤٢ جمع فيه هذه المرة بين رؤساء العشائر الليبراليين والمثقفين الثوريين. ومن الجدير بالذكر ان قاضي محمد الف في تلك الايام قصة بعنوان «صلاح الدين»، حولها عدد من مثقفي مهاباد الى مسرحية لقي عرضها نجاحا كبيرا^(١٢٤).

كان إنتقال زعامة جمعية «ز.ك.» الى قاضي محمد، الذي اصبح اسمه 'ا' غزبي «بيناي»، استجابة طبيعية لواقع تناسب القوى داخل النضال التحرري الكردي في ايران يومذاك. ومن هذا التاريخ انتقلت الجمعية عمليا الى النشاط العلني، وزار قاضي محمد العاصمة طهران مرتين، عرض خلالها مطالب الشعب الكردي على الشاه، وكما افاد بنفسه فيما بعد انه طلب منه «الاهتمام بشؤون الكرد الثقافية والصحية بدل ارسال المدافع والدبابات ضدهم»^(١٢٥).

استمرت جمعية «ز.ك.» في اواخر الحرب تعمل بنشاط من اجل توسيع قاعدتها، وتبثيتها، ورفع الوعي في صفوف الجماهير، ففتحت بذلك افقا جديدة امام النضال التحرري الكردي في ايران الذي انعكس عليه ايضا المد الديمقراطي الجديد في ايران، وكل الشرق الاوسط الذي رافق القضاء على النازية وانتهاء الحرب العالمية الثانية، وتأثر بوجه خاص بالتغيرات الجذرية السريعة التي شهدتها اذربيجان المجاورة^(١٢٦). كما لعب موقف طهران دورا كبيرا في تسريع احداث اذربيجان وكردستان. فبعد فشل زيارات قاضي محمد الى العاصمة، اتخذت الامور مجرى جديدا. ففي ١٦ آب عام ١٩٤٥ نشر في مهاباد بيان يحمل تواريخ ٧١ شخصية، معظمهم كانوا من اعضاء «ز.ك.»، ويمثلون فئات اجتماعية مختلفة، اعلنوا فيه عن تأسيس «الحزب الديمقراطي الكردستاني» في ايران، والذي كان امتدادا شرعيا لجمعية «ز.ك.».

عقد الحزب الجديد اول مؤتمر له في مهاباد في الفترة من ٢٥ الى ٢٨ تشرين الاول ١٩٤٥، حضره ممثلون عن جميع فروعه ومنظماته. وضع المؤتمر المنهاج

(١٢٤) راجع:

O.L. Vilchevski, Mukrianski Kurdi (Ethnographicheskii ochirk), «Piredneasiatski Ethnographicheskii sbornik», T.I, Moscow, 1958, P. 220.

و.ل. فلينجيفسكي، اكراد موكريان. ملخص اثنوغرافي، اللغة الروسية، في كتاب «دراسات اثنوغرافية لبلدان اسيا الادنى»، الجزء الاول، موسكو، ١٩٥٨، ص ٢٢٠.

(١٢٥) «كردستان»، العدد الثاني، السبت، ١٣ كانون الثاني ١٩٤٦.

(١٢٦) راجع موضوع «حقائق عن النضال التحرري الاذربيجاني في ايران».

والنظام الداخلي للحزب، وانتخب قاضي محمد رئيساً له بالاجماع. وكان المنهاج يتألف من اربعة فصول مقسمة على ٢٢ مادة^(١٢٧) حددت طبيعة الحزب الديمقراطية المستندة الى «الحق والعدل والتمدن» (المادة الثانية). واكد الحزب في منهاجه ان هدفه الاساس هو «ضمان الحقوق القومية لكردستان داخل الحدود الايرانية» (المادة الرابعة)، و بان الحزب «لايكن اي عدااء تجاه الحكومة المركزية، إنما ينشد السلم، فالشعب الكردي الذي قاسى الى اليوم من ويلات الاستعمار البغيض... يطلب بحقه في الحكم الذاتي» (المادة السادسة). واكدت المادة الخامسة من المنهاج على ضرورة النضال من اجل الديمقراطية والسلم. واعار الحزب في منهاجه، ولاول مرة في كردستان ايران، الاهتمام ببعض القضايا الاجتماعية. فنصت المادة العاشرة من المنهاج على بذل الجهد من أجل توسيع استخدام الوسائل الحديثة في الانتاج، وضمان صرف منتج الفلاح، وتطوير الريف، ووضع حد لهجرة الفلاحين. ونصت المادة الثانية عشرة من المنهاج على ان الحزب يدافع «عن حياة الكادحين، ومصالحهم السياسية والاقتصادية والصحية، بغض النظر عن انتمائهم العنصري والقومي والديني». واكد المنهاج في بقية مواده على ضرورة توسيع القاعدة الصناعية، وضرب المصالح الاستعمارية، ومنح المرأة حقوقها، وحماية حقوق الاذربيجانيين والارمن والاثوريين.

ان تأسيس «الحزب الديمقراطي الكردستاني» كان نقلة نوعية في النضال التحرري الكردي في ايران، الذي بدأ ينصب في إطار منظم ومحدد. وقد اصدر الحزب جريدته المركزية «كردستان» في ١١ كانون الثاني عام ١٩٤٦، والتي كانت تصدر بين يوم واخر. وقبل ذلك بشهر اصدر مجلة نظرية بالاسم نفسه. كما اصدر فرع الحزب في بوكان مجلة «هه لاله» (الزنبقة)، واصدر اتحاد الشبيبة الديمقراطي الكردستاني مجلة «هاواري نيشتمان» (نداء الوطن). ومن شأن عناوين المواضيع التي عالجتها صحافة الحزب اعطاء فكرة واضحة عن المنطلقات الجديدة للنضال التحرري الكردي في ايران بعد الحرب العالمية الثانية. فقد نشرت «كردستان»، ومجلات «هلاله» و «هاواري نيشتمان»، وغيرها مقالات تحمل مثل هذه العناوين: «ماهي الديمقراطية»، «ماهي الاشتراكية»، «الاشتراكية العلمية»، «من أجل

(١٢٧) راجع:

«مه رانامه ي حزبي ديموكراتي كوردوستان» (منهاج الحزب الديمقراطي الكردستاني)، مهباد، جابخانه ي كوردوستان، سه رماوه ز ١٣٢٤ شمسی

«الخبز»، «الاتحاد»، «قبس الحرية»، «لماذا انتفض الكرد»، «اللغة والادب الكردي»، «ابن خلكان»، «في ذكرى نولستوي» وغيرها من المواضيع.

ومنذ اواخر عام ١٩٤٥ دخل النضال التحرري الاذرييجاني والكردي مرحلة دقيقة. ففي ١٢ كانون الاول عام ١٩٤٥ اعلن جعفر بيشوري في تبريز عن تأسيس «جمهورية اذرييجان الديمقراطية ذات الحكم الذاتي». وفي ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٦ اعلن قاضي محمد في اجتماع جماهيري عقد بمهاباد عن تأسيس «جمهورية كردستان الديمقراطية ذات الحكم الذاتي» التي دخلت التاريخ باسم «جمهورية مهاباد»^(١٢٨). وقد اكد قاضي محمد مرارا على ان حركته لا تستهدف الانفصال، بل تهدف الى وضع نهاية لمظالم طهران، وسياستها الشوفينية تجاه الشعب الكردي، وضمان الحكم الذاتي له.

لجأت حكومة الشاه الى اجراءات مختلفة من أجل القضاء على الحركة الكردية في مرحلتها الجديدة. فقبل كل شيء ان رئيس الوزراء قوام السلطنة حاول بث بذور الشقاق بين الاذريين والاكرد باسلوب مراوغ، كما نشط رجاله باتجاه شراء ذمم عدد من المتنفذين المعروفين في المنطقة.

وعندما علم قاضي محمد بنية طهران لارسال قواتها الى اذرييجان وكردستان بحجة الاشراف على الانتخابات المقبلة عقد اجتماعا لزعماء الحركة في بداية كانون الاول ١٩٤٦ تقرر فيه منع تلك القوات من الدخول الى المنطقة الكردية، واتخاذ الاجراءات السريعة لتعزيز مواقع الثوار في سقز وبانه وسرده شت^(١٢٩). وقد اخبر قاضي محمد تبريز بالقرار، وذلك تنفيذا لبنود الاتفاقية التي وقعت بين الطرفين في ٢٣ نيسان عام ١٩٤٦. ولكن خيانة بعض القادة الاذرييجانيين من أمثال جاويد وشبوستري ومحمد بي ريا (Be Ria) الذين اصبحوا على اتصال بطهران، أفشلت الخطة، إذ اخبر هؤلاء حكومة قوام السلطنة بتفاصيل نوايا مهاباد، كما اذاعوا من طرف واحد بيانا من راديو تبريز اعلنوا فيه باسم حكومة اذرييجان قرار السماح للقوات الايرانية بالتقدم الى حيشما ترغب في المنطقة، الامر الذي احتج ضده قاضي محمد

(١٢٨) كتب عنها الكثيرون. للتفصيل عنها راجع.

W. Eagleton, The Kurdish Republic of 1946, London, New York, Toronto, 1963, 142 PP.

(١٢٩) يسود المؤلفات التي تطرقت الى الحركة الكردية في ايران رأي غير صحيح مفاده ان قاضي محمد لم يكن يرغب منذ البداية في ابداء المقاومة للقوات الايرانية.

برقيا في ١١ كانون الاول، اي بعد يوم واحد فقط من اذاعة البيان^(١٣٠) وبتأييد مطلق من واشنطن ولندن تقدمت القوات الايرانية صوب اذربيجان وكردستان من اربع جهات. فقد تقدمت قوة مؤلفة من خمسة الاف رجل باتجاه قزوین وزنجان، وباتجاه تيكان ته به هوشار تقدمت قوة ثانية قوامها ايضا خمسة الاف رجل، وتقدمت قوة ثالثة قوامها الفا رجل باتجاه رشت وبهلوي، اما القوة الاخيرة فانها كانت تتألف من حوالي ١٤ ألف رجل، وقد تقدمت باتجاه سقز وبانه. وان اكثر من نصف هذه القوات توجهت نحو المناطق الكردية، تساندها ١٠٤ مدافع و ٥٥ دبابة وعدد من الطائرات^(١٣١).

اقتربت القوات الايرانية جرائم بشعة بحق الاذربيجانيين والاكرد^(١٣٢). فكما تؤكد بعض المصادر المطلعة ان عدد الديمقراطيين الذين لقوا حتفهم في تلك الايام العصبية قد تجاوز ١٥ ألف شخص^(١٣٣). واعتقل عدد اكبر من ذلك. وبعد محاكمة سرية صورية نفذ حكم الموت صبيحة ٣٠ آذار ١٩٤٧ في قاضي محمد، وشقيقه صدر قاضي، عضو البرلمان الايراني، وابن عمه سيف قاضي. وحسب ما أفادت المعلومات التي اوردتها مجلة «الازمنة الحديثة»^(١٣٤) ان عملاء واشنطن ولندن حاولوا عبثا كسب قاضي محمد، الامر الذي اخر تنفيذ حكم الموت فيه، وفي اخوته لمدة تزيد عن ثلاثة اشهر^(١٣٥).

جابه قاضي محمد الموت بجرأة. فبعد سنوات كتب العقيد أمير برويز، الذي كان شاهد عيان لتنفيذ حكم الاعدام، كتب يقول ان قاضي محمد رفض ان تعصب عيناه، وفي كلماته الاخيرة اكد على ضرورة الاستمرار في النضال، ودعا اخوته «الى ان لا يثقوا بالحكومة الايرانية»^(١٣٦).

بعد القضاء على مهاباد بدأت فترة جزر في النضال التحرري الكردي في ايران، شأنه في ذلك شأن النضال التحرري الاذربيجاني. وفي الوقت نفسه لم يطرأ اي تغيير في سياسة الدولة تجاه الشعوب غير الفارسية في عهد محمد رضا شاه، ثاني

(١٣٠) الدكتور رحيم قاضي، قاضي محمد، مخطوط، ص ٢٠٤ - ٢٠٧.

(١٣١) المصدر نفسه، ص ٢٠٧.

(١٣٢) راجع ايضا موضوع «حقائق عن النضال التحرري الاذربيجاني في ايران».

(١٣٣) الدكتور عبدالرحمن قاسملو، كردستان والاكرد، ص ٧٢.

(134) «Novaya Vremia», Moscow, April 15, 1947

(١٣٥) دخلت القوات الايرانية مدينة مهاباد يوم ١٧ كانون الاول عام ١٩٤٦.

(١٣٦) «ثاذاي»، ٨ نيسان ١٩٦٠.

وآخر ملك بهلوي . فرغم زيادة واردات النفط ظلت المنطقة الكردية تعاني من فقر مدقع ، ومن وضع ثقافي وصحي واجتماعي مزرٍ . ففي العام ١٩٦٦ بلغت نسبة الامية بين سكان الريف في كرمنشاه ٨٨٫٢٪ ، وفي سنندج ٩٢٫٩٪ ، وفي سقز ٩٣٫١٪ وفي مهاباد ٩٤٪ . وفي السنة نفسها كانت توجد مناطق كردية في ايران يزيد عدد سكانها عن عشرين الف نسمة دون ان يكون فيها طبيب واحد ، في وقت كان يصيب كل ٤٨٠٠ شخص من سكان ايران طبيب واحد في المعدل . وحسب الاحصاء الرسمي للعام ١٩٦٦ كانت اكثر من ٥٠٪ من الاسر الكردية الايرانية ، التي يتراوح عدد افراد الواحدة منها بين ٥ و ٦ أشخاص ، تعيش في غرفة واحدة ، وفي وضع لم يختلف كثيرا عن وضع الاسرة الكردية الايرانية الذي وصفه لنا الرحالة الفرنسي هنري بندر في العام ١٨٨٧ . ان دراسة بسيطة للمعلومات الاحصائية الرسمية في اواخر العهد البهلوي تبين بوضوح انه قلما توجد في ايران منطقة تضاهي كردستان في التخلف (١٣٧) .

ان هذا الواقع لوحده كان يكفي لدفع الشعب الكردي في ايران الى خندق معاداة طهران ، ولضمان ديمومة نضاله الذي عبر عن نفسه بعد سقوط مهاباد في صور مختلفة ، بعضها جديدة . فسرعان ماعاود الديمقراطيون نشاطهم ، بعد ان اعادوا تنظيم صفوفهم في بعض المناطق . الا ان الاوساط الحاكمة استغلت محاولة اغتيال الشاه يوم ٤ شباط ١٩٤٩ في جامعة طهران لتوجيه ضربة قوية لمجمل الحركة الوطنية في ايران . ففي كردستان جرى اعتقال اعداد كبيرة من الديمقراطيين الذين فرضت عليهم احكام جائرة بالسجن لمدد مختلفة . وسرعان ماجاء الرد المنطقي على ذلك . ففي انتخابات عام ١٩٥٢ حصل مرشح الحزب الديمقراطي الكردستاني في مهاباد ، والمناطق التابعة لها ، على نسبة تتراوح بين ٨٠٪ و ٩٩٪ من أصوات الناخبين ، ولكن طهران ألغت الانتخابات ، وعينت شخصا اخر مكانه . وفي السنة نفسها انتفض فلاحو منطقة واسعة تمتد بين بوكان ومهاباد ، استخدمت القوات الايرانية ضدهم ابشع اساليب القمع والبطش . وعندما بدأت حركة مصدق ساندها الاكراد الايرانيون بحماس . ففي الاستفتاء الذي جرى يوم ٣ آب ١٩٥٣ حول الاقتراح المتعلق بتحديد صلاحيات الشاه ، وقفت الاكثرية المطلقة من المصوتين في كردستان الى جانب الاقتراح . ففي مدينة مهاباد ، مثلاً ، صوت اثنان فقط لصالح الشاه من أصل خمسة الاف شخص

(١٣٧) للتفصيل راجع :

A R Ghassemlou, Iranian Kurdistan, PP. 9 - 11; «Sovnménay Iran». PP. 378 - 403.

اشتركوا في الاستفتاء^(١٣٨).

تفاقم الاتجاه اللاديمقراطي لحكومة الشاه بعد عقد حلف بغداد، الامر الذي ولد رد فعل قويا بين الاوساط الوطنية الايرانية. وقد شهدت كردستان ايران اول انتفاضة مسلحة ضد الحلف المذكور. فان عشيرة جوانرو التي تقطن في المنطقة الممتدة الى الشمال من كرمنشاه، والتي طالبت في العام ١٩٥٠ بالحكم الذاتي للشعب الكردي في ايران^(١٣٩)، انتفضت في مطلع العام ١٩٥٦ ضد طهران، ورفعت شعارات معادية لحلف بغداد. وقد تمتعت الانتفاضة بتأييد بعض العشائر المجاورة. ومنذ الرابع من شباط باشرت القوات الايرانية هجوما كاسحا على المنطقة، فدمرت عددا كبيرا من قراها، وقتلت وجرحت واسرت المئات من الجوانرويين، وشردت الالوف من أطفالهم ونسائهم وشيوخهم^(١٤٠)، الامر الذي جلب انظار الصحافة العالمية. ففي عددها الصادر يوم ٢٧ شباط ١٩٥٦ تحدثت «لوموند» الفرنسية عن انتفاضة جوانرو المعادية لحلف بغداد، وعن لجوء القوات الايرانية الى استخدام المدافع لقمعها.

وفي هذه الفترة بالذات ظهر اتجاه جديد في سياسة ايران تجاه القضية الكردية، انصب على محاولة احتوائها للتقليل من انعكاساتها الداخلية. ويؤشر الدكتور عبدالرحمن قاسملورد الفعل القوي الذي أثاره تأسيس اذاعة كردية في القاهرة عشية ثورة الرابع عشر تموز عام ١٩٥٨ العراقية بداية لمثل ذلك التوجه. وبصدد ذلك يقول الزعيم الكردي الايراني مانصه:

«وقد بلغ الرعب لدى الحكومة الايرانية مبلغا جعلها تتخذ اجراءات لم يسبق لها مثيل، فقامت الحكومة برحلة دعائية في سائر انحاء كردستان، اعقبتها بتخصيص سبعة ملايين دولار لتعمير المنطقة. واشتدت فعاليات الدعاية الرسمية، وخصصت سبع موجات

(١٣٨) للتفصيل راجع:

A.R Ghassemlou, Iranian Kurdistan, PP. 24 - 25

(١٣٩) راجع:

«Moyen - Orient», Paris, October - November 1950.

(١٤٠) للتفصيل عن الانتفاضة، وقمعه، وموقف حكومة نوري السعيد منها راجع.

«انتفاضة العراق الاخيرة»، بلا، ص ٢٧؛

A R Ghassemlou, Iranian Kurdistan, PP 25 - 26; P. Vanly, Aspects de la Question Nationale Kurde en Iran, Paris, 1859. PP. 21 - 22

للاذاعة باللغة الكردية . . .» (١٤١).

لم يكن بوسع السياسة الجديدة التأثير على واقع النضال التحرري الكردي في ايران، الذي ظلت عوامله الاصلية الكامنة قائمة، وتفاعل فعلها كالسابق، الامر الذي انعكس في انتفاضة نوعية جديدة انفجرت في شتاء عام ١٩٦٧، والتي لم تستطع سلطات طهران القضاء عليها الا بعد مرور ١٨ شهرا على اندلاعها. وبعد القضاء على الانتفاضة ظلت كردستان ايران تعيش ارهاصا ثوريا فعليا كالسابق. وهكذا فان النضال التحرري الكردي لم يلعب دورا قليلا في زعزعة اسس النظام البهلوي، فقد ظل، ولم يزل، يؤلف رافدا اساسيا في مجرى الحركة الوطنية للشعوب غير الفارسية في ايران.

(١٤١) الدكتور عبدالرحمن قاسم، كردستان والاكرا، ص ٢٤٠ - ٢٤١.

صفحات من تاريخ
العلاقات الإيرانية-السوفيتية

لاشك في ضرورة دراسة كل مايتعلق بتاريخ دول المنطقة وشعوبها(*) وذلك لما للامر من اهمية علمية وعملية كبيرة تفرض نفسها بالحاح مع مرور كل يوم جديد على عالمنا المليء بالاحداث والمتغيرات. وتأتي العلاقات التي تربط تلك الدول بالقوتين العظميين - الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية - على رأس قائمة المواضيع التي تستحق اهتماما كبيرا من لدن المختصين، ولاسيما ما هو شائع عنها لايتعدى، في اغلب الاحيان، بعض التصورات النابعة من تقييم عام لا يخلو من الغموض احيانا، فهي بحاجة قبل كل شيء الى تحديد واضح يستند الى شواهد تاريخية وحقائق مادية ملموسة.

عند تقييم العلاقات الايرانية - السوفيتية من الضروري جدا ان نضع نصب أعيننا دائما حقيقة ثابتة تفرض نوعا خاصا من التعامل نابع اساسا من الصراع القائم بين القطبين المناقضين الرئيسيين على صعيد العلاقات الدولية بشكل عام. وترتبط الحقيقة المذكورة بواقع جغرافي تمخضت عنه حدود مشتركة تعتبر من اطول الحدود الدولية لا على صعيد المنطقة نفسها حسب، بل وعلى الصعيد العالي كذلك. فان الحدود الفاصلة بين ايران والاتحاد السوفيتي تبلغ ٢٥٠٠ كم. وتتجسد معاني هذا الرقم اكثر من خلال تحليله. فهو يؤلف حوالي ثلث الحدود الدولية لايران واطول خط يفصل بين الاخيرة وخمس دول تشترك معها في الحدود، واطول خط يرتبط الاتحاد السوفيتي من خلاله بصورة مباشرة بالشرق الاوسط قلب العالم الحساس.

وأمام هذا الواقع وفي ظل الصراع المصيري القائم بين نظامين متناقضين يكون من الطبيعي جدا ان يحلم الغربيون بنقل سور الصين بايديهم الى تلك الحدود الطويلة لا من اجل صد شعاع مميت بالنسبة لمصالحهم الحيوية فقط، بل وكذلك ليحولوه - ان امكن - الى نقطة انطلاق للقضاء نهائيا على

(*) القي البحث امام ندوة «ايران الحاضر والمستقبل».

مصدره الاصيلي . والعكس صحيح بالبداية . وهذا ما يضيفي على علاقات القطبين بايران طابعا حساسا ودقيقا من نوع خاص ولد نى مدى اكثر من ستة عقود ظواهر تبدو غريبة في حالات غير قليلة .

تعود بدايات اولى الصلات المعروفة بين دولة موسكو القديمة وايران الى العصر الوسيط . واثرتطور هذه الصلات التي كانت في الاول اقتصادية صرفة كالعادة، ظهرت الحاجة الى تنظيم امورها، ولا سيما بعد ان بدأت تكتسب طابعا سياسيا جديدا مع ظهور الصراع الصفوي العثماني فوق المسرح . ففي وقت مبكر جدا من هذا الصراع بعث الشاه محمد سلطان خودابند (١٥٧٨ - ١٥٨٧) بممثل عنه الى القيصر الروسي طالبا منه العون ضد الاتراك مقابل منحه منطقتي باكو ودر بند . وفي السنة الاخيرة من عهد الشاه نفسه بدأت العلاقات الدبلوماسية المنظمة بين الطرفين .

ومع ظهور روسيا القيصرية الحديثة بطموحاتها اللامحدودة دخلت العلاقات بين الدولتين طورا جديدا له خصائصه ومميزاته التي نجمت اساسا عن توجهات الدب الابيض الحثيثة نحو ما يسمى بالمياه الدافئة في الجنوب، ولا سيما بعد ان حققت روسيا اقصى ماكان بمستطاعها من توسع باتجاه الغرب في ظل واقع تناسب القوى على صعيد القارة الاوربية يومذاك . وبحكم التوسع الروسي على حساب الاراضي التي كانت تدخل ضمن الحدود الرسمية لايران من جهة وجراء اطماع الدول الكبرى الاخرى (فرنسا ولاسيما انكلترا وفيما بعد المانيا والولايات المتحدة الامريكية) في هذا الجناح الشرقي المهم للشرق الاوسط اتسمت العلاقات الايرانية - الروسية بطابع المد والجزر الكبيرين ، فانها كانت تتوتر احيانا الى درجة تبلغ حد اغتيال جميع اركان السفارة الروسية في طهران، بما في ذلك شخص السفير كما وقع عام ١٨٢٩ ، وهي على العكس من ذلك كانت تبلغ احيانا درجة من الصفاء بحيث ان الشاه القاجاري مظفرالدين كان يسمح لنفسه بالتجوال في اوربا على حساب القروض الروسية لاغيرها .

كان من الطبيعي ان تدخل العلاقات بين ايران وروسيا مرحلة خطيرة بعد

انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية واقامة السلطة السوفيتية في الاخيرة. فمنذ الايام الاولى لانتصار ثورة اكتوبر اتخذت الاوساط الحاكمة في ايران موقفا معاديا منها، الامر الذي نجم اولا عن عوامل مختلفة متفاعلة فيما بينها وانعكس ثانيا في ظواهر واجراءات طفت الى السطح بسرعة كبيرة. فقبل كل شيء ارادت الدول الرأسمالية تحويل ايران الى قاعدة ثابتة للتدخل المباشر من اجل القضاء على الوليد البعبع الذي ظهر على حدودها (حدود ايران) الشمالية مباشرة. فلم تمر سوى اشهر قليلة على انتقال السلطة الى ايدي البلاشفة حينما توجهت قوة بريطانية بقيادة الجنرال دنسترفيل (مطلع العام ١٩١٨) الى باكو عاصمة اذربيجان الشمالية وتبليس عاصمة جورجيا عن طريق همدان - قزوین - رشت وسرعان ما توجهت قوة بريطانية اخرى الى شمال - شرقي ايران بقصد احتلال مناطق معينة تشرف على بحر قزوین. وبعد صعوبات غير قليلة وبفضل التعزيزات الجديدة والمساعدة المباشرة للحكومة الايرانية تمكنت القوات الانكليزية اخيرا من دخول مدينة باكو في آب ١٩١٨ حيث نفذت حكم الموت في الحال بحق ٢٦ من ابرز البلاشفة في منطقة القفقاس. ومما كان يثير فزع حكام ايران اكثر ويدفعهم الى الاشتراك الفعال في الاعمال المعادية للسلطة السوفيتية هو الاتجاه السياسي الجديد، الذي بدأ يتبلور ويتحرك في ايران بسرعة اثر انتصار ثورة اكتوبر، الامر الذي انعكس في البداية في الحركة الجنكلية المسلحة في منطقة كيلان وفي اعمال قطاع من المثقفين الثوريين الايرانيين الذين قاموا بنشاط من نوع جديد بلغ حد تأسيس مجالس للسوفيات اطلقوا عليها اسم «انجمن»، كما حدث في رشت وأنزلي وكمرمنشاه وعدد اخر من المدن الايرانية. وقد اثارت انتفاضة الشيخ محمد الخياباني في اذربيجان حفيظة حكام ايران اكثر. فان الخياباني الذي كان واحدا من قادة الثورة الدستورية (١٩٠٥ - ١٩١١) والذي مثل تبريز في اول برلمان اسس في البلاد وعاش في سنوات المد الرجعي بعد الثورة في روسيا واصبح على اتصال بالاشتراكيين في القفقاس ظهر نجمه من جديد بعد ثورة اكتوبر، حتى انه تمكن من تنظيم انتفاضة مسلحة في اذربيجان واحتل انصاره

تبريز في مطلع نيسان ١٩٢٠ طاردين منها المسؤولين الايرانيين. وبعد حوالي شهرين فقط جرى عقد مؤتمر بميناء انزلي قرر اعضاؤه تبديل المنظمة الاشتراكية الديمقراطية الايرانية «عدالت» الى حزب شيوعي ايراني.

ومرة اخرى لم يمر سوى شهرين ونيف عندما عقد في الاول من ايلول عام ١٩٢٠ مؤتمر شعوب الشرق في باكو بمبادرة من الكومينتين وشخص لينين. وهنا لم يكمن الخطر فقط في ارتفاع صوت اليسار الشرقي على الضفاف المقابلة للسواحل الايرانية المشرفة على بحر قزوين، بل انه تجسد كذلك في الوجود الفارسي في المؤتمر نفسه. فقد بلغ عدد الفرس الذين حضروا مؤتمر شعوب الشرق ٢٠٤ اشخاص ليحتلوا بذلك المرتبة الرابعة عدديا بين القوميات والطوائف الخمس والاربعين الممثلة في المؤتمر. ولم يكن مجرد صدفة ان قامت الطائرات بقصف السفينة التي كانت تقل الوفد الايراني في عرض بحر قزوين مما ادى الى مقتل اثنين من اعضائه وجرح عدد اخر منهم.

اذن فان الخطر كان جديا وكان من النوع الذي ظل يترك بصماته باستمرار وبصورة غير مرئية على العلاقات الايرانية - السوفيتية من منطلقات متباينة. وفي خضم الصراع الدولي عرف الغربيون كيف يستغلون هذا الواقع لصالحهم، الامر الذي بدأ يعطي انعكاساته منذ وقت مبكر جدا. وربما يكفي ان نورد هنا مثلا معبرا واحدا من شأنه توضيح ما نحن بصددده. ففي تموز عام ١٩١٨ توجه اول ممثل دبلوماسي سوفيتي اسمه كليمتسيف الى طهران، ولكن رفض رئيس الوزراء وثوق الدولة - رجل الانكليز الاول في ايران، الاعتراف بالبعثة السوفيتية رسميا. ولم يكتف الانكليز بذلك، بل انهم حرضوا الروس البيض الموجودين في العاصمة الايرانية لتدبير هجوم على بناية السفارة السوفيتية انتهى بالقاء القبض على جميع العاملين فيها (فيما عدا شخص كليمتسيف) وتسليمهم الى السلطات الانكليزية التي نفتهم الى الهند في الحال، اما كليمتسيف فقد تمكن من الاختفاء بين رجال العشائر الكردية الذين ساعدوه على العودة الى بلاده. وبعد مرور عام واحد حينما ارسل

كليمتسيف مرة اخرى الى طهران اغتيل في الطريق على يد احد الروس البيض وبتحريض مباشر من الانكليز.

وفي السنوات الاولى التي اعقبت انتصار ثورة اكتوبر ظهر عامل آخر له شأنه في تحديد العلاقات بين البلدين الجارين يومذاك. فقد بدأ يراود الاوساط الحاكمة في ايران حلم استعادة المناطق التي فقدتها بلادهم جراء توسعات روسيا القيصرية وحروبها الجنوبية، فاذا بالوفد الايراني يتقدم الى مؤتمر الصلح بباريس عام ١٩١٩ مذكرة يطالب فيها بضم كل اذربيجان الشمالية مع مدينة باكو وارمينيا الغربية مع مدينة يريفان وقره باغ وقسم من داغستان الى ايران، ومن الجدير بالذكر ان ايران طالبت في المذكرة نفسها بضم مناطق واسعة اخرى اليها تمتد الى حد نهر الفرات وتضم، فيما تضم، مدينتي ديار بكر والموصل وغيرهما من الاصقاع التي كانت تدخل ضمن الامبراطورية العثمانية الى وقت قريب.

وبحكم عوامل مختلفة لم تتحول هذه الظواهر، ومحاولات استغلالها من قبل الآخرين، الى العامل الحاسم والنهائي لتحديد العلاقات بين ايران والاتحاد السوفيتي، فان عاملا آخر لعب دورا اساسيا في صياغة العلاقات تلك وفي التخفيف بشكل ملموس عن تأثيرات العوامل الاخرى. ونقصد بهذا العامل الاساسي الالهة السياسة الخارجية التي كان على الدولة السوفيتية الفتية اتباعها في ظل ظروفها الصعبة، وفي ضوء واقع تناسب القوى على الصعيد الدولي، وازاء عجز الارهاصات الثورية في تغيير شيء في المناطق الشرقية المجاورة، وعلى رأسها ايران بالذات.

لذا كان من الطبيعي ان لايتجاهل الاتحاد السوفيتي الواقع السياسي والاجتماعي لبلدان الشرق وان يحاول اقامة علاقات طبيعية معها عبر قنوات دبلوماسية صرفة رافقتها تنازلات صريحة غير قليلة بدافع مبدئي او سياسي بحث. ففي ٢٦ حزيران ١٩١٩ وجهت الحكومة السوفيتية مذكرة الى «الشعب الايراني والحكومة الايرانية» اعلنت فيها تنازلها عن جميع الحقوق والامتيازات التي ورثتها عن روسيا القيصرية في ايران، بما في ذلك القروض والسكك والموانيء ودوائر البرق والبريد وغيرها من المؤسسات الاقتصادية والاستراتيجية. وقد تبعت المذكرة محاولات اخرى مشابهة للتقرب من الحكومة الايرانية،

الامر الذي تمخض عنه التوقيع في موسكو على أول معاهدة بين البلدين بتاريخ ٢٦ شباط ١٩٢١.

نصت بنود المعاهدة على عدم تدخل اي من الجانبين في الشؤون الداخلية للجانب الاخر، وعلى الغاء روسيا السوفيتية لجميع المعاهدات والاتفاقيات المفروضة من جانب القيصرية على ايران مع مايرتبط بها من امتيازات مختلفة وقروض وفوائد وممتلكات الدولة القيصريّة في ايران، بما في ذلك مصرف الائتمان الروسي. ومن المفيد ان نشير الى ان اثمان الممتلكات والمؤسسات التي تنازل عنها الجانب السوفيتي بدون مقابل تقدر باكثر من ١٠٠ مليون روبل ذهب. واعادت بنود المعاهدة الى الجانب الايراني حق الملاحة في بحر قزوين بعد ان حرم منها على مدى سنوات طوال بموجب بند ورد في احدي المعاهدات الروسية - الايرانية قبل الحرب العالمية الاولى. وقد تعهدت ايران بالمقابل عدم منح هذه الامتيازات والمؤسسات لدولة ثالثة ممثلة بمصالحها الرسمية او شخصيتها المعنوية ومواطنيها. واكثر من ذلك التزمت ايران بموجب البند السادس من المعاهدة بأن لا تسمح لطرف ثالث باقامة قواعد ومؤسسات فوق اراضيها يكون من شأنها تهديد أمن الاتحاد السوفيتي، اما اذا عجزت ايران عن ابعاد خطر كهذا حينذاك «يحق للحكومة الروسية نقل قواتها الى الاراضي الايرانية» واتخاذ «الاجراءات العسكرية الضرورية» للحفاظ على أمنها وسلامتها، كما ورد نصا في البند المذكور.

دشنت هذه المعاهدة بداية مهمة في العلاقات السوفيتية - الايرانية اتسمت بنوع من المساومة السياسية التي لم تكن ثابتة في جميع الاحوال. فلم تمر سوى اشهر قليلة على ابرام المعاهدة عندما منحت الحكومة الايرانية شركة ستاندرد اويل الامريكية حق استغلال حقول النفط الموجودة في المناطق الشمالية، بما فيها اذربيجان وكيلان ومازندران وغيرها، متجاهلة بذلك روح البند الثالث عشر من المعاهدة الايرانية - السوفيتية التي اعطت السوفيت الحجة الرسمية للاحتجاج بشدة على القرار الايراني، مما اجبر الحكومة الايرانية على التراجع عن موقفها وسحب الامتياز من الشركة الامريكية.

لم يؤثر سقوط الاسرة القاجارية ومجيء رضا شاه البهلوي الى العرش كثيرا على العلاقات بين ايران والاتحاد السوفيتي خلال السنوات الاولى من حكم الشاه الجديد. ففي العام ١٩٢٧ وقعت ايران -عاهدة ثنائية جديدة مع الاتحاد السوفيتي ايدت بنودها فحوى معاهدة العام ١٩٢١. ولكن لم يدم هذا التقارب المشوب بالحذر طويلا، اذ ما ان ثبت رضا شاه اقدامه في الحكم حتى بدأ يكشف القناع عن واقع مشاعره تجاه الاتحاد السوفيتي، الامر الذي انعكس بسرعة على العلاقات الاقتصادية بين البلدين. فمن اجل اضعاف الصلات التجارية القوية بين بلاده والاتحاد السوفيتي، باشر رضا شاه في العام ١٩٢٨ بتشيد سكة حديد تربط بين مينائي بندر شاه علي بحر قزوين وبندر شاهبور على الخليج العربي، ولم يعر صعوبة انجاز المشروع لمروره بمناطق جبلية وعرة، ولحاجته بسبب ذلك الى مئات الجسور والانفاق على مدى ١٤٠٠ كيلومترا، اهتماما يذكر، بل على العكس من ذلك انه فرض ضرائب اضافية لانجاز المشروع الذي استغرق عقدا كاملا من الزمن. ولتحقيق الهدف نفسه استغل رضا شاه «قانون احتكار التجارة الخارجية» الذي اصدره في شباط عام ١٩٣١.

وعشية الحرب العالمية الثانية بدأت العلاقات السوفيتية - الايرانية تعاني من ازمة جدية انعكست في امور مختلفة منها، على سبيل المثال لا الحصر، رفض الشاه عام ١٩٣٨ التوقيع على معاهدة تجارية جديدة مع الاتحاد السوفيتي، مما اثر بصورة جدية على التبادل التجاري بين البلدين بعد ان كان يحتل المرتبة الاولى في قائمة تجارة ايران الخارجية. ففي العام ١٩٣٧ - ١٩٣٨ الف التبادل التجاري بينهما ٣٨٪ من كل التجارة الخارجية الايرانية، وفي آذار عام ١٩٣٩ منحت الحكومة الايرانية احدى مؤسسات شركة شيل الهولندية - الانكليزية المعروفة امتيازا لاستغلال النفط في المناطق الشمالية، متجاهلة بذلك بنود معاهدة العام ١٩٢١. ومما له مغزاه بهذا الصدد ان ديتيردينغ، الذي عرف بكراسيته الشديدة للاتحاد السوفيتي وبخططه للتدخل في شؤونه بعد انتصار ثورة اكتوبر، كان يقف يومذاك على رأس كونسيرن

شيل، وان الامتياز منح الشركة حق اقامة المطارات وتشيد السكك والطرق ومد خطوط التلفون والتلغراف، بل تأسيس اذاعة مستقلة بالقرب من الحدود السوفيتية.

ويأتي التقرب السريع بين رضا شاه والمانيا الهتلرية على رأس العوامل التي اثارت قلقا كبيرا في موسكو عشية الحرب العالمية الثانية. فان الالمان تمكنوا بفضل الشاه من الضغط حتى على مواقع الانكليز في ايران. وربما يكفي القول ان المانيا بدأت تحتل المرتبة الثانية بعد الاتحاد السوفيتي في قائمة التبادل التجاري لايران في العام ١٩٣٧ - ١٩٣٨، مما جاء على حساب الضغط على التبادل التجاري مع انكلترا والذي هبط في العام المذكور الى درجة لم يؤلف سوى ٧٪ من كل التجارة الخارجية الايرانية مقابل ٢٧٪ لالمانيا. وبعد رنض الشاه التوقيع على معاهدة تجارية جديدة مع الاتحاد السوفيتي ارتفعت حصة المانيا في التجارة الخارجية الايرانية اكثر بحيث اصبحت تحتل المرتبة الاولى في قائمة التبادل الخارجي الايراني وتؤلف ٤١٫٥٪ منه في العام ١٩٣٨ - ١٩٣٩ و ٤٥٫٥٪ في ١٩٤٠ - ١٩٤١. والى جانب ذلك انتشر الخبراء الالمان في طول البلاد وعرضها. واعتمد الايرانيون على الالمان في بناء المطارات وتشيد السكك وشق الطرق وحتى الاشراف على الانتاج الزراعي في بلادهم. ويقدر المختصون عدد الذين كانوا يقومون باعمال تجسسية للهتلريين في ايران، وبشكل خاص في مناطقها الشمالية، بعدة الاف شخص. وقد تمكن الهتلريون باساليب شتى، منها التركيز على الاصل الاري الواحد للالمان، والفرس، من كسب عدد غير قليل من النواب وكبار الضباط والموظفين والصحفيين وغيرهم من الذين كان لهم تأثير كبير على مؤسسات الدولة والرأي العام.

ومع اندلاع نيران الحرب ازداد نشاط الالمان وعمالئهم في ايران بصورة ملموسة. وقد تركز جانب كبير من ذلك النشاط على العمل من أجل دفع ايران للانضمام الى المانيا في حريها المنتظرة ضد الاتحاد السوفيتي. وقد بلغ الامر حد التحضير للقيام بانقلاب عسكري في حالة رفض رضا شاه لسبب ما تلبية هذا المطلب الحيوي جدا بالنسبة لمخططات هتلر الاستراتيجية. ولهذا الغرض

بالذات بعثت برلين في مطلع آب ١٩٤١ الاميرال كاناريس الى طهران مزودا بكميات كبيرة من النقود المزورة. وفعلا حدد يوم ٢٢ آب موعدا لتنفيذ الانقلاب الذي اجل الى ٢٨ آب. ووضع الالمان في الوقت نفسه الخطط التفضيلية لنسف كل ما يمكن ان يستفاد منه السوفيت في المناطق الشمالية. اثار سير الاحداث على الساحة الايرانية قلقا كبيرا لدى الكرملين الذي قدم ثلاث مذكرات احتجاج شديدة اللهجة الى طهران خلال فترة وجيزة (من ٢٦ حزيران حتى ١٦ آب ١٩٤١)، ولكن لم تعر حكومة الشاه هذه المذكرات اي اهتمام، حينذاك دخلت القوات السوفيتية باتفاق مع الحلفاء الاراضي الايرانية مستندة في عملها الى البند السادس من معاهدة العام ١٩٢١. وفي الوقت نفسه دخلت القوات الانكليزية ايران من الغرب والجنوب.

وهكذا تغير الميزان في ايران. ففي الثامن من ايلول اضطرت الحكومة الايرانية الى التوقيع على معاهدة ثلاثية مع الاتحاد السوفيتي وانكلترا نصت بنودها على انسحاب القوات الايرانية من مناطق معينة في الشمال لتدخلها القوات السوفيتية، واخرى في الجنوب الغربي لتدخلها القوات البريطانية. كما ألزمت المعاهدة ايران بطرد جميع الالمان الموجودين في البلاد، ويقطع العلاقات الدبلوماسية مع المانيا وايطاليا وكل دولة موالية لهتلر. وحينما حاول الشاه الالتفاف على نصوص المعاهدة اجبر على التنازل عن العرش في ١٠ ايلول ١٩٤١ ليبدأ عهد محمد رضا شاه في ايران.

وبموجب معاهدة جديدة وقعت بين الاطراف الثلاثة في كانون الثاني ١٩٤٢ تعهدت انكلترا والاتحاد السوفيتي بـ «احترام وحدة اراضي ايران وسيادتها واستقلالها السياسي» ويسحب قواتهما من ايران خلال ستة اشهر بعد انتهاء الحرب. وبالمقابل حصل الحلفاء على حق استخدام كل المنشآت الايرانية لاغراضهم العسكرية مع ضمان وصول الامدادات الحربية الى الاتحاد السوفيتي عبر الاراضي الايرانية. ولكن بالرغم من كل ذلك لم تعلن ايران الحرب شكليا ضد المانيا الا في ٩ ايلول ١٩٤٣.

لم يكن بوسع التغييرات التي طرأت على الساحة السياسية الايرانية بقوة

السلاح. القضاء على الحساسية التي كانت تسود النظرة الرسمية الايرانية الى الجارة الشمالية. وبما له مغزاه الكبير بهذا الصدد هو رفض طهران لطلب حول الاستغلال المشترك لحقول النفط الشمالية تقدم به وفد رسمي سوفيتي وصل العاصمة الايرانية في ايلول ١٩٤٤. ويتجسد الموقف الايراني اكثر من خلال القانون الذي اصدره البرلمان بعد عودة الوفد بفترة وجيزة والذي نص على منع الحكومة حتى من مجرد التفاوض مع جهة اجنبية بهدف منحها امتيازات لاستخراج النفط الايراني. وفي الوقت نفسه تقريبا ضربت الشرطة الايرانية احتفالا اقيم في طهران بمناسبة ذكرى ثورة اكتوبر. وفي سنوات الحرب جرت مضايقات متنوعة بحق المواطنين السوفيت في ايران، بمن فيهم اعضاء السلك الدبلوماسي الذين اُهين بعضهم، وتعرض للضرب اخرون منهم. ومن الجدير بالذكر ان هذه الاعمال كانت تجري لابتحريض الالمان وانصارهم من الايرانيين وحدهم، بل ايضا بتحريض حلفاء السوفيت من انكليز وامريكان.

بلغت الحركة الديمقراطية في ايران، ولاسيما حركة التحرر للشعوب غير الفارسية، وبالذات النضال القومي في اذربيجان وكردستان الداخلتين في نطاق وجود القوات السوفيتية، مرحلة جديدة في سنوات الحرب العالمية الثانية، وحد الحسم بعدها مباشرة، مما وجد له انعكاسات واضحة على العلاقات الايرانية - السوفيتية. ولكن الذي برز فوق المسرح هنا ليرسم بريشته الصورة الغربية للعلاقات الجديدة القصيرة العمر البعيدة المدى هو الداهية باسلوبه الخاص، رجل المكر والمناورة احمد قوام المعروف بلقبه الرفيع قوام السلطنة الذي اصبح في نظر الجميع من اقصى يمين اليمين الى اقصى يسار اليسار - ولكل يعقوب غايته في نفسه - افضل من يتبوا كرسي رئاسة الوزارة الايرانية في كانون الثاني عام ١٩٤٦. واذا بالحدث يتلو الحدث بسرعة فوق المسرح السياسي لايران في ظل صوبلجان هذا «الملاك الكيلاني، صاحب حقول الشاي الواسعة قرب مدينة لاهيجان، المعروف بارائه الرجعية وصلاته الحميمة القديمة مع الاستعماريين» حسب الوصف الدقيق لابرز متخصص سوفيتي في تاريخ ايران ماضيا وحاضرا البروفيسور ميخائيل سيرغييفيتش ايفانوف.

فقد تحول قوام بقدرة قادر معروف الى شخص «يعمل في سبيل اجراء تغيير

جذري في سياسة ايران على الصعيدين الخارجي - اجل الخارجي قبل -
والداخلي - بعدا - . كما ورد نصا على لسان المستشرق نفسه.

وان قوام هذا الذي تقول عنه «الانسكلوبيديا السوفيتية الكبرى» في طبعها
الثالثة نصا: «انه اشترك في القضاء على الثورة الايرانية عام ١٩٠٥ - ١٩١١»
(وتقصد بها الثورة الدستورية التي قيمها لينين مرارا كواحد من أهم مؤشرات
استيقاظ آسيا قبل الحرب العالمية الاولى)، والذي اشترك ايضا - كما يقول
المصدر نفسه - في القضاء «على حركة التحرر الوطني في كيلان وخراسان في
العشرينات»، وهي الحركة التي يعتبرها جميع مؤرخي السوفيت دون استثناء
دليلا ساطعا على تحرك الجماهير الشرقية بتأثير من ثورة اكتوبر الاشتراكية، ان
قوام السلطنة هذا لم يكتف برفع كل انواع الضغط الواقع على «حزب توده»
وبسحب الجندرية من نواديهِ ومراكزه الثقافية اينما كانت، بل اصر ايضا على
اشراك ثلاثة من ابرز زعماء توده في وزارته.

واخيرا فان قوام هذا الذي تقول عنه طبعة اخرى هي الثانية من
الانسكلوبيديا نفسها مانصه: «شخصية سياسية رجعية ايرانية. في ١٩٢١ -
١٩٢٢ و ١٩٢٢ - ١٩٢٣ عندما كان رئيسا للوزراء قاد الحملة التي قضت على
الحركات الثورية... وبدعوة منه وصلت ايران عام ١٩٢٢ بعثة مالية امريكية
برئاسة مليسبو والتي وضعت نصب عينيهما تحويل ايران الى شبه مستعمرة تابعة
للولايات المتحدة الامريكية. وفي ١٩٤٢ - ١٩٤٣ و ١٩٤٦ - ١٩٤٧ شغل من
جديد منصب رئيس الوزراء بفضل تأييد الولايات المتحدة. وفي العام ١٩٤٢
دعا قوام مرة اخرى البعثة المالية الامريكية برئاسة مليسبو. وفي العام ١٩٤٣
وبمساعدة من قوام تم التوقيع على معاهدة تجارية جائزة بالنسبة لايران مع
الولايات المتحدة»، ان قوام هذا تحول في عشية دون ضحاها الى داعية فريدة
للتقارب بين بلاده الحبيبة وجارتها الشمالية العزيزة. وهو لم يقبل لغيره ان يحمل
شرف هذه المهمة، فلم يمر على تسنمه لكرسي الرئاسة اكثر من شهر واحد
عندما شد الرحال الى موسكو وياشر المفاوضات معها دون تأخير او تأجيل،
ومن أجل أن تظهر المسرحية الرومانسية في ثوب واقعي احتاج قوام الى بعض
الوقت للتفكير، فدعا وفدا رسميا من البلد الصديق الى طهران لاستئناف
-٢٧٩-

المفاوضات التي اسفرت هذه المرة عن التوقيع على اتفاقية ثنائية في ٤ نيسان ١٩٤٦، نصت بنودها على تكوين شركة سوفيتية - ايرانية مشتركة تقوم باستغلال حقول النفط في المناطق الشمالية من ايران لمدة نصف قرن بالتام والكمال، مع شرط بسيط هو ان تؤلف حصة السوفيت على مدى ٢٥ سنة الاولى ٥١٪ وحصة ايران ٤٩٪ لتساوي الحصتان في النصف الثاني من مدة العقد.

تتابعت الاحداث مرة اخرى ولكن بحسم اكيد وسرعة اكبر من قبل:
اولا - انسحب آخر جندي سوفيتي من الاراضي الايرانية بتاريخ ٩ ايار ١٩٤٦.

ثانيا - قبل ان يحف خبر الاتفاقية الوليدة عاودت العصابات المسلحة هجماتها على المنظمات الديمقراطية، وذلك بعد أن اختفت عن المسرح في الفصول الاولى من المسرحية. وأطرف ما يستحق الذكر بهذا الصدد هو ان اعمال الشعب الجديدة انفجرت لأول مرة في لاهيجان والمناطق الاخرى من كيلان مركز ممتلكات قوام السلطنة ونفوذه لاغيره.

ثالثا - في تشرين الاول ١٩٤٦ أبعاد قوام وزراء توده عن الحكم.
رابعا - في كانون الاول ١٩٤٦ دخلت القوات الايرانية اذربيجان وكردستان من جديد وقصت على جميع المنظمات والمؤسسات والقوى المسلحة فيهما، وشنقت، او في افضل الاحوال اعتقلت كل عنصر يشتبه به في كل شبر من مليون و ٦٤٨ الف كم^٢ هي كل مائتلك ايران من أرض الله الوسيعة.
خامسا - جرى في النصف الاول من عام ١٩٤٧ انتخاب اعضاء الدورة الخامسة عشرة للمجلس النيابي في ايران. وفي اليوم السابع عشر من تموز افتتح المجلس الذي رفض بالاجماع التصديق على الاتفاقية الايرانية - السوفيتية، فاعتبرت ملغية بجرة قلم بسيطة وانيقة تفضل بها كاتب محاضر المجلس.
واخيرا تفتت عبقرية رسام ليصور لنا نخامة المسرحية على صفحات احدي الجرائد المعروفة في كاريكاتير لقوام السلطنة يقدم فيه للسوفيت حصته من نفط ايران في برميل واحد دون زيادة او نقصان!

وسرعان ما حددت جريدة «اطلاعات» شبه الرسمية في عددها الصادر يوم

١٤ آب ١٩٤٧ الاطار الواقعي لسياسة ايران تجاه الاتحاد السوفيتي بعد الحرب العالمية الثانية حينما كتبت تقول بصراحة مابعدھا صراحة:

«ومع ان ايران لم تنضم مثل تركيا الى الجبهة المعادية للسوفيت، الا انها تقع في صف واحد مع تركيا والعراق بحكم قربها من الحدود السوفيتية...»

وهكذا قبل ان يضع العقد الخامس وزره الثقيل بعامين وجد الخبراء العسكريون الامريكان طريقهم الى المناطق الشمالية المتاخمة للحدود السوفيتية، مما استدعى مذكرة احتجاج شديدة اللهجة بعثتها موسكو الى طهران على جناح السرعة في ٣١ كانون الثاني عام ١٩٤٨. ولكن كما هو معلوم ان حق الجار على الجار كبير، وفعلا راعى الطرفان، كل من منطلقه، بروتوكول هذا المبدأ بدقة، مما انعكس بصورة خاصة في الزيارات الودية التي قام بها محمد رضا بهلوي بصحبة الشاهبانو الى موسكو واجمل البقاع الموجودة في سدس مساحة العالم الذي يرفرف فوقه العلم الاحمر المزين بمنجل الفلاح ومطرقة العامل. ولا يغيض الاستعمار الجديد فيما لو تعدى الامر حدود البروتوكول، وبلغ حد بيع الغاز الايراني للسوفيت، وقيامهم ببناء معمل للصلب في اصفهان، وبيع بعض الاسلحة الى ايران، وباحتلال الاتحاد السوفيتي المرتبة الخامسة في التجارة الخارجية الايرانية، مادام ان ادق الاجهزة الالكترونية الامريكية اصبحت تراقب كل شيء، حتى القوافل التجارية التي تعبر نهر آراس والحنة المهربة المرغوبة جدا لدى الاذربيجانيات في باكو وغيرها.

وعلىنا في الختام ان نتذكر مرة اخرى ولاننسى ابدا ان ٢٥٠٠ كم من الحدود، التي هي من اطول الحدود العالمية، تربط بين احدي القوتين العظميين والجناح الشرقي للشرق الاوسط، ويوسع من يرغب ان يضيف الى هذا الرقم الكبير ٨٥٠ كم اخرى هي طول الحد الفاصل بين ايران غربا وافغانستان شرقا.

.

تاريخ ايران الحديث والمعاصر
في الوثائق الروسية

اضفى الموقع الجغرافي مع التفاوت في التطور الاقتصادي طابعا متميزا على العلاقات بين روسيا وايران في العصر الحديث. فعندما بدأت ايران تعيش فترة اضمحلال وتدهور منذ اواخر العهد الصفوي، دخلت روسيا، البلد الاوروبي الاقرب منها، مرحلة تاريخية جديدة في مجال التطور الاقتصادي والتحول السياسي. وبعد ان بلغ تقدم روسيا غربا مداه تحولت الى الجنوب حيث الامكانيات الطائلة والاراضي الشاسعة والمنافذ المهمة في ظل انظمة بدأت تتخلف عن الركب الحضاري بسرعة كبيرة، الامر الذي تحول الى العنصر الاساس في تحديد طبيعة العلاقات الروسية - الايرانية الجديدة. فان معظم المناطق الجنوبية التي جلبت انظار القياصرة الروس كانت تخضع لايران، البلاد التي كانت ايضا تؤلف بذاتها ممرا مهما الى المياه الدافئة والهند الغنية ومناطق الشرق الاقصى الواسعة، فقطع أراضيها (اراضي ايران) اول الرحالة الروس المتوجهين الى هناك قبل ان يشرف القرن الخامس عشر على نهايته^(١). وفي اواسط القرن السادس عشر، في عهد ايفان الرهيب، وهو اول قيصر روسي^(٢)، سيطرت روسيا على مدينة استراخان الواقعة على نهر الفولغا قرب مصبه في بحر قزوين، الامر الذي ادى الى سيطرة الروس على وادي فولغا الاسفل وساعدهم على الوصول الى بحر قزوين وتجارته. وتحول ذلك في مجمله الى بداية طريق روسيا نحو ايران والمناطق التي بحوزتها.

وفضلا عن ذلك كان من مصلحة ايران التي عاشت فترة ازدهار نسبي في

(١) للتفصيل راجع: ب.م. دانتسيك، الشرق الادنى في العلم والادب الروسي، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٧٣، ص ٢٠ - ٢١؛ ب.م. دانتسيك، الرحالة الروس في الشرق الادنى، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٦٥، ص ٢٣ - ٢٤. (راجع كذلك ص ٤٠ - ٤١ من تعريب الكتاب الاخير بعنوان «الرحالة الروس في الشرق الاوسط»، بيروت، ١٩٨١ للدكتور معروف خزنة دار).

(٢) في العام ١٥٤٧ اصبح اول قيصر لروسيا، وفي العام ١٥٥٦ استولت بلاده على مدينة استراخان.

عهد العباسيين الاول والثاني (اواخر القرن السادس عشر - اواسط القرن السابع عشر) ان تقيم علاقات اقتصادية لها مع جارتها الشمالية روسيا التي كانت تؤلف، في الوقت نفسه، افضل حلقة وصل تربطها مع اوربا عبر نهر الفولغا وبحر قزوين. وكان من شأن هذا الطريق الجديد ان يساعد ايران على منافسة تركيا التي ظلت تتمتع بفوائد تجارتها مع اوربا عبر الخليج والبحر المتوسط. وعند هذه النقطة التقت مصالح ايران مع روسيا التي كانت ترغب بدورها في اضعاف تركيا يومذاك وتحويل قوافل الشرق التجارية الى اراضيها. وقد تحول هذا الواقع الى اساس مبكر لظهور العلاقات السياسية والتجارية بين روسيا وايران^(٣). فلم ينته القرن السابع عشر حتى اصبح لدى روسيا عدد من السفن في مياه قزوين، وفي العقد الاخير من القرن السابع عشر وصل اصفهان سفير روسي كان هدفه «تحريض الايرانيين على اعلان الحرب ضد تركيا»^(٤).

ازداد اهتمام روسيا بايران منذ عهد بطرس الكبير (١٦٨٢ - ١٧٢٥) الذي دفع بلاده الى مصاف الدول الكبرى المعروفة يومذاك. ومع ان اهتمام العامل الروسي انصب على بحري البلطيق غربا والاسود جنوبا، الا انه لم يتجاهل قزوين، البحر الدافئ الثاني في الجنوب الذي فكر في ربطه باواسط بلاده بواسطة عدد من الانهر والقنوات، واراد تحويله الى منفذ تجاري نشط مع ايران والخليج وما وراء القفقاس واواسط اسيا، بل وحتى مع الهند. لذا لاغرو في ان يضع بعض المؤرخين بحر قزوين على قدم المساواة مع بحر البلطيق والبحر الاسود كمحرك اساس لحروب بطرس الكبير المهمة^(٥).

(٣) ن. ك. كوكانوف، موجز تاريخ العلاقات التجارية الروسية الايرانية في القرن السابع عشر - النصف الاول من القرن التاسع عشر، باللغة الروسية، سارانسك، ١٩٧٧، ص ٢٧ - ٦٠، ٢٦٢ - ٢٦٣.

(٤) L.Lokhart, The fall of the Safavi Dynasty and the Afghan Occupation of Persia, Cambridge 1958, PP. 61 - 62.

(٥) Ibid, P. 59

بلغ اهتمام بطرس الكبير بكل ما يتعلق بإيران حد أنه أرسل بعثة خاصة من الشباب الروس الى هناك لتعلم اللغة الفارسية^(٦). وفي العام ١٧٠٨ وصل العاصمة الإيرانية اصفهان سفيره اسراييل اوري (I. Ori) الذي اثار مجيئه حفيظة ممثلي جميع الدول الاوربية الاخرى هناك. وبعد تسع سنوات^(٧) بعث بطرس بسفير انشط الى البلاط الايراني هو اريتم فولينسكي (A. P. Volenski) الذي كان يبلغ من العمر ٢٨ عاما فقط، وحدد له شخصيا مهمته بالعمل من اجل عقد معاهدة تجارية بين البلدين، واقتناع المسؤولين الايرانيين بتحويل طريق تجارتهم مع اوربا من سوريا وتركيا الى الاراضي الروسية، وجمع معلومات تفصيلية عن كل ما يتعلق ببلاد فارس، خاصة عن قوتها العسكرية والطرق التي تربطها بالهند التي كانت تغري الجميع يومذاك لا بامكاناتها حسب، بل ايضا بثقلها الكبير في ميزان الصراع الدولي. ولم يقصر فولينسكي في اداء مهمته على الوجه الاكمل، فتحولت تقاريره ومعلوماته الدقيقة الى اساس مهم لسياسة بطرس اللاحقة تجاه ايران، فاستحق ان يصبح حاكما على استراخان اعتبارا من العام ١٧٢٠ ليراقب احداث ايران من هناك عن كثب، وليبذل، مع غيره، كل ما في وسعه لكسب عطف رعايا ايران، وفي مقدمتهم الجورجيون والارمن المسيحيون الذين لم يكونوا في وضع يحسدون عليه^(٨).

وعندما انتهى اقوى قياصرة الروس قاطبة من حربه الطويلة مع السويد في الغرب سنة ١٧٢١^(٩) تفرغ للجنوب فتوجه في تموز من العام التالي من استراخان بحرا الى داغستان التي كانت تخضع لايران. تالفت حملة بطرس

(٦) ب. م. دانتسيك، الشرق الادنى في العلم والادب الروسي، ص ٥٧.

(٧) تشير بعض المصادر الغربية الى ان بطرس الكبير ارسل فولينسكي الى اصفهان عام ١٧١٥، فيما تؤكد المصادر الروسية على ان الامر جرى بعد ذلك التاريخ بستين، أي عام ١٧١٧ (عن الاول راجع:

L.Lockhart, Op. Cit., P. 103

وعن الثاني راجع: م. س. ايفانوف موجز تاريخ ايران، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٥٢، ص ٨٥-٨٦.

(٨) للتفصيل راجع: م. س. ايفانوف، المصدر السابق، ص ٨٥-٨٧، ٩٦؛

L.Lockhart, Op. Cit., PP. 63 - 64 103 - 106, 108, 176.

(٩) وتعرف بـ «الحرب الشمالية» التي بدأت عام ١٧٠٠ وانتهت عام ١٧٢١.

التي تعرف بـ«المسيرة الفارسية ١٧٢٢ - ١٧٢٣» من عشرين ألف من رجال المشاة نقلتهم ٢٧٤ سفينة الى البر الداغستاني. ولم يتوقف القيصر الروسي في داغستان، بل توغل اكثر باتجاه الجنوب وبلغ دربند في ايلول ١٧٢٢ ومن ثم بعث بكتيبتين من قواته الى كل من انزلي - اهم موانئ قزوین، ورشت - اهم مدن جيلان التي دخلتها القوات الروسية في كانون الاول. وفي صيف ١٧٢٣ دخل الروس باكو - ثاني مدن اذربيجان بعد تبريز وثاني موانئ قزوین بعد انزلي، والميناء الوحيد الصالح للملاحة على طول سواحله الغربية، ومركز المنطقة المعروفة بثروتها النفطية التي جلبت انظار بطرس الكبير بصورة خاصة.

وتحت زخم التقدم الروسي اضطرت الحكومة الايرانية للتوقيع على «معاهدة بطرسبورغ» يوم ١٢ ايلول عام ١٧٢٣ والتي تنازلت بموجب بنودها عن كل من دربند وباكو ومنطقة شيروان وجيلان ومازندران واستراباد لروسيا. وقد ثبتت الاخيرة مكاسبها تلك في معاهدة جديدة ابرمتها مع تركيا في العام التالي والتي تنازل الباب العالي بموجب بنودها عن اطماعها في ايران ومناطق قزوین، الامر الذي يعتبره بعض المؤرخين اول تخطيط لتقسيم ايران^(١). دشنت «المسيرة الفارسية» او «حملة بطرس على ايران» بداية مرحلة جديدة للعلاقات بين البلدين المتجاورين اتسمت بتقدم الروس وتراجع الايرانيين في جو متوتر بلغ مداه في ثلاث حروب اشغلت الجزء الاكبر من سنوات العقد الاخير من القرن الثامن عشر والعقود الثلاثة الاولى من القرن التاسع عشر. ففي سنة ١٧٩٥ حاول اغا محمد خان، مؤسس الاسرة القاجارية، استعادة ما فقدته بلاده من اراض في اذربيجان وجورجيا، فتوغل على راس قواته الى حد مدينة تبليس عاصمة جورجيا التي دخلها يوم ١٢ ايلول من العام نفسه واستباح اهلها على مدى ثمانية ايام ونقل منهم ١٦ الفا الى داخل الاراضي الايرانية، الامر الذي دفع جورجيا بقوة الى احضان روسيا، فاعاد الشاه القاجاري حملة ثانية عليها في بداية صيف عام ١٧٩٧، الا انه اغتيل في الطريق على ايدي اثنين من اتباعه وفشلت الحملة بذلك.

(١٠) م. س. ايفانوف، المصدر السابق، ص ٨٦ - ٨٨

G.N. Curzon, Persia and the Persian Question, Vol. I, London, Second Impression, 1966, PP.

734-735 ; L. Lockhart, Op. Cit., PP. 176 - 189, 233 - 235.

ورغم فشل اغا محمد خان في نهاية المطاف الا ان الحملتين هياتا ظروفًا
انسب للتغلغل الروسي المتزايد في مناطق ما وراء القفقاس. ففي نيسان عام
١٧٩٦ بدأت «المسيرة الفارسية» الثانية للقوات الروسية الى مناطق قزوین عبر
داغستان، وفي العاشر من ايار استعادت دربند، وفي الخامس عشر من
حزيران سيطرت على باكو ومن ثم استعدت للدخول في الاراضي الإيرانية
نفسها. وفي العام ١٨٠١ دخلت جورجيا في نطاق الامبراطورية الروسية،
وبعد سنتين فقط تحركت القوات الروسية باتجاه المناطق الشرقية لما وراء
القفقاس، وفي كانون الثاني ١٨٠٤ فرضت سيطرتها على خانية كنجة.
ادت الاحداث الاخيرة، مع مناورات الدول الكبرى الاخرى وطموحات
البلاط الايراني، الى اندلاع حرب كبرى بين روسيا وايران بدأت في العام
١٨٠٤ وانتهت بعد تسع سنوات في العام ١٨١٣ بالتوقيع على «معاهدة
كلستان» التي ثبتت بنودها اقدام روسيا القيصرية في اجزاء واسعة من ما وراء
القفقاس مع بعض المناطق المشرفة على بحر قزوین الى حد كبير، كما
ضمنت جانبًا اساسيًا من مصالحها داخل الاراضي الايرانية نفسها.
ولكن لم يمر سوى اقل من ثلاثة عشر عاما على عقد «معاهدة كلستان»
حتى اندلعت بحكم العوامل ذاتها نيران حرب جديدة بين البلدين سنة
١٨٢٦ لتنتهي هذه المرة في غضون اقل من عامين باندحار اكبر من السابق
لايران التي اضطرت للتوقيع في العاشر من شباط عام ١٨٢٨ على «معاهدة
تركمانيجاى»، مقدمة بنودها تنازلات جديدة لروسيا، منها حق احتكار الملاحة
وصيد الاسماك في بحر قزوین^(١).
وبعد ابرام «معاهدة تركمانيجاى» تمكنت روسيا القيصرية من فرض نفوذها
الى حد كبير على البلاط الايراني وعلى الاجنحة السياسية التقليدية في
طهران فضلا عن مختلف المرافق الاقتصادية الحيوية في كل البلاد. وقد
بلغت المصالح الروسية في ايران حد ان اجبرت لندن على اقرارها في
ظروف دولية متشابكة عشية الحرب العالمية الاولى، فجاءت اتفاقية عام

(١١) تطرقنا الى تفاصيل هذه القضايا باسهاب ضمن الموضوع الاول من هذا الكتاب.

١٩٠٧ المعروفة التي قسمت ايران الى منطقتي نفوذ شمالية روسية وجنوبية بريطانية مع منطقة ثالثة محايدة تفصل بينهما وتخضع لهما في ان واحد. وازداد تدخل روسيا في ايران وتشعبت مصالحها هناك في ظل الظروف التي استجدت مع اندلاع الحرب العالمية الاولى عندما اصبحت ايران تفصل جزءا حساسا من الحدود الدولية الفاصلة بين الخندقين المتقابلين في بقعة ملتهبة من ميادين القتال الشرقية. واخيرا حدث تغيير نوعي في النظرة الى موقع ايران واهميتها من منطلقات متناقضة بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا عام ١٩١٧.

وقد رافق كل ذلك، ويخط متواز، تطور ملموس في العلاقات الاقتصادية بين ايران وروسيا في العصر الحديث. فقد ارتفعت قيمة مجمل التبادل التجاري بين ايران وروسيا خلال السنوات الخمس الاخيرة فقط من العقد الثاني من القرن التاسع عشر بمقدار مرتين ونصف المرة (من مليون و ٨٠٠ ألف روبل الى اربعة ملايين و ٢٥٠ ألف روبل). وخلال الفترة الواقعة بين عامي ١٨٠٢ و ١٨٢٧ ارتفعت صادرات روسيا الى ايران بمقدار تسع مرات^(١). واحتلت روسيا بعد ذلك، وفي فترات مختلفة، المكانة الاولى في لوحة تجارة ايران الخارجية.

وجدت هذه الامور، وكل مايتعلق بها، مع غيرها من القضايا الايرانية المهمة، انعكاسات واضحة لها في سيل التقارير الدبلوماسية والمكاتبات السرية والدراسات الروسية الخاصة، وهي في مجملها تتضمن اندر الوثائق التي تؤلف مجلدات ضخمة تضم دفئا كل واحد منها ادق المعلومات المفيدة التي بوسعها لقاء الضوء على شتى جوانب تاريخ ايران الحديث والمعاصر. وباجماع الاراء تؤلف الوثائق الدبلوماسية مصادر اصيلة لا غنى عنها لكل بحث علمي رصين يتصدى لمعالجة موضوع تاريخي حديث. ويضفي طابعها الموضوعي بحكم سريتها والغرض الذي استوجب وضعها قبل عشرات السنين اهمية استثنائية على الوثائق تلك.

(١٢) ن.ك. كوكونوفا، المصدر السابق، ص ٢٦٧.

اولى الروس حفظ الوثائق جانبا كبيرا من اهتمامهم منذ عهد بطرس الكبير الذي اسس قبل وفاته بفترة وجيزة اول ارشيف تاريخي في بطرسبورغ باسم «الارشيف الرئيس لشؤون الدولة القديمة». وبعد وفاته بثلاثة اعوام اسس في العاصمة الروسية اول ارشيف اكايمي تحول فيما بعد الى نواة «ارشيف اكااديمية العلوم السوفيتية». وبعد ذلك التاريخ ظهر تباعا عدد كبير من مراكز حفظ الوثائق في مختلف مدن روسيا. وفي الوقت الحاضر يوجد في الاتحاد السوفيتي ما لا يقل عن عشرة مراكز رئيسة لحفظ الوثائق التي يخص قسم جبر - محلف قضايا الشرق . ويتميز «ارشيف سياسة روسيا الخارجية» بثروته الوثائقية الغنية والنادرة في هذا الميدان. وينطبق القول نفسه على الوثائق المحفوظة في «الارشيف الحربي - التاريخي المركزي الحكومي»، وعلى محتويات عدد من المراكز الفرعية لحفظ الوثائق، يأتي في مقدمتها «الارشيف التاريخي الحكومي المركزي» في مدينة تبليس عاصمة جورجيا السوفيتية، و «الارشيف الحكومي المركزي». بمدينة لينينغراد.

ومن المفيد ان نشير الى ان التقارير والوثائق المحفوظة في هذه المراكز تحتوي على معلومات مهمة ومتنوعة تخص سياسة روسيا والدول الكبرى الاخرى تجاه ايران، ونصوص المعاهدات والاتفاقيات المختلفة التي عقدتها ايران مع الدول الاجنبية، ونشاطات العملاء الاجانب والبعثات التبشيرية والمؤسسات الاقتصادية والقوى السياسية هناك، وعلى تفاصيل دقيقة عن العشائر الايرانية ورؤسائها وتحركاتها وامكاناتها الحربية، وعن الزعماء السياسيين والدينيين وغير ذلك من الامور التي تدخل في اعداد المصادر الاصلية المهمة بالنسبة للمؤرخ. ومن المهم ان نشير ايضا الى ان عددا من اصحاب تلك التقارير تحولوا فيما بعد الى علماء لهم باع طويل في عالم الاستشراق، منهم البروفيسور المعروف مينورسكي وباسيل نيكيوتين وغيرهما.

في ٨ تشرين الثاني عام ١٩١٧، اي بعد مرور يوم واحد على انتصار ثورة اكتوبر في روسيا، تعهد النظام السوفيتي الجديد بنشر جميع المعاهدات والاتفاقات السرية التي عقدتها الحكومة القيصرية السابقة مع الدول الكبرى وغيرها، مما دشن بداية للكشف عن جانب مهم من محتويات الارشيفات

الروسية الخاصة. وعلى هذا الاساس تألفت لجنة خاصة لدراسة المعاهدات والمراسلات السرية لروسيا القيصرية تمهيدا لنشرها. وبعد حل رموزها الذي استغرق حوالي ستة اسابيع من العمل المتواصل تم نشر حوالي مائة معاهدة وعدد كبير من الوثائق والمراسلات الدبلوماسية السرية في الصحف المحلية كان يتعلق قسم غير قليل منها بايران منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ويومذاك ايضا كشف لأول مرة عن مضمون اتفاقية عام ١٩٠٧ حول تقسيم ايران بين روسيا والمملكة المتحدة مع كل مايتعلق بها. كما كشف النقاب لأول مرة عن اتفاقية اخرى وقعتها الدولتان في سنوات الحرب العالمية الاولى وافقت روسيا بموجب بنودها على ان يمتد النفوذ البريطاني في ايران ليشمل المنطقة التي اعتبرتها اتفاقية ١٩٠٧ محايدة، وبالمقابل تعهدت المملكة المتحدة بضمان طموحات روسيا في مضائق البسفور والدردنيل. وبعد ذلك نشرت سبعة مجلدات بمضامين المعاهدات والوثائق نفسها تحت عنوان «مجموعة الوثائق السرية في ارشيف وزارة الخارجية السابقة» وردت في بعضها وثائق ومعلومات مهمة تخص ايران (١٣).

تتابع بعد ذلك نشر مجموعات اخرى من وثائق الارشيفات الروسية التي يضم جميعها معلومات نادرة، بعضها في غاية الاهمية، عن تاريخ ايران الحديث. ففي الفترة الواقعة بين عامي ١٩٣١ و ١٩٤٠ نشرت باشراف لجنة من المتخصصين مجموعة كبيرة جدا من وثائق الحكومة القيصرية والحكومة المؤقتة (١٤) في مجلدات تحمل عنوان «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية. وثائق ارشيفات الحكومة القيصرية والحكومة المؤقتة ١٨٧٨ - ١٩١٧». تتضمن السلسلتان الثانية والثالثة من المجموعة المذكورة مراسلات القيصر والخارجية والجهات العليا الروسية الاخرى مع سفراء روسيا في مختلف اقطار العالم فضلا عن عدد كبير جدا من التقارير القنصلية والوثائق

(١٣) «تاريخ الدبلوماسية»، باللغة الروسية، الجزء الثاني، موسكو- لينينغراد، ١٩٤٥، ص ٣٨٤-٣٨٥.

(١٤) يقصد بها الحكومة التي تألفت اثر انتصار ثورة شباط ١٩١٧ وسقوط النظام القيصري في روسيا، وقد استمرت في الوجود لغاية انتصار ثورة اكتوبر في العام نفسه.

الدبلوماسية والمعلومات الصحفية وغيرها من المواد الارشيفية التي تعود الى الفترة الواقعة بين ايار ١٩١١ حتى تشرين الاول ١٩١٢ وكانون الثاني ١٩١٤ حتى نيسان ١٩١٦، وهي فترة تمثل احدى ذروات الصراع الدولي عشية الحرب العالمية الاولى وفي سنواتها^(١٥). وتحتوي هذه المجموعة على عدد كبير من الوثائق المدونة بلغات اخرى نشرت بنصوصها الاصلية مع ترجمتها الروسية. والمجلدات العشرة من «العلاقات الدولية» التي احتوت الفترة الواقعة بين كانون الثاني ١٩١٤ ونيسان ١٩١٦ تضمنت اخطر الوثائق السرية التي نشرت لأول مرة في التاريخ، وقد اعترف العلماء باهميتها القصوى، كما ترجم جزء منها الى اللغة الالمانية. لذا فان وثائق «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية» تؤلف معينا مهما للمؤرخين الغربيين والشرقيين على حد سواء^(١٦).

تحتوي جميع أجزاء «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية» على وثائق ومعلومات مختلفة تخص ايران وتؤلف مصدرا اصيلا ومهما لدراسة تاريخها الحديث. فعلى سبيل المثال ان المعلومات التفصيلية التي وردت في عدد من أجزائها بصدد اعمال الخبير الامريكي مورغان شوستر الذي استخدمته الحكومة الايرانية عشية الحرب العالمية الاولى، والازمة السياسية الحادة التي نجمت عن ذلك وكل مارافقتها من صراع دولي وسياسي داخلي وغير ذلك

(١٥) كان من المقرر أن تتألف سلسلة «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية» من عدد اكبر من المجلدات تعود وثائقها الى العقد الثامن من القرن التاسع عشر، الا ان ظروف الحرب العالمية الثانية حالت دون اكمال نشرها، وبعد الحرب استعيز عنها بمنشورات وثائقية اخرى.

(١٦) لا يقتصر ذلك على المؤرخين السوفيت، فان وثائق «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية» تحولت الى مصدر مهم بالنسبة لغيرهم ايضا، بمن فيهم بعض المؤرخين الايرانيين الذين قدموا دراسات رصينة في مجال بحثهم (راجع على سبيل المثال:

Hosseini Nazem, Russia and Great Britain in Iran, 1900 - 1914. Based on British, French, German, Iranian, Russian and United States Diplomatic Documents, Teheran, 1975).

من مواضيع مهمة^(١٧)، تفوق في نقاط عديدة ما ورد في مذكرات شوستر نفسه التي نشرها تحت عنوان «اختناق ايران»^(١٨). ولتوضيح هذه الحقيقة اكثر نشير الى ان ٨٩ وثيقة من اصل ٣٤٤ وثيقة وردت في الجزء الاول من المجلد التاسع عشر من «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية» (اكثر من ٢٥٠ صفحة) تخص فقط موضوع الانذار الذي وجهته الحكومة القيصريّة الى الحكومة الايرانية بصدد طرد شوستر من منصبه وابعاده من ايران، فيما تخص الوثائق المتبقية، ومجموعها ٢٥٥ وثيقة فقط، علاقات روسيا القيصريّة ببقية اجزاء العالم^(١٩).

وعلى الغرار نفسه تتوفر معلومات دقيقة جدا في مجلدات «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية» عن مؤامرات الدول الاستعمارية في ايران عشية الحرب العالمية الاولى وفي سنواتها، وعن النشاطات المتشعبة لعملاء تلك الدول، ووقائع الحرب نفسها على الساحة الايرانية، وعن كل مايتعلق بنشاطات الشاه المخلوع محمد علي مرزا الذي يشغل عهده^(٢٠) ومن ثم

(١٧) راجع على سبيل المثال: «وزارة الخارجية . العلاقات الدولية في عصر الامبريالية . وثائق ارشيفات الحكومة القيصريّة والحكومة المؤقتة ١٨٧٨ - ١٩١٧»، التسلسل الثاني (١٩٠٠ - ١٩١٣)، المجلد الثامن عشر، الجزء الاول (١٤ ايار ١٩١١ - ١٣ ايلول ١٩١١)، لينينغراد، ١٩٣٨، الوثائق ١٨٠ و ١٩١ و ٣٠٨ و ٣١٦ و ٤١١ و ٤١٩ و ٤٢٦ وغيرها؛ المجلد الثامن عشر، الجزء الثاني (١٤ ايلول ١٩١١ - ١٣ تشرين الثاني ١٩١١)، موسكو- لينينغراد، ١٩٣٨، الوثائق ٦٠٣ و ٦٧٤ و ٨٥٢ و ٨٣٠ وغيرها؛ المجلد التاسع عشر، الجزء الاول (١٤ تشرين الثاني ١٩١١ - ١٣ كانون الثاني ١٩١٢)، موسكو- لينينغراد، ١٩٣٨، الوثائق ١٥ و ٢٦ و ٥٧ و ١٧٥ و ١٩٩ و ٢٣٨ و ٢٥٨ و ٢٧٤ و ٣٣٤ وغيرها.

(18) W.M. Shuster, The Strangling of Persia. Story of the European diplomacy and oriental intrigue that resulted in the denationalization of twelve million Mohammedans. A Personal narrative, New York, 1912.

(١٩) «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية . . .»، المجلد التاسع عشر، الجزء الاول (١٤ تشرين الثاني ١٩١١ - ١٣ كانون الثاني ١٩١٢)، موسكو- لينينغراد، ١٩٣٨. يقع المجلد في اكثر من ٢٥٠ صفحة.

(٢٠) جاء الى العرش بعد وفاة والده مظفرالدين شاه في كانون الثاني عام ١٩٠٧.

مؤامراته بعد خلعه في تموز عام ١٩٠٩ حيزا مهما من تاريخ ايران الحديث رافق ذروة ايام الثورة الدستورية (١٩٠٥ - ١٩١١). وفي الواقع قلما يوجد مصدر اصيل آخر، بما في ذلك المصادر الفارسية نفسها، يضاهي الوثائق التي وردت في عدد من مجلدات «العلاقات الدولية» بصدد الموضوع الاخير^(٢١).

ومن المهم بالنسبة لنا ان نشير الى ان بعض مجلدات «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية» تتضمن مجموعة من اندر الوثائق تخص العلاقات الايرانية - العراقية في سنوات الحرب العالمية الاولى عندما حاولت بعض الاطراف الدولية تحويل العراق الى احدى ادوات مساوماتها السياسية في تلك المرحلة التاريخية الحرجة التي شهدت تقرير مصير العديد من شعوب المنطقة حسب اهواء الدول الكبرى، الموضوع الذي كرسنا له موضوعا اخر من مواضيع هذا الكتاب^(٢٢). فحسبما يبدو من وثائق المجلدات السابع والثامن والتاسع من التسلسل الثالث لـ «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية» ان سازانوف وزير خارجية روسيا القيصرية دخل اثناء الحرب في مفاوضات سرية مع نظيره البريطاني السر ادوارد غراي بصدد «منح مدينتي النجف وكربلاء» الى ايران لابعادها، مقابل ذلك، عن المانيا والدولة العثمانية وتدفعها الى جبهة الحلفاء^(٢٣).

باشرت وزارة الخارجية السوفيتية منذ عام ١٩٦٠ نشر مجموعات جديدة من وثائق روسيا القيصرية تحت عنوان «السياسة الخارجية لروسيا في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين». وثائق وزارة الخارجية الروسية، وهي

(٢١) راجع على سبيل المثال: «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية...»، المجلد الثامن عشر، الجزء الاول، الوثائق ١٣٣ و ١٥١ و ٢٠٠ و ٣٥٧ و ٤١٨ و ٤٣٦ وغيرها.

(٢٢) راجع موضوع «العراق وايران بين سازانوف وغراي». وثائق جديدة.

(٢٣) راجع: «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية...»، التسلسل الثالث (١٩١٤ - ١٩١٧)، المجلد السابع، الجزء الاول (١٤ كانون الثاني - ٢٣ آذار ١٩١٥)، الوثائق ٥٥ و ١٣٤ و ٣٥٢ و ٣٦٧ و ٤٠٠ وغيرها؛ المجلد الثامن، الجزء الثاني (٢٤ أيار - ١٦ تشرين الاول ١٩١٥)، الوثائق ٦٣٧ و ٦٣٨ و ٦٣٩ و ٦٨٨ و ٧٣٩ وغيرها؛ المجلد التاسع (١٧ تشرين الاول ١٩١٥ - ١٣ كانون الثاني ١٩١٦)، الوثائق ١٦٥ و ٢٤١ و ٣٨١ وغيرها.

تتضمن المراسلات والتقارير ونصوص المعاهدات والاتفاقيات وغيرها من الوثائق الدبلوماسية منذ ان تأسست اول وزارة للخارجية الروسية في العام ١٨٠٢، وتتألف من ست مجموعات طبعت منها حتى الان المجموعتان الاولى والثانية ضمن «التسلسل الاول» ويحتوي وثائق الفترة الواقعة بين عامي ١٨٠١ و ١٨١٥ و «التسلسل الثاني» ويحتوي وثائق الفترة الواقعة بين عامي ١٨١٥ و ١٨٣٠. اما المجموعات الاربع المتبقية فمن المقرر ان تتضمن وثائق الفترة الممتدة بين عامي ١٨٣٠ و ١٩١٧.

تحتوي المجلدات المنشورة من «السياسة الخارجية لروسيا في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين» على مئات الوثائق السرية بخصوص ايران، مما يؤلف ثروة هائلة بالنسبة لكل من يتصدى لاهم مواضيع تاريخها منذ اوائل القرن الماضي. فمن الصفحات الاولى من المجلد الاول يبدأ اسم ايران بالظهور عندما تتحدث اولى الوثائق الروسية عن هجوم آغا محمد خان، مؤسس الاسرة القاجارية، على جورجيا^(٢٤).

تتضمن مجلدات «التسلسل الاول» من «السياسة الخارجية لروسيا في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين» معلومات مفصلة ودقيقة عن اوضاع الارمن والجورجيين والاذربيجانيين في ظل الحكم القاجاري، وعن الصراع الدولي على ايران اثناء حروب نابليون بونابارت وخطته الطموحة لغزو الهند، وعن سياسة القياصرة الروس تجاه المنطقة، وعن الاوضاع الداخلية في ايران ومواضيع اخرى مشابهة. ولا يوجد مصدر اصيل اخر يضاهي مجلدات «التسلسل الاول» لتوضيح وقائع الحرب الايرانية - الروسية في ١٨٠٤ - ١٨١٣ وكل ما رافقها من احداث وماتبعها من نتائج كرسست لها عشرات الوثائق ومقدار اكبر من صفحات المجلدات التسعة الاخيرة من «التسلسل الاول»^(٢٥). وعلى الغرار نفسه تؤلف مجلدات «التسلسل الثاني» افضل

(٢٤) راجع: «وزارة الخارجية. السياسة الخارجية لروسيا في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وثائق وزارة الخارجية الروسية»، التسلسل الاول (١٨٠١ - ١٨١٥)، المجلد الاول (آذار ١٨٠١ - نيسان ١٨٠٤)، موسكو، ١٩٦٠، الوثيقتان ٧ و ١٧، ص ٢٤ - ٢٦، ٧٢ - ٧٧.

(٢٥) نشر المجلد العاشر والاخير من «التسلسل الاول» في العام ١٩٧٦.

مصدر لدراسة كل مايتعلق بالحرب الروسية - الايرانية في ١٨٢٦ - ١٨٢٨ ، كما انها تأتي في مقدمة المصادر المهمة لتوضيح شتى جوانب الحياة السياسية والاقتصادية لايران خلال العقدين الثاني والثالث من القرن التاسع عشر^(٢٦).

ومنذ العام ١٩٥٧ باشرت وزارة الخارجية السوفيتية نشر «وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي» في مجلدات حسب التسلسل الزمني. وتتضمن المجلدات الاولى من المجموعة الوثائقية الروسية الجديدة اعدادا كبيرة جدا من الوثائق عن العلاقات الايرانية - السوفيتية ايام ثورة اكتوبر وما بعدها وفي فترة الازمة السياسية في ايران (١٩٢١ - ١٩٢٥) التي اسفرت اخيرا عن سقوط الاسرة القاجارية وتأسيس الاسرة البهلوية واسط العقد الثالث^(٢٧). ولا تكمن اهمية معظم الوثائق المذكورة في محتوياتها حسب، بل نكمن ايضا في كونها تنشر لأول مرة وبوسعها ان تلقي الضوء على جوانب مختلفة من تاريخ ايران الحديث والمعاصر. فقد وردت في المجلدات الاولى من «وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي» حقائق مذهلة عن محاولات الدول الكبرى لتحويل ايران الى احدى قواعد التدخل للقضاء على السلطة السوفينية الجديدة في روسيا، وعن نشاط رجال الحرس الابيض والداشناقيين الارمن وغيرهم في ايران. فان اراضي اذربيجان الايرانية قد تحولت، مثلا، الى مقر فعلي للحكومة التي اسسها الداشناق في المنفى، الامر الذي اثار الاتحاد السوفيتي الى حد كبير^(٢٨).

وكما يبدو واضحا من عشرات المذكرات والنداءات التي وجهتها الخارجية السوفيتية الى الحكومة الايرانية ان قادة النظام الجديد في روسيا كانوا مهتمين

(٢٦) تسنى لي الاطلاع على المجلدات الاربعة الاولى من «التسلسل الثاني» من «السياسة الخارجية لروسيا في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين». يتضمن المجلد الرابع من التسلسل المذكور الوثائق التي تعود الى الفترة الواقعة بين آذار ١٨٢١ وكانون الاول ١٨٢٢ ، وقد طبع عام ١٩٨٠ .

(٢٧) في موضوع «رضا المازندراني والعرش الايراني - من تاريخ تأسيس الاسرة البهلوية والخيوط الاولى لسياسة الاستعمار الجديد في الشرق الاوسط» اشرت الى عدد من تلك الوثائق.

(٢٨) «وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي»، المجلد الخامس (كانون الثاني ١٩٢٢ - ١٩ تشرين الثاني ١٩٢٢)، موسكو، ١٩٦١ ، الوثيقتان ١٠٥ و ٢٨٧ والملاحظة رقم ٥٣ ، ص ١٨٦ - ١٨٨ ، ٦٢٨ - ٦٢٩ ، ٧٢٨ - ٧٢٩ وغيرها.

-٢٩٧-

جدا باقامة علاقات حسن جوار طيبة مع ايران منذ الايام الاولى لانتصار ثورة اكتوبر جريا على منطلقاتهم الجديدة، وليضمنوا بذلك ايضا أمن جزء حساس من حدود بلادهم الجنوبية، وليحافظوا على العلاقات الاقتصادية التقليدية التي كانت تسود البلدين قبل الثورة، وليجعلوا من صلاتهم مع ايران انموذجا يدفع بدول المنطقة الاخرى الى ان تحذو حذوها. ولتحقيق كل ذلك قدمت روسيا السوفيتية تنازلات كثيرة لايران وردت تفاصيلها موثقة في المجلدات الاولى من «وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي»^(٢٩). ولكن رغم ذلك ساد التوتر علاقات الدولتين على مدى سنوات طويلة، وهي غالبا ما اتسمت بالمد المصطنع والجزر المدبر الى ان اتخذت طابعا جديدا الى حد ما في عهد رضا شاه بهلوي، الامور التي يجد المؤرخ تفاصيل دقيقة بصدها وبصدد غيرها من المواضيع التي تخص تاريخ ايران المعاصر في المجلدات المنشورة من «وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي».

وفي الواقع قلما توجد مجموعة وثائقية سوفيتية عامة تخلو من امور تخص تاريخ ايران الحديث بصورة مباشرة أو غير مباشرة. فعلى سبيل المثال اعيد نشر النص الكامل لاتفاقية تقسيم ايران للعام ١٩٠٧ في «العلاقات الدولية والسياسية الخارجية للاتحاد السوفيتي». مجموعة وثائق ١٨٧١ - ١٩٥٧»^(٣٠). كما تتضمن مؤلفات المؤرخين السوفيت الكثير عن تاريخ ايران الحديث معلومات وثائقية مختلفة استقاها اصحابها من مظانها الاصلية. وفضلا عن كل ذلك لاتزال الارشيفات السوفيتية نفسها تحتوي على اعداد هائلة من الوثائق المهمة التي تخص شتى اوجه تاريخ ايران الحديث، ونحن من احوج الناس الى الاطلاع على مضامينها، الامر الذي يدعو الى اهتمام خاص من لدن المؤسسات التي تعني بالدراسات التاريخية في بلادنا.

(٢٩) راجع على سبيل المثال:

«وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي»، المجلد الاول (٧ تشرين الثاني ١٩١٧ - ٣١ كانون الاول ١٩١٨) موسكو، ١٩٥٧، الوثائق ١٨ و ٢٧ و ٤٠ و ٥٤ وغيرها؛ المجلد الثاني (١ كانون الثاني ١٩١٩ - ٣٠ حزيران ١٩٢٠)، موسكو، ١٩٥٨، الوثائق ١٢٩ و ٣٥٤ و ٣٧٣ وغيرها.
(٣٠) «العلاقات الدولية والسياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي». مجموعة وثائق ١٨٧١ - ١٩٥٧، موسكو، ١٩٥٧، ص ٣٩ - ٤٢.

فهرست الاعمال

اعلام الاشخاص^(١)

- ١- ابراهيم تيمورى ٧٣ .
 ابراهيم خان ٢٣٧ - ٢٣٨ .
 ابراهيم خان الافشاري ١٩٧ .
 ابراهيم خليل خان ١٩٨ .
 ابن خلكان ٢٦٠ .
 ابو الفتح خان ٢٣ (هـ) .
 ابو الفتح شاه ٢٤٢ .
 ابو الفضل قاسمي ١٤١ .
 ابو القاسم لاهوتي ٢٤٩ .
 أتابك أعظم ١٠٣ ، ٢٠٢ (هـ) ، ٢٠٣ .
 «اتحاد اسلام» ٢٤٧ .
 «اتحاد الشبيبة الديمقراطية الكردستاني» ٢٦٠ .
 «اتحاد العشائر الجنوبية» ١٥٢ .
 الاتحاديون ٢١٢ ، ٢٤٨ .
 الاتراك ١٤ (هـ) ، ١٨ ، ٢٠ ، ٣٥ ، ٤٨ ، ٨٢ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٣٩ ، ٢٥٢ ، ٢٧٠ .
 «اتفاقية ١٩٠٧» ٩٤ (هـ) ، ٢٨٩ - ٢٩٠ ، ٢٩٨ .
 الاثوريون ١٨٣ ، ٢٣٧ ، ٢٥٠ ، ٢٦٠ .
 «اجتماعيون عاميون» ٢٠١ .
 احسان خان ٧٠ .
 احمد بيك المكري ٢٤١ .
 احمد آغا خان ١٥٩ .
 احمد باشا، الصدر الاعظم ٤٨ .
 احمد تقي ٢٥٢ (هـ) .
 احمد شاه ١٠ (هـ) ، ٩٣ - ٩٤ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١٢٢ ، ١٣٠ ، (م.هـ) ، ١٤١ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٣ (م.هـ) ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٨ ، ٢٤٢ .
 احمد عثمان ابو بكر، الدكتور ٢٣٦ (هـ) .
 احمد قوام راجع: قوام السلطنة .
 الاخمينيون ١٩٣ (بلاد) ، ٢٢٨ .

(١) نحيط القارئ الكريم علما بأننا دأبنا في هذا الكشف العام عن الاعلام الواردة في الكتاب على تقسيمه الى قسمين ، قسم يشمل اعلام الاشخاص من حقيقية وحكمية مع بعض الاحداث . اما القسم الثاني فيشمل اعلام الاماكن من قرى ومدن وبلدان ومناطق وقارات ، وكل ما يدخل ضمن الاطار الجغرافي .

ونظرا لكثرة تكرار بعض الاعلام الرئيسة في الكتاب ، فاننا لم نشر اليها . ونذكر ان حرف (م) يرمز الى المتن ، وحرف (هـ) الى الهامش ، وحرف (ع) الى العشرة .

- (م.هـ.) . ٦٥ ، ٦٩ ، ٧٩ ، ٨١ ، ١٣٦ ، ١٨٣ ، ٢٣٧ ، ٢٤٤ (هـ) ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٨٧ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ .
- ارستوف، الجنرال ٧٠ .
- «ازاديستان» ١٢١ ، ٢١٧ .
- اسرائيل اوري ١٥ ، ٢٨٧ .
- الاسرة القاجارية راجع: القاجاريون .
- «اسرة قاضي» ٢٤٦ .
- اسرة هيراكلي ٦٥ .
- اسكالن، المستشرق ٤٠ .
- اسكندر الاول ٣١ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ .
- اسكندر مارك أنطوني ٢٢٨ .
- اسكندر مرزا ٦٥ .
- اسكندر المقدوني ٢٢٨ .
- اسكندر منشي ٢٣٠ (م.هـ.) .
- اسكوييت ٨٨ .
- اسماعيل آغاشكاك راجع: سمكو .
- اسماعيل أمير خيزي ٢٠٧ .
- اسماعيل بيك ١٩ .
- اسماعيل الصفوي، الشاه ٢٦ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٢٩ - ٢٣٠ .
- اسماعيل مرزا ٦٦ .
- الاشتراكيون - الديمقراطيون ٢١٤ .
- «الاشتراكيون المستقلون»، حزب ١٤٣ .
- اشرف شاه الافغاني ٤ (هـ) .
- اصف الدولة، الله يار خان ٥٨ ، ٧٠ ، ٨٠ ، ٨١ .
- (م.هـ.) . ١١٦ ، ١٣٤ .
- ادموند ايرونسايد، الجنرال ١١٦ ، ١٣٤ .
- ادموندس ٢١٧ ، ٢٥٢ .
- ادوارد غراي، السر ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ٢٩٥ .
- اديب السلطنة ١٤١ .
- الاذريجانيون - الاذريون ١٠ ، ٢٨ ، ١٣٦ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ (م.هـ.) ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، (الفدائيون)، ٢١١ (الوطنيون)، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٥٠ (م.هـ.) ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٩٦ .
- ارازمس ٧٨ (هـ) .
- اردشير ٢٢٨ .
- الارشاكيون ٢٢٨ (م.هـ.) .
- «ارشيف اكاديمية العلوم السوفيتية» ٢٩١ .
- «الارشيف الحربي - التاريخي المركزي الحكومي» ٢٩١ .
- «الارشيف الرئيس لشؤون الدولة القديمة» ٢٩١ .
- «ارشيف سياسة روسيا الخارجية» ٢٩١ .
- الارمن ١٠ ، ١٥ (التجار)، ١٦ ، ١٨ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٤٢ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٣٠٢ -

- آغا جبار ٤٣ .
- آغا محمد خان ١٠ (هـ)، ٢٣، ٢٤ (م.هـ)، ٢٥، ٢٦ (م.هـ)، ٢٧، ٢٨ (م.هـ)، ٢٩ (م.هـ)، ٣٨، ١٩٨ (م.هـ)، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٦ .
- آغا محمد شاه راجع: آغا محمد خان .
- اغايف س.ل.، الدكتور راجع: اكايف .
- الافشار (ع) ٤ (م.هـ)، ٢٠، ١٩٦ .
- الافغان ١٠، ١٧ (هـ)، ١٩، ٢٠، ٣٩، ٥٩، ١٣٦، ١٩٦ .
- أفناسي نيكيئين ١٢ .
- إقبال ١٨٩ .
- إقتدار الدولة ١٤٣ .
- آق قوينلو ١٩٢ .
- اكايف س.ل. ١٢٧ (هـ)، ١٢٩ .
- الكسندر الاول راجع: اسكندر الاول .
- الكسي ميخائيلو فيتش، القيصر ١٣ .
- اللمان ٩٢، ٩٤، ٩٦، ١١١، ١١٦، ١٤١، ٢١٢، ٢١٥، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨ .
- إمارة اردلان ٢٣٢ .
- الامارة الراودية ٢٢٩ (م.هـ) .
- الامارة السالارية ١٩٤ .
- الامارة الشدادية ١٩٤، ٢٢٩ .
- إمارة شوانكاره ٢٢٩ .
- الامام رضا ١٨٤، ١٨٦ .
- الامام علي ١٥٨ .
- امان الله خان ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٩ .
- الامبراطورية الروسية ٢٨٩ .
- الامبراطورية العثمانية ٢٧٣ .
- الامريكان ١١١، ١٢٠، ١٣٢ .
- ١٣٧، ١٤٤ (م.هـ)، ١٤٧ .
- ١٥٨، ٢٧٨، ٢٨١ .
- أمير أحمدي ١٣٠، ٢٥٤ .
- أمير أرشد ٢٥١ .
- أمير برويز، العقيد ٢٦٢ .
- أمير تومان كاظم خان، الجنرال ١١٤ .
- أمير خان ٢٣١ .
- «أناباسيس» ٢٢٨ .
- «إنتفاضة اذربيجان» ١٠٩، ١١٠ .
- «إنتفاضة تبريز» ١٩٥ - ١٩٦ .
- «إنتفاضة جوانرو» ٢٦٤ (م.هـ) .
- «إنتفاضة خراسان» ١٠٩ .
- «إنتفاضة خياباني» ٢١٦، ٢١٨، ٢٧١ .
- «إنتفاضة دشت» ٢٤١ .
- «إنتفاضة الشيخ عبيد الله» ٢٣٦ (هـ)، ٢٣٧، ٢٣٩ .
- «إنتفاضة طالش ١٥٩٣» ٢٣١ .
- «إنتفاضة عربستان ١٥٩٦» ٢٣١ .
- «إنتفاضة كردستان» ١٠٩ .
- «إنتفاضة كيلان» ١٠٩، ١١٠، ١٤٢ .

٤٥ ، ١٢٧ (هـ) ، ١٩٥ ، ٢١٩ ،
٢٧٨ .

- ب -

بابا خان ٢٩ ، ٣٨ ، ٥٥ (م.هـ) ،
٢٤٨ .

«الباب العالي» ١٨ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٦٤ ،
٧١ ، ٧٢ ، ٨٠ ، ٩٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،
٢٨٨ .

«الباب المفتوح» ، مبدأ ١٤٤
(م.هـ) ، ١٤٦ .
بابوف ٥١ .

باسكوفيتش ، الجنرال ٦٦ ، ٦٧ ،
٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٩ ، ٨٢ .

باسيل نيكيتين ٢٣٤ ، ٢٣٩ (هـ) ،
٢٩١ .

باقريبك ٣٨ .

باقر خان ٢٠٤ (م.هـ) ، ٢٠٥
(م.هـ) ، ٢٠٨ (م.هـ) .
باقروف ٢٢٣ .

بالاني (ع) ١١٣ .

بالايان ب.ب. ، الدكتور ٨٠ .

البختياريون ٩٢ ، ١٤٢ ، ٢٤٢ .

بدريبك ٢٤١ .

البرادوستيون ٢٣١ .

برونيه ٢٧ .

البريطانيون ١٦ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٥ ،

٣٩ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ،

٥٦ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٥ ،

٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٩١ ، ٩٢ ،

«الانتلجنتس سيرفيس» ١١٦ .

«انجمن تبريز» ٢٠٣ - ٢٠٤ ، ٢٠٥ ،
٢٠٧ .

«انجمن ملي» ٢٠٣ .

«انقلاب حيزران ١٩٠٨» ٢٠٥ .

«انقلاب حوت» ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،
١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٧٤ ،
١٧٦ .

«انقلاب شباط ١٩٢١» ١١١ ،
١١٦ .

«انقلاب محمد علي شاه» - «انقلاب
حيزران ١٩٠٨» ٢٠٤ ، ٢٠٧ .

الانكليز ٣٠ ، ٣١ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥١ ،
٧٩ ، ٨٠ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٦ ، ١١١ ،

١١٦ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،
١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ،

١٤١ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٨ ،
١٦١ ، ١٦٨ ، ١٧٨ ، ٢١٥ ، ٢٣٩ ،

٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢
(م.هـ) ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ .

انورباشا ٩٢ .

اورديخان جليلوف ، الدكتور ٢٣١
(هـ) .

الاوروييون ٢٣٣ .

اوشاكوف ٩٥ .

اوطميش ، السلطان ١٨ .

اوليفيه ٢٧ .

ايفان الرابع - ايفان الرهيب ١٣ ،
٢٨٥ (م.هـ) .

ايفانوف م.س. ، البروفيسور ٢٦ ،

- ٩٣ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ،
١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ،
١٣٣ (م.هـ.) ، ١٣٧ ، ١٣٩ ،
١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ،
١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ (المسؤولون) ،
١٦٨ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ،
٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ،
٢٤٣ ، ٢٥٢ .
- «بعث الامة» ، لجنة ٩٣ .
بطرس اتحيير ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ،
(م.هـ.) ، ١٥ ، ١٦ - ١٧ (م.هـ.) ،
١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ،
(م.هـ.) ، ٢٨٨ ، ٢٩١ .
بكر صدقي ١٧٥ .
بلباس (ع) ٢٢٧ .
البلاشفة ، البلشفية ١٢٣ ، ١٢٥ ،
(دعاية) ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،
١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٢ ، ٢٧١ .
البلوش - البلوج ١٨٣ ، ٢٥٥ .
بلينسكي ٧٨ .
بوشكين ٧٨ .
بول (بافل) الاول ٢٧ ، ٢٩ ،
(م.هـ.) ، ٣٠ .
البهائية ١٨٦ .
البهلويون ، الاسرة البهلوية ٤ ، ١٠١ ،
١٠٣ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٥ ،
١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٦٤ ، ١٧٠ ، ١٧١ ،
١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ، (العهد) ، ١٨٤ ،
(هـ) ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ،
٢٢٧ ، ٥٥٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٩٧ .
- بيترافري ٢١٩ ، ٢٥٢ .
بيران (ع) ٢٥٥ .
بيرسي سايكس ، السر ٩٠ ، ١١٦ ،
٢٣٥ .
بيرسي كوكس ١١٧ .
بيريا ٢٢٣ (هـ) .
البيزنطيون ٢٢٨ .
بينايي ٢٥٩ .
بينامين س. ١٠٤ .
بيوترييغانوف ، البروفيسور ١٤ .
- ت -
- تاج ملك ١١٤ .
تاليران ، شارل موريس ٣٤ .
التبريزيون ٢٠١ ، ٢٠٩ .
التتر ١١ .
«التجار الشباب» ١٦٧ .
تجدد ، حزب ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ،
١٦٧ ، ١٦٩ (رئيس) .
«تخته قابو» ٢٥٤ .
الترکمان ١٠ ، ٥٠ (انتفاضة) ، ٦٢ ،
١٨٣ .
تريزل ، المارشال ٤٠ .
تسيتسيانوف ، الجنرال ٣٣ .
تشرشل ١٢٨ .
تشمبرلن ، اوستن ١٦٣ ، ١٦٨ -
١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ .
«تعاسة من العقل» ، رواية ٧٨ .
تقي خان راجع : محمد تقي خان

تقي زاده ١٧٠ :

«توده» راجع : «حزب توده» .

تورمسوف أ.ب. ، الجنرال ٤٦ ،

٤٧

تونسوي ٢٦١ .

تيمورخان ميربنج ١٤٤ .

تيمورلنك ٢٣٠ .

- ث -

ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ٢٦٤ .

«ثورة الاتحاديين ١٩٠٨» ٢٠٨ ،

٢٤٠ (هـ) .

«ثورة اكتوبر العظمى عام ١٩١٧»

٧٣ ، ٨٨ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٢٨ ،

٢١٣ (هـ) ، ٢١٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ،

٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ،

٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨

«الثورة الايرانية ١٩٠٥ - ١٩١١»

راجع : «الثورة الدسرية» .

الثورة الدستورية ١٠٦ ، ١٠٩ ،

١١٥ ، ١٢٧ ، ١٥٠ (هـ) ، ١٥٣

(هـ) ، ١٥٩ (عصر) ، ١٦٧ (هـ) ،

١٨٦ ، ١٨٧ (انتصار) ، ١٨٩ ، ٢٠١ -

٢٠٢ ، ٢٠٣ (هـ) ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ،

٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،

٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٤١ ،

(م.هـ) ، ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، (هـ) ،

٢٥٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٩ ، ٢٩٥ .

«ثورة شباط ٢٩٢ (هـ) .

«ثورة شباط ١٩١٧» ٨٨ ، ١٢٨ .

- ٣٠٦ -

- ج -

الجاف (ع) ٢٤٢ .

جاويد ٢٦١ .

«جامعة اذربيجان الحكومية» ٢٢٢ .

جان فرانسوا روسو ٣٤ .

جريكوف ٢١٠ .

جعفر آغا ٢٥٠ .

جعفر يشوري ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣

(م.هـ) ، ٢٦١ .

جعفر خان ٢٣ (هـ) .

جعفر سلطان ٢٥٣ - ٢٥٤ .

جعفر قلي خان ٢٣٤ .

جلال أحمد تقي ٢٣٦ (هـ) .

جلالي (ع) ٢٢٧ ، ٢٥٥ .

جليلى جليل ، الدكتور ٢٤٠ (هـ) .

جهانسوز مرزا ٢٤١ .

«الجمعية الاسيوية المركزية الملكية»

١٧٣ .

«الجمعية الخيرية للايرانيات

المقيمات باستانبول» ٢٠٧ .

«جمعية نشر المعارف» ٢١٢ .

«جمهورية اذربيجان» ٢١٢ .

«جمهورية اذربيجان الديمقراطية ذات

الحكم الذاتي» ٢٦١ .

«جمهورية كلان» ٢٤٧ (هـ) ،

٢٤٨ .

«جمهورية كردستان الديمقراطية ذات

الحكم الذاتي» ٢٦١ .

«جمهورية مهاب» ذات الحكم

- الذاتي» ٢٥٤ (هـ)، ٢٦١ .
الجنكليون ١١٠ (انتفاضة)، ٢٤٨ .
جوانرو (ع) ٢٢٧، ٢٦٤ .
الجوانرويون ٢٦٤ .
جوبير ٣٤، ٣٥ .
جورج الثالث ٤٥ .
جورج كاتنغ ٤٤ .
جورج لنشوفسكي ٢٤٥ .
الجورجيون ١٠، ١٨، ٢٤، ٢٨،
٣٢، ٦٥، ١٠٠، ١٦٨، ٢٣٥،
٢٨٧، ٢٩٦ .
جون مالكولم ٣٠، ٤٤، ٤٨،
٢٣٥ .
جون مكدونالد، السر ٧١-٧٢ .
- ح -
- الحاج سيد احمد ٥٠ .
الحاج فرهاد مرزا معتمد الدولة
٢٣٦ .
الحاج قادر كويي ٢٥٨ .
الحاج مرزا مسيح، المجتهد ٨١،
٨٢ .
الحاج مرزا يوسف التبريزي،
المجتهد ٧٠ .
«الحاج وليم (*)» ٢٤٥ .
«حرب البوير» ٨٨ .
«الحرب الشمالية» ١٤، ١٧، ٢٨٧ .
(هـ) .
- الحرب العالمية الاولى ٨٧، ٨٨، ٩٨
- ٩٠، ٩١، ٩٤، ٩٨، ٩٩ - ١٠٠،
١٠٩، ١١٣، ١١٥، ١١٧، ١٢٣،
(هـ)، ١٢٧، ١٢٨، ١٤٠، ٤١،
١٤٤ (-)، ١٦٢، ١٧٤، ١٨٦،
٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٥،
٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦،
(م.هـ)، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩،
٢٥٠، ٢٥٨، ٢٧٤، ٢٧٩، ٢٨٨،
٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥ .
الحرب العالمية الثانية ١٨٧، ٢٢٠،
(م.هـ)، ٢٢١ (م.هـ)، ٢٥٤،
٢٥٦، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٩ (انتهاء)،
٢٦٨، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨١ .
حربي محمد ٩ (هـ) .
الحركة البابية ١٠٧، ١٨٦ .
«حركة الجنكليين» - «الحركة
الجنكلية» ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٤٩،
٢٧١ .
حركة مصدق ٢٦٣ .
الحرب الايرانية - الروسية ٧-٧٣،
٧٧، ١٩٨، ٢٩٦، ٢٩٧ .
الحروب البلقانية ٨٧ .
«حزب الاحرار» ٨٨، ٨٩ .
«الحزب الاشتراكي الديمقراطي»
١٤٣ .
«حزب التحرر الكردستاني» ٢٥٦ .
«حزب توده» ٢٧٩، ٢٨٠ .

(*) يقصد به وليم الثاني، امبراطور المانيا يومذاك

«الحزب الجمهوري» ١٥٣ .

«حزب الجمهوريين» ١٥٣ .

الحزب الديمقراطي الاذربيجاني

٢١٤ - ٢١٥ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ (هـ) .

«الحزب الديمقراطي الكردستاني»

٢٦٠ ، ٢٦٣ .

«الحزب الديمقراطي المستقل» ١٥٣

- ١٥٤ .

الحزب الشيوعي الاذربيجاني

السوفيتي ٢٢٣ (هـ) .

«حزب مجاهدي اذربيجان» ٢١١ .

حسن بيك ٢٤١ .

حسن تقي زادة ٢١٢ .

حسوبيك ٢٤١ .

حسين أفندي التبريزي ، المقدم

٢٤٧ .

حسين خان علاء ١٤٤ .

حسين قلبي خان ٦ ، ٦٠ .

حسين مكّي ١٣٠ .

«الحصار القاري» ٤٩ .

«حكومة اذربيجان ذات الحكم

الداتي» ٢٢١ - ٢٢٢ .

«حكومة بيشوري» ٢٢٢ ، ٢٢٣

(القضاء على) .

«حكومة المساواة الاذربيجانية» ١٢٨

«الحكومة المؤقتة» ٢٩٢ (م.هـ.) .

الحلفاء ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٦ ،

٩٧ ، ٩٨ ، ٢١٢ ، ٢٧٧ .

«حلف بغداد» ٢٦٤ .

«حملة بطرس علي ايران» ١٨ ،

-٣٠٨-

٢٨٨ .

«الحكومة الوطنية المؤقتة» ٩٣ .

حكيم الدولة ١٤١ .

حيدر خان ١٩٧ .

«حيزبي نازاديخواي كوردستان»

٢٥٦ .

-خ-

خالفين ن.أ. ، الدكتور ٢٣٨ .

خالو حشمت ٢٤٨ .

خالو قوزبان ٢٤٨ ، ٢٥١ .

خان أحمد خان ٢٣٢ .

خانية اوردوباد ٧٢ .

خانية نخجوان ٧٢ .

خانية طالش ٥٠ ، ٥١ - ٥٢ ، ٥٥

(هـ) ، ٥٧ ، ٢٨٩ .

خانية كنجة ٢٨٩ .

خانية بريقان ٧٢ .

خديوي مصر ٢٣٨ .

خسرو خان ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

خسرو مرزا ٨٢ (م.هـ.) ، ٨٣ .

خميني ١٨٩ (أنصار) .

خياباني راجع: محمد خياباني .

-د-

الداشناقيون ٢٩٧ .

داود خان ٦٧ .

داود حان كلهر ٢٤٢ .

الدستوريون ١٨٩، ٢٠٨، ٢٠٩
(زعماء)، ٢٤١، ٢٤٢.

دشت (ع) ٢٤١.

«الدفاع عن استغلال ايران»، لجنة
٩٢.

دنبلي (ع) ٢٣٠، ٢٣٢.

دنسترفيل، الجنرال ٢٧١.

الدنبليون ٢٣٠.

دوبليانسكي ٣٨.

دوزداب ١٦٢.

«دوق يريفان» ٧٠.

الدولة الصفوية، العهد الصفوي
١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ٢٣٢، ٢٨٥.

الدولة القاجارية - العهد القاجاري
٢٤، ١٩٨، ٢٣٣، ٢٥٤، ٢٥٨،
٢٩٧.

دولة المغول ١٩٤.

دونالد ستيوارت ٩٨.

دونالد ولبر ١٢٧ (هـ)، ١٣٣ - ١٣٤،
١٣٨، ١٣٥.

ديبوكري (ع) ٢٢٧.

ديتيردينغ ٢٧٥.

الديسمبريون ٦٤، ٧٨ (م.هـ)،
٨٢.

الديكابريون ٦٤، ٧٨ (م.هـ).

- ذ -

ذكاء الملك راجع: فروغي

- ر -

رتيشيف ن.ف.، الجنرال ٥١

(م.هـ)، ٥٤، ٥٥، ٥٦.

رحيم خان ٢٠٨، ٢٠٩.

رحيم قاضي، الدكتور ٢٥٤ (هـ).

رشيد ياسمي ٢٢٨ (هـ).

رضا اراسته ١٧٧.

رضا بهلوي راجع: رضا شاه.

رضا خان راجع: رضا شاه.

رضا شاه ٤، ١٠١، ١٠٣، ١١٣ -

١١٥، ١٢٧ - ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥

(هـ)، ١٣٦، ١٣٨ - ١٤١، ١٤٣ -

١٤٥، ١٤٨ - ١٥٦، ١٥٨ - ١٦٤،

١٦٧ - ١٧٢، ١٧٥، ١٧٦

(م.هـ)، ١٧٨، ١٨٥، ١٨٧ -

١٨٨، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١

(هـ)، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣،

٢٥٤، ٢٥٥ (عهد)، ٢٥٦، ٢٥٧،

٢٥٩ (سقوط)، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٩٨

رضا قولي ١٩٦.

رضا المازندراني راجع: رضا شاه.

روبرت إيمبري ١٦١.

روبن هود ٢٥٢.

«روداميست وزنوبيا»، رواية ٧٩.

«روزي كورد، شه وي عه جه م»

١٠٩، ٢٥١.

الروس ٣، ١٢، ١٣، ١٧، ١٨،

١٩، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٧، ٣١.

- ٣٠٩ -

٣٢ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ،
 ٤٣ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٥ (م.هـ.) ،
 ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ،
 ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ،
 ٧٢ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٩١ ، ٩٣ ،
 ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١١٢ ،
 ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٩٨ ،
 ٢٠٠ ، ٢٠١ (الاشتراكيون) ، ٢٠٤ ،
 (هـ) ، ٢٠٦ (المسؤولون) ، ٢٠٨ ،
 (المستعمرون) ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ،
 ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،
 ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٨٥ (القياصرة) ،
 ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٦ ،
 الروس البيض ١١٥ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ،
 الرومان ٢٢٨ ،
 رومانوف، اسرة ١٠ ،
 روميانتسيف ٤٢ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ،
 ٥٤ ،
 روميو ٣٥ ،
 رويتر، البارون دى ٤ .

- ز -

زند (ع) ٢٣٣ (م.هـ.) ،
 الزنديون ٤ (م.هـ.) ، ١٠ ، ٢٣ ،
 (م.هـ.) ، ٤٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ،
 ٢٣٥ ،
 الزنكنه (ع) ٢٤٢ ،
 «الزوجات الشابا» ، رواية ٧٨ ،
 زوغماير ٢٤٥ ،

- ٣١٠ -

زينفون ٢٢٨ .

- س -

سازانوف، سيرغى ديمترييفتش ٨٥ ،
 ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ،
 ٩٩ ، ٢٩٥ ،
 الساسانيون ١٩٤ ، ٢٢٨ (م.هـ.) ،
 سالارالدولة ١١٥ ، ٢٤٢ (م.هـ.) ،
 ٢٤٣ - ٢٤٤ ، ٢٤٩ ،
 «سالارملى» ٢٠٥ ،
 سباهدار اعظم - سبهدار ١٢٥ ،
 ١٢٦ ، ١٢٧ (وزارة) ، ١٣١ ، ١٧٤ ،
 (هـ) ،
 ستار خان ٢٠٤ (م.هـ.) ، ٢٠٥ ،
 (م.هـ.) ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ (م.هـ.) ،
 ستيانوف، الميجر ٣٨ ،
 سردار اسد ١٥٩ ،
 سردار رشيد ٢٤٩ ،
 «سردارملى» ٢٠٥ ،
 سردار يريفان ٦٥ ، ٦٦ ،
 «سفرة الى ضواحي المدينة» ، رواية
 ٧٨ ،
 السلجوق - السلاجقة ١٩٣ ، ١٩٤ ،
 (غزو) ،
 سعيد نفيسى ٣٣ ، ٣٤ ، ٢٣٤ ،
 السلطان حسين الصفوي ٩ ، ١٧ ،
 سليمان مرزا اسكندري ١٤٣ ، ١٤٨ ،
 ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ (زعيم)
 (الاشتراكيين) ، ١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٧٢ ،
 سليم واكيم ٤ .

- سمث ١٣٤ .
سمكو ١٠٩ ، ١٦٣ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ -
٢٥٠ ، ٢٥١ (م.هـ.) ، ٢٥٢
(م.هـ.) ، ٢٥٣ (م.هـ.) .
«سميراميس الشمال» ١١ .
سميون مازاروفيتش ٦١ .
سنارسكي ، الجنرال ٢٠٨ .
سنگاوى (ع) ٢٢٧ ، ٢٤٢ .
«السوربون» ١٧٠ .
السوفيت ١٤٦ ، ١٧٨ ، ٢٧٧ ،
٢٧٨ ، ٢٧٩ (مؤرخو) ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ،
٢٩٣ (هـ) .
سيد ضياء الدين راجع : ضياء الدين
طباطبائي .
سيف قاضي ٢٦٢ .
سيمون افراموف ١٦ .
- ش -
شارموا ٢٢٨ .
شاهبوز ٢٢٨ .
شاه رخ ٢٣٣ (هـ) .
الشاه صفى ٢٣٢ .
شبوستري ٢٦١ .
شجاع الدولة ٢١١ .
شجاع السلطنة ٢٣٧ .
شرف خان البدليسي ٢٣٢ .
«شرفنامه» ٢٢٨ .
«شركة تالبوت» ١٠٦ ، ٢٠١ .
«شركة ستاندرد اويل» ١٤٤ ، ١٤٦ ،
١٤٧ ، ١٦٠ ، ٢٧٤ .
«شركة سنكلر» ١٦٠ ، ١٦١ .
«شركة شيل» ٢٧٥ ، ٢٧٦ .
«شركة النفط الانكلو-ايرانية» ١٤٦ ،
١٤٧ ، ١٦٠ ، ١٦٢ .
«شركة الهند الشرقية» ٦١ ، ١٠٦ .
شريف الدولة ٢٤٩ .
شريف مكة ٢٣٨ .
شكاك (ع) ٢٨ ، ٢٢٧ ، ٢٣٥ .
شوستر ، مورغان ٢٠٩ ، ٢٤٣ ، ٢٩٣ ،
٢٩٤ - .
الشيخ بابا الغوث ابادي ٢٤٦ .
الشيخ خزعل ٥ ، ١٥٢ ، ١٦٢ ،
١٦٣ .
الشيخ عبدالقادر ٢٣٩ (هـ) ، ٢٤١ (هـ) .
الشيخ عبيد الله بن السيد طه
الشمزيني ٢٣٦ (م.هـ.) ، ٢٣٧ ،
٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ (م.هـ.) ، ٢٤١ (م.هـ.) .
الشيخ علي خان ٣٦ .
الشيعة ١٨٣ ، ١٩٠ .
شيونمان ٢٤٥ .
- ص -
صاحب ٥٧ .
صادق خان الشكاكي ٢٨ (م.هـ.) ،
٥٢ ، ٢٣٥ .
صدرقاضي ٢٦٢ .

الصفويون - الاسرة الصفوية ٤ (هـ)،
٩، ١٥، ١٦، ٢٣ (م.هـ.)، ١٧٦،
١٩٤، ١٩٥، ١٩٧، ٢٢٩، ٢٣٠،
٢٣١ (الملوك)، ٢٤٧ (هـ).
«صلاح الدين»، مسرحية ٢٥٩.
صور اسرافيل ١٥٠.

- ض -

ضياء الدين طباطبائي ١١٥، ١١٨،
١٢٧ (م.هـ.)، ١٢٨، ١٢٩
(مجموعة)، ١٣٠ (م.هـ.)، ١٣٢،
١٣٤، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩،
(وزارة)، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢،
١٤٤، ١٤٥، ١٧٤ (م.هـ.)،
١٧٨.

- ط -

طالش، شعب ٢٦ (م.هـ.).
طاهر خان ٢٥٣ (هـ).
طهماسب الاول، الشاه ١٩، ٢٠،
١٩٥، ٢٣٠.

- ظ -

ظل السلطان ١٠٣.

- ع -

عادل شاه ٤ (هـ).

-٣١٢-

عارف قزويني ١٢٨.
عاصم بيك ٢١٠.
عباس آغا ٢٠٢ (هـ).
عباس الاول، الشاه ١٩٥، ١٩٦،
٢٣٠ (هـ)، ٢٣١ (م.هـ.)، ٢٣٢،
٢٨٦.

عباس الثاني، الشاه ١٣، ٢٨٥.
عباس علي خان ١١٣، ١١٤.
عباس مرزا ٣، ٣٢ (م.هـ.)، ٣٣،
٣٨، ٤١، ٤٢، ٤٦، ٤٧، ٤٩،
٥٠، ٥١، ٥٢ (قوات)، ٥٣، ٥٥،
٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤،
٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨ (م.هـ.)، ٦٩،
٧٠، ٧٣، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ١٩٩،
٢٣٦.

عبدالحسين مرزا فرمان فرما راجع:
فرمان فرما.

عبد الحميد، السلطان ٢٤٠.
عبد الرحمن قاسملو، الدكتور ٢٢٧،
٢٦٤ - ٢٦٥.

عبد الرزاق بدرخان ٢٤٤، ٢٥٠.
عبد الرزاق الحسيني ١٧٥.
عبد الغني الخطيب ٤ - ٥.
عبد الله خان ٢٣٧.
عبد الله رازي ١٦٤.

العشمانيون ٧١، ٢١٢، ٢٣٠،
٢٤٠، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٧٠.
«عهدالت»، منظمة ٢٧٢.
العراقيون ٨٠، ٩٤.
العرب ١٨٣، ١٩٠، ٢٥٥.

- عرب شميلوف ۲۳۱ (هـ).
«عرش طاوس» ۱۷ (م.هـ.)،
۱۱۶.
عزت الله خان ۲۴۱.
عزیز زندي ۲۵۶-۲۵۷.
عشقي ميرزاده ۱۲۸، ۱۵۵.
«عمسية مكافحة الامبريالية» ۲۱۹.
«عصيان التبغ» ۱۰۶.
علي آذري ۲۱۷.
علي بينا، الدكتور ۳۵، ۴۴، ۶۹.
علي خان ۱۱۴.
علي خان اللرستاني ۲۴۲.
علي خان مرند ۶۷.
علي دشتي ۲۵۳.
علي قلي مرزا أفشار ۴ (هـ).
علي كلاويز، الدكتور ۲۵۰ (هـ).
علي محمد الشيرازي ۱۸۶.
علي مراد خان ۲۳ (هـ)، ۲۳۳.
علي منصور ۲۵۷.
عبید السلطنة ۱۴۱.
عیسی ۱۸.
- غ -
- غاردان، الجنرال راجع: كلود ماثيو
غاردان.
غاريبالدي ۲۰۵.
غراي راجع: ادوارد غراي.
عودوفینش، الجنرال ۳۶، ۳۷، ۳۸،
۴۲، ۴۳.
- غور وزلي ۴۸، ۵۲، ۵۴، ۵۵،
۵۸.
غوغول ۷۹.
غریبویدوف، الکسندر سيرغييفتش
۶۹، ۷۷، ۸۳.
- ف -
- فابویه ۴۹.
الفاشية ۲۲۳.
فاطمة ۱۵۷.
فالیری زوبوف، الجنرال ۲۶.
فتح علي شاه ۳، ۱۰ (هـ)، ۱۷
(هـ)، ۲۹ (م.هـ.)، ۳۰، ۳۲
(م.هـ.)، ۳۳، ۳۴، ۳۵، ۳۶،
۳۸، ۴۱، ۴۲، ۴۴، ۴۵، ۴۷،
۵۰، ۵۳ (هـ)، ۵۵ (م.هـ.)، ۵۶،
۵۷، ۶۲، ۶۳، ۶۵، ۶۷،
(م.هـ.)، ۶۹، ۷۱، ۷۷،
(حكومة)، ۸۰، ۸۱، ۸۲،
(م.هـ.)، ۸۳، ۱۱۴، ۲۳۵،
۲۳۶.
فرامرزبزرکر ۲۴۳.
فرانس فيردیناند ۸۷.
الفرث ۲۲۸ (م.هـ.).
فرج الله خان ۲۳۷.
الفرس ۱۷، ۲۲۷، ۲۵۲، ۲۷۲،
۲۷۶.
«الفرقة الاسلامية» ۱۹۰.
افرقه، ديمقرات اذربيجان ۲۲۱.

فرمان فرما، الأمير ١١١ ، ٢٠٤ ، ٢٤٢ .
الفرنسيون ٢٠ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ١٣٧ ، ١٣٢ .
فروغي، محمد علي ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٧٢ .
فريغانغ ٥١ .
فوربانوف، الجنرال ٢٠٩ .
فولينسكي، ارتيم بيتروفيتش ١٥ ، ١٦ ، (م. هـ.) ، ٢٨٧ .
فون دير غولتز، المارشال ٢٤٥ .
فيروز نصرت الدولة، الأمير ١٢٦ .
فيشرل. ١٤٢ .
فيصل الاول ١٧٦ (هـ) .
«في مديح الغباوة»، رواية ٧٨ (هـ) .

- ق -

القاجاريون، آل قاجار، الاسرة
القاجارية ٣ ، ١٠ ، ٢٣ (م. هـ.) ، ٢٩ ، ٣٢ (هـ) ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٦٢ ، (الامراء) ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٨٢ ، (هـ) ، ٩٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١٢٧ ، ١٥١ (حكم) ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧ (حكم) ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٩٨ ، ٢١٨ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٥ ، ٢٧٥ .

-٣١٤-

٢٩٧
القاضي فتاح ٢٤٦ ، ٢٥٨ .
القاضي محمد - قاضي محمد ٢٤٦ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ (م. هـ.) ، ٢٦٢ .
القره باغيون ١٩٨ .
قرة العين ١٨٦ .
قره قوينلو ١٩٤ .
القرلباش ٢٠ ، ٢٢٩ .
قسطنطين ٦٤ .
قشقائي (ع) ١٤٢ .
قنبر خان ٢٤٨ .
قوام الدولة ١٦٢ .
قوام السلطنة ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، (هـ) ، ١٧٤ (هـ) ، ٢٢٢ (حكومة) ، ٢٢٣ ، ٢٦١ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ .
القوزاق ١٣ ، ٣٠ ، ٩٥ (كتيبة) ، ٩٨ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٩ ، (ضباط) ، ١٣٠ (م. هـ.) ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ٢١٨ ، ٢٠٤ (م. هـ.) ، ٢٤٨ ، ٢٥١ .

- ك -

كاترين الثانية ١١ ، ٢٧ ، ٣١ .
كارتلي فاختانغ السادس ١٨ (م. هـ.) ، ٢١ ، ٢٢ .
كاسلريه ٦٠ .
كاظم خان سياح، الكولونيل ١٣٠ ،

- ١٣٤ .
 كامبل بانرمن ٨٨ .
 كاناريس ، الأدميرال ٢٧٧ .
 «كاوه» ٢١٢ .
 «الكتلة الوطنية» ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥١ .
 كتليارفسكي ، الجنرال ٥٥ (م.هـ.) .
 كرابوتكين ، الجنرال ٢٢ .
 «كراي اوف فالودون» ٨٨ .
 الكرد - الاكراد ١٠ ، ٩٢ - ٩٣ ، ٩٩ ، ١٨٣ ، ٢٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ (م.هـ.) ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ (م.هـ.) ، ٢٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٧٢ .
 «کردستان» ٢٦٠ ، ٢٦١ .
 كرزن ، اللورد ٢٠ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٦١ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ (هـ.) .
 الكرملين ٢٧٧ .
 كريبايدوف راجع : غريبويدوف .
 كريم خان ٢٤٨ .
 كريم خان زند ١٠ (هـ.) ، ٢٣ (هـ.) ، ١٩٨ ، ٢٣٣ (م.هـ.) ، ٢٣٤ .
 كلباغي (ع) ٢٥٥ .
 كلود ماثيو غاردان ، الجنرال ٣٩ - ٤٠ .
- (م.هـ.) ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ (بعثة) ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٩ (بعثة) .
 كلودپوس جيمس ريج ٥٣ ، ٢٣٥ .
 كلهور - كلهر (ع) ٢٢٧ ، ٢٤٢ .
 كليفورد ادموند بوسورث ٢٢٩ (هـ.) .
 كليمتسيف ٢٧٢ - ٢٧٣ .
 «كمسيون جنك» ٢٠٦ .
 «كوجك - كينارجي» ، معاهدة ١٤ (هـ.) .
 كودوفيتش راجع : غودوفيتش .
 كوران (ع) ٢٢٧ .
 كوراوغلو ٢٣١ .
 كورف ، البارون ٢٩ .
 كوجك خان ، مرزا ٤ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٢١ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ .
 الكولونيل هاوس ١٢٠ .
 «كومه له ي زيانه وه ي كورد» - «ز.ك.» ٢٥٨ (م.هـ.) ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ .
 «الكوميتيرن» ٢٧٢ .
 كوهرا ، الدكتور ٢٣٧ .
 الكيانيون ١٥٣ .
 الكيلانيون ٢٤٧ (م.هـ.) .
 كيروف ٢١ (هـ.) .
- ل -
- لازاريف م.س. ، الدكتور ٢٤٦ (هـ.) .
 «لجان الحركة الوطنية» ١٦٧ .

محمد تقی خان ۱۰۹، ۱۲۸
 محمد حسین خان ۱۷ (هـ)، ۶۵
 محمد خیابانی، الشیخ ۱۰۹، ۱۲۱،
 ۱۵۵، ۱۸۶، ۲۱۲ - ۲۱۴، ۲۱۶
 (م.هـ)، ۲۱۷، ۲۱۸، ۲۷۱
 محمد رضا شاه ۱۵۵، ۱۷۰، ۱۸۴،
 ۱۸۷، ۱۸۸، ۲۲۰، ۲۵۷، ۲۶۳،
 ۲۷۷، ۲۸۱
 محمد سلطان خودابند، الشاه
 ۲۷۰
 محمد شاه ۱۰ (هـ)
 محمد علی خان زند ۴۴، ۲۱۲
 محمد علی شاه ۱۰ (هـ)، ۶۲، ۶۳،
 ۱۱۵، ۱۵۳ (م.هـ)، ۲۰۳
 (م.هـ)، ۲۰۴، ۲۰۵، ۲۰۷،
 ۲۱۰، ۲۴۲، ۲۴۴، ۲۹۴
 (م.هـ)
 محمد علی مرزا راجع: محمد علی
 شاه
 محمد کاظم ۱۹۷
 محمد کریم خان راجع: کریم خان
 زند
 محمد مرزا ۶۶ - ۶۷ (م.هـ)
 محمد الهاشمی ۴، ۱۷۶
 محمود شاه الافغانی ۴ (هـ)، ۱۷
 محمود علی الداود، الدكتور ۹ (هـ)
 محمود غنی زاده ۲۱۲
 محمودی (ع) ۲۳۰
 مخبر السلطنة ۱۲۳، ۱۲۴، ۲۱۷،
 ۲۱۸

اللزکین ۱۷ (م.هـ)، ۱۸
 لطف علی خان ۲۳ (هـ)، ۲۳۴
 اللر ۹۵
 لورین، بیرسی ۱۴۲، ۱۴۹، ۱۶۳،
 ۱۶۸، ۱۶۹، ۱۷۲، ۱۷۳، ۱۷۶
 لوکخارت ل. ۱۷ (هـ)
 لوید جورج ۸۹
 «لیالی جورجیا»، روایة ۷۹
 لینین ۷۸، ۲۷۲، ۲۷۹
 لیونارد بندر ۱۷۸

- م -

ماتیوشکین م.أ.، الجنرال ۱۹
 ماربنیامین شمعون ۲۵۰ (هـ)
 مارتن فان برونسن ۲۵۰
 مالکولم راجع: جون مالکولم
 مترنیخ ۳۳، ۶۷
 المتنبی ۷۹
 «المجموعة الارمنية» ۱۶۷
 «المجموعة الزرادشتية» ۱۶۷
 «المجموعة اليهودية» ۱۶۷
 محتشم السلطنة ۱۲۶، ۱۴۱
 محمد أمين زكي ۲۲۹ (م.هـ)،
 ۲۳۲
 محمد بن الحاج عبد الحمید راجع:
 محمد خیابانی
 محمد بن ریا ۲۶۱
 محمد تدین ۱۵۱، ۱۵۴، ۱۶۹،
 ۱۷۰

- مختار السلطنة ١١٠ .
- المدرس ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٧٠ .
- المذهب السني ١٨٣ .
- مرزا ابو الحسن خان ٥٦ ، ٥٨ (م.هـ.) .
- مرزا بزرگ ٣٨ .
- مرزا حسن مشاور ١٦٨ ، ١٦٩ .
- مرزا رحيم طالبوف ٢١٣ .
- مرزا رضا خان تربيت ٢١٢ .
- مرزا شفيع ٣٨ ، ٤٠ .
- مرزا صالح ٦٨ .
- مرزا علي ٢٥٨ .
- مرزا فتح علمي ، المجتهد ٧٠ .
- مرزا فتح علي اخندوف ٢٠١ (م.هـ.) .
- مرزا فيض الله ١٩٩ .
- مرزا محمد رضا خان ٣٨ .
- مرزا محمد علي ٦٧ ، ٦٨ .
- المرنديون ٧٠ .
- مستشار الدولة ١٤١ ، ١٥٩ .
- مستوفي الممالك ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٤١ ، ١٤٨ ، ١٥٩ ، ٢٤٥ .
- مسعود خان كيهان ، الميجر ١٣٠ ، ١٣٤ .
- «المسيرة الفارسية الاولى» ١٤ ، ١٨ (الحملة) .
- «المسيرة الفارسية ١٧٢٢٢ - ١٧٢٤» ٢٨٨ .
- مشاور الدولة ١٥٩ .
- مشاور السلطنة ١٤١ .
- «المشروطة» ١٠٨ ، ١٠٩ ، ٢٤٤ (م.هـ.) .
- مشير الدولة ٩٣ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ (وزارة) ، ١٢٥ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٩ .
- مشاور السلطنة ١٤١ .
- مصدق ، الدكتور ١٢٤ ، ١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٧٠ ، ١٨٨ .
- مصدق السلطنة راجع : الدكتور مصدق .
- مصطفى بيك ٢٣٠ .
- مصطفى خان الشيرواني ٦٥ .
- مصطفى صالح كريم ٢٣١ (هـ) .
- مصطفى كمال أتاتورك ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٧٦ (هـ) .
- مظفر الدين شاه ٤ ، ١٠ (هـ) ، ١٥٣ (م.هـ.) ، ٢٠٣ (م.هـ.) ، ٢٤٢ ، ٢٧٠ ، ٢٩٤ (هـ) .
- «معاهدة استانبول» ٢٢ (هـ) .
- «معاهدة ١٩١٩» ١٧٧ - ١٣٧ ، ١٦٢ ، ٢١٥ ، ٢١٧ .
- «معاهدة بطرسبورغ» ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٨٨ .
- «معاهدة تركمانجاي» ٧٢ - ٧٣ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ٢٠٩ ، ٢٨٩ .
- «معاهدة رشت» ٢١ .
- «معاهدة سايكس - بيكو» ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٤ .

- «المعاهدة السوفيتية - الايرانية» ١٩٤٤ - ٢٧٥ .
- «معاهدة صلح بخارست» ٤٩ .
- «معاهدة صلح تلس» ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ .
- «معاهدة الصلح والصداقة بين روسيا وايران» ٥٦ - ٥٧ .
- «معاهدة فنكنشتاين» ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .
- «معاهد كلستان» ٥٦ - ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٢٨٩ .
- «معاهدة كنجه» ٢١ ، ٢٢ (هـ) .
- «معاهدة لندن» ٨٩ .
- معتضد السلطنة ١٥٩ .
- «معركة عباس آباد» ٦٨ .
- المغول ١٩٤ (غزو) .
- «مقتل الوزير المختار» ، رواية ٨٣ (م. هـ) .
- «مكتبة صفى الدين» ٧١ .
- ملتسوف ٨١ .
- ملك زاده ٢٥١ .
- ملك المتكلمين ٢٠٤ .
- ملك الشعراء بهار ١١٣ ، ١٥٥ .
- مليسبو ٢٧٩ .
- مليكوف أ. س. ١٢٧ (هـ) .
- «من الشقيق، من الشقيقة» ، رواية ٧٨ .
- «مؤتمر آخن» ٦٤ .
- «مؤتمر شعوب الشرق» ٢٧٢ .
- «مؤتمر الصلح بباريس» ٨٨ ، ١١٨ ، ٢٧٣ .
- مؤتمن الملك ١٢٤ .
- «المؤسسة الدينية» ١٧٩ ، ١٨٣ - ١٩٠ .
- موكري - مكري (ع) ٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٤٢ .
- المهاباديون ٢٥٣ .
- مهدي خان شمشال ٣٦ .
- المهدي المنتظر ١٨٦ .
- مير حسن خان الطالشي ٦٥ .
- مير مصطفى خان ٥٢ .
- ميتشيكوف، الامير ٦٣ ، ٦٤ .
- مينورسكى ٢٩١ .
- نابليون بونابارت ٢٩ ، ٣٣ (حروب) ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ - ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٥٣ (م. هـ) ، ٥٤ ، ٧٨ ، ١٧٣ ، ٢٩٦ (حروب) .
- نادر شاه الافشاري ٤ (هـ) ، ١٠ ، ٢٠ (م. هـ) ، ٢١ ، ٢٢ (هـ) ، ٢٣ ، ٨٣ (ماسة) ، ١٧٥ - ١٧٦ ، ١٩٦ ، ١٩٧ (م. هـ) ، ٢٣٢ (م. هـ) ، ٢٣٣ (م. هـ) ، ٢٣٤ .
- النازية ٢٥٩ .
- ناصر الدين شاه ١٠ (هـ) ، ١٠٨ ، ٢٠١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ (حكومة) .
- نالي ١١٣ (هـ) .
- «النجمة البختيارية» ، حزب ١٤٢ .

نزار عبد اللطيف الحديثي ، الدكتور
١٨٣ (هـ).

نسلرود ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٧ ،
٨٠ .

نصرت الدولة ١٤٥ ، ١٦٢ .

النمساويون ٣٧ ، ٦٧ .

نورثمبرلند، دوقية ٨٩ .

نورمن هـ . ١١٦ ، ١٢١ ، ١٢٢ -

١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ،

١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٧٧ .

نوري السعيد ١٢٧ ، ٢٦٤ (هـ) .

نوش آفرين ١١٤ .

«نهضت روحانيات» ١٩٠ .

نيدرماير ٢٤٥ .

«نيشتمان» ٢٥٨ .

نيقولا الاول ٦٤ ، ٧١ ، ٧٨ ، ٨٠ ،

٨٢ ، ٨٣ .

نيقولاس (نيكولاس) الثاني ٨٧ ،

٢٠٧ .

- و -

وثوق الدولة ١١٧ ، ١١٩ (حكومة) ،

١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ (وزارة) ،

١٢٨ (وزارة) ، ١٣١ ، ١٤١ ، ١٦٢ ،

٢١٥ ، ٢١٦ (وزارة) ، ٢١٨ -

(سقوط) ، ٢٤٩ (حكومة) ، ٢٧٢ .

«الوحدة الاسلامية» ٢١٢ .

«الوحدة الطورانية» ٢١٢ .

وحيد الملك ١٢٦ .

ولسن ، الرئيس الامريكي ١٢٠ .

ولسن س . ٢٤٠ (م . هـ) .

ولفرد كئاب ١٣٤ .

الوهابيون ٤٤ .

وليه خانم ٢٣٦ .

- ه -

هارفرد جونس ، السر ٣٣ ، ٣٥ ، ٤٤ ،

٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ .

هاكوب ق . توريانتر ٤ ، ٥ .

«هاواري نيشتمان» ٢٦٠ ، ٢٦١ .

هتلر ١٨٩ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

الهتريون ٢٧٦ .

هرمن نورمن راجع : نورمن هـ .

«هه لاله» ٢٦٠ ، ٢٦١ .

هه لوخان ٢٣٢ .

هنري بندر ٢٦٣ .

هنري ويلولك ٦٣ .

الهنود ٣١ ، ٢٣٥ .

هولاكو ٢٣٠ .

هيراكلي الثاني ٢٢ (م . هـ) ، ٢٤ ،

٢٥ ، ٢٧ .

هيكان ، اسرة ٢٢٨ .

- ي -

يسين الهاشمي ١٧٦ .

يبريم خان ١٤٢ (م . هـ) .

يرمالوف أ . ب . ، الجنرال ٦٠

(م.هـ.)، ٦١ (م.هـ.)، ٦٣،
٧٩، ٦٥.
يزيد ١٨٩.
يورنييف ك.ك. ١٧٣.
يوري تينيانوف ٨٣.
يوسف ابراهيم يزبك ٥.
اليونان ٢٢٨.
اليهود ١٨٣، ١٨٦.

اعلام الأماكن

٢٦٢ (حكومة)، ٢٧١، ٢٧٤،
٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٨.
اذربيجان الايرانية ٢٠، ٩١، ١٩٩،
٢١١، ٢١٤ (مثقفو)، ٢١٧، ٢٢٠،
٢٩٧.
اذربيجان الجنوبية ١٩٨، ٢٠٠،
٢١٠، ٢٢٧.
اذربيجان السوفيتية ١٣ (هـ)، ٢١،
(هـ)، ٢٦، (جنوب)، ٢٢٣.
اذربيجان الشمالية ٣، ١٧، ١٨،
٢٥، ٣٢، ٦٥، ٢٠٠، ٢٧١،
٢٧٣.
اذر شهر ٧١.
اراس، نهر ٢٧، ٣٦، ٤٦، ٤٩،
٥٠، ٥٥ (هـ)، ٦٢، ٦٦، ٦٧،
٦٨، ٦٩، ٧٢، ٢٨١.
أربتشاي - أربجاي، نهر ٤٦، ٥٠،
٥٥ (هـ).
اريل ٢٣٢.
ارجيش ٢٣٠.

١-
الاتحاد السوفيتي ٣، ١٦، ١٣٥،
١٣٦، ١٣٩، ١٦٣، ١٧٣، ١٩٣،
(م.هـ.)، ٢٠٠ (هـ)، ٢٦٩،
٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧،
٢٨١، ٢٩١، ٢٩٧، ٢٩٨.
اتروياتين - اتروياتينا ١٩٣ (م.هـ.).
اجمادزين ٣٣، ٤٢ (قلعة)، ٦٨.
اذربيجان ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣ (هـ)،
٢٦، ٣١، ٣٦، ٥٨، ٦٩، ٧٠،
٧٣، ٧٧، ٩١، ٩٦، ١٠٩، ١٢١،
١٢٣، ١٤٣، ١٦٥، ١٩٣،
(م.هـ.)، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦،
١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٤،
٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨ (ثوان)،
٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٥،
٢١٦، ٢١٧ (م.هـ.)، ٢٢٠،
٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٠،
(هـ)، ٢٣١، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦١.

- اردبيل ٢٦، ٦٥، ٧١، ١٥٠، ١٩٤،
١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٨ (ولاية)،
١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٠ (ولاية)،
٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٤.
اردلان ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٩.
ارضروم ٣٤، ٣٧، ٣٨.
ارمينيا ٣، ٢٠، ٢١، ٢٧ (هضبة)،
٣١، ٣٢، ٤٥، ٦٥، ٦٨، ٧٠،
١٩٣.
ارمينيا الدايشناقية ١٢٨.
ارمينيا الغربية ٢٧٣.
ارمينيا الشرقية ٦٥.
آزوف ١٤ (م.هـ.).
اسبانيا ٤٣، ٤٤، ٤٦.
استانبول ٢٠، ٢١، ٣٤، ٣٥، ٤٧،
٤٨، ٦٤، ٦٧، ٧٢، ٩٠، ٩١،
٢٠٧، ٢٠٨، ٢٤٠ (م.هـ.).
استر ١٩٧.
استراباد ١٠، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٤،
٣٠، ١٠٤، ١٩٨، ٢٨٨.
استراخان ١٣، ١٨، ١٩، ٣٦،
٢٨٥، ٢٨٧.
اسلاندوز ٥٣، ٥٩، ٦٧.
اسيا ٢٧٣.
اسيا الوسطى ٢٩، ٧١، ١١٢.
اشنو ٢٣٨، ٢٥٣، ٢٥٥.
اصفهان ١٣، ١٥، ١٧ (م.هـ.)،
٢٠، ٤١، ٤٩، ٩٤، ١٠٨، ١٦٧،
٢٠٧، ٢٠٩، ٢٣٤، ٢٤٨، ٢٨١،
٢٨٦، ٢٨٧ (م.هـ.).
- اغار ٦٥.
افغانستان ٢٣، ٣٠، ٣١، ١١٤،
٢٨١.
آق صو ١٩٩.
البانيا القفقاسية ١٩٣ (م.هـ.).
الشت ١١٤.
المانيا ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٣،
٩٤، ٩٦، ٩٨، ١٢٣ (هـ.)، ١٤٠،
٢٤٥ (م.هـ.)، ٢٥٧ (الهتلرية)،
٢٧٠، ٢٧٦ (الهتلرية)، ٢٧٧.
أنزلي ٢٢، ١٢٣ (هـ.)، ٢٧١،
٢٧٢، ٢٨٨.
انكلتر ٢٩ (هـ.)، ٣١، ٣٣، ٣٩،
٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٩، ٥٢، ٥٩، ٦٨،
(هـ.)، ٩٠، ٩١، ٩٤، (م.هـ.)،
٩٦، ٩٧، ٩٩، ١٠٠، ١٠٦،
١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٦٢، ١٧٠،
١٧٤، ٢١٤، ٢١٥، ٢٧٠، ٢٧٦،
٢٧٧.
اواسط اسيا ٩، ١٥، ٢٨٦.
اوردوباد ٧١.
اورمية بحيرة ٢٥١.
اورمية، مدينة ٩٢، ١٠٩، ٢٠٠،
٢١٥، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٧،
٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٩، ٢٥١،
٢٥٦.
اوروبا ٩، ١٣، ١٥، ١٦، ٣٣،
٣٧، ٤١، ٤٤، ٤٩، ٨٧، ١١٠،
١٢٠، ١٤٠، ١٥٠، ١٥٢، ١٦٥،
١٧٠، ١٨٦، ٢٧٠، ٢٨٦، ٢٨٧.

- اوشاكان ٧٠ .
 باسه ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ .
 بايزيد ٣٧ ، ٣٨ .
 بحر الابيض المتوسط ٩٩ ، ٢٨٦ .
 بحر الاسود ١٠ ، ١١ ، ١٤ (م.هـ) .
 ٢٩ ، ٢٤٦ (م.هـ) ، ٢٨٦ .
 بحر البلطيق ١١ ، ١٤ ، ٢٨٦ .
 بحر قزوين ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، (سواحل) ، ١٧ (م.هـ) ، ٢٢ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٧١ ، ٧٢ ، ١١٢ ، (ماوراء) ، ١٩٣ ، (م.هـ) ، ٢٤٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، اوكرينا ٦٤ .
 ايطاليا ٨٩ ، ١٧٥ ، ٢٧٨ .
 - ب -
 باريس ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٨٧ ، ١٠٨ ، ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٧٤ ، ٢٤٥ ، ٢٧٣ .
 باش اباران ٦٦ .
 باكو ١٧ (م.هـ) ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ (هـ) ، ٢٦ ، ٣٦ ، ٥٧ ، ٦٧ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ، ١٩٩ (حقول نفط) ، ٢٠٠ ، (م.هـ) ، ٢٠١ ، ٢١٢ ، ٢٢٣ (هـ) ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨١ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ .
 بالغ لو ٦٣ .
 ٢٧٥ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ .
 بحيرة مريوان ٢٣٢ .
 بخارى ١٤ .
 بدليس ٢٣٠ .
 برده ١٩٤ .
 برلين ٩٠ ، ٢١٢ .
 برو ٢٢٧ .
 بروسيا ٥٢ .
 بروسيا الشرقية ٣٩ .
 بريطانيا ٤٥ ، ٩٤ ، ١١٢ (العظمى) ، ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٣٣ ، (العظمى) ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٦٠ ، ١٧٥ .
 البسفور ٢٩٢ .
 بشت كوه ٤ .
 البصرة ٤٤ .
 بطرسبورغ ١١ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٧ ، (حكومة) ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ (صحافة) ، ٢٩١ .
 بغداد ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٥٣ ، ٩٦ ، ١٢٤ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٧٠ ، ١٧٤ .
 بلاد الرافدين ١١٩ .

بلاد ما بين النهرين ٨٠ ، ٩٥ .

بلجیکا ١٧٤ .

البلقان ٧١ ، ٨٧ .

بندر عباس ، ميناء ١٣ ، ٢٠٧ .

بندر شاه ، ميناء ٢٧٥ .

بندر شاهپور راجع : شاهپور .

بوتان ٢٣٢ .

بوتي ٢٤٠ .

البوسنة والهرسك ٩٦ .

بوشهر ٤٤ ، ٢٠٧ .

بوکان ٢٤٢ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ .

بولونيا ٦٧ .

بهلوي ٢٦٢ .

بيتروفسك ٢١٣ .

- ت -

تبريز ١٢ ، ٢٧ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٥١

(م.هـ.) ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ،

٦٥ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٩ ،

٨٠ ، ٨١ ، ٩٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ،

١٢١ ، ١٢٥ ، ١٦٧ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ،

١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ،

٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ،

٢٠٨ (م.هـ.) ، ٢٠٩ ، ٢١٠

(مشکلة) ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ،

٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ (م.هـ.) ،

٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١

(م.هـ.) ، ٢٢٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٧ ،

٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ،

٢٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٨٨

تبليس ١٨ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٥

(م.هـ.) ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ،

٦٩ ، ٨٣ ، ٢٠١ ، ٢٤٥ ، ٢٧١ ،

٢٨٦ ، ٢٩١ .

ترکستان ١٤١ .

ترکمانجای ٧٢ .

ترکمانيا ٢٣ (سهوب) .

ترکيا ١١ ، ١٢ ، ١٤ (هـ.) ، ١٥ ،

١٧ ، (هـ.) ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١

(م.هـ.) ، ٢٢ (م.هـ.) ، ٣٥ ،

٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ،

٥٨ ، ٦٢ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٧ ،

٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٥٢ ،

١٥٤ ، ١٩٣ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٤٤ ،

٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

تساليان ٣٦ .

تليست ٤٣ ، ٤٤ .

تيكان ته به هوشار ٢٦٠ .

- ج -

جبل داود ٨٣ .

جلفا ٢٠٨ .

جورجيا ٣ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ،

٢٤ ، ٢٥ - ٢٦ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٢ ،

٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٦ ،

٥٣ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٦٠ (م.هـ.) ، ٦٥ ،

٧٩ ، ٨٣ ، ١٩٣ ، ٢٣٠ (هـ) ،
٢٣٥ ، ٢٤٥ ، ٢٧١ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ،
٢٩٦ .

جورجيا الشرقية ١٨ (هـ) ، ٢١ ، ٢٢
(هـ) ، ٢٣١ .

جورجيا المنشقية ١٢٨ .

جومى جه غه تو ٢٥٦ .

جهریق ٢٥١ ، ٢٥٣ .

جیلان راجع : کیلان .

- ح -

حکاري ٢٣٦ (هـ) .

حلب ١٥ ، ٣٥ .

حيفا ٢٤٩ .

- خ -

خامنشي ٢١٢ .

خانقين ٩٢ ، ١١٣ (هـ) .

خراسان ٤ (هـ) ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ،

٥٠ ، ٥٩ ، ١١٥ ، ١٤٢ ، ٢٢٧ ،

٢٣١ ، ٢٣٣ (اکراد) ، ٢٣٥ ، ٢٧٩ .

خرج ، جزيرة ٤٠ ، ٤٤ .

خلخال ٧٠ .

الخليج العربي ١٣ ، ٤٠ ، ١٠٠ ،

٢٧٥ ، ٢٨٦ .

خنزيرك ٦٦ .

خوارزم ٦١ .

- ٣٢٤ -

خوى ٧٠ ، ٩٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ،
٢٣٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٥١ .
خيوه ١٤ .

- د -

داغستان ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٣٦ ،
٤٢ ، ٥٧ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢١٣ ،
(م.هـ) ، ٢٧٣ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ،
٢٨٩ .

داله هو ٢٢٧ .

دربند ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٣٦ ،
٥٧ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٨٨ ،
٢٨٩ .

دجلة ١٩٧ (هـ) .

الدردنيل ٢٩٢ .

الدون ، نهر ١٤ (م.هـ) ، ٢٩ ،
٤٨ .

دياربكر ٢٣٠ ، ٢٧٣ .

ديلمان ٢١٩ .

- ر -

رانية ٢٥٢ .

راوندوز ٢٥٢ .

رشت ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ١٠٤ ،
١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢١ ، ٢٠٩ ، ٢٤٤ ،
(هـ) ، ٢٤٧ (م.هـ) ، ٢٤٨ ،
٢٦٢ ، ٢٧١ ، ٢٨٨ .

رضائية ٢٥٦.

روسيا ٣، ٤، ٩، ١٠، ١١، ١٣،
١٤ (م.هـ.)، ١٥ (اواسط)، ١٦،
١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١ (م.هـ.)،
٢٢، (م.هـ.)، ٢٣، ٢٤، ٢٦،
٢٨، ٢٩ (هـ.)، ٣١، ٣٢، ٣٣،
٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩،
٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦،
٤٧، ٤٨، ٤٩ (م.هـ.)، ٥٠، ٥٢،
٥٣ (م.هـ.)، ٥٥، ٥٦ (هـ.)، ٥٧،
٥٩، ٦٠، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦،
٧٢، ٧٣، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨١،
٨٢، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١،
٩٣، ٩٤ (م.هـ.)، ٩٧، ١٠٠،
١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٩، ١٤١،
١٦٠، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٨،
٢٠٩، ٢١٠ (حكام)، ٢١١،
٢١٣ (حكام)، ٢١٥، ٢٣٩،
٢٧٠، ٢٧٣، ٢٨٥ (م.هـ.)،
٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢،
٢٩٥، ٢٩٧، ٢٩٨.
روسيا السوفيتية ٨٨، ١١٨، ١٢٤،
١٣٣، ١٣٤، ٢٧٤، ٢٩٨.
روسيا القيصرية راجع: روسيا.
ريزان ٨٧.

- ز -

زينة رود ٢٥٦.

زنجان ١٠٧، ٢٦٢.

- س -

سايه نقه لا ٢٥٦.
سراب ٢٣٥.
سزدار آباد، قلعة ٦٨.
سردشت ٢٣٨، ٢٤١، ٢٥٥،
٢٦١.
سقز ٢٢٧، ٢٤٢، ٢٥١، ٢٥٥،
٢٦١، ٢٦٣.
سلدز ٢٥١.
سلطان ٢٥٥.
السلطانية ٦٣، ٦٥، ٦٩.
سلماس ٧٠، ٢٣٢، ٢٤١، ٢٥١،
٢٥٦.
سميرنا ١٥.
السنة ١٩٧ (هـ).
سندج ٢٢٧، ٢٣٥، ٢٤٢، ٢٤٩،
٢٥٤، ٢٥٧، ٢٦٣.
سوادكوه ١١٣.
سوره خاني ١٧ (هـ).
سوريا ١٥، ٢٨٧.
السويد ١٤، ١٧، ٤٦، ٥٢، ٩٨،
١٣٧، ٢٨٧.
سويسرا ١٤٠.
سيراييفو ٨٧.
سيستان ١٠.

- ش -

«الصليب المقدس»، حصن ١٩ .
الصين ٥٩ ، ١٤٤ (هـ) ، ٢٦٩ .

- ط -

طالش، مقاطعة ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٢
(ساحل)، ٦٥ ، ٧١ ، ١٩٦ ، ٢٤٨
(جبال) .
طهران ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٣ ،
٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ،
٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥١ ،
٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦١ ،
٦٤ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ٨٠ ،
٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ،
٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ،
١١٠ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ،
١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ،
١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٠ (م.هـ) ،
١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ،
١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ،
١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ،
١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٤ ،
١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩٠ (إذاعة) ، ١٩٨ ،
٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ،
٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ،
٢٢٠ ، ٢٢١ (هـ) ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ،
٢٢٧ ، ٢٢٨ (هـ) ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،
٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٣٩ ،
٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧ ،

شابران ١٩٤ ، ١٩٥
شاهاباد ١١٥ ، ١٣٠ ، ٢٥٦ .
شاهبور ٢١٩ ، ٢٥٦ ، ٢٧٥ .
شاهو ٢٢٧ .
شاهيندير ٢٥٦ .
شبه الجزيرة العربية ١١٩ .
شدلو ٢٣٣ .
الشرق الاقصى ٩ ، ١٢ ، ٢٨٥ :
الشرق الاوسط ٩ ، ١٢ ، ٨٧ ، ٨٩ ،
١٠١ ، ١٠٣ ، ١١٣ ، ١١٨ ، ٢٤٦
(هـ) ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ،
٢٨١ .
شكي ٥٧ ، ١٩٢ ، ١٩٧ ، ١٩٩ .
(خانية) .
شماخا، شماخي ١٣ ، ١٧ ، ١٩٤ .
شمخور ٦٦ ، ٦٧ ، ١٩٤ .
شمدينان ٢٣٦ (هـ) ، ٢٣٧ .
شوش ٢٧ ، ٢٨ (م.هـ) ، ٦٥ ، ٦٦
(قلعة) ، ٦٧ ، ١٩٨ ، ٢٣٥ .
شيراز ٩٢ ، ١٤٢ ، ٢٣٤ ، ٢٥٥ .
شيروان ١٣ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٦ ، ٥٧ ،
٦٦ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ،
٢٣٠ (هـ) ، ٢٨٨ .

- ص -

صاوجبولاك ٢٣٨ (هـ) ، ٢٤١ .

٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٩ .

فرنسا ٢٩ (هـ) ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١٧٥ ، ٢٧٠ .

فلسطين ١٤٠ .

فنكنشتاين ٣٩ .

الفولغا، نهر ١٣ (م.هـ) ، ١٨ ، ٢٥ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

- ظ -

ظفرانلو ٢٣٣ .

- ق -

قارص ٣٧ ، ٢١٤ .

قافلان كو ٧١ .

القاهرة ١٦٢ ، ٢٦٤ .

القدس ١٤٠ .

القرم ١١ .

قره باغ ٢٥ ، ٢٦ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٧ ، (خانية) ، ٦٥ ، ٦٦ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٧٣ .

قره داغ ١٩٨ .

قزلقر ٢٦ .

قزوين، مدينة ٢٠ ، ١٠٨ ، ١١٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ (م.هـ) ، ١٣٤ ، ٢٠٩ ، ٢٣٥ ، ٢٤٨ ، ٢٦٢ ، ٢٧١ .

قصرشيرين ١١٣ (هـ) .

القفقاس ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٧ (هـ) ، ١٨ ، ٢١ (هـ) ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٦ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ .

قزوين، مدينة ٢٠ ، ١٠٨ ، ١١٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ (م.هـ) ، ١٣٤ ، ٢٠٩ ، ٢٣٥ ، ٢٤٨ ، ٢٦٢ ، ٢٧١ .

قصرشيرين ١١٣ (هـ) .

القفقاس ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٧ (هـ) ، ١٨ ، ٢١ (هـ) ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٦ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ .

قزوين، مدينة ٢٠ ، ١٠٨ ، ١١٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ (م.هـ) ، ١٣٤ ، ٢٠٩ ، ٢٣٥ ، ٢٤٨ ، ٢٦٢ ، ٢٧١ .

قصرشيرين ١١٣ (هـ) .

القفقاس ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٧ (هـ) ، ١٨ ، ٢١ (هـ) ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٦ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ .

- ع -

عباس اباد، قلعة ٦٨ (م.هـ) ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ٢٤٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٩٥ ، ٢٨١ .

العراق ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٣٣ (هـ) ، ١٤٢ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ٢٤٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٩٥ ، ٢٨١ .

عربستان ١٦٥ .

عسكران، قلعة ٤٧ ، ٤٨ ، ١٩٨ ، ٢٣٨ .

عشتاروخ ٢٣٨ .

عمان ١٩٠ .

- ف -

فارس، ١٠ ، ١٠٨ ، ١١١ ، ٢٢٩ ، ٢٧٣ .

(إقليم) .

فالودون ٨٩ .

الفرات ٢٧٣ .

٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٤ ،
٢٦٥ .

كركوك ٢٥٢ .

كرمان ١٠ ، ٧٧ ، ٢٢٧ ، ٢٥٥ .

كرمانشاه ، كرمينشاه ٢٠ ، ٩٢ ، ٩٥ ،

٩٦ ، ٩٩ ، ١١٥ ، ١٥٠ ، ٢٢٥ ،

٢٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ،

(منطقة) ، ٢٤٨ (منطقة) ، ٢٤٩ ،

٢٥٥ (منطقة) ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٧١ .

كرومرود ٧٠ ، ٢٣٥ .

كلستان ٥٦ .

كنجه ٢١ (م.هـ.) ، ٣٢ ، ٦٥ ، ٦٦ ،

٦٧ ، ١٩٤ ، ١٩٨ .

كوبا ٢٦ ، ٣٦ ، ٥٧ ، ٦٧ ، ١٩٨ .

كوت ٩٢ .

كورا ، نهر ٢١ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٦ ، ٤٦ ،

٥٠ ، ٥٥ (هـ.) .

كوكجه ، بحيرة ٦٣ .

كيروفاباد ٢١ (هـ.) .

كيلان - جيلان ١٦ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ،

٣٦ ، ١٠٤ (الشمالية) ، ١٠٩ ،

١٢١ ، ١٥٠ ، ١٩٨ ، ٢٠٧ ، ٢٢٧ ،

٢٤٦ ، ٢٤٧ (م.هـ.) ، ٢٧١ ،

٢٧٤ ، ٢٨٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٨ .

- ل -

لاهيجان ٢٣٨ ، ٢٤٧ (هـ.) ، ٢٥٥ ،

٢٧٨ ، ٢٨٠ .

لبنان ١٩٠ (شيعة) .

٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٣ ،

٧٩ ، ٨١ ، ١١٢ ، ١٩٧ ، (هـ.) ،

٢٧١ ، ٢٠٨ .

قلعة دمدم ٢٣١ .

قم ٥٧ ، ٩٣ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٨٤ ،

١٨٩ .

قندهار ٣٩ .

قومري ٦٥ .

- ك -

كارون ٤ .

كاشان ١٨٤ ، ٢٤٦ .

كبالا ١٩٤ .

كراتشي ١٦٤ .

كربلاء ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٥٨ ،

١٦٣ ، ٢٩٥ .

كرجستان ٣ .

کردستان ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٧٠ ،

(أراضي) ، ٧٧ ، ١٠٩ ، ١١٥ ،

١٦٣ ، ١٩٣ ، ٢٢٣ (م.هـ.) ،

٢٢٨ ، ٢٣٠ (م.هـ.) ، ٢٣١ ،

٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ،

٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٥ (اقلیم) ،

٢٥٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،

٢٦٤ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ .

کردستان الايرانية - كردستان ايران

٢٠ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ (هـ.) ، ٢٣٢ ،

٢٣٥ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، (هـ.) ، ٢٤٩ ،

٢٥٢ ، ٢٥٣ (م.هـ.) ، ٢٥٥ ،

- ٣٢٨ -

لندن ٣٠، ٣٤، ٤٤، ٤٥، ٤٨،
٤٩، ٥٠، ٥٨ (هـ)، ٥٩، ٦٤،
٦٨، ٧١، ٨١، ٨٧، ٨٨، ٩٠،
٩٤، ١١٢، ١١٦، ١٢٠، ١٢٥،
١٢٦، ١٣٤، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٦،
١٦٠، ١٦٢، ١٦٩، ١٧٣، ١٧٧،
٢٠٨، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٢، ٢٣٩
(صحافة)، ٢٦٢، ٢٨٩.
لنكران ٥٢، ٦٦ (ميناء)، ٦٧.
لورستان ١١٥، ١٤٢.
لينينغراد ٢٩١.
لينينكان ٦٥ (هـ).

مرند ٧٠.
مريوان ٢٥٤.
مسجد سليمان ٥.
مشكين ٧٠.
مشهد ١٨٨، ١٨٤، ١٤١.
مصر ٣٤، ٣٩، ٩٦، ١١٩.
المغرب ٢٠٧.
مكة ٢٤١.
المملكة المتحدة ٨٧، ٨٨، ٢٩٢.
موسكو ٢٢، ٧٧، ٨٣، ١٢٣،
١٤٨، ١٦٣، ٢٠٧، ٢٧٠ (دولة).
٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨١.
موش ٢٣٠.
الموصل ٢٣٢، ٢٧٣.
موغان - مغان ٣٦، ٧١.
موكريان ٢٣٢، ٢٤٩، ٢٥٨، ٢٥٩
(عشائر).

مازندران ١٣، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٣،
(هـ)، ١١٣، ١١٤، ١٤٣، ١٩٨،
٢١٩، ٢٧٤، ٢٨٨.
ماكو ٢٢٧، ٢٣٠ (قلعة)، ٢٤١.
مالطا ٢٩ (هـ).
ماوراء القفقاس ٩، ١٥، ١٧ (هـ)،
١٨، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٣١،
٣٧، ٤٢، ١٢٨ (م.هـ)، ١٩٣،
(م.هـ)، ١٩٩، ٢٠٦، ٢٠٧،
٢٠٨، ٢١٣، ٢٨٦، ٢٨٩.
محبج قلا ٢١٣ (م.هـ).
المحيط الهندي ٩٩.
المدينة المنورة ٢٤٠ (هـ).
مراغه ٧٠، ١٩٨.

النجف ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٥٨
-٣٢٩-

- ن -

- ه -

هرات ٢٣ ، ٣٠ ، ١١٤ .
همدان ٢٠ ، ٩٢ ، ١١٥ ، ٢٢٧ ،
٢٤٢ ، ٢٧١ .
الهند ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٢ ،
٢٩ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٤ ،
٥٤ ، ٥٩ ، ٧١ ، ١١٨ ، ١٣٣ (هـ) ،
١٤٢ ، ١٩٧ ، ٢٠٨ ، ٢٧٢ ، ٢٨٥ ،
٢٨٦ .
هورامان ٢٣٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ .

- ي -

اليابان ٨٧ .
يريفان ٣١ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٢ ،
(قلعة) ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٧٠ ،
٧١ ، ٢٧٣ .
يزد ٩٤ ، ١٢٧ .

١٦٣ ، ٢٩٥ .

نخجوان ٣٦ ، ٤٥ ، ٧١ ، ٧٢

٢٣٩ .

نغده ٢٢٧ ، ٢٥٥ .

النمسا ٢٩ (هـ) ، ٣٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ،

٩٦ .

النمسا - المجر ٨٧ ، ٩٠ ، ٩١ .

نونخا ٢٦ .

نيس ٨٨ .

- و -

وادي اراس ٦٨ .

واشنطن ١١٩ ، ١٤٦ ، ٢٢٣ ، ٢٦٢ .

وان ٢٣٦ .

الولايات المتحدة الامريكية ٣ ، ٨٩ ،

١٠٤ ، ١١٤ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ،

١٣٩ ، ١٤٤ (م.هـ) ، ١٦٠ ،

١٦١ ، ١٧٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٩ .

جدول الخطأ والصواب

بالرغم من الجهود التي بذلناه ليأتي الكتاب دونما أخطاء، ما أمكن، فقد حدثت بعض الأخطاء نذكر فيما يلي أهمها مع تصحيحها:

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٤	٢٠	وعداً	واعداً
٥٢	٣	القياء	القيادة
٥٧	٢	دربندو	دربند
٨١	٩	ارفيتين	أرمينتين
٨٩	٣	ال	الى
١٠٣	٢٠	شائعة	شاسعة
١٠٦	٢٤	توزيع	توزيع المقاعد
			الستين المخصصة
١٢٢	١٣	خلق	خلقت
١٣٠	٩	شاهابا	شاهاباد
١٣٥	٩	ليساسه	لسياسة
١٤٥	٩	منه	منها
١٥٠	٧	الخلقاء	الخفاء
١٥٥	٥	عى	على
١٥٦	٢٧	D8	D.
١٦٤	٧	بيتاريخ	بتاريخ
٢٠٨	٢٩	Oynasty	Dynasty

٢٣٥ تضاف العبارة التالية الى ما بعد السطر ١٩ : غير قصر الشاه . وبما انه كان يمتلك عدداً كبيراً من الرجال الشجعان والخيول

٢٤٧	٧	فيم	فيما
٢٥٨	١٧	من	عن
٢٦١	٢	نولستوى	تولستوى
٢٦٩	١١	المناقضين	المتناقضين
٢٦٩	١٤	العالي	العالمي
٢٩١	١٩	الحربي	الحربية

عداد	اعداد	٢٠	٢٩١
Diplomatic Documents	Oiplomatic Oocuments	الأخير	٢٩٣
الممتدة	المتتلة	٧	٢٩٦
والسياسة	والسياسية	١٦	٢٩٨
السوفيتية	الوفيتية	١٩	٢٩٨

الفهرست

٥ - ٣

المقدمة

الموضوع الأول:

٧٣ - ٧

من تاريخ الحروب الايرانية الروسية (صفحة من
العلاقات الدولية في الشرق الاوسط قبل ظهور الامبريالية)

الموضوع الثاني:

٨٣ - ٧٥

مذبحة السفارة الروسية في طهران

الموضوع الثالث:

١٠٠ - ٨٥

العراق وايران بين سازانوف وغراي (وثائق جديدة)

الموضوع الرابع:

١٧٩ - ١٠١

رضا المازندراني والعرش الايراني
من تاريخ تأسيس الاسرة البهلوية
والخيوط الاولى لسياسة الاستعمار
الجديد في الشرق الاوسط

الموضوع الخامس:

١٩٠ - ١٨١

حقائق عن «المؤسسة الدينية» في ايران

الموضوع السادس:

٢٢٣ - ١٩١

حقائق عن النضال التحرري الاذربيجاني في ايران

الموضوع السابع:

٢٦٥ - ٢٢٥

حقائق عن النضال التحرري الكردي في ايران

الموضوع الثامن:

صفحات من تاريخ العلاقات الايرانية - السوفيتية ٢٦٧ - ٢٨١

الموضوع التاسع:

تاريخ ايران الحديث والمعاصر في الوثائق الروسية ٢٨٣ - ٢٩٨
فهرست الاعلام ٢٩٩ - ٣٣٠
جدول الخطأ والصواب ٣٣١

شكر وتقدير

أقدم جزيل شكري لكل من أسهم في تسهيل أمر صدور هذا الكتاب ، وأخص منهم بالذكر السادة الامين العام للثقافة والشباب لمنطقة كردستان للحكم الذاتي محمد أمين محمد أحمد ، ومحمد الملا عبد الكريم المدرس وسردار ميران وجعفر قادر البرزنجي وياسين حميد السامرائي صاحب «مطبعة اركان» والاخوين وليد وقصي السامرائيين ، والاخ جورج اسطيفان ، والاخت بتول ملكزدوق يوسف .

وأود أن اسجل إمتناني بصورة خاصة للاخ الفنان جمال حسن علي الذي صمم غلاف هذا الكتاب ، وأنقذ بصبره وإخلاصه وتأنيه جهدي هذا من محنة حقيقية لا يتصورها الا من عاش مآسيها

المؤلف



General Organization of the Alaxo. In Library (GOAL)
بمكتبه العامة في المكتبة الوطنية

رقم الايداع ١١٢٥ في المكتبة الوطنية - بغداد - لسنة ١٩٨٥

سعر الكتاب : ثلاثة دنائير

توزيع
مكتبة اليقظة العربية
بغداد - شارع الرشيد - السنك

سعر الكتاب: انير

رقم الايداع ١١٢٥ في المكتبة الوطنية - بغداد - لسنة ١٩٨٥